تَأَمُّلاتٌ عَقْلِيَّةٌ وَنَفَحَاتٌ تَعَبُّدِيّةٌ

فِي شَرْحِ

أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى الْعَلِـيَّةِ

يحتوي على شرح (131) اسمًا من أسماء الله الحسنى مقسمة إلى أسماء كمال وجلال وجمال

تأليف

الدكتور : أحمد خضر حسنين الحسن

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)

سورة الأعراف الآية (180)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(للهِ تسعةٌ وتسعون اسماً مَنْ حفظَها دخلَ الجنةَ)

رواه البخاري ومسلم .

قال أحد العلماء وهو يثني على الله تعالى :

إلَهنا لا حمدَ إلَّا لوجهك ، ولا إتقانَ إلَّا لفعلك ، ولا نفاذَ إلَّا لحُكمك ، ولا بهجةَ إلَّا لعالَـمِك ، ولا نور إلَّا ما سطع مِن لدُنْك ، ولا صواب إلَّا في قضائك ، ولا حلاوة إلَّا في كلامك ، ولا قِوام إلَّا بتأييدك ، ولا تمامَ إلَّا بترتيبك ، ولا صلاحَ إلَّا بتهذيبك ، ولا مَضاء إلَّا بتسبيبك ، ولا هَناءَةَ إلَّا في عطائك ، ولا أُنسَ إلَّا مع أوليائك ، ولا توكُّل إلَّا عليك ، ولا رحمةَ إلَّا منك ، ولا شرفَ إلَّا بتَشريفِك ، ولا استبانةَ إلَّا بتعريفك ، ولا اهتداءَ إلَّا بتوفيقك ، ولا إجابةَ إلَّا بتلطيفك ، ولا رُشدَ إلَّا في تكليفك .

إهداء

إلى العُبَّاد حتى تمتلئ عباداتهم لله تعالى بالهيبة والتعظيم والإجلال مشوبة بالمحبة والاشتياق .

إلى العلماء وطلاب العلم ليحسنوا تعريف الخَلْق بالخالق رغبة فيما عنده سبحانه .

إلى كل مثقف يسعى لنفع أمته ليربطها بدينها الدين الخاتم وشريعتها السمحة .

إلى جميع أهل الإيمان الذين يجاهدون أنفسهم لإرضاء ربهم المنان .

إلى كل هؤلاء أقول :

إن معرفة الله تعالى بكماله وجلاله وجماله مقدَّمةٌ على معرفة دينه وشريعته ، لأن تلك المعرفة هي التي توصل إلى تعظيم الخالق والإحسان في الالتزام بدينه الذي أنزله وأمر بالعمل به ... فما لم تعرف الآمر لن تحسن تنفيذ الأوامر.

فجاء هذا الكتاب مساهمة من الكاتب في الوصول إلى هذه الغاية العظمى ولتحقيق هذا الهدف الأسمى .

المقدمة

الحمد لله الذي وسعت رحمته العباد ، فنزَّل لهم في كتابه من العلم بأسمائه ما تنشرح به صدورهم ويكمل به إيمانهم ويزداد ، كما نحمده تعالى كرة أخرى على تعرفه لعباده بآثار أسمائه مما يحسُّون به في حياتهم فيكمل لهم نورهم فيتلألأ ويزيد في الاتقاد ، فيكون ذلك لهم خير عمل يقربهم من ربهم ويا له من زاد ، فله الحمد على ما عَرَّفنا من أسمائه وعلى ما أولانا من نعمائه ، وأكرمنا من عطائه ، تلك خير نعم الله على مَن اصطفى مِن العباد ، ومَنْ شكر فإنما بشكره يزداد ، وبقربه يُسر فلا يزال في فرح وسرور ،وهو بين هذا وذاك في ترداد .

والحمد لله الذي لا يستطيع عقل أن يحيط بجلاله ولا بجماله فإنه لا منتهى لكماله ولا لعظمته ولا لكبريائه ، فرحم قلوب المشتاقين وجبر خواطر المتعبدين المنقطعين بما أعلمهم من أسمائه ، فهدَّأ روعهم وروى ظمأهم بآلائه ، وتلك حقاً هي النعماء التي استحق بها الحمد والثناء .

أحمده تعالى أكمل حمد وأجله وأعظمه وأبلغه وأفصحه وأوسعه وأفضله وأكثره بركة وأحسنه قبولاً لديه وأكثره ثواباً عنده (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فالحمد لله.

أحمده تبارك وتعالى على جميل عطائه وحسن عنايته ورعايته **(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ)** فالحمد لله.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الباقيان على سيدنا محمد أعلم الخلق بالخالق وأشدهم تعظيما له، وأفضلهم مراعاة لجنابه، وأحسنهم إرشاداً إليه ودلالة عليه، فجزاه الله تعالى خير ما جزى نبياً عن أمته ، ورسولاً عن قومه ، ورضي الله عن آل بيته الطاهرين وصحابته الغر الميامين وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد حكى لي أحد الإخوة الأفاضل أمراً عجيبا : يقول كنت في كندا وذهبت ذات يوم لزيارة مدير مدرسة ابتدائية إسلامية فقال لي : جاءتني مدرِّسةُ العلوم الشرعية وقالت لي : " نحن ندرس الطلاب الوضوء والصلاة وذلك ليعبدوا الله تعالى ، ولكن لم نعرِّفهم بالله تعالى الذي يعبدونه " فقلت لها : وما هو اقتراحك لتعريفهم بالله تعالى ؟ فأجابت : " أن نعرفهم كل يوم على

اسم من أسمائه الحسنى " قال المدير : فأذنتُ لها باتخاذ الوسائل المناسبة لأعمار هؤلاء الأطفال لتعريفهم بتلك الأسماء .

قال محدثي : ثم بعد ذلك جئت إلى الدوحة وشاء الله أن أنزل في فندق قريب من مسجدك وحضرتُ لك درسا فإذا بك تتحدث عن أسماء الله الحسنى .

قلت : قد يقول القارئ وما العجيب في كلام صاحبك هذا ؟ أقول : العجيب في ذلك أن هذه مدرّسة كندية واهتدت إلى أهمية تعليم الأطفال الأسماء الحسنى ، ونحن في عالمنا لا يوجد في مناهجنا الدراسية العربي - حسب علمي - هذا النوع من العلم وربما إلى أن يتخرج الطالب من الجامعة لا يكون له أدنى إلمامة بمعرفة الأسماء الحسنى .

وكان لهذا الإهمال لهذا العلم الدور السلبي في شتى مناحي الحياة :

ففي حياتنا التعبدية : فنجد تقصيراً واضحاً في الصلاة من حيث الخشوع فيها أو الاطمئنان في أداء أركانها أو إطالتها ، كما نجد تقصيراً أشد في البكاء عند تلاوة القرآن وتدبره ، ويوجد تقصير آخر في ذكر الله تعالى فهو قليل جدا في حياة الكثيرين بينما الله تعالى يقول : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**) الأحزاب (41) ، والأدهى والأمر من ذلك كله أن ترى البعض قد فرط في أركان الإسلام عامة فلا صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ، وما ذلك إلا لترك العمل بأسمائه تعالى : **الكبير والعظيم والعزيز والجبار والمتكبر** - وما شاكلها - أو ربما للجهل بها .

وأما في الحياة الوظيفية : نجد في كثير من الأحيان السرعة والعجلة وعدم الاتقان في الأداء الوظيفي من ناحية وكثرة التسيب واللامبالاة من ناحية أخرى ، وعدم الاهتمام بالمراجعين من ناحية ثالثة ، وذلك لترك العمل بأسمائه تعالى : **الرقيب والحسيب والعليم والسَّميع والبصِير** - وما شاكلها - أو ربما للجهل بها .

ومثال آخر في الحياة الأسرية والعائلية : نجد لدى البعض الحسد والكراهية والقطيعة لأتفه الأسباب وعدم الصبر على الأذى فربما كلمة تقال بالخطأ تؤدي إلى الجفاء والهجر لسنوات ، وما هذا إلا لترك العمل بأسمائه تعالى : **العفو والغفور والغفار** - ونحوها - أو ربما للجهل بها .

كان ذلك أحد البواعث التي دعتني إلى تأليف هذا الكتاب ، وثمة باعث آخر ألا وهو ما رسخ في أذهان الكثيرين أن معرفة الله تعالى لا تحتاج إلى كثير علم فحصروا معرفته تعالى في كونه : هو الذي خلق العباد ورزقهم ثم كلفهم وسيحاسب كل عامل على عمله يوم القيامة ، والبعض قد يتعب نفسه في فهم دين الله أكثر من إتعابها في معرفته بربه سبحانه.

أقول : أما يستحي المسلم أن تكون معرفته بالله ناقصة إلى هذا الحد وقاصرة إلى هذه الدرجة ، يا أخي إذا كان علم الطب يستغرق ما لا يقل عن تسعة أعوام (إذا عددنا الثانوية وسنة الامتياز دون المراحل الدراسية السابقة) وهو علم يتعلق بمخلوق واحد هو الإنسان فكيف بمعرفة خالق الكون ومدبره العليم الخبير المحيط به إحاطة كاملة .

هذا، ولك أن تعلم أن لب لباب القرآن تكمن في معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله والدعوة إلى العمل بما يرضيه ، يقول الغزالي رحمه الله (سِرُّ القرآن، ولُبَابُه الأصفى، ومقصدُهُ الأقصى، دعوَةُ العباد إلى الجَبَّار الأعلى، ربِّ الآخرةِ والأولى، خالق السماوات العُلَى، والأَرَضِين السُفلى، وما بينهما وما تحت الثَّرَى)[1].

واعلم أيضا أن الآيات المعرِّفة بالله تعالى هي أضعاف أضعاف الآيات التي تبين أحكامه – الشرعية العملية - ومراضيه ومساخطه ،من حيث العدد ، وهي أيضا أفضلها وأعلاها قدرا - من حيث المعنى - فليست سورة الإخلاص كسورة المسد وليس الحديث عن الله سبحانه كالحديث عن أحكام الديون مثلاً . ولذا كان العلم بالأسماء الحسنى هو أهم أنواع تدبر القرآن الكريم .

ومن هنا كان هذا الكتاب يهتم اهتماما كبيرا ببيان جانبي المعرفة النظرية والتطبيقي العملي لأسماء الله الحسنى كلاهما على حد سواء ، وغالب ما أثبته هنا منقول من كلام الإمامين الجليلين حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى من كتابه المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى والعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ،كما نقلت عن غيرهما كالحليمي والقشيري والخطابي، كما استفدت من بعض الكتاب المعاصرين كالنابلسي من كتابه موسوعة شرح أسماء الله الحسنى كما استفدت من بعض المقالات المنشورة في بعض المواقع الإسلامية كالدرر السنية والشبكة

1/ جواهر القرآن ودرره – للغزالي – ص (23) .

الإسلامية والكلم الطيب ، والألوكة الشرعية وصيد الفوائد ،فنسأل الله أن يجزي هؤلاء جمعياً خير الجزاء.

ولعله من المشاهد في الأونة الأخيرة اهتمام العلماء - سواء أكان عبر القنوات أو الخطب والمحاضرات أو التآليف - بلفت الأنظار إلى هذا العلم[2] الذي يعرّف المسلمين بخالقهم ويؤدي إلى صلاح وإصلاح حياتهم في تلك النواحي التي أشرنا إليها وغيرها .

واما منهجي في التأليف فهو كالتالي :

أولاً : كان أسلوبي في تناولي لشرح الأسماء الحسنى مما يعتبر جديدا - على حسب اطلاعي - فقد قمت بتقسيم الأسماء الحسنى إلى ثلاثة أقسام : أسماء الكمال وأسماء الجلال وأسماء الجمال وجعلت الفصل الثاني في توضيح مفاهيم هذه المصطلحات في حق الله تعالى ، وإنما قلت أنه جديد لأن غالبية المؤلفات في هذا العلم إما أنها تشرح الأسماء الحسنى وفق ترتيبها الوارد في حديث الترمذي المشهور وهذا هو الغالب في المؤلفات القديمة وبعض المؤلفات الحديثة ، وإما أن يرتبها الكاتب وفق الحروف الهجائية وهذا ظهر حديثاً .

والدليل على هذا التقسيم الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : **(اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) .**

قال المباركفوري رحمه الله : قوله : (**أعوذ برضاك من سخطك**) أي متوسلاً برضاك أن تسخط وتغضب. وقيل: أي من فعل يوجب سخطك على أو على أمتي.

2/ من المؤلفات المعاصرة : ولله الاسماء الحسنى – لأحمد عبد الجواد ، وفى ملكوت الله مع أسماء الله – عبد المقصود محمد سالم ، وأسماء الله الحسنى أثارها وأسرارها - د/محمد بكر أسماعيل ، والمفاهيم المثلى فى ظلال شرح أسماء الله تعالى الحسنى - لأبى لؤى وليد بن محمود بن حسن ،وأثر معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأهميتها على المسلم - رسالة دكتوراة - للدكتورة نجوى إبراهيم موسى سعيد ، وشرح أسماء الله الحسنى على ضوء الكتاب والسنة – للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، وموسوعة أسماء الله الحسنى - للدكتور محمد راتب النابلسي ، وشرح أسماء الله الحسنى - للعلامة محمد متولي الشعراوي ، وغيرها من الكتب النافعة ،إضافة إلى عشرات المقالات في المواقع الإسلامية .

قوله : (**وبمعافاتك**) أي بعفوك، وأتى بالمغالبة للمبالغة أي بعفوك الكثير. (**من عقوبتك**) إذ هي أثر من آثار السخط، وإنما استعاذ بصفات الرحمة لسبقها وظهورها من صفات الغضب.

قوله : (**وأعوذ بك منك**)، أي بذاتك من آثار صفاتك. وقيل: أعوذ بصفات جمالك من صفات جلالك، فهذا إجمال بعد شيء من التفصيل، وتعوذ بتوسل جميع صفات الجمال عن صفات الجلال، وإلا فالتعوذ من الذات مع قطع النظر عن شيء من الصفات لا يظهر.

وقيل : هذا من باب مشاهدة الحق – أي الاستغراق في عبادته ومناجاته ومراقبته (**كأنك تراه**) والغيبة عن الخلق، وهذا محض المعرفة الذي لا يحيطه العباد [3].

وأقول : في هذا الكلام بيان لتقسيم الصفات إلى صفات جمال وجلال وأما صفات الكمال فجاءت إلى الإشارة إليها في ختام الحديث حيث قال صلى الله عليه وسلم (لا أحصي ثناء عليك) فالله تعالى لا منتهى لكمالاته ،قال السيوطي: أي لا أطيقه، أي لا أنتهي إلى غايته، ولا أحيط بمعرفته، كما قال - صلى الله عليه وسلم - في حديث الشفاعة: فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن [4].

وقال ابن القيم رحمة الله في تفسير سورة الفاتحة - مدارج السالكين **- "وصفات الجلال والجمال: أخص باسم (الله)" .**

وقد يسأل سائل ما هي ميزة تقسيم الأسماء الحسنى إلى تلك الأقسام ؟

أقول : عندما تقرأ في أسماء الجلال - مثلاً - متتابعة فإن جلال الله وعظمته وكبرياءه تتضح في عقلك مع كل اسم ويتأثر قلبك شيئا فشيئا حتى تبلغ الغاية في تصور تلك العظمة وذلك الجلال لتوارد معاني تلك الأسماء على عقلك وقلبك وكلها تشير إلى معنى واحد - هو الجلال - مما يجعلك تنسجم مع كل اسم تطالعه ثم تتشوف إلى الذي يليه ، وأما شرح الأسماء على ترتيب الحروف الهجائية ، أو وفق حديث الترمذي ، فلن تجد فيه تلك المعاني المتواردة على معنى الجلال ، فمثلا : أين معنى المهيمن من المعطي فالأول من أسماء الجلال والثاني من أسماء الجمال ، وقد تقرأ في

---

[3]/ مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - تأليف أبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري – حديث رقم (900).

4/ السابق : نفس الموضع .

معنى اسمه القهار ثم بعده تنتقل مباشرة إلى قراءة معنى اسمه القوي والأول من أسماء الكمال والثاني من أسماء الجلال، ففي هذه الحالة ينقطع عندك توارد معاني الجلال أو الكمال أو العكس .

ثانياً : شرحت كل اسم من الأسماء الحسنى تحت القسم الذي رأيت أنه يناسب أحد الأقسام آنفة الذكر في فصل منفصل بالمنهجية المذكورة آنفاً ، وكان ذلك وفق الخطوات التالية :

1/ بدأت بشرح معنى الاسم في حق الله تعالى - دون تطرق إلى المعنى اللغوي - وذلك مجموع من كلام العلماء الذين عنوا بشرح الأسماء الحسنى كالغزالي وابن القيم والحليمي والخطابي ، وذلك كله مما تنشرح له الصدور وتستنير به العقول، وذلك تحت عنوان : **عرفت أن من معانيه** .

2/ ذكرت فوائد جمة وإرشادات مهمة تتعلق بالأخلاق الكريمة المستفادة من هذه الأسماء الحسنى والتي من واجب المسلم أن يعمل بها وأن يحولها إلى واقع عملي في حياته اليومية، وذلك تحت عنوان : **تَعلَّمتُ منه ، وبها أشير إلى كلامي، فإن قلت : كما تَعلَّمتُ منه** فهو من كلام غيري.

وقد رجعت في هذا الجانب في الغالب إلى ما كتبه العلماء السابقون المشار إليهم كما استفدت مما كتبه المعاصرون كالسعدي والنابلسي كما استفدت من مقالات منشورة في بعض المواقع الإسلامية كصيد الفوائد والألوكة الشرعية وطريق الإسلام والكلم الطيب وغيرها.

3/ أشرت بإشارة مختصرة إلى وجه دلالة الاسم على الكمال الإلهي أو الجلال الإلهي وذلك في الغالب الأعم وأما أسماء الجمال فالأمر فيها واضح لا يحتاج إلى تنبيه ، والله أعلم .

4/ حرصت على تفسير الآيات القرآنية التي استشهدت بها ، كما حرصت على تخريج الأحاديث النبوية ، وليس فيها حديث ضعيف جدا أو موضوع - بحمد الله تعالى - كما حرصت على شرحها.

5/ توخيت في كتابتي لمعاني أسماء الله الحسنى منهجا وسطا فلا هو بالاختصار المخل ولا التطويل الممل ، وذلك وفق المنهج المذكور أعلاه .

ثالثاً : عدد الأسماء الحسنى التي قمت بشرحها بلغت (131) واحد وثلاثون ومائة اسم ، وتفصيلها كالتالي : واحد وخمسون من أسماء الكمال وتسع عشرة من أسماء الجلال واحد

وستون من أسماء الجمال ، ولا يفوتني أن أقول أني قد أشرت في الهامش إلى الأسماء المختلف في إثباتها بين العلماء عند شرحها دون المتفق عليه منها بين أهل العلم.

وقد أسميت هذا الكتاب :

تَأَمُّلاتٌ عَقْلِيَّةٌ وَنَفَحَاتٌ تَعَبُّدِيّةٌ فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى الْعَلِـيَّةِ

وجاءت التأملات [5] **العقلية** : للكشف عن المعاني الظاهرة لكل اسم من الأسماء الحسنى ، ثم الكشف عن معان أعمق وأدق ، قد لا ينتبه لها القارئ في الوهلة الأولى فمثلا : لا يختلف اثنان في دلالة اسمه تعالى **الجبار** على القهر والغبة وأنه الذي تنفذ مشيئته في خلقه، ولكن هناك معنى أعمق وهو أن يقال : الجبار المصلح للأمور، العظم إذا كُسر يُجبَر، أي أن يلتئم العظم، فالله عز وجل يجبر الكسير، ويعطي المحروم، ويرفع الذليل. ولذا وضعت هذا الاسم ضمن أسماء الجمال ، لأن الله تعالى رحمته سبقت غضبه .

وجاءت النفحات التعبدية [6] **:** ليعيش القارئ مع أسماء الله الحسنى بعاطفته الإيمانية ووجدانيته القلبية ، فينكسر لله تعالى تعبدا وذلا ، خضوعا لعظمته ، وطمعا في رحمته فيستنشق نفحات الشوق لله الحميد المنان ، ويتذوق حلاوة الإيمان ويتخيل أنه في عالي الجنان، كما سيعيش المؤمن بمعرفته لهذه الأسماء في جو من مكارم الأخلاق وحسن السيرة بين الناس ، لما

5/ التأمل لغة من مادة (أَ مَ ل) التي تدل على التثبت والانتظار. واصطلاحا : تدقيق النظر في الكائنات أو الأشياء بغرض الاتعاظ والتذكر بمعنى إدامة النظر والتثبت واستمراريته.. فالنظرة الأولى ليست تأملاً.

6/ وردت كلمة نفحات في الحديث فعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات الله عز وجل فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوه أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم » (أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، وأبو نعيم في الحلية) ونفحات الله المشار إليها هنا: منح من خزائن رحمته يصيب بها من يشاء من عباده المؤمنين، من صادف نفحة منها سعد سعادة الأبد، قال علماء السلوك والأخلاق: التعرض للنفحات الترقب لورودها بدوام اليقظة والانتباه من سِنة الغفلة حتى إذا مرت نزلت بفِناء القلوب.

قال العلامة المناوي: ومقصود الحديث: إن لله فوائض مواهب تبدو لوامعها من فتحات أبواب خزائن الكرم والمنن في بعض الأوقات، فمن تعرض لها مع الطهارة الظاهرة والباطنة بجمع همة وحضور قلب حصل له منها دفعة واحدة ما يزيد على هذه النعم الدائرة في الأزمنة الطويلة على طول الأعمار، فإن خزائن الثواب بمقدار على طريق الجزاء، وخزائن منن النفحة لا تفرق فيما تعطي عليه، والجزاء له مقدار ووقت معلوم ووقت النفحة غير معلوم بل مبهم في الأزمنة والساعات، وإنما غُيب علمه لنداوم على الطلب بالسؤال المتداول كما في ليلة القدر وساعة الجمعة، فقصد أن نكون متعرضين له في كل وقت قياما وقعودا وعلى جنوبنا وفي وقت التصرف في أشغال الدنيا، فإن المداوم يوشك أن يوافق الوقت الذي يفتح فيه فيظفر بالعطاء الأكبر ويسعد بسعادة الأبد .

يجد في مضامين هذه الأسماء مما يدعوه إلى ذلك كأسمائه تعالى : الحليم والكريم والرؤوف الرحيم والودود والمعطي ونحوها ، فالعبودية لله تعالى كما تظهر في الشعائر التعبدية تظهر أيضا في القيم الأخلاقية الاجتماعية كالحلم والتواضع والجود والكرم ومد يد العون للآخرين ونحوها.

وأما مكونات الكتاب فهي عبارة عن مقدمة وتمهيد وثمانية فصول وخاتمة ، كالتالي :

المقدمة : بينت فيها أهمية معرفة الله تعالى من خلال أسمائه الحسنى أخذا من الكتاب والسنة .

التمهيد : بينت فيه أهمية معرفة الأسماء الحسنى .

الفصل الأول : أحصيت فيه أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وبينت حقيقة الاسم الأعظم ،وذلك من خلال ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني : ذكرت فيه مفهوم العمل بالأسماء الحسنى من خلال النصوص الشريفة وفهم الإمامين الغزالي وابن القيم رحمهما الله لتلك النصوص،وذلك من خلال ثلاثة مباحث،

الفصل الثالث : بينت فيه مفهوم الكمال والجلال والجمال في حق الله تعالى .

الفصل الرابع : شرحت فيه الأسماء الحسنى التي تدل على كمال الله جل وعلا وقد بلغ عددها واحد وخمسون اسماً .

الفصل الخامس : شرحت فيه الأسماء الحسنى التي تدل على جلال الله جل وعلا وقد بلغ عددها تسعة عشر اسماً.

الفصل السادس : شرحت فيه الأسماء الحسنى التي تدل على جمال الله جل وعلا وقد بلغ عددها اثنان وستون أسماً .

والفصل السابع : ويحتوي على بعض التأملات في أسماء الله الحسنى ، مقتبسة من كلام حجة الإسلام الغزالي والعلامة ابن القيم رحمهما الله تعالى .

الفصل الثامن : قصيدة التضرع إلى الله تعالى بالأسماء الحسنى (للشيخ تقي الدين الهلالي) .

والخاتمة : تحتوي على ما يستفيده القارئ لهذا الكتاب .

وفي ختام هذه المقدمة أقول : مهما ألف المؤلفون في هذه الأسماء الحسنى فلن يوفوها حقها لجلالها ولعظمتها ولعمق معانيها والأمر كما قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى : (**وَلَا مطمع فِي الْعلم بتفصيلها - الأسماء الحسنى - فَإِنَّهُ لَا نِهَايَة لَهُ وَأما الْجُمْلَة فللعبد طَرِيق إِلَى مَعْرفَتهَا وبقدر اتساع مَعْرفَته فِيهَا يكون حَظه من معرفَة الْأَسْمَاء وَذَلِكَ يسْتَغْرق الْعُلُوم كلهَا**).

وأخيراً أقول : إنني قد حاولت أن أساهم قدر الاستطاعة في تعريف الناس بالله تعالى من خلال ما ذكرته في هذا الكتاب لأتشرف بذلك في الدنيا حيث مجَّدتُ الله تعالى وأثنيتُ عليه بين خلقه ، فلعل البعض يعجبه ذلك فيمجد الله ويعظمه ،وأرجو أن يُكرمني الكريم سبحانه بهذا العمل فيدخلني جنات النعيم، وهذا ظني بربي وهو رحمن رحيم جواد كريم .

يا ناظراً فيما عمدتُ لِجمعِهِ	**عُذراً فإنَّ أخا الفضائلِ يَعذرُ**
عِلماً بأنَّ المرءَ لو بَلغَ المدى	**في العُمرِ لاقى الموتَ وهو مُقصِّرُ**
فإذا ظفِرتَ بِزلَّةٍ فافتَح لها	**بابَ التَّجاوُزِ فالتجاوزُ أجدرُ**
ومنَ المحالِ بأن تَرى أحداً حَوى	**كُنهَ الكمالِ وذا هو المتعذِّرُ**
والنقصُ في نفسِ الطبيعةِ كامنٌ	**فبنو الطبيعة نقصُهم لا يُنكر**

وكتبه أخوكم : أحمد خضر حسنين الحسن

تم بحمد الله في يوم الاثنين

الخامس عشر من شهر رمضان /1440

الموافق 2019/5/20

تمهيد

أهمية معرفة الأسماء الحسنى

اعلم أخي القارئ الكريم أن أسماء الله تعالى تتضمن صفات ، فمثلاً الكريم يتضمن صفة الكرم ، والرحمن الرحيم يتضمنان صفة الرحمة ، وهكذا ، ومن هنا كان مما يلزم المسلم معرفته والعمل به من هذه الأسماء الحسنى مما يزيد في الإيمان والتعلق بالرحمن جل وعلا ، فيؤدي ذلك إلى حسن عبادته واجتناب غضبه سبحانه ، وإليك بيان ذلك من كلام العلماء [7] في النقاط الآتية :

1/ **إن أشرف غايات المسلم، ومنتهى طلبه أن يفوز برضوان الله تعالى وجنته وأن يتنعم بالنظر إلى وجه الله ذي الجلال والإكرام في الدار الآخرة**، و هذه الغاية يمكن أن تتحقق إلا بمعرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لله تسعة وتسعون اسماً من حفظها دخل الجنة**) رواه البخاري ومسلم ، وسيأتي شرحه مطولاً إن شاء الله تعالى .

2/ **يقول ابن القيم رحمه الله تعالى**: (إن العلم بأسماء الله الحسنى أصل للعلم بكل معلوم؛ فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقًا له تعالى أو أمرًا. إما علم بملكوته، أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضي بمقتضيه، وإحصاء الأسماء الحسنى أصل لإحصاء كل معلوم، لأن المعلومات هي من مقتضاها، ومرتبطة بها) .

3/ **في معرفة الله – عز وجل- بأسمائه وصفاته زيادة في الإيمان واليقين وتحقيق للتوحيد،** وتذوق لطعم العبودية. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (فإن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته وجمع قلبه على محبته، شرح صدره لقبول صفاته العلا، وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول، وتلقَّاه بالرضا والتسليم، وأذعن له بالانقياد، فاستنار به قلبه، واتسع له صدره، وامتلأ به سرورًا ومحبة، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تَعرَّف به إليه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل تلك الصفة من

7/ من مقال بعنوان (فوائد التأمل في أسماء الله الحسنى) للشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليّل - موقع ياله من دين – (باختصار شديد وتصرف).

قلبه منزلة الغذاء أعظم ما كان إليه فاقة، ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة، فاشتد بها فرحه، وعظم بها غناؤه، وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام - أي أجال - عين بصيرته في رياضها وبساتينها، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأن شرفه أيضًا بحسب الحاجة إليه، **وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبته وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه، والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه**، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد. **والله يُنْزِلُ العبد من نفسه حيث يُنْزِلُه العبدُ من نفسه**) .

ويقول في موطن آخر: (فالعيش الطيِّب؛ والحياة النافعة؛ وقرَّة العين: في السكون والطمأنينة إلى الحبيب الأوَّل، ولو تنقَّل القلب في المحبوبات كلِّها لم يسكن، ولم يطمئن، ولم تقرَّ عينه حتى يطمئن إلى إلهه وربِّه ووليِّه؛ الذي ليس له من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ، ولا غنى له عنه طرفة عين).

4/ التلازم الوثيق بين صفات الله تعالى وما تقتضيه من العبادات الظاهرة والباطنة وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني: من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، **وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح.**

فعِلمُ العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع، والعطاء، والمنع، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة **يثمر له: عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.**

وعلمه - العبد - أنه تعالى لا يخفى عليه مثقال ذرة وأنه يعلم السر، وعلمه بسمعه تعالى وبصره، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور **يثمر له: حفظ لسانه وجوارحه، وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله**، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك: الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته - العبد - بغناه تعالى وجوده، وكرمه وبره وإحسانه، ورحمته توجب له سعة الرجاء. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له: الخضوع والاستكانة، والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها.. فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»

5/ **فهم معاني أسماء الله – عز وجل- وصفاته طريق إلى محبة الله**، وتعظيمه ورجائه والخوف منه، وفي ذلك يقول العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: (فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء، والمهابة، والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات) .

6/ **العلم بأسماء الله – عزل وجل- وصفاته يزرع في القلب الأدب مع الله تعالى والحياء منه** . يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (إن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا. ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق- علمًا وعملاً وحالاً- والله المستعان).

أستطيع أن أقول باختصار شديد : بعض أسماء الله الحسنى يحصل بها التخلص والتطهر من العيوب ، وبعضها يحصل به التحلي بمكارم الصفات والقرب من علام الغيوب ، وبعضها يجعل الحب يحيط بالأفئدة والقلوب.

تنبيهات مهمة :

الأول : قال العلماء في بيان الفرق بين الاسم والصفة : الأسماء تدل على الذات، والصفات تدل على معنى قائم بالذات وهذه المعاني ايضا أسماء والأسماء مشتقة من الصفات والمقصود أن أصل اشتقاق الاسم من الصفة ولا يقصد أن كل صفة يؤخذ منها اسم بل الأسماء توقيفية [8].

8/ أثر معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأهميتهاعلي المسلم - رسالة دكتوراة في الفلسفة في الدراسات الإسلامية - جامعة الخرطوم -الدكتورة نجوى إبراهيم موسى سعيد – ص(163) .

الثاني : يجب التفرقة بين الإخبار عنه سبحانه وتعالى وتسميته بما سمي به نفسه في كتابه أو على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه فإنه يخبر به وعنه ، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا ،ويفرق بين دعائه والإخبار عنه ، فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى ، وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيء ، ولكن قد يكون باسم حسن، أو باسم ليس بسيء ، وإن لم يحكم بحسنه مثل اسم :الشيء وذات وموجود وإذا إريد به الثابت ، وأما إذا أريد به "الموجود عند الشدائد" فهو من الأسماء الحسنى ، وكذلك المريد ، والمتكلم فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى : محمود ، ومذموم ،فليس ذلك من الأسماء الحسنى بخلاف الحكيم والرحيم والصادق ونحو ذلك فإن ذلك لا يكون إلا محمودا.[9]

الثالث : الإخبار عنه بالفعل المقيد الثابت عنه في القرآن أو السنة لا يلزم أن يشتق منه اسمًا له سبحانه.إنه لا يلزم من الإخبار عنه سبحانه وتعالى بالفعل مقيدًا أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر تعالى الله عن قولهم فإن هذه الأسماء لم تطلق عليه تبارك وتعالى منها إلا أفعال مخصوصة معينة فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة .ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه الماكر المخادع المستهزيء الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه وعز هذا الجاهل أن الله سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماؤه كلها حسن فأدخلها في الأسماء الحسنى، وأدخلها وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقًا بل تمدح في موضع وتذم في موضع ، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقًا فلا يقال أنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد فكذلك بطريق الأولى لاشتق له منها أسماء يسمى بها، ولا الفاعل ولا الصانع ، لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد، والجائي والذاهب والقادم والرائي ، والناسي والقاسم والساخط والغضبان واللاعب إلى

9/ كتاب الأسماء والصفات - ابن تيمية(60/ 2) نقلاً عن أثر معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأهميتهاعلي المسلم - رسالة دكتوراه الفلسفة في الدراسات الإسلامية - جامعة الخرطوم -الدكتورة نجوى إبراهيم موسى سعيد – ص (166).

أضعاف أضعاف ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه أفعالها في القرآن وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل[10] .

الرابع : **لا يفوتني أن أنبه إلى إنّ صيغ المبالغة إذا تعلقت بأسماء الله الحسنى فتعني شيئين** ، تعني المبالغة في الكمّ ، والمبالغة في النوع ، فمثلا من أسمائه تعالى الديان : وهو بمعنى أنه سيحاسب عن كل الذنوب مهما كثرت و(**الديان**) سيحاسب عن أكبر الذنوب مهما كبرت ، ودليل ذلك قوله تعالى : (**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ *عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[الحجر:92-93] .

10/ بدائع الفوائد - لابن القيم - (162./2) نقلا عن المرجع السابق – نفس الموضع .

الفصل الأول

إحصاء أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وبيان حقيقة الاسم الأعظم

المبحث الأول : أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : أسماء الله الحسنى التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة .

المطلب الأول : ذكر حديث الأسماء الحسنى المشهورة وآراء العلماء فيه .

المطلب الثاني : ذكر أسماء الله الحسنى التي وردت في السنة الصحيحة .

المبحث الثالث :المناهج التي سلكها العلماء في حصر الأسماء الحسنى

المبحث الرابع : حقيقة اسم الله الأعظم .

المبحث الأول

أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم

بحث كثير من أهل العلم المعاصرين في أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم فأوصلها بعضهم إلى ما يزيد على المائة والعشرين ،وقصرها البعض على الثمانين اسماً ، وهو الأقرب إلى الصواب ، وإليك تلك الأسماء مع ذكر مواضعها في القرآن الكريم ، ولا يخفى عليك ايها القارئ الكريم أن أكثر هذه الأسماء تكرر ذكرها في الآيات، وأولها وأعلاها أعظمها وإليه ترجع **(اسم الجلالة الله)** ثم بقية الأسماء وهي :

1-2/ الرَّحْمَنُ والرَّحِيمُ : (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (فصلت:2) .

3- 10/ الْمَلِك والْقُدُّوسُ والسَّلامُ والْمُؤْمِنُ والْمُهَيْمِنُ والْعَزِيزُ والْجَبَّارُ والْمُتَكَبِّرُ : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحشر:23) .

11- 13/ الْخَالِقُ والْبَارِئُ والْمُصَوِّرُ: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (الحشر:24) .

14- 17/ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والْبَاطِنُ: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الحديد:3) .

18- 19/ السَّمِيعُ والْبَصِيرُ : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى:11) ،

20-21/ الْمَوْلَى والنَّصِيرُ : (فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج: 78) ،

22-23/ العفو والْقَدِيرُ : (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً) (النساء:149) ،

24-25/ اللطيف والْخَبِير : (وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الأنعام:103) ،

26-27/ الْكَبِيرُ والْمُتَعَالَ : (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) (الرعد:9) ،

29-28/ الْوَاحِدُ والْقَهَّارُ : (وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (إبراهيم:48) ،

31-30/ الْحَقُّ والْمُبِينُ : (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) (النور:25) .

33-32/ الْقُوَّيُّ والْمَتِينُ :(وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) (الشورى:19) (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات:58) .

34- 37/ الْحَيُّ والْقَيُّومُ والْعَلِيُّ والْعَظِيمُ: (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) ، (وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة:255).

39-38/ الشَّكُورُ والحليم : (وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التغابن:17) .

41-40/ الْوَاسِعُ والعليم : (إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:115) .

43-42/ التواب والحكيم : (وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) (النور:10) .

45-44/ الْغَنِيُّ والكريم : (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل:40) .

47-46/ الأَحَدُ والصَّمَدُ : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ) (الإخلاص:2) .

49-48/ القريب والمجيب : (إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) (هود:61) .

51-50/ الْغَفُورُ والودود : (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) (البروج:14) .

53-52/ الولي والحميد: (وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) (الشورى:28) .

54/ الحفيظ : (وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) (سبأ:21) .

55/ المجيد : (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) (البروج:15) .

56/ الفتاح : (وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) (سبأ:26) .

57/ الشهيد : (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (الحج:17) .

59-58/ الْمَلِيكُ والْمُقْتَدِرْ: (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) (القمر:55) .

60/ **الْقَاهِر :** (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) (الأنعام:18) .

61/ **الشَّاكِرُ :** (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) (البقرة:158)

62/ **الْقَادِرُ** : (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) (المرسلات:23) .

63/ **الْخَلاقُ :** (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ) (الحجر:86) .

64/ **الرَّزَّاقُ :** (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات:58) .

65/ **الوكيل** : (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران:173) .

66/ **الرقيب** : (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً) (الأحزاب:52) .

67/ **الحسيب** : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً) (النساء:86) .

68/ **المقيت :** (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً) (النساء:85) .

69/ **الأكرم** : (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ) (العلق:3) .

70/ **البر :** (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) (الطور:28) .

71/ **الْغَفَّارِ** : (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) (صّ:66) .

72/ **الرءوف :** (وَأَنَّ اللهَ رَءوفٌ رَحِيمٌ) (النور20) .

73/ **الوهاب :** (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) (صّ:9) .

74/ **الْوَارِثِ :** (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) (الحجر:23) .

75/ **الرب** : (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) (سبأ:15) .

76/ **الأعلى** : (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) (الأعلى:1) .

77/ **الإله** : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة:163).

78/ الحكم : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا). سورة الأنعام(114

79/ البديع : (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (البقرة: 117) .

80/ الكافي : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) (الزمر: 36) (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: 137}.

وَقَدْ حَرَّرَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "تَلْخِيصِ الْحَبِيرِ" تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، مُنْطَبِقَةً عَلَى لَفْظِ الْحَدِيثِ، وَرَتَّبَهَا هَكَذَا:

اللَّهُ، الرَّبُّ، الْإِلَهُ، الْوَاحِدُ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْعَلِيُّ، الْعَظِيمُ، التَّوَّابُ، الْحَلِيمُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الشَّاكِرُ، الْعَلِيمُ، الْغَنِيُّ، الْكَرِيمُ، الْعَفُوُّ، الْقَدِيرُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْمَوْلَى، النَّصِيرُ، الْقَرِيبُ، الْمُجِيبُ، الرَّقِيبُ، الْحَسِيبُ، الْقَوِيُّ، الشَّهِيدُ، الْحَمِيدُ، الْمَجِيدُ، الْمُحِيطُ، الْحَفِيظُ، الْحَقُّ، الْمُبِينُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْخَلَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْوَدُودُ، الْغَفُورُ، الرَّؤوفُ، الشَّكُورُ، الْكَبِيرُ، الْمُتَعَالِ، الْمُقِيتُ، الْمُسْتَعَانُ، الْوَهَّابُ، الْحَفِيُّ، الْوَارِثُ، الْوَلِيُّ، الْقَائِمُ، الْقَادِرُ، الْغَالِبُ، الْقَاهِرُ، الْبَرُّ، الْحَافِظُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الْمَلِيكُ، الْمُقْتَدِرُ، الْوَكِيلُ، الْهَادِي، الْكَفِيلُ، الْكَافِي، الْأَكْرَمُ، الْأَعْلَى، الرَّزَّاقُ، ذُو الْقُوَّةِ، الْمَتِينُ، غَافِرُ الذَّنْبِ، وَقَابِلُ التَّوْبِ، شَدِيدُ الْعِقَابِ، ذُو الطَّوْلِ، رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ، سَرِيعُ الْحِسَابِ، فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. اهـ .(الشبكة الإسلامية – الفتوى رقم : 325897) .

والآن إليك سرد الأسماء الحسنى التي وردت في القرآن الكريم كما توصل إليها بعض الباحثين - مائة وبضعة وثلاثون اسماً - (مرتبة على حسب حروف المعجم):

أ/ الإله ، الأحد ، الأول ، الآخر ، الأعلى ، الأكرم ، الأعلم ، أرحم الراحمين ، أحكم الحاكمين ، أحسن الخالقين ، . أسرع الحاسبين . أهل التقوى ، أهل المغفرة ، الأقرب ، الأبقى .

ب/ البارئ ، الباطن ، البديع ، البر ، البصير. **ت/** التواب . **ج/** الجبار، الجامع .

ح/ الحكيم ، الحليم ، الحي ، الحق ، الحميد ، الحسيب ، الحفيظ ، الحفي .

خ/ الخبير ، الخالق ، الخلاق ، الخير ، خير الماكرين ، خير الرازقين ، خير الفاصلين ، خير الحاكمين ، خير الفاتحين ، خير الغافرين ، خير الوارثين ، خير الراحمين ، خير المنزلين . خير الناصرين ، خير حافظاً .

ذ/ ذو العرش ، ذو الطول ، ذو الانتقام ، ذو الفضل العظيم ، ذو الرحمة، ذو القوة، ذو الجلال والإكرام ، ذو المعارج . ذو مغفرة ، ذو عقاب .

ر/ الرحمن ، الرحيم ، الرءوف ، الرب ، رفيع الدرجات ، الرزاق ، الرقيب .

س/ السميع ، السلام ، سريع الحساب ، سريع العقاب .

ش/ الشهيد ، الشاكر ، الشكور ، شديد العقاب ، شديد المحال .

ص/ الصمد . **ظ/** الظاهر . ع/ العليم ، العزيز ، العفو ، العلي ، العظيم ، علام الغيوب ، عالم الغيب والشهادة .

غ/ الغني ، الغفور ، الغالب ، غافر الذنب ، الغفار . **ف/** فالق الإصباح ، فالق الحب و النوى ، الفاطر ، الفتاح .

ق/ القوي ، القدوس ، القيوم ، القاهر ، القهار ، القريب ، القادر ، القدير ، قابل التوب ، القائم على كل نفس بما كسبت .

ك/ الكبير ، الكريم ، الكافي . **ل/** اللطيف .

م/ الملك ، المؤمن ، المهيمن ، المتكبر ، المصور ، المجيد ، المجيب ، المبين ، المولى ، المحيط ، المقيت ، المتعال ، المحيي ، المتين ، المقتدر ، المستعان ، مالك الملك ، مالك يوم الدين .

ن/ النصير ، النور . **و/** الوهاب ، الواحد ، الولي ، الوالي ، الواسع ، الوكيل ، الودود .

هـ/ الهادي .

تنبيهان :

الأول : **لم يتفق العلماء على جميع تلك الأسماء الواردة في الآيات القرآنية سواء الواردة في كلام ابن حجر رحمه الله تعالى أو كلام غيره من المعاصرين بل بعضهم يعتبر تلك الأسماء – المختلف فيها - من باب الخبر وليس التسمية** ، وهي :

قابل التوب ، القائم على كل نفس بما كسبت ، ذو الطول ، ذو الانتقام ، ذو الفضل العظيم ، ذو الرحمة، ذو القوة ، ذو المعارج . ذو مغفرة ، ذو عقاب ، الغالب ، غافر الذنب ، شديد العقاب ، شديد المحال، فالق الإصباح ، فالق الحب والنوى ، الفاطر ، أرحم الراحمين ، أحكم الحاكمين ، أحسن الخالقين ، أسرع الحاسبين . أهل التقوى ، أهل المغفرة ، الأقرب ، الأبقى ، الحفي ، خير الماكرين ، خير الرازقين ، خير الفاصلين ، خير الحاكمين ، خير الفاتحين ، خير الغافرين ، خير الوارثين ، خير الراحمين ، خير المنزلين . خير الناصرين ، خير حافظاً ، رفيع الدرجات، سريع الحساب ، سريع العقاب .

الثاني : بالتأمل في هذه الأسماء الحسنى المختلف فيها نجد أنها مندرجة تحت المتفق عليه منها في الغالب الأعم فمثلاً : خير الفاتحين مندرج تحت معنى الفتاح وخير الرازقين مندرج تحت معنى اسمه الرزاق ، وخير حافظاً في معنى الحفيظ ،وهكذا كل اسم مقدم بكلمة (خير) ، وما كان مقدما بـ (ذو) فهو مندرج في معنى اسم آخر قريب منه فمثلاً ، ذو الرحمة فى معنى الرحمن . وذو مغفرة في معنى الغفور ، وبهذا تعلم السبب في عدم إيراد كثير من المؤلفين في شرح أسماء الله الحسنى لهذه الأسماء في كتبهم ، وإن وجد فهو في حكم النادر . والله أعلم.

المبحث الثاني

أسماء الله الحسنى التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة

المطلب الأول : ذكر حديث الأسماء الحسنى المشهورة وآراء العلماء فيه .

المطلب الثاني : ذكر أسماء الله الحسنى التي وردت في السنة الصحيحة .

المطلب الأول

ذكر حديث الأسماء الحسنى المشهورة وآراء العلماء فيه

اشتهر لدى الخاص والعام تسعة والتسعين اسما من أسماء الله الحسنى حتى صارت تكتب في نهاية المصحف وتعلق في الجدران فأحببت أن أنقل آراء العلماء في الحديث الذي وردت في وهو رواية الترمذي [11]، وإليك نصه :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِيَ الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ " .

وقد اختلف العلماء في الحكم عليه : هل هو مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أم مدرج من كلام الوليد بن مسلم - أحد الرواة - :

قَالَ الترمذي رحمه الله تعالى بعد روايته له : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، حَدَّثَنَا بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ

11/ الحديث أخرجه أيضاً وابن حبان(2384)، والحاكم (16/1)، والبيهقي في (السنن) (27/10)، و في(الأسماء والصفات) (ص15 – 16)، وفي (الاعتقاد) (ص50)، والبغوي في (شرح السنة) (32/5), كلهم من طريق الوليد بن مسلم ، كما أخرجه ابن ماجه (3861) من طريق عبد الملك ابن محمد الصنعاني ، وقال قال البوصيري في (الزوائد): لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا من غيره غير ابن ماجه, والترمذي, مع تقديم وتأخير, وطريق الترمذي أصح شيء في الباب.(نقلاً عن موقع الدرر السنية) .

رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا نَعْلَمُ فِي كَبِيرِ شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ ذِكْرَ الْأَسْمَاءِ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَقَدْ رَوَى آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ بِإِسْنَادٍ غَيْرِ هَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ فِيهِ الْأَسْمَاءَ وَلَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ .

- **وقال ابن كثير رحمه الله تعالى :** " والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك.أي أنهم جمعوها من القرآن، كما روى عن جعفر بن محمد, وسفيان بن عيينة, وأبو زيد اللغوي والله أعلم" [12] اهـ

- **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :** " واختلف العلماء في سرد الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر عن بعض الرواة، فمشى كثير منهم على الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم, لأن كثيراً من هذه الأسماء كذلك، وذهب آخرون إلى أن التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه, ونقله عبد العزيز النخشبي عن كثير من العلماء.

ثم نقل عن الحاكم قوله: (إن العلة فيه مجرد تفرد الوليد بن مسلم, وأنه أوثق ممن رواه بدون ذكر الأسماء). ورد عليه الحافظ بقوله: (وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط, بل الاختلاف فيه, والاضطراب, وتدليسه, واحتمال الإدراج)[13] اهـ

- **وقال الحافظ ابن حجر** -أيضاً - بعد أن ذكرعددا من الأحاديث التي ورد فيها سرد أسماء الله الحسنى بروايات مختلفة: وَأَمَّا رِوَايَةُ الْوَلِيدِ عَنْ شُعَيْبٍ وَهِيَ أَقْرَبُ الطُّرُقِ إِلَى الصِّحَّةِ وَعَلَيْهَا عَوَّلَ غَالِبُ مَنْ شَرَحَ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى فَسِيَاقُهَا عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ هُوَ: اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ..... إلى أن قال : النور الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ. وَقَدْ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيِّ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ فَخَالَفَ فِي عِدَّةِ أَسْمَاءَ ...إلى أن قال ....وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحُصِينِ اخْتِلَافٌ آخَرُ فَسَقَطَ فِيهَا مِمَّا فِي

12/ تفسير ابن كثير - (269/2) .

13/ فتح الباري - (215/11) .

رِوَايَةِ صَفْوَانَ مِنَ الْقَهَّارُ إِلَى تَمَامِ خَمْسَةَ عَشَرَ اسْمًا عَلَى الْوَلَاءِ ... وَفِيهَا أَيْضًا الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ ...انتهى.[14]

- **وقال ابن القيم رحمه الله :** "الصحيح أنه - أي العد لأسماء الله الحسنى - ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم".

- **وقال الصنعاني رحمه الله :** " اتفق الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة". **كما ضعف هذا الحديث ابن حزم، وابن العربي، والداودي، والألباني.**

وخلاصة القول أن هذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام الوليد بن مسلم رحمه الله تعالى ولا يصح رفعها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

14/ موقع الشبكة الإسلامية .

المطلب الثاني

ذكر أسماء الله الحسنى التي وردت في السنة الصحيحة

ورد عدد من الأسماء الحسنى في أحاديث متفرقة سوى رواية الترمذي التي سبق الحديث عنها ، وربما تجد في الحديث اسما أو اسمين أو أكثر وفيها ما هو ضعيف وفيها ما حسن أو صحيح ، فأحببت أن أذكر في هذا المطلب ما كان صحيحا أو حسنا وقد أدرجته ضمن الأسماء المشروحة في هذا الكتاب، وهي كالتالي :

1/ الْمَنَانَّ : عن أنس رضي الله عنه ، قال : كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلقة ، ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد جلس وتشهد ، ثم دعا فقال : " **اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت ، المنان يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم** ، إني أسألك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون بما دعا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : (**والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى)** رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة.

3-2/ السبوح والقدوس: ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : (**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ)** رواه مسلم .

4/ الوِتْر: ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: (**وَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ)** رواه البخاري ومسلم .

8-5/ المسعر القابض الباسط الرَّازِقُ : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ) رواه أبو داود .

9/ الجَمِيلُ : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ)** رواه مسلم .

11-10/ الْحَيِيُّ والسِّتِير : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ)** رواه أبو داود والنسائي.

12/ **الدَّيَّانُ :** ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : (**يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ .. أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ**) رواه البخاري .

13/ السَّيِّدُ : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : (**السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**) رواه أبو داود .

14/ الطيب : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا**) رواه البخاري .

15/ الحَكَم : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ**) رواه أبو داود.

16/ الجواد : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم (**إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ**) صححه الألباني في صحيح الجامع - رقم 1744 .

17/ الشافي : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم (**اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي**) رواه البخاري .

18/ المحسن : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم (**إن الله محسن يحب الإحسان**) صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 1824)

19/ الرفيق : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم (**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**) رواه البخاري ومسلم .

20/ المعطي : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم (**وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ**) رواه البخاري ومسلم .

21-22/ المقدم والمؤخر : ورد في قوله الله صلى الله عليه وسلم (**أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ**) رواه البخاري .

23/ الْمَالِكُ : ورد في قوله صلى الله عليه وسلم (**لاَ مَالِكَ إِلاَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**) رواه البخاري .

المبحث الثالث

المناهج التي سلكها العلماء في حصر الأسماء الحسنى

الناظر في الكتب المؤلفة في شرح الأسماء الحسنى يجد تفاوتا في عددها ، فمن المؤلفين من يشرح تسعة وتسعين اسما ومنهم من يزيد على ذلك إلى أن يصل إلى أكثر من مائة وعشرين ومنهم من ينقص عن التسعة والتسعين فيقتصر على الثمانين أو دونها .

فبحثت عن السر في هذا التفاوت فوجدت أن سببه الاختلاف في المنهج الذي اختطه كل مؤلف لنفسه فيما يجوز إدخاله في الأسماء وما لا يجوز - وليس هذا مجال التوسع في بيان أسباب – لكن أحببت أن أشير إلى تلك المناهج التي سار عليها المؤلفون في شرح الأسماء الحسنى أخذا من الشيخ محمد خليفة التميمي حيث يقول[15] :

هناك أربعة مناهج وقفت عليها من خلال استقراء جهودهم في هذا المجال، أوردها لك على النحو التالي:

المنهج الأول: الاعتماد على العد الوارد في روايات حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبالأخص طريق الوليد بن مسلم، عند الترمذي وغيره، وذلك (لاعتقادهم بصحة حديث الأسماء وتعدادها على مذهب المتساهلين في التصحيح وعدم النظر في العلل الواردة فيه).

المنهج الثاني : الاقتصار على ما ورد من الأسماء بصورة الاسم فقط، أي ما ورد إطلاقه. وهذا منهج ابن حزم في عد الأسماء ،قال عنه ابن حجر: "فإنه- أي ابن- حزم - اقتصر على ما ورد فيه بصورة الاسم لا ما يؤخذ من الاشتقاق كالباقي من قوله: {**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**} الرحمن(27) ولا ما ورد مضافا كالبديع من قوله: {**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**}" .

15/ معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى – ص(75) وما بعدها – المكتبة الشاملة . ومقال بعنوان : ضابط الأسماء الحسنى، ومناهج الناس في تعيينها - موقع العقيدة والحياة -

المنهج الثالث : منهج المتوسعين الذين اشتقوا من كل صفة وفعل اسما ولم يفرقوا بين البابين- أي باب الأسماء وباب الصفات- بل إنهم يدخلون ما يتعلق بباب الإخبار أحيانا.**ومن هؤلاء ابن العربي المالكي وابن المرتضى اليماني والشرباصي**[16].

المنهج الرابع : منهج المتوسطين الذين توسطوا بين أصحاب المنهج الثاني والمنهج الثالث، فلا هم الذين حجروا تحجر ابن حزم، ولا هم الذين توسعوا توسع ابن العربى وأمثاله.

وهذا المنهج هو الأشهر والأكثر تطبيقا عند أهل العلم، فهم حافظوا على خاصية هذا الباب، وبالتالي جعلوا شروطا لاشتقاق الاسم من الصفة، وهذه الشروط دلت عليها النصوص.

قلت : وللعلماء كلام كثير في إثبات هذا المنهج : أمقل بعض عباراتهم :

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله : "ومن علم هذا الباب؛ أعني الأسماء، والصفات، ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس، فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر، وضع اللغة، ومتعارف الكلام، فالجواد: لا يجوز أن يقاس عليه السخي، وإن كانا متقاربين في ظاهر الكلام، وذلك أن السخي لم يرد به التوقيف كما ورد بالجواد،

16/ قال الحافظ العراقي رحمه الله في طرح التثريب : قال القاضي عياض رحمه الله : تعيين هذه الأسماء لم يخرج في الصحيحين، وخرجه الترمذي وغيره وفيها اختلاف ثبتت أسماء في رواية وفي أخرى أسماء أخر تخالفها، وقد اعتنى بعض أهل العلم بتخريج ما منها في كتاب الله مفردا غير مضاف ولا مشتق من غيره كقادر وقدير ومقتدر وملك الناس ومالك وعليم وعالم الغيب، فلم تبلغ هذا العدد، واعتنى آخرون بذلك فحذفوا التكرار ولم يحذفوا الإضافات فوجدوها على ما قالوا تسعة وتسعين في القرآن كما ذكر في الحديث، لكنه على الجملة لا على تفسيرها في الحديث، واعتنى آخرون بجمعها مضافة وغير مضافة ومشتقة وغير مشتقة وما وقع منها في هذا الحديث على اختلافها وفي غيره من الأحاديث، وما أجمع عليه أهل العلم على إطلاقه فبلغها أضعاف هذا العدد المذكور في الحديث، وقيل: إن هذه التسعة والتسعين مخفية في جملة أسماء الله تعالى كالاسم الأعظم فيها، وليلة القدر في السنة. اهـ

وممن انتصر للقول بالاشتقاق وشنع على من يرده القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله ، عند قوله تعالى: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا. {الأعراف:180} . من كتابه أحكام القرآن ومما قال: والذي يعضد ذلك أن الصحابة وعلماء الإسلام حين عددوا الأسماء ذكروا المشتق والمضاف والمطلق في مساق واحد إجراء على الأصل. اهـ

ونقل عنه القرطبي رحمه الله في كتابه الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى أنه قال: لتعلموا أن السلف كانوا يشتقون الأفعال من الأسماء والأسماء من الأفعال فاقتدوا بهم ترشدوا. اهـ

ثم إن السخاوة موضوعة في باب الرخاوة واللين، يقال: أرض سخية وسخاوية إذا كان فيها لين ورخاوة، وكذلك لا يقاس عليه السمح لما يدخل السماحة من معنى اللين، والسهولة "[17].

وقال السفاريني رحمه الله في نظمه للعقيدة:

لكنها في الحق توقيفية   لنا بذا أدلة وفية

ثم شرح البيت فقال:

لكنها: أي الأسماء الحسنى، في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع، وورود السمع بها.ومما يجب أن يُعلم أنّ علماء السنة اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء الحسنى، والصفات العلى على الباري جل وعلا إذا ورد بها الإذن من الشارع، وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه[18]. اهـ

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني والغزالي : الأسماء توقيفية دون الصفات قال وهذا هو المختار واحتج الغزالي بالاتفاق على انه لا يجوز لنا ان نسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم لم يسمه به أبوه ولا سمى به نفسه وكذا كل كبير من الخلق قال فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أولى واتفقوا على انه لا يجوز ان يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصا ولو ورد ذلك نصا فلا يقال ماهد ولا زارع ولا فالق ولا نحو ذلك وان ثبت في قوله فنعم الماهدون أم نحن الزارعون فالق الحب والنوى ونحوها ولا يقال له ماكر ولا بناء وان ورد ويمكر الله والسماء بنيناها وقال أبو القاسم القشيري الأسماء تؤخذ توقيفا من الكتاب والسنة والإجماع فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه وما لم يرد لا يجوز ولو صح معناه).

17/ شأن الدعاء - للخطابي - (ص111-112) .

18/ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية – للسفاريني - (124/1) .

قال الحافظ ابن حجر في بيان مذهب الغزالي: "واحتج الغزالي بالاتفاق على انه لا يجوز لنا ان نسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم لم يسمه به أبوه ولا سمى به نفسه وكذا كل كبير من الخلق قال فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أولى"[19]اهـ.

وهذه حجة قوية من الأمام الغزالي رحمه الله تعالى على عدم جواز تسمية الحق تبارك وتعالى بما لم يسم به نفسه وان كان هذا غير جائز في حق المخلوق وهو عيب ان وقع في حق المخلوق فتنزه الباري عنه من باب أولى.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في كتابه القواعد المثلى في القاعدة الخامسة:

(القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية، لا مجال للعقل فيها:

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: **(وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مسئولا)** (21). وقوله: **(قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإثم وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّل بِهِ سُلطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)** (22). ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه، جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص.) ا. هـ

---

[19]/ فتح الباري شرح صحيح البخاري – للحافظ ابن حجر - (11 – 233).

المبحث الرابع

حقيقة اسم الله الأعظم

اعلم أخي القارئ المبارك أن معرفة اسم الله الأعظم من المسائل الخلافية، وقد بلغ من الاهتمام به لدى العلماء إلى درجة أن أفرده بعضهم بالتأليف - قديما وحديثا[20] - كيف لا وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على معرفته ، وحديثي سيكون من خلال محورين .

المحور الأول : بعض الأحاديث الدالة على ثبوته [21]:

الحديث الأول : عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : (اللهم إني اسالك بأني أشهد أنك انت الله لااله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد). **فقال صلى الله عليه وسلم : (لقد سالت الله تعالى بالاسم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وفي رواية :. لقد سالت الله تعالى باسمه الاعظم)**[22] .

الحديث الثاني : عن انس رضي الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ورجل يصلي ثم دعا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: **"تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)** [23].

الشرح : بدأ بمقدمة من الثناء على اللَّه تعالى، واستحقاقه الحمد بكل أنواعه، وإثبات وحدانيته وألوهيته بالعبادة دون غيره, ثم ذكر جملاً من أسمائه الحسنى، مقدمة بين يدي دعائه, فجمع بين

20/ للسيوطي رسالة بعنوان : الدر المنظم في الاسم الأعظم وهي ضمن كتابه الحاوي للفتاوي . وهناك رسالة بعنوان : توفيق الله الأكرم في تحري الدعاء باسم الله الأعظم – تأليف أبو محمد الحسني الهاشمي .

21/ توفيق الله الأكرم في تحري الدعاء باسم الله الأعظم .

18/ رواه في سننه الترمذي وابوداود وابن ماجه . قال ابن حجر :. ان هذا الحديث ارجح ماورد في الاسم الاعظم من حيث السند وصححه ابن حبان و الحاكم والذهبي وقواه المقدسي وصححه الالباني والوادعي وحسنه الترمذي والسخاوي.

23/ رواه أحمد و البخاري في الادب المفرد و رواه الاربعة ، وقد صححه ابن حبان والحاكم و الذهبي وضياء المقدسي و الالباني . وحسنه ابن حجر والسخاوي والوادعي.

التوسل بالعمل الصالح للّه تعالى، توسّلاً بما له من الكمالات التي لا تُحصى, رجاءا عظيماً في قبول دعوته؛ لما شملته من أسمى مطلب في الدنيا والآخرة, وهو مغفرة الذنوب, واستعاذة من أعظم مرهوب، وهو النار.

قوله: يا بديع السموات والأرض: يا خالق ومنشئ السموات والأرض على غير مثال سابق.

قوله: يا ذا الجلال والإكرام: يا صاحب العظمة، والكبرياء، والمجد، ويا واسع الفضل والجود والكرم, تُكرم أولياءك، وخواصّ خلقك، بأنواع الكرم والجود، بما ليس له حدود، ولا مُقيّد بقيود.

قوله: يا حي يا قيوم: يا دائم الحياة الذي ليس لك ابتداء، وليس لك فناء، ولا انتهاء، يا قائم بتدبير الخلق, والغني عن كل الخلق، الكلّ مفتقرٌ إليك، ومحتاجٌ لك[24].

الحديث الثالث : عن أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه قال: (**اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث: سورة البقرة وآل عمران وطه**) وقال هشام - وهو ابن عمار خطيب دمشق- : **أما البقرة ف (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** وفي آل عمران: **(الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) وفي طه: (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ)** طه (111) .[25]

الحديث الرابع : عن أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ((و الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**)[آل عمران: 1، 2] وفي رواية أخرى عند أحمد بسنده عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هاتين الآيتين :**(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) و (الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** [آل عمران:1، 2] **إن فيهما اسم الله الأعظم**)[26]

24/ سيأتي تخريج الحديث عند شرح اسمه تعالى القيوم ، كما سيأتي شرح واف للأسماء الحسنى التي وردت في هذا الحديث وغيره في مواضعها من هذا الكتاب فانظرها في الفهارس تجدها.

25/ قال عنه المناوي [حديث سنده حسن وقيل صحيح] وقد صححه الألباني في صحيح الجامع وحسنه في السلسلة الصحيحة.

26/ رواه أبو داوود وصححه الترمذي والسيوطي وغيرهما وحسنه الألباني في صحيح الجامع (9801).

المحور الثاني : ذكر بعض أقوال العلماء في الاسم الأعظم :

لقد اختلفت العلماء في الاسم الأعظم اختلافاً كبيراً وتعددت أقوالهم حتى أوصلها السيوطي إلى عشرين قولا، بل أوصلها بعض المعاصرين إلى أكثر من أربعين قولا ، ولا يخفى عليك أخي المبارك أن اختلافهم بسبب عدم تصحيح بعضهم للأحاديث الواردة في شأنه ، ولو صح عندهم حديث واحد لما اختلفوا في تحيده .

وأنا سأذكر هنا بعض الأقوال التي ذكرها السيوطي حيث قال رحمه الله تعالى في الدر المنظم في الاسم الأعظم :

" فقد سئلت عن الاسم الأعظم وما ورد فيه ، فأردت أن أتتبع ما ورد فيه من الأحاديث والآثار والأقوال ، فقلت : في الاسم الأعظم أقوال :

الأول : أنه لا وجود له : بمعنى أن أسماء الله تعالى كلها عظيمة لا يجوز تفضيل بعضها على بعض ، ذهب إلى ذلك قوم ، منهم أبو جعفر الطبري وأبو الحسن الأشعري وأبو حاتم ابن حبان والقاضي أبو بكر الباقلاني ، ونحوه قول مالك وغيره : لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض ، وحمل هؤلاء ما ورد من ذكر الاسم الأعظم على أن المراد به العظيم ، وعبارة الطبري : اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم ، والذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة ؛ إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم ، ولا شيء أعظم منه ، فكأنه تعالى يقول : كل اسم من أسمائي يجوز وصفه بكونه أعظم ، فيرجع إلى معنى عظيم . وقال ابن حبان : الأعظمية الواردة في الأخبار المراد بها : مزيد ثواب الداعي بذلك ، كما أطلق ذلك في القرآن والمراد به مزيد ثواب الداعي والقارئ .

القول الثاني : أنه مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ، كما قيل بذلك في ليلة القدر وفي ساعة الإجابة وفي الصلاة الوسطى .

القول الثالث : أنه :(الله): لأنه اسم لم يطلق على غيره ، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى ، ومن ثم أضيفت إليه ، قال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل ابن علية ، عن أبي رجاء ، حدثني رجل عن جابر بن عبد الله بن زيد أنه قال : اسم الله الأعظم هو الله ، ألم تسمع أنه يقول : (الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن

الرحيم) وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن سفيان بن عيينة ، عن مسعر قال : قال الشعبي : اسم الله الأعظم : يا الله .

القول الرابع: (الله الرحمن الرحيم) : قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : ولعل مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن عائشة أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمها الاسم الأعظم ، فلم يفعل ، فصلت ودعت : (**اللهم إني أدعوك الله وأدعوك الرحمن وأدعوك الرحيم ، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم**) . الحديث ، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال لها : **(إنه لفي الأسماء التي دعوت بها) .** قال : وسنده ضعيف ، وفي الاستدلال به نظر . انتهى . قلت : أقوى منه في الاستدلال ما أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : (هو اسم من أسماء الله تعالى ، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب) ، وفي مسند الفردوس للديلمي من حديث ابن عباس مرفوعا : " اسم الله الأعظم في ست آيات من آخر سورة الحشر "

القول الخامس : (الرحمن الرحيم الحي القيوم) : لحديث الترمذي وغيره عن أسماء بنت يزيد أنه عليه السلام قال : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وفاتحة سورة آل عمران : (**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) .

القول السادس : (الحي القيوم) : لحديث ابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه رفعه : الاسم الأعظم في ثلاث سور : البقرة وآل عمران وطه ، قال القاسم الراوي عن أبي أمامة : التمسته فيها فعرفت أنه الحي القيوم ، وقواه الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان على صفات العظمة بالربوبية ما لا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما .

القول السابع : (الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام) : لحديث أحمد وأبي داود وابن حبان والحاكم عن أنس " أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع

السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى . "

القول الثامن : (بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام) أخرج أبو يعلى من طريق السري بن يحيى عن رجل من طيئ وأثنى عليه خيرا ، قال : كنت أسأل الله تعالى أن يريني الاسم الأعظم فرأيت مكتوبا في الكواكب في السماء : يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام .

القول التاسع : (ذو الجلال والإكرام): لحديث الترمذي عن معاذ " سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : يا ذا الجلال والإكرام ، فقال : قد استجيب لك فسل " وأخرج ابن جرير في تفسير سورة النمل عن مجاهد قال : الاسم الذي إذا دعي به أجاب : يا ذا الجلال والإكرام ، واحتج له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المعتبرة في الإلهية ؛ لأن في الجلال إشارة إلى جميع السلوب ، وفي الإكرام إشارة إلى جميع الإضافات .

القول العاشر : (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) : لحديث أبي داود والترمذي وابن ماجه والحاكم عن بريدة " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول :(**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**)، فقال : **(لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب)** وفي لفظ عند أبي داود : **(لقد سألت الله باسمه الأعظم)** ، قال الحافظ ابن حجر : وهو أرجح من حيث السند عن جميع ما ورد في ذلك .

القول الحادي عشر : (دعوة ذي النون): لحديث النسائي والحاكم عن فضالة بن عبيد رفعه : دعوة ذي النون في بطن الحوت : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم قط إلا استجاب الله له ، وأخرج ابن جرير من حديث معبد مرفوعا : اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى : دعوة يونس بن متى ، وأخرج الحاكم عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا : ألا أدلكم على اسم الله الأعظم ؟ دعاء يونس ، فقال رجل : هل كانت ليونس خاصة ؟ فقال : ألا تسمع قوله : (ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) وأخرج ابن أبي حاتم

عن كثير بن معبد قال : سألت الحسن عن اسم الله الأعظم قال : أما تقرأ القرآن ؟ قول ذي النون : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

تنبيه : أنا أميل إلى ما قاله بعض الباحثين[27] " ولعل أقرب تلك الأقوال أن الاسم الأعظم هو «الله»؛ فهو الاسم الجامع لله تعالى الذي يدل على جميع أسمائه وصفاته تعالى، وهو اسم لم يُطلق على أحد غير الله تعالى، وعلى هذا أكثر أهل العلم.

قال ابن القيم: "اسم «الله» دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث" ... والدلالات الثلاث هي: المطابقة والتضمن واللزوم .

وقال ابن أمير حاج الحنفي: عن محمد بن الحسن قال: سمعتُ أبا حنيفة رحمه الله يقول: اسم الله الأعظم هو «الله» وبه قال الطحاوي وكثير من العلماء، وأكثر العارفين.

ومما يُرجِّح أن «الله» هو الاسم الأعظم أنه تكرر في القرآن الكريم (2699) مرة حسب إحصاء المعجم المفهرس - وورد بلفظ (اللهم) خمس مرات، في حين أنّ اسماً آخر مما يختص بالله تعالى وهو (الرحمن) لم يرد ذكره إلا سبعاً وخمسين مرة، ويرجحه أيضاً: ما تضمنه هذا الاسم من المعاني العظيمة الكثيرة ".

13/ اسم الله الأعظم - د. خالد سعد النجار – موقع صيد الفوائد – بتصرف يسير.

الفصل الثاني

مفهوم العمل بالأسماء الحسنى

المبحث الأول : تفسير الآية التي تحث على العمل بالأسماء الحسنى .

المبحث الثاني : شرح الحديث الذي يحث على العمل بالأسماء الحسنى .

المبحث الثالث : كلام الإمامين الغزالي وابن القيم في مفهوم العمل بالأسماء الحسنى .

المطلب الأول : كلام الإمامين الغزالي وابن القيم في مفهوم العمل بالأسماء الحسنى .

المحور الأول : كلام الإمام الغزالي رحمه الله في مفهوم العمل بأسماء الله الحسنى .

المحور الثاني : كلام الإمام ابن القيم رحمه الله في مفهوم العمل بأسماء الله الحسنى .

المطلب الثاني : كيف عمل السلف بالاسماء الله الحسنى .

المبحث الأول

تفسير الآية التي تحث على العمل بالأسماء الحسنى

وهي قوله تعالى : (وَلله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف:180) .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : قوله تعالى : **(وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها)** أمر بإخلاص العبادة لله- تعالى- ومجانبة الملحدين والمشركين. قال مقاتل وغيره من المفسرين: نزلت الآية في رجل من المسلمين كان يقول في صلاته: يا رحمن يا رحيم. فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فنزلت" .

الأسماء : جمع اسم ، وهو اللفظ الدال على الذات فقط ، أو على الذات مع صفة من صفاتها ، سواء كان مشتقا ، كالرحمن الرحيم الخالق الرازق ، أو مصدرا ، كالرب والسلام والعدل .

والحسنى جمع أحسن ، والمعنى : ولله دون غيره جميع الأسماء الدالة على أحسن المعاني وأكمل الصفات ، فادعوه أي سموه واذكروه ونادوه بها ، لمجرد الثناء ، وعند السؤال وطلب الحاجات ، - - فمما ورد في باب الذكر له تعالى لمحض الثناء عليه آية الكرسي : **(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** إلخ سورة البقرة (255). وآخر سورة الحشر :**(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ *هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24))** (الحشر: 22 - 24) .

- وللذكر المحض فوائد كثيرة في تغذية الإيمان ، ومراقبة الله تعالى وحبه والخشوع له ، والرغبة فيما عنده ، واحتقار مصائب الدنيا ، وقلة المبالاة والتألم لما يفوت المؤمن من نعيمها ، ولذلك ورد في الحديث الصحيح : (من نزل به غم أو كرب أو أمر مهم فليقل : لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم) رواه الشيخان والترمذي والنسائي .

ومن الذكر بصيغة النداء ما رواه الترمذي أنه - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلا وهو يقول "يا ذا الجلال والإكرام " فقال : (**قد استُجيب لك فسل**) .

وروى الحاكم في المستدرك من حديث أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة : (**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به ؟ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)** وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الحافظ الذهبي على ذلك .

وقال السعدي : رحمه الله تعالى : " هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها. وذلك نحو العليم الدال على أن له علما محيطا عاما لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. و كالرحيم الدال على أن له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء. و كالقدير الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك. ومن تمام كونها "حسنى" أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: فَادْعُوهُ بِهَا وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلا اللّهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عَلَيَّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف ونحو ذلك "

المبحث الثاني

شرح الحديث الذي يحث على العمل بالأسماء الحسنى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة)** رواه البخاري ومسلم وغيرهما ،وقال مسلم : وزاد همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - :(**إنه وتر يحب الوتر)**وفي الرواية الأخرى له : **(إن لله تسعة وتسعين اسما ، من حفظها دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر).**

قَالَ الخطابي وَغَيْرُهُ : فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ أَسْمَاءً اسْتَأْثَرَ بِهَا وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ : (**إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**) أَنَّ فِي أَسْمَائِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ : إنَّ لِي أَلْفَ دِرْهَمٍ أَعْدَدْتهَا لِلصَّدَقَةِ وَإِنْ كَانَ مَالُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . وَاَللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قَالَ : (**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**) فَأَمَرَ أَنْ يُدْعَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى مُطْلَقًا ، وَلَمْ يَقُلْ : لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى إلا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا" اهـ .

ونقل النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم اتفاق العلماء على ذلك ، فقال : " اتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيث لَيْسَ فِيهِ حَصْر لأَسْمَائِهِ سُبْحَانه وَتَعَالَى , فَلَيْسَ مَعْنَاهُ : أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاء غَيْر هَذِهِ التِّسْعَة وَالتِّسْعِينَ , وَإِنَّمَا مَقْصُود الْحَدِيث أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَة وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّة , فَالْمُرَاد الإِخْبَار عَنْ دُخُول الْجَنَّة بِإِحْصَائِهَا لا الإِخْبَار بِحَصْرِ الأَسْمَاء " اهـ .

وقال الغزالي رحمه الله تعالى[28] : " وَالْأَظْهَر أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ذكر هَذَا فِي معرض التَّرْغِيب للجماهير فِي الإحصاء ، فَإِن قيل فَإِذا كَانَ الْأَظْهر أَن الْأَسَامِي زَائِدَة على تِسْعَة وَتِسْعين فَلَو قَدَّرنَا مثلا أَن الْأَسَامِي ألف وَأَن الْجنَّة تُسْتَحق بإحصاء تِسْعَة وَتِسْعين مِنْهَا فهل فَهِيَ تِسْعَة وَتسْعُونَ بِأَعْيَانِهَا أَو تِسْعَة وَتسْعُونَ أَيهَا كَانَ حَتَّى إِن من بلغ ذَلِك الْمبلغ فِي الإحصاء اسْتحق دُخُول الْجنَّة وَحَتَّى إِن من أحصى مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَة مرّة دخل الْجنَّة وَلَو أحصى أَيْضا مَا اشْتَمَلت الرِّوَايَة الثَّانِيَة عَلَيْهِ أَيْضا دخل الْجنَّة إِذا قدرنَا أَن جَمِيع مَا فِي الرِّوَايَتَيْنِ من أَسمَاء الله تَعَالَى ، فَنَقول

28/ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى – لحجة الإسلام الغزالي - ص (168) وما بعدها – باختصار.

الْأَظْهر أَن المُرَاد بِهِ تِسْعَة وَتسْعُونَ بِأَعْيَانهَا فَإِنَّهَا إِذا لم تتَعَيَّن لم تظهر فَائِدَة الْحصْر والتخصيص فَإِن قَول الْقَائِل إِن للْملك مئة عبد من استظهر بهم لم يقاومه عَدو إِنَّمَا يحسن مَعَ كَثْرَة عبيد الْملك إِذا اخْتصَّ مئة من بَينهم بمزيد قُوَّة وشوكة فَأَما إِذا حصل ذَلِك بِأَيّ مئة كَانَ من جملَة العبيد لم يحسن نظم الْكَلَام "

فَإِن قيل فَمَا سَبَب تَخْصِيص هَذَا الْعدَد من بَين سَائِر الْأَعْدَاد وَلم لم يبلغ مئة وَقد قَارب ذَلِك ؟ قُلْنَا فِيهِ احْتِمَالَانِ :

أَحدهمَا : أَن يُقَال لِأَن الْمعَانِي الشَّرِيفَة بلغت هَذَا الْمبلغ لَا لِأَن الْعدَد مَقْصُود وَلَكِن وَافَقت الْمعَانِي هَذَا الْعدَد كَمَا أَن الصِّفَات عِنْد أهل السّنة سبع وَهِي الْحَيَاة وَالْعلم وَالْقُدْرَة والإرادة والسمع وَالْبَصَر وَالْكَلَام لَا لِأَنَّهَا سبع وَلَكِن صِفَات الربوبية لَا تتمّ إِلَّا بهَا .

وَالثَّانِي : وَهُوَ الْأَظْهر أَن السَّبَب فِيهِ بَيَان مَا ذكره رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَيْثُ قَالَ(مئة إِلَّا وَاحِدَة وَالله وتر يحب الْوتر)ولم يَجْعَلهَا مئة لِأَنَّهُ يحب الْوتر وسنشير إِلَى مَا يُؤَيّد هَذَا الِاحْتِمَال.

فَإِن قيل فَهَذِهِ الْأَسْمَاء التِّسْعَة وَالتِّسْعُونَ هَل عدهَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وأحصاها قصدا إِلَى جمعهَا أَو ترك جمعهَا إِلَى من يلتقطها من الْكتاب وَالسّنة وَالْأَخْبَار الدَّالَّة عَلَيْهِ .

فَنَقُول الْأَظْهر وَهُوَ الْأَشْهر أَن ذَلِك مِمَّا أَحْصَاهُ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَجَمعهَا قصدا إِلَى جمعهَا وَتَعْلِيمهَا على مَا نَقله أَبُو هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ إِذْ ظَاهر الْكَلَام هُوَ التَّرْغِيب فِي الإحصاء وَذَلِكَ مِمَّا يعسر على الجماهير إِذا لم يذكرهُ رَسُول الله على سَبِيل الْجمع وَهَذَا يدل على صِحَة رِوَايَة أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ وَقد قبل الجماهير رِوَايَته الْمَشْهُورَة الَّتِي أجرينا شرحنا على منوالها[29] .

29/ وقد ذكرت تضعيف العلماء لحديث الترمذي في المبحث الثاني من الفصل السابق ، والعجيب أن أكثر العلماء شرحه كما فعل الغزالي ، وقد سبق ذكر كلام ابن حجر رحمه الله تعالى صفحة (22) :(وَأَمَّا رِوَايَةُ الْوَلِيدِ عَنْ شُعَيْبٍ وَهِيَ أَقْرَبُ الطُّرُقِ إِلَى الصِّحَّةِ وَعَلَيْهَا عَوَّلَ غَالِبُ مَنْ شَرَحَ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى) – نقلاً عن الشبكة الإسلامية – مركز الفتوى .

المبحث الثالث

مفهوم العمل بأسماء الله الحسنى وبيان كيف عمل السلف بها

المطلب الأول : كلام الإمامين الغزالي وابن القيم في مفهوم العمل بالأسماء الحسنى .

المحور الأول : كلام الإمام الغزالي رحمه الله في مفهوم العمل بأسماء الله الحسنى .

المحور الثاني : كلام الإمام ابن القيم رحمه الله في مفهوم العمل بأسماء الله الحسنى .

المطلب الثاني : كيف عمل السلف بالاسماء الله الحسنى .

المطلب الأول

كلام الإمامين الغزالي وابن القيم في مفهوم العمل بالأسماء الحسنى

المحور الأول : كلام الإمام الغزالي رحمه الله في مفهوم العمل بأسماء الله الحسنى [30] :

اعْلَم أَن من لم يكن لَهُ حَظّ من مَعَاني أَسمَاء الله عز وَجل إِلَّا بِأَن يسمع لَفظه وَيفهم فِي اللُّغَة معنى تَفْسِيره وَوَضعه ويعتقد بِالْقَلْبِ وجود مَعْنَاهُ فِي الله تَعَالَى فَهُوَ مبخوس الْحَظ نَازل الدرجَة لَيْسَ يحسن بِهِ أَن يتبجح بِمَا ناله، فَإِن سَماع اللَّفْظ لَا يَسْتَدْعِي إِلَّا سَلامَة حاسة السّمع الَّتِي بهَا تدْرك الْأَصْوَات وَهَذِه رُتْبَة تشارك الْبَهِيمَة فِيهَا.

وَأما فهم وَضعه فِي اللُّغَة فَلَا يَسْتَدْعِي إِلَّا معرفَة الْعَرَبِيَّة وَهَذِه رُتْبَة يُشَارك فِيهَا الأديب اللّغَوِيّ بل الغبي اللّغَوِيّ البدوي.

وَأما اعْتِقَاد ثُبُوت مَعْنَاهُ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من غير كشف فَلَا يَسْتَدْعِي إِلَّا فهم مَعَاني الْأَلْفَاظ والتصديق بهَا وَهَذِه رُتْبَة يُشَارك فِيهَا الْعَاميّ بل الصَّبِي فَإِنَّهُ بعد فهم الْكَلَام إِذا ألقِي إِلَيْهِ هَذِه الْمعَانِي تلقاها وتلقنها واعتقدها بِقَلْبِه وصمم عَلَيْهَا وَهَذِه دَرَجَات أَكثر الْعلمَاء فضلا عَن غَيرهم.

وَلَا يُنكر فضل هَؤُلَاءِ بِالْإِضَافَة إِلَى من لم يشاركهم فِي هَذِه الدَّرَجَات الثَّلَاث وَلكنه نقص ظَاهر بِالْإِضَافَة إِلَى ذرْوَة الْكَمَال فَإِن حَسَنَات الْأَبْرَار سيئات المقربين.

والذي نراه أن حظوظ المقربين من مَعَاني أَسمَاء الله تَعَالَى ثَلَاثَة :

الْحَظ الأول : معرفَة هَذِه الْمعَانِي على سَبِيل المكاشفة والمشاهدة [31]: حَتَّى يَتَّضِح لَهُم حقائقها بالبرهان الَّذِي لَا يجوز فِيهِ الْخَطَأ وينكشف لَهُم اتصاف الله عز وَجل بهَا انكشافا يجْرِي فِي

30/ الْفَصْل الرَّابِع من كتابه المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى (باختصار).

31/ يريد بذلك الوصول إلى درجة اليقين ولا يعني بالمكاشفة والمشاهدة ما اصطلح عليه الصوفية من الاطلاع على الغيب ، بدليل ما قاله بعد ذلك (انكشافا يجْرِي فِي الوضوح وَالْبَيَان مجْرى الْيَقِين) ولكي يزداد الأمر وضوحاً أقول قال ابن القيم رحمه الله تعالى : لليقين ثلاث مراتب هي:

المرتبة الأولى : علم اليقين ، وهي انكشاف المعلوم للقلب ، بحيث يشاهده ولا يشك فيه كانكشاف المرئي للبصر.

المرتبة الثانية : عين اليقين ، أي مشاهدة المعلوم بالأبصار.

المرتبة الثالثة : حق اليقين ، وهي أعلى درجات اليقين ، وهي مباشرة المعلوم وإدراكه الإدراك التام.

الوضوح وَالْبَيَان مجْرى الْيَقِين الْحَاصِل للْإنْسَان بصفاته الْبَاطِنَة الَّتِي يُدْرِكهَا بمشاهدة بَاطِنه لَا بإحساس ظَاهر وَفرق كبير بَين هَذَا وَبَين الِاعْتِقَاد الْمَأْخُوذ من الْآبَاء والمعلمين تقليدا والتصميم عَلَيْهِ وَإِن كَانَ مَقْرُونا بأدلة جدلية كلامية .

الْحَظ الثَّانِي : من حظوظهم استعظامهم مَا ينْكَشف لَهُم من صِفَات الْجلَال : وذلك على وَجه ينبعث من الاستعظام يشوقهم إِلَى الاتصاف بِمَا يُمكنهُم من تِلْكَ الصِّفَات ليقربوا بهَا من الْحق قربا بِالصّفةِ لَا بِالْمَكَانِ فيأخذوا من الاتصاف بهَا شبها بِالْمَلَائِكَةِ المقربين عِنْد الله عز وَجل وَلنْ يُتَصَوَّر أَن يمتلئ الْقلب باستعظام صفة واستشرافها إِلَّا ويتبعه شوق إِلَى تِلْكَ الصّفة وعشق لذَلِك الْكَمَال والجلال وحرص على التحلي بذلك الْوَصْف إِن كَانَ ذَلِك مُمكنا للمستعظم بِكَمَالِهِ فَإِن لم يكن بِكَمَالِهِ فينبعث الشوق إِلَى الْقدر الْمُمكن مِنْهُ لَا محَالة .

وَلَا يَخْلُو عَن هَذَا الشوق أحد إِلَّا لأحد أَمريْن :

إِمَّا لضعف الْمعرفَة وَالْيَقِين بِكَوْن الْوَصْف الْمَعْلُوم من أَوْصَاف الْجلَال والكمال .

وَإِمَّا لكَون الْقلب ممتلئا بشوق آخر مُسْتَغْرقا بِهِ ،فالتلميذ إِذا شَاهد كَمَال أستاذه فِي الْعلم انْبَعَثَ شوقه إِلَى التَّشَبُّه والاقتداء بِهِ إِلَّا إِذا كَانَ مملوءا بِالْجُوعِ مثلا فَإِن استغراق بَاطِنه بشوق الْقُوت رُبمَا يمْنَع انبعاث شوق الْعلم.

وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَن يكون النَّاظر فِي صِفَات الله تَعَالَى خَالِيا بِقَلْبِه عَن إِرَادَة مَا سوى الله عز وَجل فَإِن الْمعرفَة بذر الشوق .

الْحَظ الثَّالِث : السَّعْي فِي اكْتِسَاب الْمُمكن من تِلْكَ الصِّفَات والتخلق بهَا والتحلي بمحاسنها :وَبِه يصير العَبْد ربانيا[32] أَي قَرِيبا من الرب تَعَالَى وَبِه يصير رَفِيقًا للملأ الْأَعْلَى من الْمَلَائِكَة فَإِنَّهُم

فالأولى : كعلمك بأن في هذا الوادي ماء ، والثانية : كرؤيته ، والثالثة : كالشرب منه (انظر: مفتاح دار السعادة).

32/ قال تعالى (وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) سورة آل عمران (79) قال بعض المفسرين " والمراد بالرباني: الإنسان الذي أخلص الله- تعالى- في عبادته، وراقبه في كل أقواله وأفعاله، واتقاه حق التقوى، وجمع بين العلم النافع والعمل به، وقضى حياته في تعليم الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم.

على بِسَاط الْقرب فَمن ضرب إِلَى شبه من صفاتهم نَالَ شَيْئا من قربهم بِقدر مَا نَالَ من أوصافهم المقربة لَهُم إِلَى الْحق تَعَالَى [33].

فَإِن قلت طلب الْقرب من الله عز وَجل بِالصّفةِ أَمر غامض تكَاد تشمئز الْقُلُوب عَن قبُوله والتصديق بِهِ فزده شرحا تكسر بِهِ سَوْرَة إِنْكَار المنكرين فَإِن هَذَا كالمنكر عِنْد الْأَكْثَرين إِن لم تكشف حَقِيقَته ؟

فَأَقُول لَا يخفى عَلَيْك وَلَا على من ترعرع قَلِيلا من دَرَجَة عوام الْعلمَاء أَن الموجودات منقسمة إِلَى كَامِلَة وناقصة والكامل أشرف من النَّاقِص وَمهما تفاوتت دَرَجَات الْكَمَال وَاقْتصر مُنْتَهى الْكَمَال على وَاحِد حَتَّى لم يكن الْكَمَال الْمُطلق إِلَّا لَهُ وَلم يكن للموجودات الْآخَر كَمَال مُطلق بل كَانَت لَهَا كمالات مُتَفَاوِتَة بِالْإِضَافَة فأكملها أقرب لَا محَالة إِلَى الَّذِي لَهُ الْكَمَال الْمُطلق أَعنِي قربا بالرتبة والدرجة لَا بالكمال .

فَإِن قلت فَظَاهر هَذَا الْكَلَام يُشِير إِلَى إِثْبَات مشابهة بَين العَبْد وَبَين الله تَعَالَى لِأَنَّهُ إِذا تخلق بأخلاقه [34]كَانَ شَبِيها لَهُ وَمَعْلُوم شرعا وعقلا أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (لَيْسَ كمثله شَيْء) وَأَنه لَا يشبه شَيْئا وَلَا يُشبههُ شَيْء؟

33/ يشير إلى قوله تعالى (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) الواقعة (11-12) وقد جاء في تفسيرها : السابقون : هم الذين سبقوا غيرهم إلى كل قول أو فعل فيه طاعة لله تعالى والتقرب إلى جلاله ، ولفظ الْمُقَرَّبُونَ مأخوذ من القربة بمعنى الحظوة، وهو أبلغ من القريب، لدلالة صيغته على الاصطفاء والاجتباء.

34/ هذه العبارة غير سديدة بالنظر إلى لفظها أما معناها فهو صحيح ومتداول في كتب أهل العلم ، قال أحد الباحثين : لم نجد بعد البحث في الوحي لفظا صحيحا يفيد إثبات نسبة الخُلُق إلى الله تعالى.وقد وردت عدة أحاديث في نسبة الخُلُق إلى الله، ومنها ما هو ضعيف ومنها ما هو موضوع. فمن ذلك حديث: إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة. رواه الطيالسي والبزار والترمذي الحكيم والبيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط، وأبو يعلى وضعفه الألباني. ومنها: السخاء خلق الله الأعظم. رواه الأصفهاني وابن النجار وضعفه الألباني. ومنها: تخلقوا بأخلاق الله. ذكر ابن القيم في المدارج أنه لا أصل له. ومنها: ألا وإن حسن الخلق خلق من أخلاق الله عز وجل. رواه الخطيب وابن النجار، وقال عنه الذهبي بأنه موضوع. وقد وجدنا عدة علماء ذكروا في كتبهم الحث على التخلق بأخلاق الله تعالى، وهذا يدل على أن هذا كان معروفا عند أهل العلم.فقد ذكره ابن الحاج في "المدخل" والسيوطي في "شرح سنن ابن ماجه" والمناوي في "شرح الجامع الصغير" والمباركفوري في "تحفة ا لأحوذي" والآبادي في "عون المعبود" ومحمد الصادق في "بريقة محمودية" والسندي في "شرح سنن النسائي" وغيرهم.وأما الحياء والكرم فقد ثبت وصف الله بهما في الحديث: إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفرا. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.والخلق والصفة معناهما واحد، كما يفيده كلام المناوي في شرح حديث الطيالسي السابق، فما قيل في أخلاق الله عموما يقال مثله في الحياء والكرم إلا أن الأولى بالمسلم أن

فَأَقُول : إنك إذا عرفت معنى الْمُمَاثلَة المنفية عَن الله عز وَجل – فِي الآية السابقة - عرفت أَنه لَا مثل لَهُ وَلَا يَنْبَغِي أَن يظنّ أَن الْمُشَاركَة فِي كل وصف توجب الْمُمَاثلَة .

ومع ذلك لإزالة هذه الشبهة نقول[35]: إن مَعَاني الْأَسْمَاء هِيَ صِفَات الله تَعَالَى وَصِفَاته لَا تصير صفة لغيره وَلَكِن مَعْنَاهُ أَنه يحصل لَهُ مَا يُنَاسب تِلْكَ الْأَوْصَاف كَمَا يُقَال فلَان حصل علم أستاذه بينما الواقع أن علم الْأُسْتَاذ لَا يحصل للتلميذ بل يحصل لَهُ مثل علمه .

وَإِن ظن ظان أَن المُرَاد بِهِ لَيْسَ مَا ذَكرْنَاهُ فَهُوَ بَاطِل قطعا فَإِنِّي أَقُول قَول الْقَائِل إِن مَعَاني أَسمَاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صَارَت أوصافا لَهُ لَا يَخْلُو إِمَّا أَن يَعْنِي بِهِ عين تِلْكَ الصِّفَات أَو مثلهَا فَإِن عَنى بِهِ مثلهَا فَلَا يَخْلُو إِمَّا عَنى بِهِ مثلهَا مُطلقًا من كل وَجه وَإِمَّا أَنه عَنى بِهِ مثلهَا من حَيْثُ الِاسْم والمشاركة فِي عُمُوم الصِّفَات دون خَواص الْمعَانِي فهذان قِسْمَانِ وَإِن عَنى بِهِ عينهَا فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَن يكون بطرِيق انْتِقَال الصِّفَات من الرب إِلَى العَبْد أَو لَا انْتِقَال فَإِن لم يكن بالانتقال فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَن يكون باتحاد ذَات العَبْد بِذَات الرب حَتَّى يكون هُوَ هُوَ فَتكون صِفَاته وَإِمَّا أَن يكون بطرِيق الْحُلُول وَهَذِه أَقسَام ثَلَاثَة وَهُوَ الِانْتِقَال والاتحاد والحلول وقسمان مقدمان ،فَهَذِهِ خَمْسَة أَقسَام الصَّحِيح مِنْهَا قسم وَاحِد وَهُوَ أَن يثبت للْعَبد من هَذِه الصِّفَات أُمُور تناسبها على الْجُمْلَة وتشاركها فِي الِاسْم وَلَكِن لَا تماثلها مماثلة تَامَّة كَمَا ذكرْنَاهُ ،فَأصل الِاتِّحَاد إذا بَاطِل وَحَيْثُ يُطلق الِاتِّحَاد وَيُقَال هُوَ هُوَ لَا يكون إِلَّا بطرِيق التَّوَسُّع والتجوز اللَّائِق بعادة الصُّوفِيَّة وَالشعرَاء فَإِنَّهُم لأجل تَحْسِين موقع الْكَلَام من الإفهام يسلكون سَبِيل الِاسْتِعَارَة[36] كَمَا يَقُول الشَّاعِر :

أَنا من أَهْوى وَمن أَهْوى أَنا نَحن روحان حللنا بدنا

يتقيد دائما في حديثه عن الله تعالى بما ثبت، لأن الأصل في ذلك التوقف عند ما ثبت وعدم تجاوزه.قال ابن القيم في الوابل الصيب صفحة 543 من مجموعة الحديث(: والجود من صفات الرب جل جلاله ، فإنه يعطي ولا يأخذ ، ويطعم ولا يطعم ، وهو أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين ، وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته ، فإنه كريم يحب الكرماء من عباده ، وعالم يحب العلماء ، وقادر يحب الشجعان ، وجميل يحب الجمال) . انتهى .واقرأ – أيضاً - في نهاية هذا المبحث كلام ابن القيم رحمه الله تعالى مما يؤيد ما ذكرناه من صحة المعنى .

35/ باختصار شديد وتصرف يسير.

36/ قلت : وإن جاز ذلك في حق المخلوق فلا يجوز في حق الخالق سبحانه وتعالى لأن الواجب على العبد أن يعتقد تنزيهه تعالى عما عليه المخلوق من النقص فكيف يجوز ذلك على سبيل التجوز البلاغي ؟

وَذَلِكَ مؤول عِنْد الشَّاعِر فَإِنَّهُ لَا يَعْنِي بِهِ أَنه هُوَ تَحْقِيقا بل كَأَنَّهُ هُوَ فَإِنَّهُ مُسْتَغْرق الْهم بِهِ كَمَا يكون هُوَ مُسْتَغْرق الْهم بِنَفسِهِ فيعبر عَن هَذِه الْحَالة بالاتحاد على سَبِيل التَّجَوُّز .

المحور الثاني : كلام الإمام ابن القيم رحمه الله في مفهوم العمل بأسماء الله الحسنى [37] : (ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر ، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها أو اتصف بضدها ، وهذا شأن أسمائه الحسنى ، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها ، وأبغضهم إليه من اتصف بضدها ، ولهذا يبغض الكفور والظالم والجاهل والقاسي القلب ، والبخيل والجبان والمهين واللئيم ، وهو سبحانه جميل يحب الجمال ، عليم يحب العلماء ، رحيم يحب الراحمين ، محسن يحب المحسنين ، ستير يحب أهل الستر ، قادر يلوم على العجز ، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف ، عفو يحب العفو ، وتر يحب الوتر ، وكل ما يحبه من آثار أسمائه وصفاته وموجبها ، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها) ا . هـ

وقال رحمه الله تعالى "وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلَمَ، كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر، كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد، والله يُنزل العبدَ من نفسه حيث يُنزله العبدُ من نفسه، فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنُه عَجب، وفتحه عجب، صاحبُه قد سِيقَتْ له السعادةُ وهو مستلقٍ على فراشه غَيرَ تَعِب" [38].

وقال أيضاً رحمه الله : " وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : أوحى الله إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم أتدري لم اتخذتك خليلا ؟ قال : لا، قال : " لأني رأيت العطاء أحب إليك من الأخذ "وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله فإنه يعطي ولا يأخذ ويطعم ولا يطعم وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته فإنه كريم يحب الكريم من عباده وعالم يحب العلماء وقادر يحب الشجعان وجميل يحب الجمال .

37/ عدة الصابرين – لابن القيم – ص (310).

38/ طريق الهجرتين .

وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء وإنما يرحم من عباده الرحماء وهو ستير يحب من يستر على عباده وعفو يحب من يعفو عنهم وغفور يحب من يغفر لهم ولطيف يحب اللطيف من عباده ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ ورفيق يحب الرفق وحليم يحب الحلم وبر يحب البر وأهله وعدل يحب العدل وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده .

ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودا وعدما فمن عفا عفا عنه ومن غفر غفر له ومن سامح سامحه ومن حاقق حاققه ومن رفق بعباده رفق به ومن رحم خلقه رحمه ومن أحسن إليهم أحسن إليه ومن جاد عليهم جاد عليه ومن نفعهم نفعه ومن سترهم ستره ومن صفح عنهم صفح عنه ومن تتبع عورتهم تتبع عورته ومن هتكهم هتكه وفضحه ... ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه ولهذا جاء في الحديث " من ستر مسلما ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله تعالى حسابه ومن أقال نادما أقال الله تعالى عثرته ومن أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله تعالى في ظل عرشه "[39] اهـ

39/ من الوابل الصيب من الكلم الطيب بتصرف يسير – نقلا عن موقع الألوكة المجلس العلمي .

المطلب الثاني

كيف عمل السلف بالاسماء الله الحسنى

في هذا المطلب ذكر نماذج يسيرة من تطبيق السلف رحمهم الله للأسماء الحسنى في حياتهم تعطي القارئ الكريم تصورا واضحا للكيفية الصحيحة للعمل بها وترفع همته وتعطيه حسن الظب بربه تعالى في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة [40]:

1/ عبودية الصبر والرضى بحكمه والاستسلام لأمره تعالى :

قال المبرد رحمه الله : «قيل للحسن بن علي: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن شيئًا. **وهذا حدُّ الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء» .**[41]

وعن مكحول الأزدي، قال: سمعت ابن عمر - رضي لله عنهما - يقول: «إن الرجل يستخير الله تبارك وتعالى؛ فيختار له فيسخط على ربه - عز وجل -! فلا يلبث أن ينظر في العاقبة فإذا هو خير له» [42]

اجتمع وهيب بن الورد، وسفيان الثوري، ويوسف بن أسباط رحمهم الله : فقال الثوري: «قد كنت أكره موت الفجاءة قبل اليوم، وأما اليوم: فوددت أني ميت، فقال له يوسف بن أسباط: ولم؟ فقال: لما أتخوف من الفتنة.فقال يوسف: لكني لا أكره طول البقاء. فقال الثوري: ولم تكره الموت؟ فقال: لعلي أصادف يومًا أتوب فيه وأعمل صالحًا. فقيل لوهيب: أي شيء تقول أنت ؟ فقال: أنا لا أختار شيئًا؛ أحب ذلك إليَّ أحبه إلى الله. فقبَّل الثوري بين عينيه. وقال: روحانية ورب الكعبة»[43].

40/ مقتبس من موقع أسماء الله الحسنى – ذكر القائمون على المشرف ما يزيد على العشرة نماذج اخترت منها ستة وقمت باختصارها.

41/ سير أعلام النبلاء – للذهبي – (262/3).

42/ الزهد لابن المبارك- ص (32).

43/ مدارج السالكين من منازل إياك نعبد وإياك نستعين - لابن القيم -(215/2).

قلت : وفي هذه الآثار عمل منهم رحمهم الله بأسمائه تعالى الوكيل والمعطي والكريم وما في معناها.

2/عبودية الشكر له - عز وجل - والحياء منه سبحانه :

عن علي بن عبد الرحمن رحمه الله قال: «كتب بعض الحكماء إلى أخٍ له: أما بعد يا أخي، فقد أصبح بنا من نعم الله - عز وجل - ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه، فما ندري أيها نشكر: أجميل ما ظهر أم قبيح ما ستر»؟ [44]

وعن بكر بن عبدالله المزني رضي الله عنه قال: «لقيت أخًا لي من إخواني الضعفاء، فقلت: يا أخي أوصني، فقال: ما أدري ما أقول، غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفتر عن الحمد والاستغفار، وابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا الذنب إلا بالتوبة والاستغفار. قال: فأوسعني علمًا ما شئتُ» [45].

وعن عبدالله بن الحسن السكري البغدادي قال: «سمعت علي بن خشرم يقول: كتب إليّ بشر بن الحارث أبو نصر: إلى أبي الحسن علي ابن خشرم: السلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإني أسأل الله أن يتم ما بنا وبكم من نعمة، وأن يرزقنا وإياكم الشكر على إحسانه، وأن يميتنا ويحيينا وإياكم على الإسلام، وأن يسلم لنا ولكم خلفًا من تلف، وعوضًا من كل رزية» . [46]

قلت : وفي هذه الآثار عمل منهم رحمهم الله باسميه تعالى الستير والشكور ، وما في معناهما.

3/ عبودية الخوف منه - عز وجل - والخشية من عقابه :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل على عمر رضي الله عنه حين طعن فقال: «أبشر يا أمير المؤمنين، أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كفر الناس، وقاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله يعني الناس، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض،

44/ الشكر لابن أبي الدنيا - ص(194) .

45/ السابق .

46/ حلية الأولياء – لابن أي نعيم – (341/8).

ولم يختلف في خلافتك رجلان، فقال عمر: أعد، فأعدت فقال عمر: المغرور من غررتموه، لو أن لي ما على ظهرها من بيضاء وصفراء لافتديت به من هول المطلع»[47] .

وعن أبي زكريا يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله قال: «مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة» [48] .

عن أبي عبد الرحمن الأسدي رحمه الله قال: «قلت: لسعيد بن عبد العزيز ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: لعل الله أن ينفعني به، فقال: ما قمت إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم». وقال إسحاق بن إبراهيم: «كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة»[49].

قلت : وفي هذه الآثار عمل منهم رحمهم الله باسميه تعالى العدل والحسيب ، وما في معناهما.

4/عبودية المراقبة والإخلاص لله - عز وجل - والحياء منه سبحانه :

قال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله : «صحبت أبا سليمان طول ما صحبته فما انتفعت بكلمة أقوى علي وأهدى لرشدي، وأدل على الطريق من هذه الكلمة، قلت له في ابتداء أمري: أوصني. فقال: أمستوص أنت؟ قلت: نعم إن شاء الله. قال: خالف نفسك في كل مراداتها؛ فإنها الأمّارة بالسوء، وإياك أن تحقر أحدًا من المسلمين، واجعل طاعة الله دثارًا، والخوف منه شعارًا، والإخلاص زادًا، والصدق جُنةً، واقبل مني هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تغفل عنها: إنه من استحيا من الله - عز وجل - في كل أوقاته وأحواله وأفعاله بلّغه إلى مقام الأولياء من عباده، فجعلت هذه الكلمات أمامي، ففي كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها»[50].

47/ تاريخ بغداد - للبغدادي – (325/7).

48/ تاريخ بغداد – (357/13).

49/سير أعلام النبلاء – (262/3).

50/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال - للعلامة يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين – (373/1) .

وعن عبد الله بن مبارك رحمه الله قال: «قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا قال: لأنهم تكلَّموا لعِزّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق»[51].

ويروى أن ابن عمر رضي الله عنهما لقي غلامًا يرعى الغنم، «فسأله أن يبيعه رأسًا منها، فقال الغلام: الغنم ليست لي، كما أن صاحبها لم يأذن لي ببيعها، قال ابن عمر: فبعني رأسًا منها واحتفظ بالثمن لنفسك وقل لصاحبها إن ذئبًا قد اختطفها ، قال الراعي: فأين الله إذًا».

قلت : وفي هذه الآثار عمل منهم رحمهم الله ورضي عنهم باسمائه تعالى الرقيب والعليم والسميع والبصير والحي ، وما في معناها.

5/ عبودية الإجلال والتعظيم والأدب مع الله عز وجل :

قال هرم بن حيان لأويس القرني رحمهما الله : أوصني. قال: توسّد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك، وإذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك ونيتك، فلن تعالج شيئًا أشد عليك منهما؛ بينا قلبك معك ونيتك إذا هو مدبر، وبينا هو مدبر إذا هو مقبل، ولا تنظر في صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت) .[52]

وقال أبو حفص رحمه الله : «حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن، فالأدب مع الله حسن الصحبة معه، بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء. كحال مجالس الملوك ومصاحبتهم». [53]

وكتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - إلى بعض عمّاله: «أما بعد، فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد، فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئًا إلا كان زائلاً عنهم باقيًا عليك، واعلم أن الله - عز وجل - آخذٌ للمظلومين من الظالمين والسلام» [54].

51/ صفة الصفوة – لابن الجوزي – (122/4) .

52/ صفة الصفوة – (55/3).

53/ مدارج السالكين – (376/2).

54/ إحياء علوم الدين - (55/4)

قلت : وفي هذه الآثار عمل منهم رحمهم الله ورضي عنهم باسمائه تعالى الرقيب والعظيم والقاهر والقهار والكبير والعلي ، وما في معناها.

6/ قوة الرجاء في الله - عز وجل- والطمأنينة إلى روحه سبحانه وحسن الظن به :

لما حضر معاذ بن جبل رضي الله عنه الموت قال: «انظروا أصبحنا؟ فأُتيَ فقيل: لم تصبح، فقال: انظروا أصبحنا؟ فأتى فقيل له: لم تصبح حتى أتى في بعض ذلك فقيل: قد أصبحت. قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر مغب، حبيب جاء على فاقة، اللَّهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللَّهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكب عند حلق الذكر .[55]

عن معاذ بن معاذ رحمه الله قال: «ما رأيت أحدًا أعظم رجاء لأهل الإسلام من ابن عون؛ لقد ذكر له الحجاج وأنا شاهد فقيل: إنهم يزعمون أنك مستغفر للحجاج فقال: ما لي لا أستغفر للحجاج من بين الناس؟ وما بيني وبينه؟ وما كنت أُبالي أن أستغفر له الساعة قال معاذ: وكان إذا ذكر عنده الرجل بعيب قال: إن الله تعالى رحيم» .[56]

عاد حماد بن سلمة سفيان الثوري رحمهما الله فقال سفيان: «يا أبا سلمة، أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي» .[57]

قلت : وفي هذه الآثار عمل منهم رحمهم الله ورضي عنهم باسمائه تعالى الرحمن والرحيم والودود والشكور، وما في معناها.

55/ الجواب الكافي – لابن القيم – ص (36 - 37) .

56/ حلية الأولياء – (239/1).

57/ سير أعلام النبلاء – (349/9).

الفصل الثالث

مفهوم الكمال والجلال والجمال لذي العزة والجلال

المبحث الأول : مفهوم الكمال لله تعالى .

المبحث الثاني : مفهوم الجلال لله تعالى .

المبحث الثالث : مفهوم الجمال لله تعالى .

المبحث الأول

مفهوم الكمال لله تعالى

شرح أحد العلماء قول الإمام الطحاوى رحمه الله في متن الطحاوية: **(ما زال بصفاته قديما قبل خلقه)** :

هو سبحانه وتعالى أول ليس قبله شيء، متصف بصفات الكمال قبل خلقه لكل شيء، فأسماؤه وصفاته أزلية أبدية، فكما أنه في ذاته أول بلا ابتداء فكذلك أسماؤه وصفاته تابعة لذاته، فهي أولية بأولية الله سبحانه وتعالى، فلم يكن أولا بلا أسماء ولا صفات ثم سماه الناس وحدثت له الصفات، تعالى الله عما يقوله أهل الضلال من أصحاب الاعتزال، الذين يقولون : لم تكن له صفات في الأزل قبل خلق الخلق ثم اكتسب الصفات بعد وجود من وصفه وسماه، فسبحان الله وتعالى عن قول الجاهلين ! فقولهم هذا يلزم منه أن يكون الله ناقصا في فترة، ثم اكتسب أسماء وأوصافا وكمالا لم يكن من قبل، تعالى عما يقولون، فالله عز وجل هو الغني عن سواه، وجميع خلقه هم الفقراء إلى الله.

ولذلك قال الإمام الطحاوى: **(لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته)** أي وجود المخلوقات لم يزده كمالا كان مفقودا أو يزيل نقصا كان موجودا، فلا نقول كما قال الجاهلون لم يكن الله خالقا إلا بعد أن خلق الخلق، ولم يكن رازقا إلا بعد ظهور الملك، فهذا شأن المخلوق وليس شأن ملك الملوك، المخلوق نقول عنه عالما بعد اكتساب العلم وزوال الجهل، وخبيرا بعد اكتساب الخبرة ومزاولة المهنة، أما ربنا تبارك وتعالى فله الكمال في أزليته وأبديته.

وقال الإمام الطحاوى رحمه الله :**(وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري)** من أسماء الله عز وجل الباري، يعني الخالق، برى الخلق يعني خلقهم فهو الباري، وهذا الاسم ملازم لذاته ليست له بداية ولا نهاية، وهنا يظهر لنا الكمال، فلو ضربنا لكم مثال، بقياس الأولي، نقول: الرجل إذا كان في قريته ذليلا فقيرا ضعيفا، واكتسب أوصاف الكمال فأصبح عزيزا غنيا قويا، فإن الناس لا ينسون أوصاف نقصه، حتى لو بلغ به الكمال فيه مبلغه، يتذكرون حال فقره ويذكرونه بضعفه،

يقولون: أنت فلان الذي كنت مهينا ذليلا، فقيرا ضعيفا، كل ذلك لأنه اكتسب كمالا لم يكن من قبل، لكنه لو انتقل وهو في حال الكمال إلى بلد آخر لا يعرفه الناس فيه فرأوه من بدايته عزيزا غنيا، منيعا قويا، فإنهم لا يذكرونه على الدوام إلا بالكمال، ولا يعرفون وصفه إلا مقترنا بالعزة في كل حال، فيصفونه بالعزة والغنى والقوة، ومن هنا قيل: كان كراعا فصار ذراعا، والكراع هو القزم الصغير وهذا يضرب مثلا للرجل الذليل يصير عزيزا كبيرا.

دخل أبو العباس السراج على أبي عمرو الخفاف فقال له : يا أبا العباس من أين جمعت هذا المال ؟ فقال : يا أبا عمرو بغيبة عن نيسابور مائة وعشرين سنة ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : غاب أخي إبراهيم أربعين سنة وغاب أخي إسماعيل أربعين سنة وغبت أنا مقيما ببغداد أربعين سنة أكلنا العشب ولبسنا الخشن حتى جمعنا هذا المال، ولكن أنت يا أبا عمرو من أين جمعت هذا المال:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

فسبحان الذي أعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير

فمن شهد النقص في شخص تحول عنه إلى الكمال، يعز عليه أن ينسى ما سبق له من سوء الحال، فسيتكثر عليه مدحه بكماله، ويسهل عليه الذم وتذكيره بسوء حاله، هذا فينا كبشر، لكن رب البشر ما عرفناه إلا ربا معبودا له الجلال والكمال والجمال، ما عرفناه إلا ملكا قدوسا سلاما مؤمنا مهيمنا عزيزا جبارا متكبرا خالقا بارئا مصورا .

ولذلك قال الإمام الطحاوى: (**له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق**) هو رب العالمين قبل وجود العالمين وحال وجود العالمين وبعد فناء العالمين هو رب العالمين هو الرب قبل أن توجد المربوبات، والرب معناه الخالق المدبر، المالك المتصرف، السيد المصلح، وهذه الصفات لازمة للذات، فالله يوصف بالربوبية بلا بداية ولا نهاية، قبل وجود المربوبات وبعد فناء المربوبات، فالله غني بذاته عن العالمين له الكمال المطلق في أسمائه وصفاته وربوبيته للخلق أجمعين.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وفي ذكر هذه الأسماء - يعني الرب الرحمن الرحيم المالك - بعد الحمد في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، وملِك محمود. فله بذلك جميع أقسام الكمال:**كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر**.مثال ذلك قوله تعالى:(**وَالله غَنِيٌّ حَمِيدٌ**) سورة التغابن(6) . (**وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) سورة الحج(52) .

فالغنى صفة كمال والحمد صفة كمال، واقتران غناه بحمده كمال أيضاً، وعلمه كمال، وحكمته كمال، واقتران العلم بالحكمة كمال أيضاً، - ونحوها كثير - وفي هذا أظهر دلالة على أن أسماء الرب تعالى مشتقة من أوصاف ومعانٍ قامت به، وإن كل اسم يناسب ما ذكر معه واقترن به من فعله وأمره، والله الموفق للصواب) 58

58/ مدارج السالكين، لابن القيم –(24/1 - 37) - بتصرف.

المبحث الثاني

مفهوم الجلال لله تعالى

الْجَلالُ : صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ بالكتاب والسنة، ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: (**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَام**) [الرحمن:27] وقوله: (**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**) [الرحمن: 78]

ودليله من السنة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (**فيقول الله تعالى : وعزَّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي؛ لأخرجن منها - أي من النار- من قال: لا إله إلا الله**) . رواه البخاري (7510) .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**) رواه مسلم .

والجلال بمعنى العظمة ، قال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

وَهُوَ الجَلِيلُ فَكُلُّ أوْصَافِ الجَلا   لِ لهُ مُحَقَّقَةٌ بِلا بُطْلانِ

قال الهرَّاس رحمه الله في شرحه : (وأوصاف الجلال الثابتة له سبحانه؛ مثل العزة والقهر والكبرياء والعظمة والسعة والمجد؛ كلها ثابتةٌ له على التحقيق، لا يفوته منها شيء) .

أسماء صفات الجلال : هي الأسماء لصفات القهر والغضب والانتقام والطرد والبعد عن الله ورحمته ، وفيها معنى الكبرياء والعظمة والمنعة والغلبة ، مثل شديد العقاب والمنتقم والقهار .ويحاول الإنسان بالدعاء بها : للكون تحت تجليها وظهورها لتكون عنده الغلبة على أعداء الله والظلمة لا لتكون عليه ، ويطلب بعضها أن تطبق على أعداء الله والظلمة للتشفي ولطلب الثار وللانتقام منهم بقدرة الله وقهاريته ، لا لتكون فيهم عليه أو في غير متجلية منه على غيره

قد يطلق الجلال ويراد به الصفات السلبية : قد يطلق على الأسماء الثبوتية أسماء الجمال ، وعلى الصفات السلبية أسماء الجلال عند بعض العرفاء ، لأن البهاء والرحمة والكمال والثبوت مناسب للجمال ، ولأن نفي النقص والحاجة عنه تعالى مناسب للجلال ، وللعظمة والكبرياء والعلو والرفعة ، فإذا سمعت بهذا فلا تستغرب .

وقال بعض العلماء : صفات الجلال : هي الصفات التي تبعث في القلب مخافة الله جل وعلا وتعظيمه ، ومن ذلك صفة القوة ، والقدرة ، والقهر إلى آخر هذه الصفات والأسماء .

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله : " صفات العَظَمَة هذه يقال لها صفات جلال ، وصفات ونعوت الرحمة والمحبة يقال له صفات جمال ، هذا اصطلاح لبعض علماء السنة وهو اصطلاح صحيح . ولهذا في الختمة التي تُنسبُ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، رجَّحَ طائفة من أهل العلم أن تكون لشيخ الإسلام لورود هذا التقسيم فيها ، وهو قوله في أولها (صدق الله العظيم الذى لا إله إلا هو، المتوحد فى الجلال والكمال، تعظيما وتكبيرا، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال، تقديرا وتدبيرا، المتعالى بعظمته ومجده الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وصدق رسوله الذى أرسله إلى الثقلين من الإنس والجن بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) .

ولا أعلم من أَشْهَرَ هذا التقسيم قبل شيخ الإسلام ابن تيمية ، يعني : تقسيم الصفات إلى صفات جلال وجمال " انتهى[59] .

قلت : بل سبقه إلى ذلك حجة الإسلام الغزالي رحمه الله حيث قال في شرح اسمه تعالى الجليل : " **الْجَلِيل : هُوَ الْمَوْصُوف بنعوت الْجلَال ونعوت الْجلَال هِيَ الْعِزّ وَالْملك والتقدس وَالْعلم والغنى وَالْقُدْرَة وَغَيرهَا من الصِّفَات الَّتِي ذكرنَاهَا فالجامع لجميعها هُوَ الْجَلِيل الْمُطلق والموصوف بِبَعْضِهَا جلالته بِقدر مَا نَالَ من هَذِه النعوت** " . المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى – ص (115) .

20/ شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ – (254/1)

المبحث الثالث

مفهوم الجمال لله تعالى

بداية اعلم أخي القارئ الكريم أن الْجَمَالُ :صفةٌ ذاتيةٌ لله عَزَّوجَلَّ، من اسمه (**الجميل**) ، الثابت في السنة الصحيحة.ودليل ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: **(إنَّ الله جميل يحب الجمال)** رواه مسلم .

صفات الجمال لله تعالى : هي صفات كمالية تدل على الرحمة واللطف والعطف والخير والبركة ، وكل ما يتجلى منها من خلق ورزق ونعمه سواء صفات ذاتية أو فعلية ولا تختص بالذاتية فقط .

أسماء الجمال لله تعالى : وهي الأسماء التي هي من تفريعات ربوبية الله على خلقه هذه من قسم الجمال ،وهي التي تبعث في القلب محبة الخالق والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى ، ومن ذلك الرحمن والرحيم والسلام والجميل والمؤمن والودود، ونحو ذلك ، وهي التي تورث حسن التوكل على الله جل وعلا .

فهي أسماء حسنى : سماعها يعطي الانبساط والفرح للنفس ، وفي حال طلب الرحمة منه تعالى ، ويحصل معها وبها الأنس مع الله تعالى ، وهي أسماء حسنى تدل على رضا الرب وهداه ونعيمه وبركته ، ومنها يأتي العز والكرامة للإنسان وله ولكل موجود خير وهدى .

وحري بنا أن نشرح اسمه تعالى الجميل في هذا المقام : قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وَهُوَ الجَمِيلُ عَلَى الحَقِيقَةِ كَيْفَ لا — وجمَالُ سَائِرِ هذهِ الأَكْوَانِ

مِنْ بَعْض آثَارِ الجَمِيلِ فَرَبُّهَا — أَوْلَى وَأَجْدرُ عِنْدَ ذِي العِرْفَانِ

فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ والأوصَافِ وَالـ — أفعَالِ وَالأَسْمَاءِ بالبُرهَانِ

لا شَيءَ يُشْبِهُ ذَاتَهُ وصِفَاتِهِ — سُبْحَانَهُ عَنْ إفْكِ ذِي بُهْتَانِ

قال الهرَّاس في شرح هذه الأبيات: (**وأما الجميل**؛ فهو اسم له سبحانه من الجمال، وهو الحسن الكثير، والثابت له سبحانه من هذا الوصف هو الجمال المطلق، الذي هو الجمال على الحقيقة؛

فإنَّ جمال هذه الموجودات على كثرة ألوانها وتعدد فنونها ، إنما هو من بعض آثار جماله، فيكون هو سبحانه أولى بذلك الوصف من كل جميل؛ فإنَّ واهب الجمال للموجودات لابدَّ أنْ يكون بالغاً من هذا الوصف أعلى الغايات، وهو سبحانه الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

أما جمال الذات العلية لرب البرية ؛ فهو ما لا يمكن لمخلوق أنْ يعبر عن شيء منه أو يبلغ بعض كنهه، وحسبك أنَّ أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم وأفانين اللذات والسرور التي لا يقدر قدرها، إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله؛ نسوا كل ما هم فيه، واضمحل عندهم هذا النعيم، وودوا لو تدوم لهم هذه الحال، ولم يكن شيء أحب إليهم من الاستغراق في شهود هذا الجمال، واكتسبوا من جماله ونوره سبحانه جمالاً إلى جمالهم، وبقوا في شوق دائم إلى رؤيته، حتى إنهم يفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له القلوب.

وأما جمال الأسماء الحسنى ؛ فإنها كلها حسنى، بل هي أحسن الأسماء وأجملها على الإطلاق؛ فكلها دالة على كمال الحمد والمجد والجمال والجلال، ليس فيها أبداً ما ليس بحسن ولا جميل.

وأما جمال الصفات العلية للعلي الأعلى ؛ فإنَّ صفاته كلها صفات كمال ومجد، ونعوت ثناء وحمد، بل هي أوسع الصفات وأعمها، وأكملها آثاراً وتعلقات، لاسيما صفات الرحمة والبر والكرم والجود والإحسان والإنعام.

وأما جمال الأفعال ؛ فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد؛ فليس في أفعاله عبث ولا سفه ولا جور ولا ظلم، بل كلها خير ورحمة ورشد وهدى وعدل وحكمة، قال تعالى: **(إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** ، ولأنَّ كمال الأفعال تابع لكمال الذات والصفات؛ فإنَّ الأفعال أثر الصفات، وصفاته كما قلنا أكمل الصفات؛ فلا غرو أنْ تكون أفعاله أكمل الأفعال) .

قال بعض الباحثين : كل ما نراه في هذا الكون من جمال فهو منه تعالى لأنه جميل في ذاته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله فلا يصدرمنه إلا كل جميل .

قلت : تعلمت من اسمه تعالى الجميل :

- أن أتطلع إلى النظر إلى جماله يوم القيامة ، ذلك الجمال الذي إذا رآه أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) متفق عليه ، هذا كله لا يسوى عند أهل الحنة شيئا عندما ينظرون إلى الجميل **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** سورة القيامة (22-23) .

ونجد الغزالي رحمه الله توسع في مفهوم الجمال إلى درجة رؤية أن الجلال فيه وجه جمال وتحت هذا المفهوم لفت الانتباه إلى أن الله تعالى مَحْبُوب ومعشوق عِنْد مُدرِكِ جماله فَلذَلِك كَانَ الله عز وَجل محبوبا وَلَكِن عِنْد العارفين ، فقول في كتابه المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى عند شرح لاسمه تعالى الجليل :

" صِفَات الْجلَال إذا نُسِبَتْ إِلَى البصيرة المدركة لَهَا سميت جمالا وَسمي المتصف بِهِ جميلا وَاسم الْجَمِيل فِي الأَصْل وضع للصورة الظَّاهِرَة المدركة بالبصر مهما كَانَت بِحَيْثُ تلائم الْبَصَر وتوافقه ثمَّ نقل إِلَى الصُّورَة الْبَاطِنَة الَّتِي تدْرك بالبصائر حَتَّى يُقَال سيرة حَسَنَة جميلَة وَيُقَال خلق جميل وَذَلِكَ يدْرك بالبصائر لَا بالأبصار وَالصُّورَة الْبَاطِنَة إذا كَانَت كَامِلَة متناسبة جَامِعَة جَمِيع كمالاتها اللائقة بهَا كَمَا يَنْبَغِي وعَلى مَا يَنْبَغِي فَهِيَ جميلَة بِالْإِضَافَة إِلَى البصيرة الْبَاطِنَة المدركة لَهَا وملائمة لَهَا ملاءمة يدْرك صَاحبهَا عِنْد مطالعتها من اللَّذَّة والبهجة والاهتزاز أَكثر مِمَّا يُدْرِكهُ النَّاظر بالبصر الظَّاهِر إِلَى الصُّورَة الجميلة فالجميل الْحق الْمُطلق هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَط لِأَن كل مَا فِي الْعَالم من جمال وَكَمَال وبهاء وَحسن فَهُوَ من أنوار ذَاته وآثار صِفَاته وَلَيْسَ فِي الْوُجُود مَوْجُود لَهُ الْكَمَال الْمُطلق الَّذِي لَا مثنوية فِيهِ لَا وجوبا وَلَا إمكانا سواهُ وَلذَلِك يدْرك عارفه والناظر إِلَى جماله من الْبَهْجَة وَالسُّرُور واللذة وَالْغِبْطَة مَا يستحقر مَعَه نعيم الْجنَّة وجمال الصُّورَة المبصرة بل لَا مُنَاسبَة بَين جمال الصُّورَة الظَّاهِرَة وَبَين جمال الْمعَانِي الْبَاطِنَة المدركة بالبصائر، وَهَذَا الْمَعْنى كشفنا عَنهُ الغطاء فِي كتاب الْمحبَّة من كتب إحْيَاء عُلُوم الدّين" .

فَإِذا ثَبت أَنه جليل وَجَمِيل فَكل جميل فَهُوَ مَحْبُوب ومعشوق عِنْد مدرك جماله فَلذَلِك كَانَ الله عز وَجل محبوبا وَلَكِن عِنْد العارفين كَمَا تكون الصُّورَة الجميلة الظَّاهِرَة محبوبة وَلَكِن عِنْد المبصرين لَا عِنْد العميان " .

ومن العلماء من جمع بين الجلال والجمال وذلك بتتبع ما ورد في القرآن الكريم ، فقد وقفت على كلام لبعض المحققين وهذا نصه :

: (فما في الوجود إلا وفيه ما يقابله وغرضنا في هذه المقابلة ما يرجع إلى الجلال والجمال خاصة ، كما أنه ما من آية في القرآن تتضمن رحمة إلا ولها أختها تقابها تتضمن نقمة كقوله (غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ) يقابه (شَدِيدِ الْعِقَابِ) سورة غافر(3).

وقوله تعالى (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الحجر(49) **يقابله (وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ)** الحجر (50).

وقوله تعالى (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ) الواقعة (27-28) **الواقعة يقابله (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ *فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ)** الواقعة (41-42) **وهكذا آيات الجمال والجلال في كتاب الله تعالى)**

الفصل الرابع

في رحاب أسماء الكمال لذي العزة والجلال

1- اسم الجلالة : (الله) 2- اسمه تعالى : الإله

3-4/ اسميه تعالى : الواحد والأحد 5/ اسمه تعالى : الحق 6- اسمه تعالى : الحي

7- اسمه تعالى : القيوم 8-10/ أسمائه تعالى : الْخَالِق البارئ المصور

11- اسمه تعالى : الخلاق 12/ اسمه تعالى : السميع 13- اسمه تعالى : البصير

14- اسمه تعالى :القدوس 15- اسمه تعالى : السلام 16- اسمه تعالى : النور

17- اسمه تعالى : الأول 18- اسمه تعالى :الآخر 19- اسمه تعالى : الْبَاقِي

20- اسمه تعالى : العدْل 21- اسمه تعالى : العزيز 22- اسمه تعالى : المجيد

23- اسمه تعالى :الصمد 24- اسمه تعالى:الحكيم 25- اسمه تعالى:الحَكَم

26-27/ اسمائه تعالى : العلي الأعلى المتعال 29- اسمه تعالى : الْجَامِع

30-31/ اسميه تعالى : الْقوي والمتين

32-35/اسمائه تعالى : الملِك والمالك والمليك ومَالك الْمُلك 36- اسمه تعالى : المحصي

37- 38/ اسميه تعالى : المبدئ والمعيد 39- اسمه تعالى : الْوَاجِد

40- 41/ اسميه تعالى : المحيي المميت 42-43/ اسميه تعالى : الضار النافع

44-46/اسمائه تعالى :الْعَلِيم والعلام والعالم 47- اسمه تعالى : السبوح

48- اسمه تعالى : الْوَارِث 49-50/ اسماه تعالى : المقدم والمؤخر 51- اسمه تعالى الوتر

1- في رحاب اسم الجلالة

(الله)

عرفت أن من معاني اسم الجلالة : ما يأتي :

- **عرفت اسم الجلالة "الله":** علم على الذات الواجب الوجود، دال على الذات الإلهية، الجامعة لجميع صفات الكمال، المستحق لجميع المحامد ، والمنزهة عن أيِّ صفة من صفات النقصان التي لا تليق بكمال الألوهية والربوبية، وهو أعظم أسماء الله الحسنى، وأجمعها، وأشهرها، وأبهرها.

- **كما عرفت أنه :** ترجع إليه جميع الأسماء الحسنى كما قال الله تعالى: (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**) [الأعراف: 180]، وقال تعالى (**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) سورة الحشر (22-24).

- **وعرفت أنه** : لم يستطع أحد من البشر أن يتسمى به (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) سورة مريم(65) ، قال بعض المفسرين : هل تعلم أحدا يسمى " **الله** " غيره ؟ لذلك فهو أعظم الأسماء الحسنى.

- **ولاحظت أنه أكثر الأسماء الحسنى ترددا على ألسنة البشر ،فلا تكاد ترى إنساناً - ما من مسلم وكافر وبر وفاجر - إلا وهو يقول (الله) وما ذلك إلا لمعرفتهم إياه ، ورحمه الله سيبويه القائل (الله : أعرف المعرف لا يحتاج إلى تعريف) .**

- **كما لاحظت أن كلمة (الله) أكثر الأسماء كتابة في الكتب والجرائد والمجلات بل وفي وسائل التواصل الاجتماعي وفي التعليقات التي تكتب في القنوات الفضائية وغيرها .**

- وعرفت أنه – اسم الجلالة - ورد في القرآن الكريم 2699 مرة ولم تتكرر كلمة في القرآن بهذا العدد قط ، فلا تكاد صفحة من صفحات المصحف الشريف إلا وفيها اسم الجلالة سبع مرات إلى خمس عشرة مرة إلا ما ندر.

تعلمت من اسم الجلالة (الله) ما يأتي [60] :

1/ قال ابن القيم رحمه الله: واسم (الله) دالٌّ على كونه مألوهاً معبوداً، تألَهُهُ الخلائق محبةً، وتعظيماً، خضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد".

2/ قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى : " الله : هُوَ اسْم للموجود الْحق الْجَامِع لصفات الإلهية المنعوت بنعوت الربوبية المتفرد بالوجود الْحَقِيقِيّ ، فَإِن كل مَوْجُود سواهُ غير مُسْتَحقّ الْوُجُود بِذَاتِهِ وَإِنَّمَا اسْتَفَادَ الْوُجُود مِنْهُ فَهُوَ من حَيْثُ ذَاته هَالك وَمن الْجِهَة الَّتِي تليه مَوْجُود فَكل مَوْجُود هَالك إِلَّا وَجهه ".

ثم قال رحمه الله في بيان التطبيق العملي لمعرفتنا بهذا الاسم :يَنْبَغِي أَن يكون حَظّ العَبْد من هَذَا الِاسْم التأله وأعني بِهِ أَن يكون مُسْتَغْرق الْقلب والهمة بِاللَّه عز وَجل لَا يرى غَيره وَلَا يلْتَفت إِلَى سواهُ وَلَا يَرْجُو وَلَا يخَاف إِلَّا إِيَّاه وَكَيف لَا يكون كَذَلِك وَقد فهم من هَذَا الإسم أَنه الْمَوْجُود الْحَقِيقِيّ الْحق وكل مَا سواهُ فان وهالك وباطل إِلَّا بِهِ فَيرى أَولا نَفسه أول هَالك وباطل كَمَا رَآهُ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَيْثُ قَالَ : (**أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل) [61]**

قلت : ووجه دلالة (اسم الجلالة) على الكمال الإلهي : لأنه يدل على كمال الذات وجلالها وجمالها لأنه الاسم الجامع لجميع أسماء الكمال والجلال والجمال . والله أعلم .

3/ (الله) هو الإسم الدال على الذات العظيمة الجامعة لصفات الإلهية والربوبية فهو اسم له وحده لا يتعلق به أحد سواه، ولا يُطلق على غيره ولا يدّعيه أحد من خلقه.

60/ موقع الراشدون والمقصد الأسنى - للغزالي .

61/ رواه مسلم ، وجاء في شرح النووي له : (قوله صلى الله عليه وسلم : (أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل) وفي رواية : (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل) وفي رواية : (أصدق بيت قاله الشاعر) وفي رواية : (أصدق بيت قالته الشعراء) المراد بالكلمة هنا القطعة من الكلام ، والمراد بالباطل الفاني المضمحل . وفي هذا الحديث منقبة للبيد ، وهو صحابي ، وهو لبيد بن ربيعة رضي الله عنه .

4/(الله) اسم للرب المعبود المحمود الذي يمجِّده الخلق ويسبحونه ويحمدونه، وتسبح له السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهم والليل والنهار والإنس والجن والبر والبحر (**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**) الإسراء(44).

5/ **(الله) هو الرب الذي تألهُهُ القلوب وتحن إليه النفوس وتتطلع إليه الأشواق**، وتحب وتأنس بذكره وقربه وتشتاق إليه وتفتقر إليه المخلوقات كلها في كل لحظة وومضة، وخطرة وفكرة في أمورها الخاصة والعامة، والكبيرة والصغيرة، والحاضرة والمستقبلة، فهو مبديها ومعيدها، ومُنْشِئها وباريها وهي تدين له سبحانه وتُقِرُّ، وتفتقر إليه في كل شؤونها وأمورها ما من مخلوق إلا ويشعر بأن الله تعالى طوّقه مِنَناً ونِعماً وأفاض عليه من آلائه وكرمه وإفضاله وإنعامه بالشئ الكثير، فجدير بأن يتوجه قلب الإنسان إلى الله تبارك وتعالى بالحب والتعظيم والحنين.

6/ (الله): العظيم في ذاته وصفاته وأسمائه وجلاله ومجده، لا تحيط به العقول ولا تدركه الأفهام ولا تصل إلى عظمته الظنون، فالعقول تحار في عظمته وإن كانت تستطيع بما مُنحت من الطّوق والقدرة على أن تدرك جانباً من هذه العظمة، يمنحها محبة الله والخوف منه والرجاء فيه والتعبد له بكل ما تستطيع.

7/ واسم الله إذا ذكر وجلت القلوب لجلاله وخشعت الأصوات لقوته وعنت الوجوه لعظمته وهو الذي إذا ذكر نزلت الطمأنينة في قلوب المؤمنين لجلاله ورحمته ، قال تعالى (**الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله أَلَا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) الرعد(٢٨)

قال الإمام الجنيد رحمه الله : لتلاميذه تعالوا بنا نذكر الصالحين فبذكرهم تحل البركة فقال بعض طلبته يا شيخنا إذا ذكرنا الصالحين تحل البركة فماذا إذا ذكرنا الله ؟ فاطرق الشيخ قليلا ....ثم رفع رأسه فقال إذا ذكرنا الله حلت الطمأنينة في القلوب .

8/ (الله) هو الإله المعبود الذي يُخلص له المؤمنون قلوبهم وعبادتهم، وصلاتهم وحَجَّهم وأنساكهم وحياتهم وآخرتهم (**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**) الأنعام (162 - 163).

9/ وروح لا إله إلا الله وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، بل كان ما كان يحب غيره فإنما هو تبعاً لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته ولا يُخاف سواه، ولا يُرجي سواه، ولا يتوكل إلا عليه ولا يُرغب إلا إليه، ولا يُرهب إلا منه، ولا يُحلف إلا باسمه، ولا يُنذر إلا له، ولا يُتاب إلا إليه، ولا يُطاع إلا بأمره، ولا يُحتسب إلا له، ولا يُستعان في الشدائد إلا به، ولا يُلتجأ إلا إليه، ولا يُسجد إلا له،

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : إذ استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرح الناس بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنس الناس بأحبابهم فأنس أنت بالله، وإذا ذهب الناس إلى ملوكهم وكبرائهم يسألونهم الرزق ويتوددون إليهم فتودد أنت إلى الله.

10/ **الإيمان بوجود الله فطرة** : والإيمان بوجود الله سبحانه فطرة مركوزة في الأنفس لا تحتاج إلى أدلة ، ولذلك لما سئل بعض السلف عن الدليل على وجود الله قال أغنى الصباح عن المصباح متى احتاج النهار إلى دليل ؟

وقال بعض الصالحين مناجيا ربه : سبحانك ربي آمن بك المؤمن ولم ير ذاتك ، وجحدك الجاحد ووجوده في ملكك دليل على وجودك وعظمة ذاتك .

وقال ابن عطاء الله السكندري :إلهي كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك .

11/ **وقد بين الله تلك الفطرة بمثال بعض الكفار الذين ركبوا في سفينة** ؛ وكانت الأمواج هادئة ، وانطلقوا في البحر، وفي أول الرحلة سخَّر الله لهم ريحًا طيبة جعلتهم يسيرون في البحر بسرعة، ففرحوا بها، وفجأة هاجت الأمواج، واشتدت الرياح والعواصف فأصبحوا في مأزق عصيب، عندئذ صاح هؤلاء الكفار بأعلى أصواتهم يدعون الله -عز وجل- ويلجئون إليه، ويطلبون منه النجاة، قال تعالى: {**هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرينا بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين**} يونس:22 .

وهكذا فطرة البشر تلجأ إلى الله -عز وجل-، وتظهر حقيقتها في وقت الشدة والكرب حتى وإن وجد عليها الصدأ، وطُمِست شفافيتها في أوقات الغفلة واللهو والرخاء، ذلك لأن الله -عز وجل- خلق الإنسان مفطورًا على الإسلام والإحساس بوجود الله، قال تعالى: {**فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**} الروم: 30

وفي الحديث (**ما من مولود إلا يولدُ على الفِطْرةِ فأبواه يُهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسَانه**) رواه البخاري .. **ومعنى يُهوِّدانه**: يجعلانه يهوديًا، **ينصِّرانه** : يجعلانه نصرانيًا ، **يمجِّسَانه :** يجعلانه مجوسيًّا .

12/ جاء بعض الزنادقة إلى الإمام الشافعي –رحمه الله- وسألوه: ما الدليل على وجود الله؟ فقال: ورق التوت طعمه واحد، تأكله الدودة فيخرج منها الإبريسم (الحرير)، ويأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا،وتأكله الظباء فيخرج منها مسكا فمن جعل هذه الأشياء مع أن الطعم واحد .

ورحم الله القائل [62]:

الله ربي لا أريد سواه هل	**في الوجود حقيقة إلا هو[63]**
الشمس والبدر من انوار حكمته	**والبر والبحر فيض من عطاياه**
الطير سبحه والوحش قدسه	**والموج كبره والحوت ناجاه**
والنمل تحت الصخور الصم مجده	**والنحل يهتف حمدا فى خلاياه**
والناس يعصونه جهرا فيسترهم	**والعبد ينسى وربى ليس ينساه**

62/ هذه الأبيات منسوبة إلى الإمام الشافعي – مقالات : مع الله – أسماء الله الحسنى - موقع الكلم الطيب .

63/ لقد استنكر بعض العلماء المعاصرين هذا البيت وزعم أنه يدعو إلى وحدة الوجود ، مع أنه – البيت – أقرب في معناه إلى ما ورد في الحديث (إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل) رواه مسلم، وقد سبق قبل قليل .

13/ وأخيراً تعلمته من اسم الجلالة (الله) أيضا :

- الشوق إلى رؤيته فهو الذي قطع نياط قلوب العارفين والعابدين **(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)** فاطر (10) .

- أن أرجع إليه في سائر أموري وأفوض إليه ما يشغل بالي **(وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)** غافر (44) .

2- في رحاب اسمه تعالى

الإله

عرفت أن من معاني اسم الله الإله [64]: ما يأتي :

قال السعدي رحمه الله تعالى : "والإله هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح إن الله أصله الإله وأن اسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى والله أعلم" .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : اسم الله دال على كونه مألوهاً معبوداً تألهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب .

ويقول أبو الهيثم رحمه الله تعالى : (الله: أصله إله ... ولا يكون إلها حتى يكون معبوداً، وحتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً ومدبراً وعليه مقتدراً ... وأصل إله ولاه فقلبت الواو همزة... ومعنى ولاه أن الخلق إليه يؤلهون في حوائجهم ويفزعون إليه فيما ينوبهم كما يوله طفل إلى أمه) [65].

العلاقة بين معاني الإله والرب[66] : (الإلوهية والربوبية):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : **الاسم الأول - الإله** - يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه وما خلق له وما فيه صلاحه وكماله وهو **عبادة الله** .

والاسم الثاني - الرب - يتضمن خلق العبد ومبتداه وهو أنه يربه ويتولاه مع أن الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الإلهية والربوبية تستلزم الألوهية أيضا والاسم الرحمن يتضمن كمال التعليقين وبوصف الحالين فيه تتم سعادته في دنياه وأخراه ، ولهذا قال تعالى: **(وَهُمْ يَكْفُرُونَ**

64/ ورد اسم الإله ضمن أسماء الله الحسنى ، التي أحصتها بعض روايات حديث (إن لله تسعة وتسعين اسما) ، كما نجده عند البيهقي في الأسماء والصفات ، والحاكم . لكن ذكر الأسماء في هذا الحديث ليس من كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عند أهل المعرفة بالحديث ، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن كثير ، وابن حجر ، وغيرهم من أهل العلم . [انظر : أسماء الله الحسنى ، لعبد الله بن صالح الغصن ، ص 170-173] .نقلا عن موقه الإسلام سؤال وجواب .

65/ الموسوعة العقدية – موقع الدرر السنية .

66/ مجموع الفتواى (14/12) نقلا عن المرجع السابق .

بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) [الرعد:30] ، فذكر هنا الأسماء الثلاثة **الرحمن وربي والإله** وقال: عليه توكلت وإليه متاب كما ذكر الأسماء الثلاثة في أم القرآن لكن بدأ هناك **باسم الله** ولهذا بدأ في السورة بإياك نعبد فقدم الاسم وما يتعلق به من العبادة لأن **(الرب)** هو القادر، الخالق، البارئ، المصور، الحي، القيوم، العليم، السميع، البصير، المحسن، المنعم، الجواد، المعطي، المانع، الضار، النافع، المقدم، المؤخر، الذي يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويسعد من يشاء، ويشقي ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى .

ووجه دلالة هذا الاسم (إله) على الكمال الإلهي : أن القرآن الكريم نفى الألوهة عن كل ما عبد من دون الله تعالى وألبسه المشركون ثوب الإلهية بغير حق لأن جميع تلك الآلهة لا تمتلك الصفات التي تؤهلها لأن تعبد بل هي نفسها لا تدعي لنفسها مرتبة الألوهة كما في قوله تعالى **(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)** الإسراء (56-57).

قال القرطبي : في صحيح مسلم من كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون ، فنزلت (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أعلمهم الله - تعالى - أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم .

تعلمت من هذا الاسم[67] ما يأتي :

1/ من اسم الله الإله جاء توحيد الألوهية :

المراد بتوحيد الألوهية: إفراد الله جل وعلا بالتعبد في جميع أنواع العبادات. ويعبر بعض أهل العلم بالعبادة بدل التعبد، ولا فرق، إذ مراده بالعبادة معناها المصدري وهو التعبد.

67/ الموسوعة العقدية – موقع الدرر السنية ، وموسوعة شرح أسماء الله الحسنى – النابلسي .

والتعبد له ركنان وشرطان لصحته:

أما الركنان: فغاية الخضوع والتذلل لله، وكمال المحبة له.

وأما الشرطان: فمعرفة المعبود – وهو الله سبحانه وتعالى -، ومعرفة دينه الشرعي الجزائي.

والمقصود بالعبادات: ما يتعبد به لله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولها شرطان: المتابعة فيها – أي أن تكون وفق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والصدق والإخلاص لله جل وعلا فيها.

وهذا هو معنى شهادة ألا إله إلا الله – وتمام تحقيقها بشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما يوضح أن التعريف السابق هو تعريف لشهادة ألا إله إلا الله قول الله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**) [الزخرف: 26-28] .

قال ابن جرير: (وقوله: **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً** فِي عَقِبِهِ يقول تعالى ذكره: وجعل قوله **إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي** وهو قول لا إله إلا الله: كلمة باقية في عقبه، وهم ذريته، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده) اهـ

وكلمات السلف كلها تدور حول هذا المعنى فمنهم من فسر الكلمة بشهادة ألا إله إلا الله ومنهم من فسرها بالإسلام .

ولا خلاف بين القولين، إذ الإسلام هو الاستسلام لله بالعبودية، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد شيئاً سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله المتركبة من النفي والإثبات؛ نفي عبادة ما سوى الله، وإثبات العبادة لله وحده، وهذان هما النفي والإثبات نفسهما الواردان في الآية **بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي** .

وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة . ويسمى باعتبار إضافته إلى الله تعالى بـ (توحيد الألوهية)، ويسمى باعتبار إضافته إلى الخلق بـ (توحيد العبادة)، و(توحيد العبودية) و(توحيد الله بأفعال العباد)، و(توحيد العمل)، و(توحيد القصد)، و(توحيد الإرادة والطلب)، لأنه مبني على إخلاص القصد في جميع العبادات، بإرادة وجه الله تعالى .

2/ عبادةُ الله علّةُ وجود الإنسان: ذلك أيها الإخوة، أكاد أقول: إن العبادة علة وجودك في الدنيا، وهي علة واحدة.

ما العبادة ؟ بتعريف مختصر، غاية الخضوع لله، وغاية الحب، بالتعريف المفصل: هي طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

لا بد من أن تعرفه حتى تعبده، لذلك أكبر جزء من دينك طلب العلم، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معا فعليك بالعلم.

العلة الوحيدة من وجودك على وجه الأرض بنص كتاب خالق السماوات والأرض أن تعبده، من هو الخاسر ؟ ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ .

مثال للتوضيح : أرسلك والدك إلى بلد غربي لتنال رسالة دكتوراه، إلى باريس مثلاً، المدينة الكبيرة العملاقة الصاخبة، فيها مسارح، فيها ملاهي، فيها حدائق، فيها مكتبات، فيها أسواق، مدينة مترامية الأطراف، وأنت إنسان في هذه المدينة، لو سألناك: ما علة وجودك في هذه المدينة ؟ لك في هذه المدينة علة واحدة، سبب واحد لبقائك فيها، هدف واحد في هذه المدينة ؛ أن تنال الدكتوراه.

3/ **ولذلك أخطر سؤال تسأله لنفسك:** ما علة وجودي في الأرض ؟ ذهب رجلٌ إلى باريس، ونام في الفندق، واستيقظ في صبيحة اليوم الأول، وسأل: إلى أين أذهب ؟ ما هذا السؤال ؟ نسأله نحن: لماذا أتيت إلى هنا ؟ إن أتيت طالباً فاذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن أتيت تاجراً فاذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن أتيت سائحاً فاذهب إلى المقاصف والمتنزهات، متى يصح عملك في مكان ما ؟ إذا عرفت سر وجودك، وغاية وجودك، لذلك لا شيء يعلو في حياة الإنسان على

معرفة سر وجوده، وغاية وجوده، وقد تجد إنسانا في أعلى درجات العقل يطلب العلم، يبحث عن عمل صالح يرقى به عند الله، يربي أولاده تربية صحيحة، يتعامل مع الناس وفق منهج الله، هذا عرف سر وجوده، وغاية وجوده، لذلك أنت كائن متحرك، ما الذي دفعك إلى الحركة ؟

4/ أنواع من العبادة:

النوع الأول : هو عبادة الهوية، أنت من ؟ كل واحد منا له موقع في المجتمع، فقد يكون غنياً، فالغني عبادته الأولى إنفاق المال، بل إن المال مادة امتحانه الأولى، فإما أن ينجح في إنفاق المال في الوجوه التي ترقى به في الآخرة، وإما أن ينفق هذا المال على شهواته ونزواته،

النوع الثاني: عبادة الظرف : أحياناً هناك ما يسمى بعبادة الظرف، عندك أب مريض، العبادة الأولى رعاية المريض، عندك ضيف، العبادة الأولى إكرام الضيف، عندك ابن عنده امتحان، العبادة الأولى أن تهيئ له الجو المناسب للامتحان، هذه عبادة الظرف.

النوع الثالث: عبادة الوقت : **جاء في وصية أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه كما في حلية الأولياء " اتق الله يا عمر ، واعلم أن لله عز وجل عملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ".**

أحياناً العصر بمجمله له عبادة، إن أراد الطرف الآخر إفقار المسلمين فالعبادة الأولى استصلاح الأراضي، وإنشاء السدود، واستخراج الثروات، وتطوير الصناعات من أجل أن نأتي بمال نحل به مشكلات المسلمين، هذه العبادة الأولى، وإذا أراد الطرف الآخر إضلالنا فتوضيح معالم الدين، وترسيخ القيم الأخلاقية، ورد الشبهات، وتأليف الكتب والأبحاث هذه عبادة أيضاً، وإذا أراد الطرف الآخر إفسادنا فتأسيس المناشط الإسلامية، وصيانة أولادنا وشبابنا من الفساد الأخلاقي، وهكذا

5/ الدعاء باسم اللإله : وجاء في الحديث الشريف: (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ) رواه أحمد وصححه الألباني وحسّنه الأرنؤوط. **في قوله تعالى ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾** سورة الأنبياء (87-88) .

3-4/ في رحاب اسميه تعالى

الواحد والأحد

عرفت أن من معاني الواحد والأحد : ما يأتي :

عرفت أن الواحد : (يعني الفرد الأول الذي لا نظير له ولا مثل كقولهم فلان واحد قومه في الشرف أو الكرم أو الشجاعة وما أشبه ذلك. أي لا نظير له في ذلك ولا مساجل) قاله الزجاجي .

فالواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وهو الفرد المتفرد في ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته، فهو واحد في ذاته لا يتجزأ أو لا يتفرق، أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وهو واحد في صفاته لا شبيه له على الوجه اللائق به من غير أن يماثله أحد فيما يختص به وهو واحد في أفعاله لا شريك له، واحد في ألوهيته لا معبود حق إلا هو .

قال الغزالي رحمه الله : الواحد هُوَ الَّذِي لَا يتجرأ وَلَا يُثنّى - لا ثاني له - :

أما الَّذِي لَا يتَجَزَّأ : فكالجوهر الْوَاحِد الَّذِي لَا يَنْقَسِم فَيُقَال إِنَّه وَاحِد بِمَعْنى أَنه لَا جُزْء لَهُ وَكَذَا النقطة لَا جُزْء لَهَا وَالله تَعَالَى وَاحِد بِمَعْنى أَنه يَسْتَحِيل تَقْدِير الانقسام فِي ذَاته .

وَأما الَّذِي لَا يتثنى : فَهُوَ الَّذِي لَا نَظِير لَهُ كَالشَّمْسِ مثلا فَإِنَّهَا وَإِن كَانَت قَابِلَة للانقسام بالوهم متجزئة فِي ذَاتهَا لِأَنَّهَا من قبيل الْأَجْسَام فَهِيَ لَا نَظِير لَهَا إِلَّا أَنه يُمكن أَن يكون لَهَا نَظِير فَإِن كَانَ فِي الْوُجُود مَوْجُود يتفرد بِخُصُوص وجوده تفردا لَا يُتَصَوَّر أَن يُشَارِكهُ غَيره فِيهِ أصلا فَهُوَ الْوَاحِد الْمُطلق أزلا وأبدا .

وعرفت أن الواحد : ورد اسم الله (الواحد) في القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعاً، اقترن في ستة منها بالقهار: قال تعالى: **(قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)**[الرعد: 16].**(لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)** [غافر: 16].

وقال تعالى: (**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**) سورة الأنعام(19) .

وعرفت أن الأحد : هو الذي تفرد بكل كمال ومجد وجلال وجمال وحمد وحكمة ورحمة وغيرها من صفات الكمال، فليس له فيها مثيل ولا نظير ولا مناسب بوجه من الوجوه، فهو الأحد في حياته وقيوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها .

كما عرفت أن من معاني الأحد : أنه يحتاجه كل شيء في كل شيء ، وليس محتاجاً إلى شيء ، يحتاجه كل شيء في الكون في كل شيء .

وقد ورد اسم الأحد مرة واحدة في القرآن الكريم: في سورة الإخلاص :(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).

كما عرفت أن هناك فرق بين الواحد والأحد[68] : يفرق العلماء بين الواحد والأحد من وجوه :

1/ أن الواحد اسم لمفتتح العدد، فيقال: واحد واثنان وثلاثة . أما أحد فينقطع معه العدد فلا يقال: أحد اثنان ثلاثة.

2/ أن الأحد في النفي أعم من الواحد، فيقال: ما في الدار واحد، ويجوز أن يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر. أما لو قال: ما في الدار أحد فهو نفي وجود الجنس بالمرة، فليس فيها أحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا أكثر ولا أقل.

3/ لفظ الواحد يمكن جعله وصفًا لأي شيء أريد، فيصح القول: رجل واحد، وثوب واحد، ولا يصح وصف شيء في جانب الإثبات بأحد إلا الله الأحد: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فلا يقال: رجل أحد ولا ثوب أحد فكأن الله عز وجل استأثر بهذا النعت.

وبناءاً عليه إذا قلنا : الله " الواحد " أي لا شريك له ، فإذا قلنا : **الله أحد أي لا مثيل له** وواحد تعني المعنى الكمي ، فواحد لا شريك له ، أما أحد تعني المعنى النوعي أي لا مثيل له ، واحد لا شريك له ، أحد لا مثيل له ، **(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ).**

68/ موقع الدرر السنية والنابلسي – بتصرف .

وفي الحديث : **(كانَ اللَّهُ ولم يكن شيءٌ قَبْلَهُ وكان عَرْشُهُ على الماءِ ثُمَّ خَلَقَ السماوات والأرضَ وَكَتبَ فِي الذِّكرِ كُلَّ شيء)** رواه البخاري .

ووجه دلالة هذين الاسمين الكريمين على كماله سبحانه : أنه واحد أحد في ذاته وفي كل صفاته وأفعاله كما أنه واحد في دلالات أسمائه على كمال ذاته فهو المتفرد بالوحدانية في كل ما ينسب إليه تعالى .

تعلمت من هذين الاسمين - الواحد والأحد - ما يأتي :

- أن أكون واحدا للواحد ، واحدا أي مخلصا لله في عملي ، فلا أطلب أجرا من غيره ولا أسعى لطلب رضاء غيره فهو الواحد لأنه لا يقبل شريكا في العمل فضلا عن الشريك في الاعتقاد .

كما تعلمت منهما [69] ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله :** أن الْعَبْد إِنَّمَا يكون وَاحِدًا إِذا لم يكن لَهُ فِي أَبنَاء جنسه نَظِير فِي خصْلَة من خِصَال الْخَيْر وَذَلِكَ بِالْإِضَافَة إِلَى أَبنَاء جنسه وبالإضافة إِلَى الْوَقْت إِذْ يُمكن أَن يظْهر فِي وَقت آخر مثله وبالإضافة إِلَى بعض الْخِصَال دون الْجَمِيع فَلَا وحدة على الْإِطْلَاق إِلَّا لله تَعَالَى .

- خلاصنا في التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، والتوحيد يلخص كل شيء **(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)** [الشعراء:213] ، لذا أحد أكبر أسباب عذاب الإنسان أن يدعو مع الله إلهاً آخر عن علم ، أو عن غير علم .

- التوحيد ألا تشهد مع الله إلهاً آخر ، هذه كلمة تلقى ، وفكرة تسمع وتدرك لكن شتان بين أن تدرك هذه الكلمات بعقلك ، وبين أن تفهمها وأن تعيشها بنفسك .

- التوحيد عند بعض العلماء توحيدان :

1/ توحيد الربوبية : أن تشهد أن الله سبحانه وتعالى واحد في ملكه ، وهو الذي خلق ، ورزق ، وأعطى وهو الذي منع ، وهو الذي رفع ، وهو الذي خفض ، وهو الذي قبض ، وهو الذي بسط

69/ السابق : بتصرف كبير .

وهو الذي أعزّ، وهو الذي أذلّ، لا رازق، ولا معطي، ولا محيي ، ولا مميت ، ولا مدبر لأمر الكون كله ظاهراً وباطناً إلا الله . كما في الحديث : (**ما شاءَ اللهُ كانَ ، وما لم يشأْ لم يكن)** أخرجه أبو داود .

ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا يحدث حادث إلا بعلمه ، ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة لا في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها ، أحاط بها علمه ، وأحاطت بها قدرته ، ونفذت فيها مشيئته ، واقتضتها حكمته ، فتوحيد الربوبية أن تؤمن أنه " الواحد " في تدبيره وفي ملكه ، هذه الربوبية .

2/ توحيد الألوهية أن تعبده وحده ، ولا تعبد أحداً سواه ، وألا ترى له نداً ، ولا مدبراً ، ولا معطياً ، ولا مانعاً إلا هو .

والخلاصة : توحيد الربوبية رؤية نعمه وآلائه وتدبيره ،ويندرج تحته توحيد أسمائه تعالى الحسنى وصفات العلى وتوحيد الألوهية أن تعبده وحده ، والدين علم وعمل ، عقيدة وسلوك ، علم وعمل ، هذا هو الدين ، وتوحيد الألوهية أن تعبده وحده.

5/ في رحاب اسمه تعالى

الحق

عرفت أن من معاني اسمه الحق : ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله :** الْحق الْمُطلق هُوَ الْمَوْجُود الْحَقِيقِيّ بِذَاتِهِ الَّذِي مِنْهُ يَأْخُذ كل حق حَقِيقَته ،أَحَق الموجودات بِأَن يكون حَقًا هُوَ الله تَعَالَى وأحق المعارف بِأَن تكون حَقًا هي معرفة الله عز وَجل .

- **وقال الخطابي رحمه الله.: هو المتحقق كونًا ووجودًا وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق". سَمَّى الله القيامة الحاقّة لأنها الكائنة حقًا لا شك فيها ولا مدفع لوقوعها. ولاحظ المد في الحاقّة كان يمكن أن تُسمّى الحقيقة ولكن المد يعطي معنى المبالغة في الشيء .**

- **ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في عشر آيات :**

منها : قوله تعالى: **{ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}** [الأنعام:62]. وفي سورة يونس في موضعين: **{هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}** [يونس:30]. **{فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}** [يونس:32]. إلى آخر الآيات .

ووجه دلالة اسمه تعالى الحق على كماله سبحانه : أنه تعالى واجب الوجود ، فلذا هو كامل من كل وجه ،وغيره ممكن الوجود وما كان كذلك فهو ناقص من كل وجه .

تعلمتُ من هَذَا الِاسْم :

- أَن يرى العبد نَفسه بَاطِلا وَلَا يرى غير الله عز وَجل حَقًا وَالْعَبْد إِن كَانَ حَقًا فَلَيْسَ حَقًا بِنَفسِهِ بل هُوَ حق بِاللَّه عز وَجل فَإِنَّهُ مَوْجُود بِهِ لَا بِذَاتِهِ بل هُوَ بِذَاتِهِ بَاطِل لَوْلَا إيجَاد الْحق لَهُ . على حد قَول لبيد رضي الله عنه:

أَلا كل شَيْء مَا خلا الله بَاطِل وكل نعيم لَا محَالة زائل

وتعلمت من اسم الله الحق : ما يأتي :

- أن أطلب الحق اينما كان وأن أقبله ممن كان ولو كان أصغر مني سنا أو أقل مني شأناً ، لأن الحق هو الذي يرفع وينفع في دار الحق (الآخرة) بل وكذلك الحق أحق أن يتبع في الدنيا ولهذا الله حق والنبيون حق والجنة حق والنار حق ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن حق **(وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)** الإسراء (105).

كما تعلمت من اسمه تعالى الحق[70] :

- **أن الصراع بين الحق والباطل سنة ربانية،** ولولا الصراع بين الحق والباطل لم يقم علم الجهاد، ولم تخلق النار وبئس المهاد، وما وجدت الجنة لخير العباد، ولما نودي يوم التناد: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}[الشورى: 7] وجيء بالأشهاد. قال تعالى عن هذا الصراع ذاكراً خطورة العدو: {إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}[طه: 117] فبدأ إبليس يصارع، وبكيده ومكره يقارع، فوسوس للأبوين، وأخرجهما من جنة رب العالمين، ثم تابا إلى الله وأنابا، فتاب الله عليهما وغفر ذنبهما، وستر عورتهما، فهو المحمود بكل حال وهو المشكور بكل مقال. ثم بدأ الصراع يتصاعد بعد نزول آدم وحواء إلى الأرض إلى يومنا هذا .

- **ولقد انبرى لمحاربة الإسلام كثيرون بوسائل مختلفة فتحطموا،** وتكسرت على حقيقته الثابتة نظرياتهم وجدلياتهم وأقوالهم المزخرفة، وتكشفت بنوره تزييفاتهم وأكاذيبهم وأباطيلهم، وظل الإسلام بحقه ونوره يتحدى كل مخالف له، ويصرع كل مصارع، ويطحن كل محارب {يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[الصف: 8].

ومن مظاهر الصراع بين الحق والباطل في هذا العصر: أن ينبعث أناس من أبناء جلدتنا ليطعنوا الدين باسم الدين، ويحاربوا الفضيلة، وينشرون الرذيلة. لقد استُخدم هؤلاء

70/ من مقال بعنوان : سنة الصراع بين الحق والباطل – موقع إمام المسجد .

استخدام العبيد الرعاع لخدمة اليهود والنصارى، في نشر الأفكار والأخلاق التي تناقض الإسلام وأخلاقه وهديه.

لقد قامت صحف ومجلات وكتاب يهاجمون ما أسموه (التقاليد) وهم يقصدون الدين الذي ورثه المسلمون عن آبائهم وأجدادهم وينادون بضرورة تحطيمها وتخليص المجتمع من أغلالها.. ومما ركزوا عليه تحطيم حجاب المرأة وسترها، وعفافها وشرفها والتزامها ببيتها، وتحريم الخلوة بالأجنبية!! ووضعوا في المطلوب تطبيقه لساداتهم: سفور المرأة وهجرها لبيتها، ووجوب الاختلاط ووجوب التجربة قبل الزواج!! ووجوب إباحة التكشف والعري في كل محل، وعشرات أخرى من تلك الواجبات!!

وخرجت المرأة من بيتها بدون شرط ولا قيد، وخلعت حجابها وأسفرت عن عفافها وأصبح هذا أمراً واقعاً.وفشت العلاقات المحرمة، ووقع الاختلاط، وقامت الصداقات! بين الأولاد والبنات، وأصبح هذا أمراً واقعاً.

وفي عالم السياسة: قامت أحزاب تبعد الدين عن مجالاتها تماماً، وتحرم الخوض فيه، وأصبح هذا أمراً مشاهداً واقعاً.

وفي عالم الاقتصاد: قامت بنوك ومؤسسات ربوية تتعامل بالربا جهاراً نهاراً. وفي عالم الفكر: قامت نظريات وآراء وأفكار تسخف الدين، وتنظر إليه على أنه خرافة وجهل، وتأخر وأساطير، وأصبح هذا أمراً واقعاً.

لكن حتى يتم الصراع الكوني، قامت طائفة لله تقارع ذلك الفساد السابق، وذاك الانحراف الخطير عن مجريات الكون والدين، بالقلم والبيان، وبالسيف والبنان، فردوا تلك الشبه، وصارعوا الباطل وقاوموه، وردوا الفساد وضللوه، فبدأت الأمة تعود إلى رشدها.. عادت الأمة إلى طريق الحق من جديد وفوجئ العلمانيون!! وذعروا كذلك مع المفاجأة.. فكان موقفهم الطبيعي والمألوف لهم، هو الوقوف ضد الصحوة الإسلامية، وضد المطالبة بتحكيم شريعة الله.. إن العلمانيين هم نتاج الكيد الصليبي الذي وجه ضد الإسلام منذ أكثر من قرن من الزمان.

- كما تعلمت من اسمه تعالى الحق : أن أعطي كل ذي حقٍ حقه : ومن تلك الحقوق المهمة[71] :

أولاً - حق الله: حقه أن يُعبد ولا يشرك به شيئًا كما في الحديث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "«يا معاذُ! تدري ما حقُّ اللهِ على العبادِ؟ وما حقُّ العبادِ على اللهِ؟». قال قلت: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «فإن حقَّ اللهِ على العبادِ أن يعبدوا اللهَ ولا يشركوا به شيئًا. وحقُّ العبادِ على اللهِ عزَّ وجلَّ أن لا يُعذِّبَ من لا يشركُ به شيئًا»، قال قلت: يا رسولَ اللهِ! أفلا أُبشِّرُ الناسَ؟ قال: «لا تُبشِّرْهم، فيتَّكلوا» رواه مسلم.

ثانيًا : حق المسلم : قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **(حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)** رواه البخاري .

وفي روايةٍ عند مسلم: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**)، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**) .

ثالثًا : حق الكبير: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليسَ منَّامن لَم يَرحَمْ صغيرَنا، ويعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا» (الألباني: صحيح الترغيب: [100])، فحقه التوقير.

رابعًا : الحقوق الزوجية : سأل رجلٌ النبيَّ صلى الله عله وسلم فقال: يا رسولَ اللهِ ما حقُّ زوجةِ أحدنا عليه؟ قال: «أن تُطعِمَها إذا طَعِمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضربُ الوجهَ، ولا تُقَبحِّ، ولا تهجرُ إلا في البيتِ» (الألباني: غاية المرام: [244]).

- وجاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بابنةٍ له فقال: يا رسولَ اللهِ هذه ابنتي قد أبتْ أنْ تتزوَّجَ فقال لها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «أطيعي أباكِ»، فقالت: والَّذي بعَثك بالحقِّ لا أتزوَّجُ حتَّى تُخبِرَني ما حقُّ الزَّوجِ على زوجتِه؟ فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (**حقُّ الزَّوجِ عل زوجتِه أنْ لو كانت قرحةٌ فلحَستْها ما أدَّتْ حقَّه**). قالت: والَّذي بعَثك بالحقِّ لا أتزوَّجُ أبدًا، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **(لا تَنكحِوهنَّ إلَّا بإذنِ أهلِهنَّ)** صحيح ابن حبان: [5488]).

71/ مقتبس من مقال بعنوان : شرح وأسرار الأسماء الحسنى - (33) اسم الله الحق – موقع طريق الإسلام – باختصار شديد .

وعَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَمَرْتُ أحدًا أنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ؛ لأَمَرْتُ المرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها؛ من عِظَمِ حَقِّهِ عليْها، ولا تَجِدُ امرأةٌ حَلاوَةَ الإيمانِ؛ حتى تُؤَدِّيَ حقَّ زَوْجِها، ولَوْ سألَها نَفْسَها وهيَ على ظَهْرِ» (الألباني؛ صحيح الترغيب: [1939])".

خامساً : حق الطريق : في الصحيحين قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والجلوسَ في الطرقاتِ». فقالوا: ما لنا بدٌ، إنما هي مجالسُنا نتحدثُ فيها. قال: «فإذا أبيتم إلا المجالسَ، فأعطوا الطريقَ حقَّه». قالوا: وما حقُّ الطريقِ؟ قال: «غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، وأمرٌ بالمعروفِ، ونهيٌ عن المنكرِ» (البخاري: [2465]). إذًا.. التسكع في الشوارع والوقوف على النواصي - لا يجوز في شريعة الرحمن ومخالفة لهدي النبي العدنان. والأصل ألا تقف إلا لمصلحة وإن وقفت تقوم بهذه الحقوق وإلا فليسعك بيتك.

سادساً : حق الحياء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استَحيوا منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ»، قُلنا: يا رسولَ اللَّهِ إنَّا لنَستحيي والحمد لله، قالَ: «ليسَ ذاكَ، ولَكِنَّ الاستحياءَ منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ أن تحفَظ الرَّأسَ، وما وَعى، وتحفَظَ البَطنَ، وما حوَى، ولتَذكرِ الموتَ والبِلى، ومَن أرادَ الآخرةَ ترَكَ زينةَ الدُّنيا، فمَن فَعلَ ذلِكَ فقدَ استحيا يعني: منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ» (الألباني: صحيح الترمذي: [2458]). تحفظ العقل فلا يسكر بمسكرٍ مادي (مخدرات وخمور)، ولا بمسكر معنوي (الدِش والشهوات تُفسِد عليه عقله)، ويحفظ البطن فيأكل الحلال ويتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في آداب الطعام.

سابعًا: حق الوصية: رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» رواه البخاري .

6/ في رحاب اسمه تعالى

الحي

عرفت أن من معاني اسمه الحي ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله :** أن الحي الْكَامِل الْمُطلق هُوَ الَّذِي ينْدَرج جَمِيع المدركات تَحت إِدْرَاكه وَجَمِيع الموجودات تَحت فعله حَتَّى لَا يشذ عَن علمه مدرك وَلَا عَن فعله مفعول وَذَلِكَ الله عز وَجل فَهُوَ الْحَيّ الْمُطلق وكل حَيّ سواهُ فحياته بقدر إدراكه وفعله.

كما عرفت أن حياة الله تعني : الباقي حياً بذاته أزلا وأبداً، والأزل هو دوام الوجود في الماضي، والأبد هو دوام الوجود في المستقبل، وكل حي سوى الحي ليس حياً بذاته؛ إنما هو حي بإمداد الحي، ولذلك قيل إن اسم "الحي" هو اسم الله الأعظم.

كما عرفت أن اسم الله الحي: قد ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع متعددة، فقال في أعظم آية في القرآن: **(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** [البقرة:255]، وفي مطلع آل عمران: **(الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** ،وغيرها من الآيات.

كما عرفت أن : صفة الحياة له -سبحانه-، فيها الكثير من المعاني والدلالات، ومنها [72]:

أولا: إن حياة الله -تعالى- حياة لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال، وما من أحد إلا وقد سبق حياتَه عدمٌ، إلا الله الأول الحي، قال ربنا في حق ابن آدم: **(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)** [الإنسان:1]، قال البغوي: "ومعناه قد أَتَى عَلَى الْإِنْسانِ، وهو آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أربعون سنة وهو من طين ملقى بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ قَبْلَ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ، لَا يُذْكَرُ وَلَا يُعْرَفُ وَلَا يُدْرَى مَا اسْمُهُ وَلَا مَا يُرَادُ بِهِ، وَذَلِكَ مِنْ حِينِ خَلَقَهُ مِنْ طين إلى أن نفخ فِيهِ الرُّوح".

وهذا الإيضاح جامع في بابه، أن حياة الله حياة لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال، حياة كاملة، منزهة من كل عيب أو نقص، وهذا يدل أعظم دلالة على عظم شأن هذا الاسم وجلالة قدره، وما

72/ هذه الدلالات ملخصة من بحث بعنوان : البيان القوي لفقه اسم الله الحي – موقع ملتقى الخطباء .

يقتضيه من الذلِّ والخضوع لله -عز وجل-: **(وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا)** [طه:111].

ثانيا: إن الله الحي -سبحانه- هو الباقي الدائم الذي لا ينتظره موت، ولا يلحقه فناء، والجن والإنس يموتون، وكل شيء هالك إلا وجهه، ولهذا لا يستحق أحد أن يؤلَّهَ ويُعبَدَ ويُحبَ إلا الله الحي الباقي، ولا يكون مالكا إلا الباقي وارث الأرض ومن عليها، فهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإذا كان ما سواه هالكاً فعبادة الهالك الباطل باطلة: (**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) [القصص:88].

فكل ما سوى الله سيموت وينتهي، قال -تعالى-: (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ *وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**) **[الرحمن:26-27]**، يقول السعدي: "أي: كل من على الأرض، من إنس وجن ودواب وسائر المخلوقات، يفنى ويموت ويبيد، ويبقى الحي الذي لا يموت".

ولذلك فإن أضل خلق الله هم الذين عبدوا غيره من مخلوقات فانية تموت وتذهب مثلهم؛ فما أشقاهم! وما أغباهم! مثل الذين يعبدون الكواكب، فإنهم يعبدون الآفل؛ لأن هذه الكواكب تغيب وتأفل وتزول، ويعتريها الكسوف والخسوف ونحو ذلك، وتتفتت وتتطاير في الفضاء، ثُمَّ إن مصيرها إِلَى الفناء، وليس لها الحياة المطلقة.

ثالثا: إن الحي -سبحانه- هو القيوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، فضلا عن الفناء والموت، فحياته مرتبطة بقيّوميته، فهو -سبحانه- يدبر أمر الخلائق في العالم العلوي، والكائنات في العالم السفلي، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض، يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويثيب ويعاقب، وينصر ويخذل، يخلق في كل لحظة ما لا يحصى من الأحياء من نبات وحيوان وإنسان، ويتكفل بتدبير معاشهم، ويقدر لهم أقواتهم، ويسوق إليهم أرزاقهم، وتحت أمره بقاؤهم وفناؤهم، وفي كل لحظة يموت بأمر الله ما لا يحصى من الأحياء.

وفي حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِأَرْبَعٍ: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ [وهو العدل] وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ**) رواه مسلم.

رابعا: إن الحي -سبحانه- هو واهب الحياة للخلق، فالحياة لا يملكها أحد غير واهبها، ولا يسلبها أحد غير معطيها، كما أن الموت كالحياة سر لا يعلمه إلا الله، ولا يملك أحد أن يحدثه، فسبحان الذي: **(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** [الحديد:2]!.

إذن : هذه المعاني العظيمة لاسم الله الحي، وصفة الحياة له -سبحانه-، تبين لنا الفارق بين حياته -سبحانه- وحياة مخلوقاته، فالخالق موصوف بالحياة، والمخلوق موصوف بالحياة، ولكن شتان ما بين الحياتين! فالحي -سبحانه- حياتُه مُنَزَّهَةٌ عن مشابهة حياة الخلق، لا يجري عليها الموت أو الفناء، ولا تَعْتَرِيها السِّنَة ولا النَّوم، مُتَضَمِّنٌ للحياة الكاملة التي لم تُسْبَقْ بعدم، ولا يَلْحَقُها زَوَال.

إن الفرق عظيم بين ما يتصف به المخلوق وبين ما يتصف به الخالق -سبحانه وتعالى-، فحياة الله -سبحانه وتعالى- هي من لوازم ذاته، فهو الحي بذاته -سبحانه وتعالى-، وما في الآخرة من الأحياء في الجنة من الملائكة وغيرهم إنما هم أحياء بإحياء الله لهم، فالله هو الذي وهبهم الحياة، وليس حياتهم في الجنة من لوازم ذواتهم، ، كما أنه هو الذي قضى عليهم ألا يموتوا، وإن كانت هذه الحياة هي فعلاً أكمل من الحياة الدنيا، وهي حياة حقيقية بالنسبة للحياة الدنيا العارضة الزائلة العابرة، ولو شاء لأهلكهم جميعاً -تَبَارَكَ وَتعالى-؛ فما يليق بالخالق -سبحانه وتعالى- له شأن، وما يليق بالمخلوق له شأن آخر.

هذه المعاني العظيمة والدلالات الكبيرة لاسم الله "الحي" وصفة الحياة له -سبحانه- هي التي جعلت كثيرا من أهل العلم يقولون إن اسم الله "الحي" هو اسمه الأعظم إذا ما قرن باسمه "القيوم"؛ إذ عليهما مدار كل الصفات الأخرى، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال.

ودليلهم على ذلك ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ فِي دُعَائِهِ: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ"، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: "أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟"،

فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)** صححه الألباني في الأدب المفرد.

وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث: في البقرة، وآل عمران، وطه).** قال القاسم بن عبد الرحمن -راوٍ من التابعين-: "فالتمست في البقرة، فإذا هو في آية الكرسي: **(اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** [البقرة:255]، وفي آل عمران فاتحتها: **(ألم* اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** [آل عمران:2]، وفي طه: **(وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ)** [طه:111]. أخرجه ابن ماجه بسند حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه كما أخرجه الحاكم والطحاوي .

ومما ورد في **فضل الدعاء به** قول النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ قالَ أسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِن كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ)** سنن أبي داود.

ووجه دلالة اسمه تعالى الحي على كماله سبحانه : أن تعلم أن جميع صفات الكمال والجلال والجمال عائدة إليه إذ لا تُتَصوَّر دون وجود صفة الحياة .

7/ في رحاب اسمه تعالى

القيوم

عرفت أن من معاني :اسم الله القيوم : ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله :** إن كَانَ فِي الْوُجُود مَوْجُود يَكْفِي ذَاته بِذَاتِهِ وَلَا قوام لَهُ بِغَيْرِهِ وَلَا يشْتَرط فِي دوَام وجوده وجود غَيره فَهُوَ الْقَائِم بِنَفسِهِ مُطلقًا فَإِن كَانَ مَعَ ذَلِك يقوم بِهِ كل مَوْجُود حَتَّى لَا يتَصَوَّر للأشياء وجود وَلَا دوَام وجود إِلَّا بِهِ فَهُوَ القيوم لِأَن قوامه بِذَاتِهِ وقوام كل شَيْء بِهِ وَلَيْسَ ذَلِك إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

كما عرفت أن اسم الله القيوم من عظمته : أن جاء ذكره في أعظم آية من كتاب الله؛ آية الكرسي، قال الله تعالى: (**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) [البقرة: 255], وقد قال المفسرون أن سبب كون آية الكرسي أعظم آية في القرآن هو وجود اسمي الله الحي والقيوم، كما ورد في مواطن أخرى من القرآن, قال الله تعالى: (**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**) [طه:111]، وقال تعالى: (**الم* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) [آل عمران: 1- 2] .

كما عرفت أن اسم الله القيوم : هو المبالغ في القيام بالأمر، أما في حق الله عز وجل فالاسم الجليل يشير للصفة الجامعة لكل الأسماء والصفات الأخرى له عز وجل، وهي صفة القيومية، وهي الصفة التي تشمل الكثير من المعاني العظيمة والدلائل الجسيمة.

ومن تلك المعاني ما يأتي[73]:

أولا: أنه تعالى قائم بذاته لم يُقِمْهُ أحدٌ، بل غيره قائم عليه، قال الله: (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) [الرعد: 33]؛ أي يَحافظ على النفوس ويُجازيها ويُحاسبها، وهو سبحانه قائم بنفسه ولم يقمه غيره، لأن قيام الحق المتعال قيام أزلي، قال الإمام الشوكاني في فتح القدير: " القائم الحفيظ والمتولي لأمور خلقه، المدبر لأحوالهم بالآجال والأرزاق، وإحصاء الأعمال على كل نفس " . فهو سبحانه قام بنفسه، فاستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام به غيره، فافتقرت إليه

73/ هذه الدلالات ملخصة من بحث بعنوان : تبديد الغيوم في فقه اسم الله القيوم – موقع ملتقى الخطباء .

جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد، والإمداد، والبقاء: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: 15]، لذا أوصي الرسول صلي الله عليه وسلم ابنته فاطمة أن تقول صباحا ومساء:" يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، اكْفِنِي كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ" [صحيح الترغيب والترهيب – رقم (657)].

ثانيا : أن الله تبارك وتعالى هو الحي القيوم، القائم بحفظ كل شيء من مخلوقاته:

يقسم أرزاقهم، ويدبر أمورهم، ويصرف أحوالهم، ويحشرهم ويحاسبهم، قائم على كل شيء بالرعاية له، المتولي جميع ما يجري في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وما يجري في الدنيا والآخرة.

ثالثا : أنه في اقتران اسمه تعالي القيوم باسمه الحي تأكيدا لحقيقة هامة:

وهي أن الله تعالى هو الحي الذي لا يغفل عن خلقه طرفة عين، فهو يراقبهم ويحاسبهم ويرعاهم بعنايته، فقيوميته عز وجل كاملة لذا استغنى عن كل أحد، كما أن قيوميته لا تنتهي إذ ليست فترة مؤقتة ولا مرحلة عمرية ولهذا فرنه بالحي ليؤكد ذلك، وفي حديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : **(يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي)** رواه مسلم.

وفي حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ: **(إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ)**رواه مسلم .

رابعا : أن القيوم لا يزول، ولا ينقص بعد كمال،فمن تمام قيُّوميّته أنه لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ، فإن السِّنة والنوم فيهما زوال ينافي القيومية، لما فيهما من النقص بزوال كمالِ الحياة والعلم والقدرة، فإن النائم يحصل له من نقص العلم، والقدرة والسمع والبصر والكلام, وغير ذلك ما يظهر نقصه بالنسبة إلى الشيطان. ولهذا كان النوم أخا الموت، فالله عز وجل هو القائم بنفسه الذي بلغ مطلق الكمال في كل وصف.

ووجه دلالة اسمه تعالى القيوم على كماله سبحانه : أن الخلائق ليست قائمةً بنفسها، مهما بلغت في القوة وامتلكت من الغنى والسلطان، بل هي مفتقرة للحيّ القيّوم الذي يحييها ويقيمها، فهو سبحانه القيوم لأهل السّماوات والأرض القائم بتدبيرهم وأرزاقهم وجميع أحوالهم، فهذا دليل واضح على كمال صفاته الموجبة لذلك .

تعلمت من اسمه تعالى القيوم ما يأتي :

- أن الحياة لا قيمة لها ولا وجود لها إلا بالله تعالى ، وقال الغزالي " ومدخل العَبْد فِي هَذَا الْوَصْف بِقدر استغنائه عَمَّا سوى الله تَعَالَى " .

- أن أقدم حوائجي بين يدي الله تعالى في سجود أو في دعاء ، قَالَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: "تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)** سبق تخريجه في مبحث حقيقة الاسم الأعظم.

يا رب، أنت لست محتاجاً إلى — أحد والكل محتاج إليك

يا عليم السر في أغواره كيف — للأسرار أن تخفى عليك

كل شيء بك باق دائماً — والذي تقضيه مكتوب لديك

يا مضيء النجم يا قيوم يا — ناقل الأطيار من أيك لأيك

- أن أقوم على حوائجي وحوائج أهلى وكل من له صلة بي مستعينا بالله تعالى القيوم ، قال صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**). رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

كما تعلمت منه[74] ما يأتي :

- أن العبد المؤمن حينما يدرك أن الله تعالى قيوم قائم بالقسط والتدبير، ومنفرد بالمشيئة والتقدير، عنده خزائن كل شيء، لا ينزله إلا بقدر معلوم، وأنه كفيل قائم بأمره ورزقه، أدى ذلك إلى اعتماده على ربه في كل شيء، ووثق به دون كل شيء، وقنع بكل ما جاءه من ربه، وصبر على ما ابتلاه به، فلا يطمع في سواه، ولا يرجو إلا إياه، ولا يشهد في العطاء إلا مشيئته ولا يرى في المنع إلا حكمته، ولا يعاين في القبض والبسط إلا قدرته وقيوميته، فيكثر من دعائه وذكره لاسيما إذا حزبه هم أو لحقه كرب، وقد تقدم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كان النّبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمرٌ، وفي رواية أخري إذا حزبه أمر قال:(**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**) رواه الترمذي.

- **وتعلمت من معنى اسم الله القيوم المعرفة الحقيقية لقدر الدنيا**، معرفة معنى اسم القيوم لا يجعل للدّنيا في قلب عبد قيمة ولا حيزاً، بل يتعامل معها كما يتعامل مع شيء لا يملكه، ولا يتحكم فيه، فوجب عليه أن يقوم بما كلّفه مولاه القيّوم علمًا وعملاً، والله هو القائمٌ بأمره المدبر لشئونه.

- **قال العلماء : من أدب المؤمن مع اسم القيوم**، أن يعوّد نفسه انقطاع قلبه عن الخلق، مادام يعرف أن الله هو القائم بأمره، حتى قال بعض العارفين: حسبك من التوكل ألا ترى لنفسك ناصراً غيره، فهل يليق بعاقل أن يجعل لربه الحي القيوم شريكاً في الخلق والتدبير والعبودية؟ فماذا بعد الحق إلا الضلال؟.. وماذا بعد النور إلا الظلام..؟: قال سبحانه: (**بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**) [الرعد: 33].

- **اسم القيوم يعطي** : راحة القلب وسلامة البال؛ فمن علم أن الله هو القيوم استراح من كد التدبير، وتعب التفكير، وعاش براحة النفس، يعني أن ما قدره الله سيكون، وما كتب له لن ينال أحد سواه، وما لم يقدره فليس إليه سبيل قط، والله عز وجل لا ينسى ولا يغفل، وأمر الخلق جميعا بيده، فإذا تيسر لك شيء فالحمد لله.

74/ السابق : باختصار شديد .

10-8/ في رحاب أسمائه تعالى

الْخَالِق البارئ المصور

عرفت أن من معاني هذه الأسماء العظيمة : ما يأتي :

1/عرفت أن الخالق : **هو الذي ينشئ الشيء من العدم بتقدير وعلم ثم بتصنيع وخلق عن قدرة وغنى ، فالخالق هو الذي قدَّر بعلم وصنع بقدرة فخلق الشيء من العدم.**

- ولا يقدر أحد غير الله أن يخلق كائنا حيا يدرك ذاته ويدرك الكون المحيط به ويدرك خالقه ، قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)** سورة الحج (73) .

2/ كما عرفت أن هذه الأسماء الثلاثة ليست مترادفة:

يقول حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : قد يظنّ أَن هَذِه الْأَسْمَاء مترادفة وَأَن الْكل يرجع إِلَى الْخلق والاختراع وَلَا يَنْبَغِي أَن يكون كَذَلِك بل كل مَا يخرج من الْعَدَم إِلَى الْوُجُود فيفتقر إِلَى تَقْدِير أَولا وَإِلَى الإيجاد على وفْق التَّقْدِير ثَانِيًا وَإِلَى التَّصْوِير بعد الإيجاد ثَالِثا وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **خَالق** من حَيْثُ أَنه مُقَدّر **وبارئ** من حَيْثُ أَنه مخترع موجد **ومصور** من حَيْثُ أَنه مُرَتّب صور المخترعات أحسن تَرْتِيب .

وكل ذَلِك يرجع إِلَى التَّقْدِير فَهُوَ بِاعْتِبَار تَقْدِير هَذِه الْأُمُور **خَالق** وَبِاعْتِبَار الإيجاد على وفْق التَّقْدِير **مُصَور** وَبِاعْتِبَار مُجَرّد الإيجاد والإخراج من الْعَدَم إِلَى الْوُجُود **بارئ** والإيجاد الْمُجَرّد شئ والإيجاد على وفْق التَّقْدِير شَيْء آخر وَهَذَا يحْتَاج إِلَيْهِ من يستبعد رد الْخلق إِلَى مُجَرّد التَّقْدِير مَعَ أَن لَهُ وجه فِي اللُّغَة .

- إن روعة هذا الكون وجماله وعظمته قبسة من إبداع الخالق العظيم سبحانه في خلقه للأشياء وتصويره لها، ورحم الله القائل:

لله في الآفاق آيـات لعـلّ أقلّها	**هو ما إليه هـــــداكَ**

ولعل ما في النفـس من آيــاته عَجَبٌ عُجابٌ لو ترى عينــاكَ

والكون مشحـون بأســرار إذا حاولت تفسيراً لها أعيــاكَ

قل للطبـيب تخطفته يد الــردى من يا طبــيب بطبِّــه أرداكَ

قل للمريض نجــا وعوفي بعدما عجزت فنون الطب من عــافاكَ

قل للصحـــيح يموت لا من علة من بالمنـايا يا صحيح دهــاكَ

قل للبصـير وكــان يحذر حفرة فهوى بها من ذا الذي أهــواكَ

بل سائل الأعمى خطا بين الزحام بلا اصطــدام من يقود خطاكَ

قل للجنينِ يعيش معزولاً بلا راعٍ ومرعى ما الذي يرعاكَ

قل للوليدِ بكى وأجهشَ بالبكاء لدى الولادةِ ما الذي أبكاكَ

وإذا ترى الثعبانَ ينفُثُ سُمَّهُ فاسألْه من ذا بالسموم حشاكَ

واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيى وهذا السمُ يملأ فاكَ

واسأل بطونَ النحلِ كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاكَ

بل سائلِ اللبنِ المصفى كان بين دمٍ وفَرْثٍ ما الذي صفّاكَ

قل للنبات يجفُ بعد تَعَهُدٍ ورعايةٍ من بالجفاف رماكَ

وإذا رأيت النبتَ في الصحراءِ يربو وحدَه فسأله من أرباكَ

وإذا رأيت البدرَ يسري ناشراً أنوارَه فاسأله من أسراكَ

واسأل شعاعَ الشمسِ يدنو وهي أبعدُ كل شيءٍ ما الذي أدناكَ

ستجيبُ ما في الكون من آياته عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناكَ

- (إنه ليس في المعلومات أظهر من كون الله: **(خالقاً)**، ولهذا أقرت به جميع الأمم – مؤمنهم وكافرهم – ولظهور ذلك؛ وكون العلم به بديهياً فطرياً؛ احتج الله به على من أشرك به في عبادته فقال: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [الزمر: 38]، في غير موضع من كتابه.

فعلم أن كونه سبحانه **(خالقاً)**: من أظهر شيء عند العقول، فكيف يكون الخبر عنه بذلك مجازاً؛ وهو أصل كل حقيقة، فجميع الحقائق تنتهي إلى خلقه وإيجاده، فهو الذي خلق وهو الذي علم، كما قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق: 1-5]. قاله ابن القيم.[75]

ووجه دلالة هذه الأسماء على كماله سبحانه : أنها تدل على كمال علمه وقدرته وحكمته في خلقه للكائنات وحسن تصرفه وتدبيره لها بما لا يتصوره عقل أو يصل إليه خيال .

عرفت أن من آثار هذه الأسماء الحسنى الْخَالِق البارئ المصور [76]:

- في جسد الإنسان أكثر من مائة تريليون خلية، وداخل كل خلية من هذه الخلايا أجهزة وأعمال ونوى وبرامج وخرائط ومعلومات، كلها تسبح ربها جل وعز وتؤدي دورها على أحسن وأفضل ما يكون.

- في كل خلية (31) مليار حرف من الحمض الوراثي النووي؛ الذي هو ذو حروف أربعة وهو عبارة عن مادة وراثية موجودة في نواة البويضة ومسؤولة عن جميع وظائف الجسم الحيوية المختلفة.

وهذه الأعداد الهائلة من الحروف النووية الحمضية، وهذه الكميات الهائلة من الذرات والخلايا الموجودة في جسدك كلها ناطقة ومعترفة بعظمة الله سبحانه وتعالى وأنه الخلاّق.

75/ مختصر الصواعق المرسلة – (328/2) – نقلا عن موقع الدرر السنية .

76/ مقتبس من مقال بعنوان : الله الخالق الخلاق – للأستاذ حسام بن عبدالعزيز الجبرين – موقع الألوكة الشرعية .

- كما أن في الإنسان ما بين (500 - 600) مليون حيوان منوي تمر عبر المهبل، وكل واحد من هذه الحيوانات قابل لأن يكون إنسانا بإذن الله عز وجل، ولكن الله سبحانه وتعالى بقدرته وحكمته يختار واحد من هذه الملايين يقوم بتلقيح البويضة؛ ليكون هذا الإنسان السوي المختار.. الناطق العاقل.. المتصرف في شؤونه بإذن ربه.

- هكذا خُلقنا فلنتواضع لعظمة الله عز وجل وكبريائه! ولنتذكر البداية التي كنا منها؛ لندرك الفرق الهائل بين هذه النطفة وهذا الإنسان السوي.

- والآن ارفع رأسك إلى السماء حين يمسيك الليل ففوق رأسك ثمّة مليارات المجرات والمجرّة عبارة عن تجمّع من النجوم المختلفة الواسعة الكثيرة الهائلة والمسافات في النجوم والمجرات لا يقدرها المختصون بالكيلو متر وإنما بسرعة الضوء! والضوء يقطع في الثانية الواحدة 300 ألف كيلو متر ويقطع الضوء في ساعة واحدة قرابة مليار كيلو متر!!

- والمجرات خلق عظيم جدا حتى قال المختصون لو افتُرِض أن مركبة تسير بسرعة الضوء لاحتاجت إلى عدة آلاف من السنوات حتى تجتاز مجرة واحدة من هذه المجرات، فما بالك بما وراءها قال الحق سبحانه (**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ**)[الحاقة: 38، 39] وقال جل جلاله (**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**) [الواقعة: 75، 76].

- إن الإنسان قد يكبر في عين نفسه لكنه لو نظر إلى هذه المخلوقات الهائلة الضخمة العظيمة؛ لأورثه ذلك تواضعا وذُلاً وانكساراً لربنا تبارك وتعالى وتعظيماً وإجلالاً وخوفاً وتوكلاً..

- إن هذه المجرات التي نتحدث عنها تضم المجرة منها ما بين مائة بليون إلى ألف بليون نجم!! ولا يزال العلم يكتشف كل يوم الجديد في هذا الفضاء مع أن وسائل الكشف لا زالت عاجزة قاصرة عن إدراك ما وراء ذلك كله.

تعلمت من أسمائه تعالى الْخَالِق البارئ المصور : ما يأتي :

- أَن العبد يحصِّل فِي نَفسه صُورَة الْوُجُود كُله على هَيئته وترتيبه حَتَّى يُحِيط بهيئة الْعَالم وترتيبه كُله كَأَنَّهُ ينظر إِلَيْهَا - أي يتخيلها - ثمَّ ينزل من الْكل إِلَى التفاصيل فيُشرِف على صُورَة الْإِنْسَان من

حَيْثُ بدنه وأعضائه الجسمانية فَيعلم أَنْوَاعهَا وعددها وتركيبها وَالْحكمَة فِي خلقهَا وترتيبها ثمَّ يشرف على صفاتها المعنوية ومعانيها الشَّرِيفَة الَّتِي بهَا إدراكاته وإرادته.

وَكَذَلِكَ يعرف صُورَة الْحَيَوَانَات وَصُورَة النَّبَات ظَاهرا وَبَاطنا بِقدر مَا فِي وَسعه حَتَّى يحصل نقش الْجَمِيع وَصورته فِي قلبه وكل ذَلِك يرجع إِلَى معرفَة صُورَة الجسمانيات، وَهِي معرفَة مختصرة بِالْإِضَافَة إِلَى معرفَة تَرْتِيب الروحانيات وَفِيه يدْخل معرفَة الْمَلَائِكَة وَمَعْرِفَة مَرَاتِبهمْ وَمَا وكل إِلَى كل وَاحِد مِنْهُم من التَّصَرُّف فِي السَّمَوَات وَالْكَوَاكِب ثمَّ التَّصَرُّف فِي الْقُلُوب البشرية بالهداية والإرشاد ثمَّ التَّصَرُّف فِي الْحَيَوَانَات بالإلهامات الهادية لَهَا إِلَى مَظَنَّة الْحَاجَات . قاله الغزالي .

- **أن الإيمان باسمه الخالق يستلزم قبول شرعه وتعظيم أمره والعمل به والتحاكم إليه** وعدم الرضا بغيره بديلا لأنه الشرع الصادر عن الخالق العليم الحكيم سبحانه (**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)[الملك: 14].

- **الإيمان باسمه الْخَالِق البارئ المصور** يقتضي الإقرار بعلم الخالق سبحانه بجزئيات خلقه صغيرها وكبيرها (**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)[الملك: 13، 14].

من الآثار الإيمانية بمعرفة الْخَالِق البارئ المصور تعظيم الله عز وجل وإجلاله وذلك عند معاينة مخلوقاته العظيمة في الآفاق وفي الأنفس ؛ لأن عظمة هذه المخلوقات ودقتها وانتظامها يدل على عظمة خالقها (**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**)[77] [النمل: 88].

77/ المرجع السابق .

11/ في رحاب اسمه تعالى

الخلاق

عرفت أن من معاني اسم الله الخلاق : ما يأتي :

سبق وأن تحدثنا عن اسمائه تعالى الخالق والبارئ والمصور وذكرنا أن الخلق : ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه،إذن فالله يخلق من العدم بخلاف الإنسان فهو يصنع شيئا من جملة أشياء موجودة ،فهو تبارك وتعالى يخلق الشيء دون أن يكون له سابقة وجود على الإطلاق ، ولقد أكد عز وجل على مسألة الخلق من العدم المطلق في العديد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : (**قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**) . سورة مريم (9) .

أما اسم الله الخلاق فهو :

- من أفعال المبالغة من الخالق تدل على كثرة خلق الله تعالى وإيجاده، فكم يحصل في اللحظة الواحدة من بلايين المخلوقات التي هي أثر من آثار اسمه سبحانه الخلاق.

وقد جاء الاسم بصيغة المبالغة مرتين في القرآن الكريم في قوله تعالى : (**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ**)الحجر:(86)و (**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ**) يّس(81) .

عرفت أن هناك فرقا بين اسميه تعالى الخالق والخلاق [78]:

أن الخالق : هو الذي يُنشِئُ الشيءَ مِن العدم بتقديرٍ وعِلمٍ ثُمَّ بتصنيعٍ وخَلْقٍ عن قُدرةٍ وغنًى.

أما الخَلَّاقُ : فهو الَّذِي يُبدعُ في خَلْقِهِ كمًّا وكيفًا:

78/ من مقال بعنوان : معنى اسم الخالق والخلاَّق - الشيخ وحيد عبدالسلام بالي – شبكة الألوكة الشرعية .

- **فمِنْ حيثُ الكمِّ** : يخلقُ ما يشاء كما قال: **(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا)** النساء (133) وقال: **(وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ)** [الأنعام: 133.]

وأما مِنْ حيثُ الكيفِ: فقال تعالى: ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل: 88.]

وقال: ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [التغابن(3)

وقال: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ النحل(8).

فالخَلَّاقُ هوَ الذي يُبدعُ في خلقه كمًّا وكيفًا بقدرتِهِ المطلقَةِ، فيعيدُ ما خلق ويكرِّرُه كما كان، بل يَخلُقُ خَلقًا جديدًا أحسَنَ مما كان.

- لقد صنع الإنسان السيارة والقطار والطائرة والصاروخ والقمر الصناعي والتلفاز والمذياع وغير ذلك كثير ، ولكن البشرية جمعاء لن تستطيع خلق ذبابة ولو اجتمعت في صعيد واحد ، والسبب هو أن الذبابة كائن تدب فيه الحياة بنفخة من الله عز وجل لا يملكها سواه.

فالحق سبحانه وتعالى إذا أراد أن يخلق شيئا فإنما يقول له (كُن فَيَكُونُ) دون أدنى جهد أو إعياء ؛ وفي ذلك يقول تبارك وتعالى : **(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)** سورة آل عمران (59) .

ووجه دلالة اسمه تعالى الخلاق على كماله سبحانه : أن تخليقه تعالى سبحانه للكائنات فيه من الدقة والإحكام وحسن التنظيم ما تحار فيه العقول وتطير له الأفئدة ، ولقد صور أحد الأدباء ذلك بعبارات رشيقة فقال : " إذا تأملت هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج إليه فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم منورة كالمصابيح ، والإنسان كما لك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه ، وضروب الحياة مصروفة لمصالحه " فهذه جملة واضحة داله على أن العالم مخلوق بتدبير كامل ، وتقدير شامل ، وحكمة بالغة ، وقدرة غير متناهية " .

تعلمت من هذا الاسم [79] ما يأتي :

1/ الله خالق كل شيء وكل ما سوى الله مخلوق .: فإذا كان الحق جل وعلا هو الخالق المحدث المبدع .. فإنه إذن وحده المستحق للعبادة والمستحق للشكر , وعبادة غيره ظلم للنفس وحياد عن الحق , وفي ذلك يقول جل شأنه : (**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ)** سورة النحل (20) .

2/ أن الله لم يزل خالقا كيف شاء ومتى شاء (وربك يخلق مايشاء ويختار)بمعنى أن الله اتصف بالخلق قبل أن يخلقنا جميعا ،وليس بعد خلق الخلق استفاد صفة الخلق واسم الخالق.

3/ خلق الله كل شيء من العدم ، وخلقه سبحانه عظيم محكم فلا يتهيأ لمخلوق أن يخلق مثله سبحانه (**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**) سورة لقمان(11) .

ومن الطريف أن أحد الملحدين قال يوماً : أنا أخلق ! فقيل له : أرنا خلقك ؟ فأخذ لحماً فشرَّحه ، ثم جعله في إناء وأغلقه .. وبعد ثلاثة أيام فتح الإناء فإذا هو ملآن بالدود ، فقال : هذا خلقي.!!

فقال له بعض الحضور : أنت خلقت هذا ؟فأجاب بزهو وغرور : نعم ،قال فكم عدده ؟ فلم يجب ، فقال : كم منه ذكور وكم منه إناث ، وهل تقوم برزقه ؟ فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ، فقال له : الخالق الذي أحصى كل ما خلق عدداً ، وعرف الذكر من الأنثى ، ورزق ما خلق ، وعلم مدة بقائه وعلم نفاذ عمره.

4/ لكل خلق هدف وغاية فلا بد أن يدرك الإنسان الغاية من خلقه ، ويقصد خالقه وحده بالعبادة قال تعالى : (**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**) (الأنعام:102) .

5/ وحدة الخلق تدل على وحدانية الخالق : فلو فرضنا أن هناك آلهة غير الله أليس من العقلي أن يكون لها مخلوقات تختلف عن ما خلق الله كعباد البقر الهنود مثلا أوعبدة الأوثان(**قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ**

79/ السابق- بتصرف .

مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) الأحقاف (4) ،لكن علم الطب في العالم كله واحد لأن بنية الإنسان واحدة وإن اختلف دينه أو عرقه أو جنسه ، ومثل هذا يقال عن بقية الكائنات الطيور الوحوش البهائم ،وحدة خلقها تدل على وحدانية الخالق **(أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)**الرعد (16) .

ومن ذلك قولُهُ تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: 21]، إلى قولِهِ: **(فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)** البقرة:(24) . فهذا استدلالٌ في غايَةِ الظهورِ، ونهايَةِ البَيانِ على جميعِ مطالبِ أُصولِ الدِّين: مِنْ إثباتِ الصانعِ، وصِفاتِ كمالِهِ من قُدرتِهِ وعِلمِهِ وإرادتِهِ وحياتِهِ وحكمتِهِ وأفعالِهِ، وحُدوثِ العالمِ، وإثباتِ نَوْعَيْ توحِيدِهِ تعالى: توحيدِ الرُّبوبيةِ المُتَضَمِّنِ أنَّه وحدَهُ الربُّ الخالقُ الفاطِرُ، وتوحيدِ الإلهيَّةِ المتضمِّنِ أنَّهُ وحدَهُ الإلهُ المعبودُ المَحبوبُ، الذي لا تصلحُ العبادةُ والذلُّ والخضوعُ والحبُّ إلا له.

ثم قال تعالى (**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)** البقرة (22).

قال الإمام ابن كثير : وهذه الآية دالة على توحيده - تعالى - بالعبادة وحده لا شريك له ، فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه ، كما **قال بعض الأعراب وقد سئل : ما الدليل على وجود الله - تعالى -؟ فقال : يا سبحانه الله!! إن البعير ليدل على البعير؛ وإن أثر القدم يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل هذا على وجود اللطيف الخبير .**

12/ في رحاب اسمه تعالى

السميع

عرفت أن من معاني اسم الله السميع : ما يأتي :

قال الخطابي رحمه الله : السميع : هو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت ، والنطق والسكوت،

وقال الغزالي رحمه الله : السميع : هُوَ الَّذِي لَا يعزب عَن إِدْرَاكه مسموع وَإِن خَفِي فَيسمع السِّرّ والنجوى بل مَا هُوَ أدق من ذَلِك وأخفى وَيدْرك دَبِيب النملة السَّوْدَاء على الصَّخْرَة الصماء فِي اللَّيْلَة الظلماء يسمع حمد الحامدين فيجازيهم وَدُعَاء الداعين فيستجيب لَهُم .

ويقول ابن القيم رحمه الله في قصيدته النونية :

وهو السَّميعُ يَرى ويَسْمعُ كلَّ ما   في الكون من سِرٍّ ومن إعلانِ

ولكلِّ صوتٍ منه سمعٌ حاضرٌ   فالسِّرُّ والإعلان مستويـانِ

والسَّمعُ منه واسعُ الأصواتِ لا   يخفى عليه بعيدُها والداني

كما عرفت أن السميع : ورد في قي القرآن الكريم قريباً من خمسين آية في كتاب الله، قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ، وقد اقترن هذا الاسم مع اسم العليم في ثلاثين آية، ومع اسم البصير في عشر آيات، ومع اسم القريب في آية واحدة .

كما عرفت أن السماع في حقه تعالى له ثلاثة معان :

1/ سَمْعُ إِدْرَاكٍ : ومُتَعَلَّقُهُ الأصواتُ، ومنه قوله تعالى (**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**) [المجادلة:1].

2/ قد يكون بمعنى القبول والإجابة : فمن معاني السميع: المُستجيب لعباده إذا توجهوا إليه بالدعاء وتضرعوا، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (**اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع**

ومن دعاء لا يُسمع) (صحيح الجامع:1297). أي: من دعاء لا يُستجاب ، ومنه قولنا: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ"، أيْ: اللهم أَجِبْ وَأَعْطِ مَن حَمِدَك.

3/ وقد يكون بمعنى التهديد والوعيد : ومنه قوله تعالى : **(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)** [آل عمران:181].

ووجه دلالة اسمه تعالى السميع على كماله سبحانه : ما ورد في قصة دعوة الخليل عليه السلام لأبيه للإسلام ونبذ عبادة الأصنام حيث قال له : (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا) سورة مريم (42) ، **فنفى الألوهية عن الأصنام بسبب فقدانها للسمع والبصر فدل ذلك على أنهما صفتي كمال للإله الحق ، قال السعدي رحمه الله " ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى" .**

تعلمت من اسمه تعالى السميع[80] ما يأتي :

1- إثبات صفة السمع له سبحانه وتعالى : كما وصف الله عزَّ وجلَّ نفسه. فهو سبحانه سميع ذو سمع، ونحن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه بلا تحديد أو تكييف، يقول تعالى: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** [الشورى:11].

2- **إن سمع الله تبارك وتعالى ليس كسمع أحد من خلقه :** فسمعه سبحانه وتعالى مُستغرق لجميع المسموعات، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن دق وخفي، سرًا كان أو جهرًا. فعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: "**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول، فأنزل الله: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا..)** رواه ابن ماجه، وصححه الألباني .

3- تعلمت أن ألا أتكلم بكلام لا يرضاه : فهل يليق أن أُسمعه سباً أو شتماً أو غيبة أو نميمة أو كذبا إلى آخر هذه القائمة من الكلام المذموم .

80/ ملخص مع زيادات من المقصد الأسنى – للغزالي ، وشرح اسمه تعالى السميع – موقع الكلم الطيب .

4- أن أستمع إلى كلامه تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى كل كلام طيب مما يقوله الصالحون والحكماء والعلماء من هذه الأمة ، بل وإلى كل علم يفيدني في ديني ودنياي .

5- أن أدوام على سؤال الله تبارك وتعالى : فهو سبحانه وتعالى سميع الدعاء، فألوذ به تعالى والجأ إليه بكثرة الدعاء، وآخذ بأسباب الإجابة حتى يكون دعائي أحرى للقبول إن شاء الله تعالى، وقد ورد الدعاء باسم الله تعالى السميع في أكثر من موضع من الكتاب والسُّنَّة، منها: دعاء إبراهيم عليه السلام: **(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** [البقرة:127].

وقوله تعالى عن امرأة عمران: **{إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** [آل عمران:35].

ودعاء زكريا عليه السلام: **{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}** [آل عمران:38]، وعن أبان بن عثمان قال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات، فيضره شيء)**رواه أبو داوود وصححه الألباني .

6- أن أحفظ سمعي كي يستجب الله دعائي: فكما إن الله سبحانه وتعالى سميع مُجيب للدعاء، ينبغي أن لا يَسمع العبد سوى ما يحبه ربُّه ويرض، أما إذا صرف العبد حاسة السمع في ما لا يُرضي الله عزَّ وجلَّ؛ كسماع الأغاني والمعازف وسماع المُنكرات، أو التجسس على الناس، ستكون عقوبته من جنس عمله، فلا يستجيب الله تعالى لدعائه. وحاسة السمع من أهم الحواس وأقواها في الإداراك، لذا قدمها الله تعالى في كلامه عن حواس البشر، قال تعالى: **(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)**[الإسراء:36] .

13/ في رحاب اسمه تعالى

البصير

عرفت أن من معاني اسم الله البصير- جلّ وعلا :[81] ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه : البصير** : هو الَّذي قد كمل في بصره، أحاط بصرُه بجميع المبْصَرات في أقطار الأرض والسَّموات، حتَّى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيبَ النَّملة السَّوداء، على الصَّخرة الصمَّاء، في اللَّيلة الظَّلماء، وجَميع أعضائِها الباطنة والظَّاهرة، وسريان القوت في أعضائِها الدَّقيقة، ويرى سرَيان المياه في أغصان الأشْجار وعروقِها، وجميع النَّباتات على اختلاف أنواعها وصِغَرها ودقَّتها، ويرى نياط عروق النَّملة والنَّحلة والبعوضة وأصغر من ذلك، ويَرى خيانات الأعيُن، وتقلُّبات الأجفان، وحركات الجنان، ويرى ما تحت الأرَضين السَّبع، كما يرى ما فوق السَّماوات السَّبع .

- **وقال ابن القيّم - رحمه الله :**

وَهُوَ البَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السْ سَوْدَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَّانِ

وَيَرَى مَجَارِي القُوتِ فِي أَعْضَائِهَا وَيَرَى عُرُوقَ بَيَاضِهَا بِعِيَانِ

وَيَرَى خِيَانَاتِ العُيُونِ بِلَحْظِهَا وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ

وقال آخر :

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ البَعُوضِ جَنَاحَهَا فِي ظَلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَلْيَلِ

وَيَرَى نِيَاطَ عُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا وَالمُخَّ مِنْ تِلْكَ العِظَامِ النُّحَّلِ

ويرى خريرَ الدمِ في أوداجها متنقلاً من مفصل في مفصلِ

ويرى وصول غذا الجنين ببطنها في ظلمة الأحشا بغير تمقلِ

81/ من مقال بعنوان شرح اسمه تعالى البصير - د. أمين بن عبدالله الشقاوي – الألوكة الشرعية – باختصار.

ويرى مكان الوطء من أقدامها في سيرها وحثيثها المستعجلِ

ويرى ويسمع حس ما هو دونها في قاع بحرٍ مظلمٍ متهولِ

امْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ

ووجه دلالة اسمه تعالى البصير على كماله سبحانه : ما ورد في قصة دعوة الخليل عليه السلام لأبيه للإسلام ونبذ عبادة الأصنام حيث قال له : (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا) سورة مريم (42) ، فنفى الألوهية عن الأصنام بسبب فقدانها للسمع والبصر فدل ذلك على أهنما صفتي كمال للإله الحق ، قال السعدي رحمه الله " ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى " .

وتعلمت من اسمه تعالى البصير [82] ما يأتي :

- **أن العَبْد من حَيْثُ الْحس من وصف الْبَصَر ظَاهر وَلكنه ضَعِيف قَاصِر** إِذْ لَا يَمْتَد إِلَى مَا بَعُد - أي نظره محدود ولا يرى ما وراء الجدران - وَلَا يتغلغل إِلَى بَاطِن مَا قرب بل يتَنَاوَل الظَّوَاهِر وَيقصر عَن البواطن والسرائر.

- **أن يعلم العبد أَنه خلق لَهُ الْبَصَر لينْظر إِلَى الْآيَات وَإِلَى عجائب الملكوت وَالسَّمَوَات** فَلَا يكون نظرة إِلَّا عِبْرَة قيل لعيسى عَلَيْهِ السَّلَام هَل أحد من الْخلق مثلك فَقَالَ من كَانَ نظره عِبْرَة وصمته فكرة وَكَلَامه ذكرًا فَهُوَ مثلي .

- **أَن يعلم العبد أَنه بمرأى من الله عز وَجل ومسمع** فَلَا يستهين بنظره إِلَيْهِ واطلاعه عَلَيْهِ وَمن أخْفى عَن غير الله مَا لَا يخفيه عَن الله فقد استهان بِنَظَر الله عز وَجل والمراقبة إِحْدَى ثَمَرَات الْإِيمَان بِهَذِهِ الصّفة فإذا علِمْنا أنَّ الله بصيرٌ، حملَنا ذلك على حِفْظ الجوارح وخطرات القلوب عن كلِّ ما لا يُرْضِي الله، وحملَنا أيضًا على خشْيته في السِّرِّ والعلانية، في الغَيب والشهادة؛ لأنَّه

82/ المقصد الأسنى – للغزالي - ومقال بعنوان شرح اسمه تعالى البصير - د. أمين بن عبدالله الشقاوي – الألوكة الشرعية .

يرانا على كلِّ حال، فكيف نَعْصيه مع عِلْمنا باطِّلاعه عليْنا؟! قال تعالى: **(الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)** [الشعراء: 218-219]، ومن علم أنَّه يراه أحسن عملَه وعبادته.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هُريرة - رضِي الله عنْه - أنَّ النَّبيَّ - صلَّى الله عليْه وسلَّم - قال عن الإحسان: **(أن تعبُد الله كأنَّك تراه، فإنْ لَم تكُن تراه فإنَّه يراك)**.قال النَّووي - رحمه الله -: **"هذا من جوامع الكلِم الَّتي أُوتيها - صلَّى الله عليْه وسلَّم لأنَّا لو قدرنا أنَّ أحدنا قام في عبادة وهو يُعايِن ربَّهوتعالى لَم يترك شيئًا ممَّا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحُسْن السَّمت، واجتماعه بظاهره وباطنه، وعلى الاعتِناء بتتْميمها على أحسن وجوهِها إلاَّ أتى به"** .[83]

83/ شرح صحيح مسلم - للنووي (1/ 157 - 158).

14/ في رحاب اسمه تعالى

القدوس

عرفت أن من معاني اسمه القدوس سبحانه ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : القدوس : هُوَ المنزه عَن كل وصف يُدْرِكهُ حس أَو يتصوره خيال أَو يسْبق إِلَيْهِ وهم أَو يختلج بِهِ ضمير أَو يقْضِي بِهِ تفكير وَلست أَقُول منزه عَن الْعُيُوب والنقائص فَإِن ذكر ذَلِك يكَاد يقرب من ترك الْأَدَب فَلَيْسَ من الْأَدَب أَن يَقُول الْقَائِل ملك الْبَلَد لَيْسَ بحائك ولاحجام فَإِن نفي الْوُجُود يكَاد يُوهم إِمْكَان الْوُجُود وَفِي ذَلِك الْإِيهَام نقص .

ثم يتابع في كلام ماتع : "**بل أَقُول القدوس هُوَ المنزه عَن كل وصف من أَوْصَاف الْكَمَال الَّذِي يَظُنّهُ أَكثر الْخلق كمالا فِي حَقه لِأَن الْخلق أَولا نظرُوا إِلَى أنفسهم وَعرفُوا صفاتهم وأدركوا انقسامها إِلَى مَا هُوَ كَمَال وَلكنه فِي حَقهم وَإِلَى مَا هُوَ نقص فِي حَقهم مثل جهلهم وعجزهم وعماهم وصممهم وخرسهم فوضعوا بِإِزَاءِ هَذِه الْمعَانِي هَذِه الْأَلْفَاظ ثمَّ كَانَ غايتهم فِي الثَّنَاء على الله تَعَالَى وَوَصفه أَن وصفوه بِمَا هُوَ أَوْصَاف كمالهم وَالله تَعَالَى منزه عَن أَوْصَاف كمالهم كَمَا أَنه منزه عَن أَوْصَاف نقصهم بل كل صفة تتَصَوَّر لِلْخلقِ فَهُوَ منزه ومقدس عَنْهَا وَعَما يشبهها ويماثلها وَلَوْلَا وُرُود الرُّخْصَة وَالْإِذْن بإطلاقها لم يجز إِطْلَاق أَكْثَرهَا**" .

- وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته :

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التـ   ـنزيه بالتعظيم للرحمن

- وقال أحد العلماء : "القدُّوس من **طهَّر نفوس العابدين** بإبعادهم عن دنس المخالفات واتباع الشهوات ، والقدُّوس: من **طهّر قلوب الزاهدين** من حب الدنيا والقدُّوس من **طهّر قلوب العارفين** مما سواه" ، كأنه يشير إلى مراتبهم ، جعلنا الله منهم .

- ومن معانيه أن كل تنزيه توجه به الخلق إليه فهو عائد إليهم، لأنه تعالى في جلاله لا يقبل ما يُظن أنه يحتاج إلى تنزيه .

ووجه دلالة اسمه تعالى القدوس على كماله سبحانه : أن يقال : إن البشر عاجزون عن الإحاطة بشئ من كمالاته تعالى ، ولأنه تعالى منزه عن التنزيه فكيف يشار إليه بالتشبيه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الشورى (11) **لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.**

تعلمت من اسمه القدوس سبحانه : ما يأتي :

- أن أطهر قلبي عن كل ما لايليق بكماله سبحانه وأن أجعل اعتقادي في كماله تعالى هو ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

- أن أطهر نفسي من سائر الذنوب لأجله وحده ، وطلباً لرضاه ، كيف لا والملائكة وهي من هي قد قالت **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)** البقرة (30) أي نطهر أنفسنا من أجلك. مع العلم أن الله ليس في حاجة إلى ذلك كله بل العباد محتاجون إليه .

- أن أطهر قلبي عن التعلق بغيره تعالى فهو وحده المستحق للخوف والرجاء والطمع والحب والخشية . قال أحد العلماء : إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك مِمّا في يديك.

كما تعلمت منه ما يأتي :

- أن على العبد أَن ينزه إِرَادَته وَعلمه :

- **أما علمه** : فينزهه عَن المتخيلات والمحسوسات والموهومات وكل مَا يُشَارِكهُ فِيهِ الْبَهَائِم من الإدراكات بل يكون تردد نظره وتطواف علمه حول الْأُمُور الأزلية الإلهية المنزهة عَن أَن تقرب فتدرك بالحس أَو تبعد فتغيب عَن الْحس بل يصير متجردا فِي نَفسه عَن المحسوسات والمتخيلات كلهَا .

- **وأما إرادته :** فينزهها عن أن تدور حول الحظوظ البشرية التي ترجع إلى لذة الشهوة والغضب ومتعة المطعم والمشرب والمنكح – وما شاكلها من الشهوات – فلا يريد إلا الله عز وجل ولا يبقى له حظ إلا فيه ولا يكون له شوق إلا إلى لقائه ولا فرح إلا بالقرب منه سبحانه. قاله الغزالي .

- أن المؤمن يحتكم إلى القيم، ويحكمها، ولا يسخرها ولا يسخر منها، المؤمن له مرتبة أخلاقية لا يهبط عنها، وله مرتبة علمية لا يزيغ عنها، وله مرتبة جمالية، هكذا، المؤمن شخصية فذة.

- **من كانت عنده عيوب في نفسه تلك المشكلة الحقيقية** لأن عيوب الجسد تنتهي مشكلتها عند الموت، لكن المشكلة الحقيقية مشكلة الأخلاق والإعراض عن الخلَّاق سبحانه ،إذا جاء ملك الموت يُنهي كل المشكلات، ولم يعد لأحد من هؤلاء مشكلة أبداً. كل أمراض الجسد تنتهي عند الموت، وكل أمراض القلب تبدأ عند الموت [84].

84/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي – باختصار وتصرف .

15/ في رحاب اسمه تعالى

السلام

عرفت أن من معاني السلام : ما يأتي :

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي تسلم ذَاته عَن الْعَيْب وَصِفَاته عَن النَّقْص وأفعاله عَن الشَّرّ حَتَّى إِذا كَانَ كَذَلِك لم يكن فِي الْوُجُود سَلامَة إِلَّا وَكَانَت معزية إِلَيْهِ صادرة مِنْهُ وَقد فهمت أَن أَفعاله تَعَالَى سَالِمَة عَن الشَّرّ أَعنِي الشَّرّ الْمُطلق المُرَاد لذاته لَا لخير حَاصِل فِي ضمنه أعظم مِنْهُ وَلَيْسَ فِي الْوُجُود شَرّ بِهَذِهِ الصّفة كَمَا سبق الْإِيمَاء إِلَيْهِ إِلَّا لله سُبْحَانَهُ .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى فينونيته :

وهو السلام على الحقيقة سالم   من كل تمثيل ومن نقصان

كما عرفت أن السلام : يتضمن سلامة أسمائه من كل ذم، وسلامة علمه من النقص، أو النسيان, فلا يعزب عنه مثقال ذرة، أو يغيب عنه قدر ذرة, وهو -سبحانه- السلام الذي سلم الخلق من ظلمه فلا يظلم أحداً.

كما عرفت أن السلام [85]: هو مصدر السلام والأمن، وكل من ابتغى السلامة عند غيره -سبحانه- فلن يجدها، سواء في الدنيا في قسمته أو في الآخرة في جزاءه, ولهذا المعنى صور ودلائل في دنيا البشر وآخرتهم :

أما في الدنيا فاسم السلام يتجلى في كل خطوة يخطوها الإنسان على الأرض من يوم خلقه إلى يوم وفاته، فالكون كله يمشي ويدور وفق أمن الله وسلامته -عز وجل- لهذا الكون، وإذا تأملت الكون أرضاً وسماءً ستجد أن السلام كامن في كل بقعة من بقاعه, فالكون يسير وفقاً لنظام محكم وثابت, تجده سالم من العطب وسالم من الاضطرابات والتصادم, والشمس تحافظ على بعد ثابت من الأرض لا تتجاوزه بالنقص أو بالزيادة، فلو اقتربت الشمس من الأرض لاحترقت كل الكائنات الحية، ولو بعدت لتجمدت كل الكائنات من البرودة, كل ذلك لتعيش الكائنات بسلام.

85/ باختصار من مقال بعنوان : مسك الكلام في فقه اسم الله السلام – موقع ملتقى الخطباء .

ثم إنه -عز وجل- وصف ليلة نزول خير كتبه وخاتمة شرائعه بأنها "سلام" وهي ليلة القدر ليلة نزول القرآن الكريم، ولن يتحقق سلام في الأرض أبدا طالماً لم يتحقق منهج الله ودستور السلام الذي نزل في ليلة السلام، وستظل البشرية معذبة حائرة تتخبط في أودية التيه والضياع حتى تهتدي إلي منهج السلام فتطبقه وتعمل به.هذا في الدنيا .

أما في الآخرة فإن الجائزة عظيمة والتجليات كبيرة، فالله -عز وجل- قد اختار"السلام" لأعظم جوائزه، وأغلى سلعة، فسمى الجنة "دار السلام"، وهو -سبحانه- السلام الذي خلق الجنة دار السلام وسلمها من الموت والمرض وسائر الآفات والأسقام، كما قال -سبحانه- عن المؤمنين: **(لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [الأنعام: 127] وسماها دارُ السلام، لأن الصائر إليها يسلم من كلّ آفة, ولأنها مبرأة من كل العيوب, ولأنها دار السلامة من كل متاعب الدنيا، فالدنيا مليئة بها الهموم والأحزان والآفات.

ولا يكون دخول المؤمنين الجنة إلا بسلام لا زحام فيه ولا تعب ولا عجز ولا لوم ولا عتاب بل سلام قال تعالى: (**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ**)[ق: 34], والملائكة قبل دخول المؤمنين دار السلام يبشرونهم (**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) .

ووجه دلالة اسمه تعالى السلام على كماله سبحانه : أنه يدل على تنزيه تعالى في ذاته وأسمائه وأفعاله من النقص والعيب ، وقد أثبت الله ذلك في عدد من الآيات ، منها قوله تعالى (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) البقرة (255) ، قال العلماء : نَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ النَّوْمَ لِأَنَّهُ آفَةٌ وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْآفَاتِ، وَلِأَنَّهُ تُغَيُّرٌ وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّغَيُّرُ.

وقوله تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوافَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) سورة ص (27).

قال ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر .

تعلمت منه : ما يأتي :

- إفشاء السلام في الأرض وأن أسلِّم على مَن أعرف ومَن لا أعرف لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ)**رواه مسلم ،ونحن نقول في صلاتنا دوماً : (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) . قال عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ -رضي الله عنهما-: "**ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ, وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ, وَالْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ**".

- وأن يسلم الناس من لساني ويدي فلا يتأذى أحد مهنم من لساني بشتم أو غيبة أو نميمة كما لا يجوز أن يتأذى أحد بيدي بضرب أو سرقة أو ترويع بسيارتي أو ما شابه ذلك من أنواع الأذى الحسي والمعنوي، لقول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.."[البخاري10].

- أن أعتقد جازماً أن كل سلامة عافية في حياتي وحياة البشر جميعاً بل وحياة جميع الأحياء إنما هي أثر من آثار أسمه تعالى السلام .

كما تعلمت منه[86] :

- أن العبد إذا عاش في ظلال هذا الاسم العظيم، وفهم متطلباته وواجباته، علم أن عليه تطبيق منهج الله -عز وجل- في حياته بأسرها، وأن هذا التطبيق هو طريق السلامة مع النفس ومع الله ومع الآخرين، فمن طبق منهج الله على نفسه، حقق السلامة لنفسه في الدنيا والآخرة، لأن الإنسان إذا خالف فطرته يُعذَّب تعذيباً شديداً مِن قِبَل ذاته، فيعيش حالة احتقار الذات، ويعيش حالة عقدة الذنب، ويعيش حالة الانهيار الداخلي، فأنت إذا بنيت مجدك على أنقاض الناس، وبنيت غناك على إفقارهم، وبنيت أمنك على خوفهم، وبنيت عزك على ذلهم، تشعر بانهيار داخلي، ولو كنت في أعلى مقام، تشعر باحتقار الذات، واختلال التوازن، لكنك إذا طبقت منهج الله -عز وجل- فإن هذا المنهج يفضي بك إلى سلام مع نفسك، وإلى سلام مع ربك، وإلى سلام مع من حولك، منهج الله -عز وجل- ينتهي بك إلى "السلام".

86/ المرجع السابق - بتصرف .

- **ومن أهم ما تعلمته من اسمه تعالى السلام :** أن يكون قلب العبد سليما من الشهوات والشبهات سليماً من الأمراض كالكبر والبغض والحسد, قال تعالى: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) الشعراء (88-89), فالقلب السليم هو المؤهل لدخول دار السلام.

- **قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله** : كل عبد سلم عَن الْغِشّ والحقد والحسد وَإِرَادَة الشَّرّ قلبه وسلمت عَن الآثام والمحظورات جوارحه وَسلم عَن الانتكاس والانعكاس صِفَاته فَهُوَ الَّذِي يَأْتِي الله تَعَالَى بقلب سليم .

وقال ابن القيم رحمه الله : "وهَلِ العَيْشُ فِي الحَقِيقَةِ إلا عَيْشُ القَلْبِ السَّلِيمِ؟ وقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَى خَلِيلِهِ؛ بِسَلَامَةِ قَلْبِهِ فَقَالَ: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الصافات: 83، 84].

وقَالَ حَاكِيًا عَنْهُ أَنَّه قَالَ: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: 88، 89]. والقَلْبُ السَّلِيمُ هو الذي سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ والغِلِّ والحِقْدِ والحَسَدِ والشُّحِّ والكِبْرِ، وحُبِّ الدُّنْيَا والرِّيَاسَةِ، فَسَلِمَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ تُبْعِدُهُ مِنَ اللهِ، وسَلِمَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ خَبَرَهُ، ومِنْ كُلِّ شَهْوَةٍ تُعَارِضُ أَمْرَهُ، وسَلِمَ مِنْ كُلِّ إرَادَةٍ تُزَاحِمُ مُرَادَهُ، وسَلِمَ مِنْ كُلِّ قَاطِعٍ يَقْطَعُ عنِ اللهِ. فَهَذَا القَلْبُ السَّلِيمُ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ فِي الدُّنْيَا، وفِي جَنَّةٍ فِي البَرْزَخِ، وفِي جَنَّةٍ يَوْمِ المَعَادِ " [87].

87/ الداء والدواء - لابن القيم - (ص: 178 - 179).

16/ في رحاب اسمه تعالى

النور

عرفت أن معاني النور معناه [88] : ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله :** هُوَ الظَّاهِر الَّذِي بِهِ كل ظُهُور فَإِن الظَّاهِر فِي نَفسه الْمظهر لغيره يُسمى نورا وَمهما قوبل الْوُجُود بِالْعدمِ كَانَ الظُّهُور لَا محَالة للوجود ، فَهُوَ نور السَّمَوَات وَالْأَرْض وكما أَنه لَا ذرة من نور الشَّمْس إِلَّا وَهِي دَالَّة على وجود الشَّمْس المنورة فَلَا ذرة من موجودات السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا إِلَّا وَهِي بِجَوَاز وجودهَا دَالَّة على وجوب وجود موجدها .

- **وقال ابن القيم رحمه الله:**

"وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَمَّى نَفْسَهُ نُورًا، وَجَعَلَ كِتَابَهُ نُورًا، وَرَسُولَهُ نُورًا، وَدِينَهُ نُورًا، وَاحْتَجَبَ عَنْ خَلْقِهِ بِالنُّورِ، وَجَعَلَ دَارَ أَوْلِيَائِهِ نُورًا تَتَلَأْلَأُ " .

وقال أيضًا :

والنور من أسمائه أيضا ومن أوصافه سبحان ذي البرهانِ

- **وقيل النور سبحانه : هو الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته وأحيا نفوس العابدين بنور عبادته.**

- **وقيل النور سبحانه :** هو الذي يَهدي القلوب إلى إيثار الحق واصطفائه ويَهدي الأسرار إلى مناجاته واجتبائه قال الله تعالى :(**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) سورة النور (35).**

88/ اسم الله النور مذكور في حديث الترمذي ووقع الخلاف بين العلماء في إثباته، فأثبته : ابن حجر والبيهقي والغزالي وابن القيم وابن خزيمة والسعدي .

قال بعضهم في تفسيرها : نوَّرهما بالشمس والقمر ونوَّر القلوب بالحقائق: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)**سورة الأنعام (1) نوَّرَها بالشمس والقمر، هذا النور الحسي و نَّور قلوَب المؤمنين بأنواره التي كشفت لهم الحقائق.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : الله هادي أهل الأرض والسماوات. مَثَل هُداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يُضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءًا على ضوءٍ فيزداد نوراً على نور[89] .

ووجه دلالة اسمه تعالى النور على كماله سبحانه : هو كمال ظهور دلائل وجوده وكثرتها في الكائنات وفي إنزاله للكتب وإرساله للرسل وتأييدهم بالمعجزات الباهرات والأدلة الساطعات ، قال السعدي رحمه الله تعالى " يمتن تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجة، فقال: (يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَّبِّكُمْ) أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده. وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ) ثم قال سبحانه (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا } وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير.

تعلمت من سام الله النور : ما يأتي :

- أن أسال الله تعالى أن يجعل لي نوراً في كل شئ في حياتي كما علمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم **(اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا وفي لساني نورًا وفي شعري نورًا وفي بشري نورًا وفي عظمي نورًا وفي لحمي نورًا وفي دمي نورًا، اللهم اجعل أمامي نورًا وخلفي نورًا وعن يميني نورًا وعن شمالي نورًا، وفوقي نورًا وتحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا وزدني نورًا وأعظم لي نورًا)** رواه البخاري وعند مسلم بلفظ **:(للَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي**

89/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى - اسم الله النور – الدرس (34) - للنابلسي .

سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَاجْعَلْ لِي نُورًا ، أَوَ قَالَ وَاجْعَلْنِي نُورًا).

- أنَّ الإنسان مهما كان ذكياً، مهما كان عبقرياً، مهما كان ألمعياً، إن لم يستعن بنور الله فهو في عمى، لذلك تجد بعض الناس وهُم في أعلى درجات الذكاء يرتكبون حماقات لا توصف، والإمام القشيري يرى أن الله تعالى سمَّى نفسه نوراً لأنَّ منه النور، هو منوِّر الآفاق بالنجوم والأنوار ومنوِّر الأبدان بآثار العبادات ومنوِّر القلوب بالدلائل والحُجج 90.

- **النور المعنوي الذي أعيشه في الدنيا** : نور الإيمان بالله تعالى ومحبته وذكره ،ونور تلاوة القرآن وفهمه وتدبره ،ونور الأعمال الصالحة هذا النور يجب أن نطلبه في الدنيا **وهو (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)** النور (36) .

- تعلمت منه أن العمل الصالح يصبح نورا يوم القيامة ، نور أجوز به على الصراط يوم القيامة - وكذلك المؤمنون - إن شاء الله تعالى كما قال تعالى : **(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** [الحديد:12]. فمنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالشَّمْسِ، وَآخَرُ كَالنَّجْمِ، وَآخَرُ كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ، وَآخَرُ دُونَ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا عَلَى رَأْسِ إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ أُخْرَى، كَمَا كَانَ نُورُ إِيمَانِهِ وَمُتَابَعَتِهِ فِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ، فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ يَظْهَرُ هُنَاكَ لِلْحِسِّ وَالْعِيَانِ[91].

وأختم الكلام على اسمه تعالى النور بما أورده ابن القيم في نونيته :

والنور من أسمائه أيضا ومن أوصافه سبحان ذي البرهان

قال ابن مسعود كلاما قد حكا ه الدرامي عنه بلا نكران

ما عنده ليل يكون ولا نها ر قلت تحت الفلك يوجد ذان

90/ السابق .

91/ تفسير ابن جرير وابن كثير .

نور السموات العلى من نوره والأرض كيف النجوم والقمران

من نور وجه الرب جل جلاله وكذا حكاه الحافظ الطبراني

فبه استنار العرش والكرسي مع سبع الطباق وسائر الأكوان

وكتابه نور كذلك شرعه نور كذا المبعوث بالفرقان

وكذلك الإيمان في قلب الفتى نور على نور مع القرآن

وحجابه نور فلو كشف الحجا ب لأحرق السبحات للأكوان

وإذا أتى للفصل يشرق نوره في الأرض يوم قيامة الأبدان

وكذاك دار الرب جنات العلى نور تلألأ ليس ذا بطلان

والنور ذو نوعين مخلوق ووصـ ـف ما هما والله متحدان

وكذلك المخلوق ذو نوعين محـ ـسوس ومعقول هما شيئان

احذر تزلّ رجليك هوة كم قد هوى فيها على الأزمان

من عابد بالجهل زلت رجله فهوى إلى قعر الحضيض الداني

لاحت له أنوار آثار العبا دة ظنها الأنوار للرحمن

فأتى بكل مصيبة وبلية ما شئت من شطح ومن هذيان

وكذا الحلولي الذي هو خدنه من ههنا حقا هما أخوان

ويقابل الرجلين ذو التعطيل والـ حجب الكثيفة ما هما سيان.

ذا في كثافة طبعه وظلامه وبظلمة التعطيل هذا الثاني

والنور محجوب فلا هذا ولا هذا له من ظلمة يريان

17/ في رحاب اسمه تعالى

الأول

عرفت أن من معاني اسم الله الأول : ما يأتي :

- وصفه بالأزلية, والأزلي هو الذي لا ابتداء له، فهو الأول بكل ما سواه، المتقدم على كل ما عداه, وهذه الأولوية ليست بالمكان ولا بالزمان، ولا بأي شيء في حدود العقل أو العلم, **والآخر** في وصفه بمعنى لا انتهاء له، ولا انقضاء لوجوده .

- **قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى :** " اعْلَم أَن الأول يكون أَولا بِالْإِضَافَة إِلَى شَيْء وَالْآخر يكون آخرا بِالْإِضَافَة إِلَى شَيْء وهما متناقضان فَلَا يتَصَوَّر أَن يكون الشَّيْء الْوَاحِد من وَجه وَاحِد بِالْإِضَافَة إِلَى شَيْء وَاحِد أَولا وآخرا جَمِيعًا بل إِذا نظرت إِلَى تَرْتِيب الْوُجُود ولاحظت سلسلة الموجودات المترتبة فَالله تَعَالَى بِالْإِضَافَة إِلَيْهَا أول إِذْ الموجودات كلهَا استفادت الْوُجُود مِنْهُ وَأما هُوَ فموجود بِذَاتِهِ وَمَا اسْتَفَادَ الْوُجُود من غَيره .

وَمهما نظرت إِلَى تَرْتِيب السلوك ولاحظت مَرَاتِب منَازِل السائرين إِلَيْهِ فَهُوَ آخر إِذْ هُوَ آخر مَا يرتقي إِلَيْهِ دَرَجَات العارفين وكل معرفَة تحصل قبل مَعْرفَته فَهِيَ مرقاة إِلَى مَعْرفَته والمنزل الْأَقْصَى هُوَ معرفَة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ آخر بِالْإِضَافَة إِلَى السلوك أول بِالْإِضَافَة إِلَى الْوُجُود فَمِنْهُ المبدأ أَولا وَإِلَيْهِ الْمرجع والمصير آخرا " .

كما عرفت أن من معانيه [92] :

- هو الأول والسابق على جميع الموجودات، إذ هو موجدها ومحدثها ابتداء، فهو موجود قبل كل شيء وجودا لا حد ولا وقت لبدايته.

- **يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى** : "الله الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، الأول لعرفان القلوب، والآخر لستر العيوب، الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، الأول قبل كل شيء

92/ من مقال بعنوان : الآثار الإيمانية للأولية الإلهية -الفريق العلمي - ملتقى الخطباء – بتصرف واختصار.

بالقدم والأزلية، والآخر بعد كل شيء بالأبدية والسرمدية، الأول مبدي كل أول، والآخر مؤخر كل آخر، الأول بالوجود والقدم، والآخر للتوجيه عن الفناء والعدم ".

- **وقيل** : هو الأول بالخلق، والآخر للرزق، الأول بلا مطلع، والآخر بلا مقطع، الأول هو الذي ابتدأ بالإحسان، والآخر هو الذي تفضل بالغفران، هذه كلها معان فرعية مستفادة من فقه اسمي الأول والآخر.

- **وقيل** : هو الأول بإحسانه، والآخر بغفرانه، الأول بالهداية، والآخر بالرعاية.

- وأما عن ذكر هذا الاسم في كتاب الله فقد ورد مطلع سورة الحديد في قوله تعالى : **(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**[الحديد:3].

ووجه دلالة اسمه تعالى الأول على كماله سبحانه : أن وجوده قبل وجود الكائنات فلو سبقه شئ لكان ذلك نقصا في حقه وهو تعالى لا منتهى لكماله وإلى هذا المعنى يشير جواب النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل : عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ؟ فقَالَ صلى الله عليه وسلم(كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ, وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) رواه البخاري.

وسئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : "متى كان الله؟" فأجاب إجابةً موفقة فقال: "ومتى لم يكن"؛ يعني بذلك أن الله موجود في وقت لم يخلق فيه (متى) التي يسأل بها عن الزمان والوقت.

تعلمت من اسم الله الأول : ما يأتي :

- أن أكون أول المسارعين إلى الطاعات وخصوصا في إقامة الصلوات في بيوت الله تعالى فأكون أول الداخلين إليها ، وآخرهم خروجا منها ،عملا بما ورد أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ: "الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا" رواه البخاري.

- وكذا في تلاوة الآيات وتدبرها أو الصدقات أو صلة الأرحام ..الخ ؛ قال تعالى في وصف من طلب الأولية وسعى لها سعيها: **(أُولئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لها سَابِقُونَ)** [المؤمنون:61]، وقال -سبحانه- عن آل زكريّا في قول بعضهم وقال البعض الكلام عن جميع الأبياء المذكورين في هذ

السورة : **(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)** [الأنبياء: 90]، كما أمر بطلب الأولية في الخير والصدارة فيه: **(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)** [البقرة:148], وقال: **(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً)** [المائدة:48].

كما تعلمت منه[93] :

- أن الله -تبارك وتعالى- هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، السابق للمخلوقات كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأولية إذ كان موجوداً ولا شيء قبله ولا معه.

- أن الله -عز وجل- هو الأول في كل شيء، وكل نعمة في الكون هو الذي ابتدأها، وبفضله ورحمته خلق الإنسان وهداه، ووفقه وأعانه، وبفضله ورحمته وصل إلى رضاه ورحمته، وقربه وكرامته, ومنه -سبحانه- الإيجاد، والإعداد، والإمداد، والهداية، له المنة والفضل، وله العزة والكبرياء، وهو أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، لا إله غيره، ولا رب سواه, وفضله سابق على الوسائل والأسباب، والوسائل من مجرد فضله وجوده، لم تكن بوسائل أخرى.

- الأول سبحانه يجعلنا نؤمن أن كل شيء بيده، ومن هنا لن تحقد على أحد، ولن تأسى ولن تحزن على شيء, لأنه لا يخرج عن أمر الله وعلمه وإرادته شيء من خير أو شر, إذ هو آخذ بناصيته ومتحكم فيه, قال -سبحانه- على لسان نبيه هود: (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) [هود: 55- 56]. وفي قوله تعالى: (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) [الواقعة: 60], ما يشير إلى نفس المعنى، فهي تعني: أنه لم يسبقنا في الوجود أحد، وما نحن بمسبوقين، كان الله ولم يكن معه شيء .

- **قال بعض العلماء** : مهما أوغلت في اسمه الأول ستصل في النهاية إلى الله، إذا تحركت نحو الوراء في سلسلة يجب قطعاً أن تنتهي إلى الله الأول،فلو أن زلزالا حدث في بلد معين, ستجيبك الدراسات والأبحاث أنه نتيجة اضطراب القشرة الأرضية واحتكاكها، والأهم من جعلها تضطرب؟ إنه الله إذاً هو الأول, فيد الله فوق كل شيء ومسيّرة لكل شيء قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح: 10]، فحتما أن كل شيء حادث له محدِث وكل شيء

93/ السابق : بتصرف .

موجود له موجد، فمن بديهيات العقل: أن الموجد قبل الموجود، وأن المحدث قبل الحادث وأن الخالق قبل الخلق، وأن المدبِّر قبل المدبَّر, وأن الرازق قبل الرزق, وأن الصانع قبل المصنوع, والمعلم قبل المتعلم.

- **التوكل والاعتماد عليه**, قال ابن القيم: "فعبوديته باسمه الأول تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب أو الالتفات إليها, وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته, وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد إذ لا وسيلة له - أي العبد - في العدم قبل وجوده، فأي وسيلة كانت هناك وإنما هو عدم محض وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ".

فتوكل عليه وحده، وعامله وحده واقصر حبك على مَن سَبق فضلُه وإحسانُه إليك كلَّ سبب منك: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَليهِ تَوَكَّلْتُ وَإِليهِ أُنِيبُ * فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَأُكُمْ فِيهِ ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَهُ مَقَاليدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ) [الشورى: 10-12].

18/ في رحاب اسمه تعالى

الآخر

عرفت أن من معاني الآخر : ما يأتي :

- **يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى** : " اعلم أن الأول يكون أولاً بالإضافة إلى شيء والآخر يكون آخراً بالإضافة إلى شيء، وهما متناقضان فلا يتصور أن يكون الشيء الواحد من وجه واحد بالإضافة إلى شيء واحد أولاً وآخراً جميعاً ".

- **ويقول الإمام القشيري رحمه الله تعالى**: " الأول في وصفه القديم الأزلي، الذي لا ابتداء له، والآخر في وصفه بمعنى لا انتهاء له، ولا انقضاء لوجوده هو الأول بإحسانه، والآخر بغفرانه، الأول بالهداية، والآخر بالرعاية ".

ولا بأس أن نعيد ما نقلناه عن العلماء سابقا في الربط بين اسمه تعالى الأول وسمه تعالى الآخر :

- **يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى** : (الله الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، الأول لعرفان القلوب، والآخر لستر العيوب، الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، الأول قبل كل شيء بالقدم والأزلية، والآخر بعد كل شيء بالأبدية والسرمدية، الأول مبدي كل أول، والآخر مؤخر كل آخر، الأول بالوجود والقدم، والآخر للتوجيه عن الفناء والعدم) .

- **وقيل** : هو الأول بالخلق، والآخر بالرزق، الأول هو الذي ابتدأ بالإحسان، والآخر هو الذي تفضل بالغفران، هذه كلها معان فرعية مستفادة من فقه اسمي الأول والآخر.

ووجه دلالة اسمه تعالى الآخر على كماله سبحانه : أن كل شئ يفنى ، ويبقى هو سبحانه بعد فناء الكائنات كما قال تعالى (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) سورة القصص**(88) وكما في الحديث النبوي الشريف (وأنت الآخر فليس بعدك شيء) رواه مسلم ، قال ابن القيم رحمه الله: " فإحاطة أوليَّته وآخريَّته بالقَبْل والبَعْد، فكلُّ سابقٍ انتهى إلى أوليَّته، وكلُّ آخرٍ انتهى إلى آخريَّته، فأحاطت أوليَّتُه وآخريَّتُه بالأوائل والأواخر".**

تعلمت منه[94] : ما يأتي :

- أن الإنسان العاقل يربط مصيره بمصير الأزلي الأبدي، الباقي الآخر أما لو ربط مصيره بأي شيء آخر هذا الشيء الآخر سيفنى. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أمرَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا أنْ نتصدَّقَ، فوافقَ ذلك مالًا عندي، فقلتُ: اليومَ أسْبِقُ أبا بكرٍ إنْ سَبَقْتُه يومًا، فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما أبقيتَ لأهلكَ؟)**، قلتُ: مِثْلَه، وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكلِّ ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما أبقيتَ لأهلكَ**؟)، قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله، قلتُ: لا أُسابقكَ إلى شيء أبدًا" . رواه أبو داود.

- عندنا قلق عميق، فالإنسان قد تكون حياته منتظمة، حقق نجاحات في حياته، هناك موت، هناك نهاية لهذا النجاح، لكن كل عصر له تجار وصناع وموظفين وأقوياء وأغنياء وأذكياء عاشوا ترفهوا أكلوا شربوا تمتعوا ثم طواهم الردى.

- الآخر هو آخر ما يرتقي إليه العارفون، وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة إلى معرفته، لذلك قالوا نهاية العلم التوحيد، مهما تعلمت مهما درست، نهاية النهاية التوحيد، وأعلى مرتبة علمية أن تعرف الله فهو آخر بالإضافة إلى السلوك .

- ان التحقق بمعرفة اسم الله الآخر يوجب صحة الاضطرار وكمال الافتقار :يقول ابن القيم :" وعبوديته باسمه الآخر تقتضي أيضا عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها فإنها تنعدم لا محالة وتنقضي بالآخرية بينما التعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، كذا نظر العارف إليه بسبق الأولية حيث كان قبل الأسباب كلها وكذلك نظره إليه ببقاء الآخرية حيث يبقى " .[95]

94/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي ومقال : اسما الله الأول والآخر- شبكة الألوكة الشرعية – باختصار وتصرف .

95/ طريق الهجرتين (40/1)

- يجوز أن تركن لإنسان، تركن لجهة، تركن لجماعة تركن لمالك تركن لقوتك، في النهاية أنت مع الله، مصيرك إليه، لأنه هو الآخر، يعني أينما ذهبت أوغلت في القدم فهو الأول، وأينما سعيت وتحركت وطرت وغصت وسافرت وتخطيت فهو الآخر، الإنسان أين ومتى مات فمصيره إلى الله.

- قال أحد العلماء : الذي بدأ خلقك باسم "الأول" قادر إلى ردك إليه باسم "الآخِر"؛ قال تعالى: **(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)** [الأنبياء: 104]. وقال تعالى: **(قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)** [يس: 79]؛ بل إعادة النشأة عليه أهون مِن النشأة الأولى؛ قال تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**) [الروم: 27].

ورحم الله صاحب الكشاف، فقد وضح هذا المعنى فقال: قوله: **وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** أى: فيما يجب عندكم، وينقاس على أصولكم، ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها، وتعتذرون للصانع إذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم: أول الغزل أخرق، وتسمون الماهر في صناعته معاودا، تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى، حتى مرن عليها وهانت عليه.

وقال السعدي رحمه الله : (أَهْوَنُ عَلَيْهِ) من ابتداء خلقهم وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول، فإذا كان قادرا على الابتداء الذي تقرون به كانت قدرته على الإعادة التي أهون أولى وأولى.

19/ في رحاب اسمه تعالى

الْبَاقِي

عرفت أن مم معاني اسم الله الحق [96] : ما يأتي :

- قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الْمَوْجُود الْوَاجِب وجوده بِذَاتِهِ وَلكنه إِذا أضيف فِي الذِّهْن إِلَى الاِسْتِقْبَال سمي بَاقِيا وَإِذا أضيف إِلَى الْمَاضِي سمي قَدِيما وَالْبَاقِي الْمُطلق هُوَ الَّذِي لَا يَنْتَهِي تَقْدِير وجوده فِي الاِسْتِقْبَال إِلَى آخر ويعبر عَنهُ بِأَنَّهُ أبدي . .

- **وقيل :** هو الثابت الذي لا يزول بعد زوال غيره، هو الله الخالد الثابت الأبدي، الدائم الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى زمان آخر ينتهي إليه، والباقي نقيض الفاني.

- **وقيل :** هو الدائم الوجود بعد كل شيء بلا نهاية، وهو الذي لا يقبل الفناء، فهو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء . قال الله تعالى : **(وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)** الرحمن(27) قال ابن كثير :يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون ، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم ; فإن الرب - تعالى وتقدس - لا يموت ، بل هو الحي الذي لا يموت أبدا .

ووجه دلالة اسمه تعالى الْبَاقِي على كماله سبحانه : كما قال بعض العلماء : هذا الاسم يختص بعدة خواص:

الأولى : أن الباقي هو الموجود الواجب وجوده بذاته .

الثانية : أن الباقي هو الموجود الدائم الذي لا يقبل الفناء .

الثالثة : أن الباقي هو الواجب الوجود بذاته: أي غير قابل للعدم بوجه من الوجوه، فكل ما كان كذلك ذاتي الوجود في الأزل، والأبد، فدوامه في الأزل هو القدم، ودوامه في الأبد هو البقاء .

96/ الباقي من الأسماء المختلف فيها وهو مذكور في حديث الترمذي وأثبته الغزالي والبيضاوي والبيهقي وابن العربي المالكي وابن منده والزجاجي وقوَّام السنة الأصبهاني.

تعلمت من اسمه تعالى الباقي ما يأتي [97]:

- يُذكر في هذا المقام قوله تعالى : **(بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ)** هود (86) أى: ما يبقيه الله لكم من رزق حلال، ومن حال صالح، ومن ذكر حسن، ومن أمن وبركة في حياتكم ... بسبب التزامكم بالقسط في معاملاتكم، هو خير لكم من المال الكثير الذي تجمعونه عن طريق بخس الناس أشياءهم.

فالبقيَّة هي الطاعة.. وسرُّ تسمية البقية بالطاعة أن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان شهوات يمكن أن نتحرك من خلالها بشكلٍ واسعٍ جداً، إلا أنّ من هذا التحرك الواسع تحركاً منهجياً، تحركاً شرعياً، تحركاً وفق ما أمر الله، كما أشارت إليه الآية الكريمة .

- وعليه يقال : أن العبد إن مارس الشهوات وفق منهج الله فقد أخذ ببقية الله، وأما إن كسب المال بأي نوعِ من الأنواعٌ كثيرة المحرمة،اغتصاباً، سرقةً، تدليساً، كذباً، غشاً، خداعاً، فهو لم يأخذ ببقية الله تعالى ، وأما التجارةٌ الشرعيةٌ عن قبولٍ ورضىً وصدقٍ وأمانةٍ هذه بقية الله خيرٌ لكم، هذه المرأة الأجنبية محرمٌ أن تنظر إليها، وهذه وتلك، إلا أن الزوجة والمحارم بقيّة لك من النساء فلك أن تنظر إليهن.

- ولو أراد العبد أن يستمتع بمتع الدنيا المباحة كأن يشتري مركبةً فخمةً جداً يتيه بها على الناس، يسكن في بيت فخم ويعرضه على كلِّ زائر ويتكلَّم عن مساحته، وغرفه، وأثاثه وكذا أولاد يرتدون أجمل الثياب متألِّقون، وهو يقول لك: هذا ابني، وهذه ابنتي. **(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ)** فقد عرَّف الله المال والبنين أما قوله تعالى: **(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ)** فهي محط الرجاء. وفي القرآن ما يسمَّى بمفهوم المخالفة.. فقد قال لك: (**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)** لم يقل لك تبقى أو لا تبقى، فالفناء ضمني، فمادام زينة الحياة الدنيا فهذا يفنى لا محالة ولكن قال: **(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ)** أي الذي يبقى الأعمال الصالحة.

97/ موسوعة أسماء الله الحسنى – النابلسي – بتصرف واختصار.

20/ في رحاب اسمه تعالى

العدْل

عرفت أن معاني اسم الله العدل [98]: ما يأتي :

- قال الغزالي رحمه الله : مأخوذ من الْعَادِل وَهُوَ الَّذِي يصدر مِنْهُ فعل الْعدْل المضاد للجور وَالظُّلم وَلنْ يعرف الْعَادِل من لم يعرف عدله وَلَا يعرف عدله من لم يعرف فعله فَمن أَرَادَ أَن يفهم هَذَا الْوَصْف **فَيَنْبَغِي أَن يُحِيط علما بِأَفْعَال الله تَعَالَى من ملكوت السَّمَوَات إِلَى مُنْتَهى الثرى حَتَّى إِذا لم ير فِي خلق الرَّحْمَن من تفَاوت ثمَّ رَجَعَ الْبَصَر فَمَا رأى من فطور ثمَّ رَجَعَ مرّة أُخْرَى فَانْقَلَبَ إِلَيْهِ الْبَصَر خاسئا** وَهُوَ حسير وَقد بهره جمال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها فَعِنْدَ ذَلِك يعبق بفهمه شَيْء من مَعَاني عدله تَعَالَى وتقدس .

ويتابع الغزالي قائلاً : ولكي يتضح لك هَذَا أقول : لقد خلق للْإنْسَان أَعْضَاء مُخْتَلفَة مثل الْيَد وَالرجل وَالْعين وَالأنف وَالْأُذن فَهُوَ بِخلق هَذِه الْأَعْضَاء جواد وبوضعها موَاضعهَا الْخَاصَّة عدل لِأَنَّهُ وضع الْعين فِي أولى الْمَوَاضِع بهَا من الْبدن إِذْ لَو خلقهَا على الْقَفَا أَو على الرجل أَو على الْيَد أَو على قمة الرَّأْس لم يخف مَا يتَطَرَّق إِلَيْهِ من النُّقْصَان والتعرض للآفات وَكَذَلِكَ علق الْيَدَيْنِ من الْمَنْكِبَيْنِ وَلَو علقهما من الرَّأْس أَو من الحقو أَو من الرُّكْبَتَيْنِ لم يخف مَا يتَوَلَّد مِنْهُ من الْخلَل وَكَذَلِكَ وضع جَمِيع الْحَواس فِي الرَّأْس فَإِنَّهَا جواسيس لتَكون مشرفة على جَمِيع الْبدن فَلَو وَضعهَا فِي الرجل اخْتَلَّ نظامها قطعا وَشرح ذَلِك فِي كل عُضْو يطول .

تعلمت منه : ما يأتي :

-**أنه أول ما يجب على العَبْد من الْعدْل** : الْعدْل فِي صِفَات نَفسه وَهُوَ أَن يَجْعَل الشَّهْوَة وَالْغَضَب أسيرين تَحت إِشَارَة الْعقل وَالدّين وَمهما جعل الْعقل خَادِمًا للشهوة وَالْغَضَب فقد ظلم هَذَا جملَة عدله فِي نَفسه وتفصيله مُرَاعَاة حُدُود الشَّرْع كلهَا وعدله فِي كل عُضْو أَن يَسْتَعْمِلهُ على

98/ العدل من الأسماء المختلف فيها وهو مذكور في حديث الترمذي وأثبته الغزالي والبيضاوي والبيهقي وابن العربي المالكي والبيضاوي وابن منده وابن عثيمين والنابلسي.

الْوَجْه الَّذِي أذن الشَّرْع فِيهِ وَأما عدله فِي أَهله وَذَوِيهِ ثمَّ فِي رَعيته إِن كَانَ من أهل الْولَايَة فَلَا يخفى .

وَرُبمَا يظنّ أَن الظُّلم هُوَ الْإِيذَاء وَالْعدْل هُوَ إِيصَال النَّفْع إِلَى النَّاس وَلَيْسَ كَذَلِك بل لَو فتح الْملك خزانته الْمُشْتَملَة على الأسلحة والكتب وفنون الْأَمْوَال وَلَكِن فرق الْأَمْوَال على الْأَغْنِيَاء ووهب الأسلحة للْعُلَمَاء وَسلم إِلَيْهِم القلاع ووهب الْكتب للأجناد وَأهل الْقِتَال وَسلم إِلَيْهِم الْمَسَاجِد والمدارس فقد نفع وَلكنه قد ظلم وَعدل عَن الْعدْل إِذْ وضع كل شَيْء فِي غير مَوْضِعه اللَّائِق بِهِ وَلَو آذَى المرضى بسقي الْأَدْوِيَة والفصد والحجامة وبالإجبار على ذَلِك وآذى الجناة بالعقوبة قتلا وقطعا وَضَربا كَانَ عدلا لِأَنَّهُ وَضعهَا فِي موَاضعهَا .

- من علم أن الله عز وَجل عدل أَن لَا يعْتَرض عَلَيْهِ فِي تَدْبيره وَحكمه وَسَائِر أَفعاله وَافق مُرَاده أَو لم يُوَافق لِأَن كل ذَلِك عدل وَهُوَ كَمَا يَنْبَغِي وعَلى مَا يَنْبَغِي وَلَو لم يفعل مَا فعله لحصل مِنْهُ أَمر آخر هُوَ أعظم ضَرَرا مِمَّا حصل كَمَا أَن الْمَرِيض لَو لم يحتجم لتضرر ضَرَرا يزِيد على ألم الْحجامَة وَبِهَذَا يكون الله تَعَالَى عدلا وَالْإِيمَان بِهِ يقطع الْإِنْكَار والاعتراض ظَاهرا وَبَاطنا وَتَمَامه أَن لَا يسب الدَّهْر وَلَا ينْسب الْأَشْيَاء إِلَى الْفلك وَلَا يعْتَرض عَلَيْهِ كَمَا جرت بِهِ الْعَادة بل يعلم أَن كل ذَلِك أَسبَاب مسخرة وَأَنَّهَا رتبت ووجهت إِلَى المسببات أحسن تَرْتِيب وتوجيه بأقصى وُجُوه الْعدْل واللطف .قاله الغزالي .

- ضرب النابلسي مثلا على عدله تعالى في أفعاله فقال : قال لي رجل : أأنت تخطب في جامع النابلسي، قلت له: نعم، قال: هناك رجل في سوق (مدحت باشا) سمع إطلاق رصاص، فمدّ رأسه، فإذا رصاصة تصيب عموده الفقري، فشلّ فوراً، قال لي: ما ذنبه ؟ قال لي: هذا جاء إلى محله التجاري كي يكسب قوت أولاده، فما ذنبه ؟ قلت: و الله لا أعلم، هذا عند الله، أنا لست مكلفاً أن أجيب عن أي سؤال، الذي أعرفه أجيب عنه، لكن شاءت حكمة الله أن أحد الإخوة الكرام حدثني عَرَضاً عن قصة وقعت مع جاره في الطابق الأعلى من هذا الجار، إنسان اغتصب بيتَ لأولاد أخيه الأيتام، وبذل الأيتام جهداً كبيراً في أخذ حقهم من عمهم، لكنه رفض، وَسَّطُوا له أحد علماء الميدان - منطقة - فرفض بقوة أن يعطيهم حقهم، فقال هذا العالم الجليل، و قد

توفي .رحمه الله . اشكوه إلى الله، إن شكوتموه إلى المحكمة فهذا لا يليق بكم، هذا الكلام وقع ليلاً، في الساعة التاسعة في صبيحة اليوم الثاني هذا الذي أصابته رصاصة فشلّ فوراً.

كما تعلمت منه : ما يأتي :

لقد أمر اله تعالى بالعدل في عدد من الآيات ، ومنها قوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**} [النحل/90].

ويقول: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**) [النساء/58].

وقال: (**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**) [الشورى/15].

ومن هنا كان من الواجب علي أقيم العدل في معاملاتي مع الله ومع نفسي ومع الآخرين [99]:

أما العدل مع الله :

فأن لا نصرف شيئاً من حقه إلى عبيده، فمن فعل ذلك وقع في أقبح الظلم، فحق الله علينا أن نفرده بالعبادة. ثبت في الصحيحين، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رِدْفَ النبي صلى الله عليه وسلم على حمار، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: (**يا معاذَ بنَ جبل**). قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: (**يا معاذ بن جبل**). قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: **(يا معاذ بن جبل).** قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال:(**هل تدري ما حق الله على العباد**)؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **(فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا).** ثم سار ساعة قال: **(يا معاذ بن جبل).** قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: (هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك)؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **(أن لا يعذبَهم).**

99/ مقتبس من مقال بعنوان : العدل - د. مهران ماهر عثمان – موقع صيد الفوائد .

وأما العدل مع النفس :

فيوضح صورته هذا الحديث: عن أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ. ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ: فَقَالَ نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَصَلَّيَا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (صَدَقَ سَلْمَانُ) رواه البخاري.

إنَّ من العدلِ مع النفس أن تسلك بها سبيلَ نجاتها، ففي الصحيحين، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام/82]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ: «كَمَا تَظُنُّونَ! إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}» متفق عليه. وظلم الإنسان لنفسه بأمرين: بترك الفرائض، وإتيان المحرمات. فإذا كان هذا ظلماً كان حملها على طاعة الله عدلاً.

وأما العدل مع الناس فتحته صور:

أ) العدل بين الأولاد : في صحيحي البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن أباه أتى به رسول الله فقال: «إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي. فقال رسول الله : «أفعلت هذا بولدك كلهم»؟ قال: لا. قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم». قال: فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة». وفي رواية: «أشهد غيري فإني لا أشهد على جَور». وفي أخرى لمسلم: «أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء»؟ قال: بلى. قال: «فلا إذن». ولابن حبان: «سووا بين أولادكم في العطية كما تحبون أن يسووا بينكم في البر».

يقول إبراهيم التيمي رحمه الله: "إني لو قبلت أحدَ الصغار من أولادي لرأيتُ لازمًا عليّ أن أقبل الصغيرَ مثله؛ خوفًا من أن يقعَ في نفس هذا عليّ أذى".

ب)العدل بين الزوجات : قال تعالى:{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} [النساء/3]. أي: وإن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت أيديكم بأن لا تعطوهن مهورهن كغيرهن، فاتركوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء من غيرهن: اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا، فإن خشيتم ألا تعدلوا بينهن فاكتفوا بواحدة، أو بما عندكم من الإماء.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ)رواه أبو داود .

وأما العدل المنفي في الآية :{**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**} [النساء/129]، فالمراد به أمران لا يؤاخذ الإنسان بهما: الحب والجماع.

تقول عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ: **(اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ)** رواه أبو داود، وما لا يملكه هو ما في القلب من الحب .

ولما سأل عمروٌ رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» متفق عليه.

ج) العدل مع الأعداء : وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من الأمثلة ما يحير العقول.فعن أمّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ السَّامُ، والذام، وَاللَّعْنَةُ، والغضب. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»

متفق عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أبو داود.

د) العدل مع المخالف :

لقد ابتُلي الناس في هذا الزمان بفئة ظالمة، لا همَّ لها سوى تتبع الزلات، وتصيُّد العثرات، فمن خالف في مسألة يسوغ الخلاف فيها صار مبتدعاً، فاسقاً،والله تعالى يقول:(**سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)** [الزخرف/19]، فهل أعددنا للسؤال جواباً؟ ولا ريب أن رافع هذا اللواء سينال الحُظوة عند مشايخه الذين سلك دربهم ورمى بقوسهم، ولكني أذكره بآية في كتاب الله: **(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)** [مريم/93-95]. وعندها يكلمنا الله بدون حجاب ولا ترجمان، والله المستعان.

قال ابن رجب رحمه الله : "ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير من صوابه**"100 .**

وقال ابن عبد البر رحمه الله : "عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله. وقال غيرُه: لا يسلم العالم من الخطأ، فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً فهو عالم، ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيرا فهو جاهل" .[101]

ومما يحمل على العدل مع الغير : قول النبي صلى الله عليه وسلم: «فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأت منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» رواه مسلم.

100/ تقرير القواعد وتحرير الفوائد [المشهور بـ«قواعد ابن رجب»] تأليف الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي- (4/1) نقلا عن المكتبة الشاملة .

101/ جامع بيان العلم وفضله: 48/2)وإني أنصح بقراءة ما كتبه الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله، في (رفقاً أهلَ السنة بأهلِ السنة) فقد نقل فيه كلاما حسنا في هذا الجانب (تجده في موقع المكتبة الشاملة) .

21/ في رحاب اسمه تعالى

العزيز

العزيز لغة : يدور حول ثلاثة معانٍ: (**القوة، والشدة، والغلبة**). منه قول الله تعالى {**وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**} [ص من الآية:23]، يعني غلبني فيه، وقوله: {**فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ**} [يس:14]، أي فقوينا وشددنا بثالث، (وعز الشيء) إذا قل أو ندر فهو شيء عزيز أي أصبح نادرًا لذلك هذه صفة اختص الله بها نفسه فلا يشاركه فيها أحد لذلك قال: {**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**} [المنافقون:8]، استأثر بالعزة نفسه هو سبحانه وتعالى فله الغلبة وله القوة وله البأس سبحانه وتعالى.

عرفت أن معاني اسم الله العزيز: ما يأتي :

- قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الخطير الَّذِي يقل وجود مثله وتشتد الْحَاجة إِلَيْهِ ويصعب الْوُصُول إِلَيْهِ فَمَا لم يجْتَمع عَلَيْهِ هَذِه الْمَعَانِي الثَّلَاثَة لم يُطلق عَلَيْهِ اسْم الْعَزِيز.

- فكم من شَيْء يقل وجوده وَلَكِن إِذا لم يعظم خطره وَلم يكثر نَفعه لم يسم عَزِيزًا .

- وَكم من شئ يعظم خطره وَيكثر نَفعه وَلَا يُوجد نَظِيره وَلَكِن إِذا لم يصعب الْوُصُول إِلَيْهِ لم يسم عَزِيزًا كَالشَّمْسِ مثلا فَإِنَّهُ لَا نَظِير لَهَا وَالْأَرْض كَذَلِك والنفع عَظِيم فِي كل وَاحِد مِنْهُمَا وَالْحَاجة شَدِيدَة إِلَيْهِمَا وَلَكِن لَا يوصفان بِالْعِزَّةِ لِأَنَّهُ لَا يصعب الْوُصُول إِلَى مشاهدتهما. فَلَا بُد من اجْتِمَاع الْمَعَانِي الثَّلَاثَة .

ويقول ابن القيم في النونية:

وهو العزيزُ فلن يُرام جنابُه	**أنَّى يُرام جنابُ ذي السلطانِ**
وهو العزيزُ القاهرُ الغلَّاب لم	**يغلبْه شيءٌ هذه صفتان**
وهو العزيزُ بقوة هي وصفه	**فالعزُّ حينئذٍ ثلاثُ معان**
وهي التي كمُلَتْ له سبحانه	**من كلِّ وجهٍ عادمِ النقصان**

ووجه دلالة اسمه تعالى العزيز على كماله : أنه لا غالب له في ملكه وملكوته ، وأنه الذي يطلبه كل مخلوق من مخلوقاته - في الدنيا والآخرة - ، ولا نهاية لعظمته ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه في أرضه وسماواته .

تعلمت من العزيز: ما يأتي :

- قال الغزالي رحمه الله : الْعَزِيز من الْعباد من يحْتَاج إِلَيْهِ عباد الله فِي أهم أُمُورهم وَهِي الْحَيَاة الأخروية والسعادة الأبدية وَذَلِكَ مِمَّا يقل لَا محَالة وجوده ويصعب إِدْرَاكه وَهَذِه رُتْبَة الْأَنْبِيَاء صلوَات الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ ويشاركهم فِي الْعِزّ من ينْفَرد بِالْقربِ من درجتهم فِي عصره كالخلفاء وورثتهم من الْعلمَاء وَعزة كل وَاحِد مِنْهُم بِقدر علو رتبته عَن سهولة النّيل والمشاركة وبقدر عنائه فِي إرشاد الْخلق .

- أن أعز الناس هم الأنبياء ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم وعزة كل أحد بقدر علو رتبته في الدين، فإنه كلما كانت هذه الصفة فيه أكمل كان أشد عزة وأكمل رفعة: **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)** المنافقون(8) . ولذلك عزة المسلمين لن تعود إليهم إلا حين يعتزون بدينهم وبمتابعة الأنبياء .

كما تعلمت منه[102] : ما يأتي :

- لو تعلمت علم الثقلين بنية أن تكون ذا شأن في المجتمع وعصيت الله فيما بينك وبينه، فأنت لا تعرفه، لأن من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا اختلى، لم يعبأ الله بشيء من عمله أبدا، لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى مَنْ اجترأت عليه، فلمجرد أن تعصي الله عز وجل يجب أن تعلم علم اليقين أنك لا تعرفه أبدا.

- لو تخيلنا إنساناً يحمل أعلى شهادة شرعية، وله مائة مؤلف وهو ذو منصب ديني خطير، ودخلت عليه امرأة وتأمل فيها وملأ عينيه منها، وعنده مستخدَم - يعني حارس - على الباب، لا يقرأ ولا يكتب لكنه سمع النهي الوارد في قوله تعالى: **(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**

102/ موسوعة أسماء الله الحسنى – النابلسي وموقع الكلم الطيب - بتصرف واختصار .

وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) سورة النور (30). فغض بصره عنها فهذا عند الله عالم، والأول الذي ملأ عينيه من الحرام جاهل .

- إذا علم العبد أن الله العزيز الذي لا يُغلَب ولا يُقهَر يتولد في نفسه شجاعة وثقة كبيرة بالله سبحانه وتعالى؛ لذا تجد بعض الصالحين حين يتعاملون مع الأمراء والسلاطين يتعاملون بثقة وصمود وشموخ ولا يخشون في الله لومهم أو بطشهم..لسان حالهم يقول: قد لذنا بالعزيز القهار فمن علينا؟!.

- من معاني اسم الله العزيز واتصافه بالعزة أنه لا يخذل أحدًا ارتمى بجنابه والعكس صحيح، إذا ارتميت أنت على أبواب خلقه ذُللت ولابد لأنه لا يصح أن تتعزز بغيره؛ ولذلك قالوا أبى الله إلا أن يذل من عصاه، فإذا خالفت أمره وحِدْتَ عن طريقه ذللت وما كانت لك العزة.

- وإذا أردنا أن نبحث عن أسباب ذل المسلمين اليوم فعلينا البحث حول هذا المعنى، فلقد فقد المسلمين أهم ما ينبغي أن يتقووا به، ألا وهو: الثقة بالله سبحانه وتعالى والتعزز به. إن من يتصف بهذه الصفة وهو مؤمن بها تمام الإيمان يحيا بين البرية رافعا لرأسه شامخًا صامدًا، يمضي في الأرض لا يخشى في الله ملكًا ولا سلطانًا ولا لومة لائم، يتضف بالشجاعة المحمودة لا التهور ولا الطيش، شجاعته تحمل معنى الحكمة والثقة والصمود والشموخ، وانظر في قصص الرسل والأنبياء عليهم أفضل الصلوات والتسليم ترى ذلك واضحًا جليًا.

- قال النابلسي : الله عز وجل مما وعد به المؤمن أن يحفظه، مما وعد به المؤمن أن يدافع عنه، مما وعد به المؤمن أن يرزقه، مما وعد به المؤمن أن يعزه والدليل: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ المنافقون (8) انظر لو قال الله : العزة للمؤمنين لكان من الممكن أن يُفهم ولغير المؤمنين قد تكون عزة أما عندما قال: لله العزة، وجاء الاسم المجرور مقدماً على العزة فأفاد القصر والحصر، العزة وحدها إذاً لله فإذا أردتها فكن مع الله .

كن مع الله ترى الله معك　　　واترك الكل وحاذر طمعك

وإذا أعطاك من يمنعه　　　ثم من يعطي إذا ما منعك

22/ في رحاب اسمه تعالى

المجيد

عرفت أن من معاني المجيد : ما يأتي :

- قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الشريف ذَاته الْجَمِيل أَفعاله الجزيل عطاؤه ونوله فَكَأَن شرف الذَّات إِذا قارنه حسن الفعال سمي مجدا وَهُوَ الْمَاجِد أَيْضا وَلَكِن أَحدهمَا أدل على الْمُبَالغَة وَكَأَنَّهُ يجمع مَعَانِي اسْم الْجَلِيل والوهاب والكريم .

- **قال ابن القيم رحمه الله:** وصف الله تعالى نفسه بالمجيد وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها وعدم إحصاء الخلق لها وسعة أفعاله وكثرة خيره ودوامه[103] .

- **قال النابلسي : المجيد** : سبحانه وتعالى هو الذي علا وارتفع بذاته، له المجد في أسمائه، وصفاته، وأفعاله . مجد الذات الإلهية بيّن في جمال اللهأخرجه مسلم وغيره .

ووجه دلالة اسمه تعالى المجيد على كماله : مجد الذات الإلهية بين في جمال الله، وسعته، وعلوه، واستوائه على عرشه فعند مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله جميل يحب الجمال) ، واعلم أن جمال الذات أمر لا يدركه أحد، عين العلم به، عين الجهل به، وكل شيء خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، والعجز عن إدراك الإدراك إدراك [104].

تعلمت منه : ما يأتي :

- أن أسعى في تحصيل الصفات الحميدة والخلق الكريم فلا مجد ولا شرف ولا عزة ولا رفعة إلا في ظل الخلق الكريم بجانب العقيدة الصحيحة والإيمان القوي الصادق والعبادة المشروعة .

103/ التبيان في أقسام القرآن – لابن القيم – ص(94) .

104/ موسوعة النابلسي – اسمه تعالى المجيد - بتصرف .

- أن كل عز وشرف ومجد يرجع إليه تعالى : (**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**)أي: حميد الصفات، لأن صفاته صفات كمال، حميد الأفعال لأن أفعاله إحسان، وجود، وبر، وحكمة، وعدل، وقسط .

- أن أثني على ربي في صلواتي وأمجده كما أمر تعالى ففي حديث قراءة الفاتحة في الصلاة : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله تعالى : (**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى علي عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي ، وقال مرة : فوض إلي عبدي ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**) رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة .

كما تعلمت منه [105]:

- أن ربنا يمجد نفسه يوم القيامة ليعلم أن المجد الباقي هو مجده وحده،واستشعار هذا المعنى يجعلني في ذل له وخضوع، ويجعلني معتزًا به، مشتاقًا للقائه.فعن ابن عمر قال: قرأ رسول الله هذه الآية وهو على المنبر(**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) الزمر(67) **قال يقول الله: أنا الجبار، أنا المتكبر أنا الملك، أنا المتعال، يمجد نفسه، قال فجعل رسول الله يرددها حتى رجف به المنبر حتى ظننا أنه سيخر به**) رواه مسلم.

- إن أمتنا مرّت بمجد عظيم حين كانت متعلقة بربها المجيد كتب خالد بن الوليد إلى كسرى: أسلم تسلم وإلا أتيتك برجال يصرون على الموت كما تصرون على الحياة فلما قرأ كسرى الرسالة

105/ مقتبس من مقال بعنوان : تغريدات حول اسم الله (المجيد جلّ جلاله)- لأمل الغفيلي – موقع صيد الفوائد، وموسوعة النابلسي – بتصرف .

أرسل إلى ملك الصين يطلب النجدة والمدد، فرد عليه ملك الصين: يا كسرى لا قلب لي بقوم لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها.

سأل يوما هرقل جنده حين حاصرهم المسلمون والروم كثرة والمسلمون قلة فقال: أيقاتلونكم ويغلبونكم من كثرة؟ قالوا:لا، والله هم أقل منا عددا فقال: أعندهم سلاح أكثر منكم؟قالوا:لا ، سلاحنا وعتادنا أكثر منهم. فقال:فلماذا تخافون منهم ويغلبونكم؟فقام شيخ كبير السن عند هرقل فقال : تسمح لي أتكلم؟ فقال: تكلم. فقال: يغلبوننا لأننا نشرب الخمر ولا يشربونها، ولأننا نزني ولا يستحلونه،ولأنهم يقومون الليل، ويصومون النهار. فقال هرقل:صدقت

- من لوازم الإيمان أن نمجد الله سبحانه وتعالى، من لوازم الإيمان أن نذكر الله ذكراً كثيراً، من لوازم الإيمان أن نحبه حباً عظيماً، من لوازم الإيمان أن نخضع له، بل إن قمة لوازم الإيمان أن نعبده، والعبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

- يوجد إنسان يأتي إلى الدنيا ويغادرها همّه الوحيد أن يأكل وأن يشرب وأن يسكن في بيت، همومه صغيرة، إذاً هو رقم تافه، لا معنى له، وهناك إنسان همّه كبير همّه الإنسانية، وكلما علا همّ الإنسان اتسعت دائرة همومه، وكلما ارتقى مقامك عند الله اتسعت دائرة همومك، وكلما ارتقى مقامك عند الله اتسعت دائرة رؤيتك، قل لي ما الذي يهمك أقل لك من أنت، هل يهمك أمر المسلمين ؟ هل تتألم إن رأيت المسلمين في بعض أقطارهم يعانون ما يعانون ؟ قتل، ونهب، وقهر، وإذلال، وأنت ما عندك مشكلة معافى، هل تقول ما لي وما لهم ؟ لا، يمتحنك الله أحياناً حينما تتطلع إلى مأساة يعاني منها المسلمون وأنت لا تتأثر.

23/ في رحاب اسمه تعالى

الصمد

عرفت أن من معاني الصمد : ما يأتي :

- قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي يُصمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِج ويقصد إِلَيْهِ فِي الرغائب إِذْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ مُنْتَهى السؤدد .

- **وقيل :** هو الذي تقدست ذاته عن إدراك الأبصار والأعيان، وتنزه جلاله عن أن يدخل تحت الشرح والبيان، لا يعرف الله إلا الله، .لذلك قال سيدنا الصديق: "العجز عن إدراك الإدراك إدراك".

ولتقريب المعنى يقول النابلسي : لو أن شخصا سألك : كمية البحر المتوسط كم لتراً ؟ أي رقم تعطيه إياه فأنت جاهل، إذا قلت لا أدري فأنت عاقل ، (**قلت : فإذا كان هذا منتهى علمنا بمخلوق من مخلوقاته تعالى فكيف نطمع في معرفته تعالى**).

- **وقيل : الصمد :** هو السيد الذي قد انتهى سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد ،والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والعليم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفته لا تنبغي إلا له .

ووجه دلالة اسمه تعالى الصمد على كماله : أن جميع الخلائق يرغبون فيما لديه مع كمال قدرته على قضاء رغباتهم وإسدائه لحوائجهم مع الحكمة البالغة والرحمةالغير متناهية.

تعلمت منه : ما يأتي :

- **ألا أرد أحدا قصدني في حاجة من حوائجه** ، ولذا قال الغزالي رحمه الله : " من جعله الله تَعَالَى مقصد عباده فِي مهمات دينهم ودنياهم وأجرى على يَده وَلسَانه حوائج خلقه فقد أنعم عَلَيْهِ بحظ من معنى هَذَا الْوَصْف". أي على المسلم أن يفتح بابه لهم، يصغي إليهم، يسعى لحل مشكلاتهم،

يحمل همومهم، يعين فقيرهم، ينصف مظلومهم. عملا بما ورد في الحديث (**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أوتقضي عنه ديناً، أوتطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام)**[106].

- أن أتوسل إلى الله تعالى باسمه الصمد ليغفر لي ذنبي وليستجيب لدعائي عملا بما ورد في الحديث : أن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلاَتَهُ ، وَهُوَ يَتَشَهَّدُ وَهُوَ يَقُولُ : **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . فَقَالَ : (قَدْ غُفِرَ لَهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ . ثَلاَثًا)** [107].

كما تعلمت منه [108]:

- **أن أقصده تعالى في جميع حوائجي** ، قال النابلسي " لا أعتقد أنه يوجد حديث صحيح يشرح هذا الاسم كقول النبي صلى الله عليه وسلم:(**إنَّ الله عز وجل يمهل حتى يذهب ثلث الليل، فينزل فيقول: هل من سائل هل من تائب، هل من مستغفر من ذنب ؟ فقال له رجل: حتى مطلع الفجر**) أخرجه مسلم .

لا تسألن بني آدم حاجة   واسأل الذي أبوابه لا تغلق

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يُسأل يغضب

106/ أخرجه الطبراني في الكبير وابن أبي الدنيا والحديث حسنه الألباني رحمه الله.

107/ رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي ، وصححه الألباني والأرنؤوط .

108/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي – باختصار شديد .

24/ في رحاب اسمه تعالى

الحكيم

عرفت أن من معاني الحكيم : ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله : أنه ذُو الْحِكْمَة :** وَالْحكمَة عبارَة عَن معرفَة أفضل الْأَشْيَاء بِأَفْضَل الْعُلُوم وَأجل الْأَشْيَاء هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَقد سبق أَنه لَا يعرف كنه مَعْرفَته غَيره فَهُوَ الْحَكِيم الْحق لِأَنَّهُ يعلم أجل الْأَشْيَاء بِأَجل الْعُلُوم إِذْ أجل الْعُلُوم هُوَ الْعلم الأزلي الدَّائِم الَّذِي لَا يتَصَوَّر زَوَاله .

وقيل الحكيم : الذي يضع الأمور في مواضعها، ويوقعها مواقعها، ولا يأمر إلا بما فيه الخير، ولا ينهى إلا عما فيه الشر، ولا يعذب إلا من استحق، ولا يقدر إلا ما فيه حكمة وهدف، فأفعاله سديدة، وصنعه متقن، فلا يقدِّر شيئاً عبثاً، ولا يفعل لغير حكمة؛ بل كل ذلك بحكمة وعلم، وإن غاب عن الخلائق.

- قال بعضهم : ذكر الحكيم في القرآن أكثر من تسعين مرة، اقترن في أكثرها بالعزيز والعليم، مما يدل على أن حكمته صادرة عن عزة وعلم، قال تعالى: (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران: 126].وقال تعالى: (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) [الأنعام: 83].وقال أيضًا: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)[الأنعام: 18].

ووجه دلالة اسمه تعالى الحكيم على كماله : أن حكمته محفوفة بالعلم ومحاطة بالخبرة والعلم ومقيدة الرحمة والرأفة تفضلا لا وجوبا من أحد ، كما أن حكمته ظاهرة في تدبيره للخلق وتسييره لشؤونهم .

تعلمت منه : ما يأتي :

- أن أطلب الحكمة أينما كانت أن أتصرف في حياتي بالحكمة وأن أعلم الناس الحكمة ولا حكمة أعظم الكتاب وما صح من السنة النبوية (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة: 269].

- أن لا أقارن بين الحِكم التي تنسب إلى حكماء البشر وحكمة سيد البشر صلى الله عليه وسلم، لأن حكمته صلى الله عليه وسلم مؤيدة بالوحي ، بينما حكمة حكماء البشر فيها ما فيها من الهوى والمصلحة ، وأقول ذلك لأن بعض المسلمين أصبح مولعا بالبحث عن الحكمة في غير كلامه صلى الله عليه وسلم .

- أن الله حكيم في أقداره، فما يقدره الله تعالى على العباد من خير أو شر إنما هو لحكمة بالغة، وتدبير حكيم، قال تعالى: (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) [القمر: 5].

قال ابن القيم - رحمه الله - وهو يتحدث عن الحكمة: "وله سبحانه الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير و شر، وطاعة ومعصية، وحكمة بالغة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكل الألسن عن التعبير عنها" .[109]

كما تعلمت من اسمه الحكيم سبحانه[110] :

- أنَّ مَن عرف جَمِيع الْأَشْيَاء وَلم يعرف الله عز وَجل لم يسْتَحق أَن يُسمّى حكيما ، لِأَنَّهُ لم يعرف أجلَّ الْأَشْيَاء وأفضلها وَالْحكمَة أجل الْعُلُوم ، وجلالة الْعلم بِقدر جلالة الْمَعْلُوم ، وَلَا أجلَّ من الله عز وَجل وَمن عرف الله تَعَالَى فَهُوَ حَكِيم وَإِن كَانَ ضَعِيف الفطنة فِي سَائِر الْعُلُوم الشرعية الأخرى كليل اللِّسَان قَاصِر الْبَيَان فِيهَا إِلَّا أَن نِسْبَة حِكْمَة العَبْد إِلَى حِكْمَة الله تَعَالَى كنسبة مَعْرفَته بِهِ إِلَى مَعْرفَته بِذَاتِهِ وشتان بَين المعرفتين فشتان بَين الحكمتين وَلكنه مَعَ بُعده عَنهُ فَهُوَ أنفس المعارف وأكثرها خيرا **وَمن أُوتِيَ الْحِكْمَة فقد أُوتِيَ خيرا كثيرا** .

وحين نتأمل في اسم الله الحكيم فإن العبد يسلّم لدين الله ويوقن أن أوامر الله لها حكمة وإن غابت عنا، وكم لله من حِكمٍ في العبادات وإن شقت، فللصوم حِكم وللجهاد على رغم لأوائه حِكم، وللصلاة من الحكم ما لا يحصر، وما زال حتى أهل الطب يذكرون فائدتها للبدن، وفائدتُها للدين أشرف وأشهر.

109/ مدارج السالكين (439/1).

110/ مختصر من مقال بعنوان : تأملات في اسم الله الحكيم - للشيخ : منصور محمد الصقعوب – موقع ملتقى الخطباء .

وحين ينهى الله عن أمر فمن وراء ذلك الحِكم، وكم تزيغ المجتمعات حين لا ترتدع عن نواهي ربها، وهو ما نهى عنها إلا لعلمه وحكمته، وما تحريم الزنا والخمر والخنزير إلا نماذج تجني المجتمعات من ارتكابها الويلات، ولكنّ مطموس القلب ربما ظن النهي من الله بلا هدف، ومع ما في المنهيات من أمورٍ حَكَم الله لأجلها بالنهي؛ فإن من وراء ذلك أيضاً التعبد لله بتركها، ولا غرو! فمن أمر بهذا ونهى عن هذا هو الحكيم العليم.

- أن الله خلق الخلق لحكمة، وقدّر الموت والحياة، والجنة والنار، لحكمة شريفة وهي العبادة، فيتبين في الميدان المطيعُ من العاصي، والشكورُ من الكفور، ومَن ظن الله يخلق بلا حكمة ويُقدِّر بلا هدف ويأمر بلا مصلحة فقد ضل وما هدى، وأخطأ وأساء، وقد قال المولى: **(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)** [المؤمنون:115].

- الله -سبحانه- خلق السماوات والأرض فلا ترى فيها عوجاً، وأوجد الإنسان والمخلوقات فأبدع صنعاً، يدبر الكون بانتظام، فيعطي هذا ويمنع هذا، لأن الحياة لا تستقيم بعكس ذلك، يسخر هذا لخدمة هذا بحكمته وهو الحكيم، **(أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)** [طه:50]، **(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)** [القمر:49].

- أن الله بحكمته يقدر على العبد المصيبة والبلاء، ويحول حال الرخاء، فتحل الأحزان ليس ذلك عبثاً؛ بل لحكم عظمى، وما الأجر والاعتبار إلا شيء من هذه الحكم، وانظر في قول الله **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)** [الروم:41].

- والحكيم سبحانه خالف بين الناس في معايشهم وأوصافهم فلم يجعلهم سواءً لحكمة، قال ابن القيم: الله سبحانه يحب أن يشكر، ولذا فاوت بين عباده في صفاتهم الظاهرة والباطنة في خلقهم وأخلاقهم وأديانهم وأرزاقهم ومعايشهم وآجالهم، فإذا رأى المعافى المبتلى والغنيُّ الفقيرَ والمؤمنُ الكافرَ عظُم شكره لله، وعرف قدر نعمته عليه، وما فضَّله به على غيره، فازداد شكرا وخضوعا واعترافا بالنعمة، فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء، ولولا خَلق القبيح لما عرفت فضيلة الجمال والحسن، ولولا خَلقُ الظلام لما عرفت فضيلة النور، ولولا خلق أنواع البلاء لما

عرف قدر العافية، ولولا الجحيم لما عرف قدر الجنة، ولو جعل الله -سبحانه- النهار سرمدا لما عرف قدره، ولو جعل الليل سرمدا لما عرف قدره، وأعرف الناس بقدر النعمة من ذاق البلاء.

- ومن حكمة الحكيم أنْ فاضَل بين الناس فوفّق قوماً للدين، ووكل قوماً لأنفسهم فاختاروا الكفر، ولا يعجز الله هدايتهم، ولو شاء لهدى الناس أجمعين، لكنه حكيم، جعل الكفر والإيمان، وسلط الشيطان على بني الإنسان حكمة منه.

وقد أجاد الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان ذلك، فقال[111] - اقتصرت على بعضها - : (قولهم أي حكمة في خلق إبليس وجنوده؟ ففي ذلك من الحكم مالا يحيط بتفصيله إلا الله ،

فمنها: أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه ومخالفته ومراغمته في الله وإغاظته وإغاظة أوليائه والاستعاذة به منه والإلجاء إليه أن يعيذهم من شره وكيده فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه، وقدمنا أن الموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

ومنها: خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى، وأتم ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى وخضوع آخر وخوف آخر كما هو المشاهد من حال عبيد الملك إذا رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد.

ومنها: أنه سبحانه جعله عبرة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره ثم تاب وندم ورجع إلى ربه فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب وجعل هذا الأب عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه وهذا الأب عبرة لمن تاب ورجع إلى ربه فلله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة .

111/ شفاء العليل – لابن القيم - ص322.

ومنها: أنه محك امتحن الله به خلقه ليتبين به خبيثهم من طيبهم فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض وفيها السهل والحزن والطيب والخبيث فلا بد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعا "أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على مثل ذلك، منهم الطيب والخبيث والسهل والحزن وغير ذلك" فما كان في المادة الأصلية فهو كائن في المخلوق منها فاقتضت الحكمة الإلهية إخراجه وظهوره فلا بد إذا من سبب يظهر ذلك وكان إبليس محكا يميز به الطيب من الخبيث كما جعل أنبياءه ورسله محكا لذلك التمييز، قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فأرسله الى المكلفين وفيهم الطيب والخبيث فانضاف الطيب الى الطيب والخبيث الى الخبيث واقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان ، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم وجعل لهؤلاء دارا على حدة ولهؤلاء دارا على حدة حكمة بالغة وقدرة قاهرة.

ومنها: أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه فإنه خالق الأضداد كالسماء والأرض والضياء والظلام والجنة والنار والماء والنار والحر والبرد والطيب والخبيث.

ومنها: أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد وفيها الإشراق والإضاءة والنور فأخرج منها سبحانه هذا وهذا كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والأحمر والأسود والأبيض فاخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة قاهرة وآية دالة على أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ومنها: أن من أسمائه الخافض الرافع المعز المذل الحكم العدل المنتقم وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها كأسماء الإحسان والرزق الرحمة ونحوها ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه.

25/ في رحاب اسمه تعالى

الحَكَم

عرفت أن من معانيه[112] : ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله :** هُوَ الْحَاكِم الْمُحكَّم وَالْقَاضِي الْمُسلَّم الَّذِي لَا راد لحكمه وَلَا معقب لقضائه وَمن حكمه فِي حق الْعباد (**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ**) النجم (39-40) و (**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**) الانفطار (13-14) وَمعنى حكمه للبر والفاجر بالسعادة والشقاوة أَنه جعل الْبر والفجور سَببا يَسُوق صَاحبهمَا إِلَى السَّعَادَة والشقاوة كَمَا جعل الْأَدْوِيَة والسموم أَسبَاب تَسوق متناوليها إِلَى الشَّقَاء والهلاك.

- **وقال الخطابي رحمه الله:** الحكم الحاكم ومنه المثل (في بيته يُؤتى الحَكَم) وحقيقته هو الذي سلم له الحكم ورد إليه فيه الأمر، كقوله تعالى: (**لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) سورة القصص:88 وقوله: (**أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**) سورة الزمر:46 .

- **وقال الحليمي رحمه الله** : معنى الحكم : هو الذي إليه الحكم وأصل الحكم منع الفساد، وشرائع الله تعالى كلها استصلاح العباد .

- وقيل : الحكم ؛ هو الذي لا يقع في وعده ريب، ومن أصدق من الله حديثاً، ومن أوفى بعهده من الله، ولا في فعله عيب ".

- وقيل : الحكم ؛هو الذي حكم على القلوب بالرضى والقناعة، وعلى النفوس بالانقياد والطاعة .

- وقيل : الحكم ؛ هو النافذ حكمه، الذي لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، والذي يفصل بين الحقِّ والباطل.

112/ المقصد الأسنى – للغزالي ، موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي ، وموقع الدرر السنية .

تعلمت من اسمه تعالى الحكم : ما يأتي :

- ألا أتحاكم إلى أحد سواه وألا أرضى بحكم غير حكمه لقوله تعالى:(**أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**)سورة الأنعام:114

- قال الغزالي رحمه الله : " وَإِنَّمَا الْحَظ الديني من مُشَاهدَة هَذَا الْوَصْف لله تَعَالَى أَن يعلم أَن الْأَمر مفروغ مِنْهُ وَلَيْسَ بالأُنف - وليس بالمستأنف - وَقد جف الْقَلَم بِمَا هُوَ كَائِن وَأَن الْأَسْبَاب قد تَوَجَّهت إِلَى مسبَّباتها وانسياقها إِلَيْهَا فِي أحيانها وآجالها حتم وَاجِب ، ومن هنا عُلم أَن الْمَقْدُور كَائِن وَأَن الْهمَّ فضل فَيكون العَبْد فِي رزقه مُجمِلا فِي الطّلب مطمئن النَّفس سَاكن الجأش غير مُضْطَرب الْقلب .

فَإِن قلت فَيلْزم مِنْهُ إشْكَالَانِ :

أَحدهمَا : أَن الْهم كَيفَ يكون فضلا وَهُوَ أَيْضا مَقْدُور لِأَنَّهُ قدر لَهُ سَبَب إِذا جرى سَببه كَانَ حُصُول الْهم وَاجِبا.

وَالثَّانِي : أَن الْأَمر إِذا كَانَ مفروغا مِنْهُ فَفِيمَ الْعَمَل وَقد فرغ هُوَ عَن سَبَب السَّعَادَة والشقاوة؟ .

فَالْجَوَاب عَن الأول: أَن قَوْلهم الْمَقْدُور كَائِن والهم فضل لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنه فضل على الْمَقْدُور خَارج عَنهُ بل أَنه فضل أَي لَغْو لَا فَائِدَة فِيهِ فَإِنَّهُ لَا يدْفع الْمَقْدُور وَلِأَن سَبَب الْهم بِمَا يتَوَقَّع كَونه هُوَ الْجَهْل الْمَحْض لِأَن ذَلِك إِن قدر كَونه فالحذر والهم لَا يَدْفَعهُ وَهُوَ استعجال نوع من الْأَلَم خوفًا من وُقُوع الْأَلَم وَإِن لم يقدر كَونه فَلَا معنى للهم بِهِ فبهذين الْوَجْهَيْنِ كَانَ الْهم فضلا .

وَأما الْعَمَل فَجَوَابه قَوْله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (اعْمَلُوا فَكل ميسر لما خلق لَهُ) وَمَعْنَاهُ : أَن من قدرت لَهُ السَّعَادَة قدرت بِسَبَب فيتيسر لَهُ أَسبَابهَا وَهُوَ الطَّاعَة وَمن قدرت لَهُ الشقاوة وَالْعِيَاذ بِاللَّه قدرت بِسَبَب وَهُوَ بطالته عَن مُبَاشرَة أَسبَابهَا وَقد يكون سَبَب بطالته أَن يسْتَقرّ فِي خاطره إِنِّي إِن كنت سعيدا فَلَا أحتاج إِلَى الْعَمَل وَإِن كنت شقيا فَلَا يَنْفَعنِي الْعَمَل وَهَذَا جهل فَإِنَّهُ لَا

يدْرِي أَنه إِن كَانَ سعيدا فَإِنَّمَا يكون سعيدا لِأَنَّهُ يجْرِي عَلَيْهِ أَسبَاب السَّعَادَة من الْعلم وَالْعَمَل وَإِن لم يَتَيَسَّر لَهُ ذَلِك وَلم يجر عَلَيْهِ فَهُوَ أَمارَة شقاوته .

ومثاله الَّذِي يتَمَنَّى أَن يكون فَقِيها بَالغا دَرَجَة الْإِمَامَة فَيُقَال لَهُ اجْتهد وَتعلم وواظب فَيَقُول إِن قضى الله عز وَجل لي فِي الْأَزَل بِالْإِمَامَةِ فَلَا أحتاج إِلَى الْجهد وَإِن قضى لي بِالْجَهْلِ فَلَا يَنْفَعنِي الْجهد فَيُقَال لَهُ إِن سلط عَلَيْك هَذَا الخاطر فَهَذَا يدل على أَنه قضى لَك بِالْجَهْلِ فَإِن من قضى لَهُ فِي الْأَزَل بِالْإِمَامَةِ فَإِنَّمَا يَقْضِيهَا بأسبابها فَيجْرِي عَلَيْهِ الْأَسْبَاب ويستعمله بهَا وَيدْفَع عَنهُ الخواطر الَّتِي تَدعُوهُ إِلَى الكسل والبطالة بل الَّذِي لَا يجْتَهد لَا ينَال دَرَجَة الْإِمَامَة قطعا وَالَّذِي يجْتَهد ويتيسر لَهُ أَسبَابهَا يصدق رجاؤه فِي بُلُوغهَا إِن استقام على جهده إِلَى آخر أمره وَلم يستقبله عائق يقطع عَلَيْهِ الطَّرِيق فَكَذَلِك يَنْبَغِي أَن يفهم أَن السَّعَادَة لَا ينالها إِلَّا من أَتَى الله بقلب سليم وسلامة الْقلب صفة تكتسب بالسعي كفقه النَّفس وَصفَة الْإِمَامَة من غير فرق".

كما تعلمت من اسمه الحكم [113]:

- علامة إيمانك أن تخضع لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في حياته، وبعد مماته، كيف ؟ هذه امرأة مسلمة تدعي أنها مسلمة ينشب خلاف بينها وبين زوجها في العالم الغربي، لا تقبل أن ترفع أمرها إلى المركز الإسلامي، وهناك قاضٍ مسلم ليحكم لها بالمهر، ترفع أمرها إلى القضاء الغربي ليحكم لها القاضي بنصف أملاك زوجها، إذاً هي رفضت حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله تعالى **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)** .

قال أهل التفسير: والمتأمل في الآية الكريمة يراها قد بينت أن المؤمن لا يكون إيمانه تاما إلا إذا توفرت فيه صفات ثلاث:

أولها: أن يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، وإلى شريعته بعد وفاته.

113/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي – بتصرف .

وثانيها: أن يتقبل حكم الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم برضا وطيب خاطر، وأن يوقن إيقانا تاما بأن ما يقضى به هو الحق والعدل.

قال- تعالى-: ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وثالثها: أن يذعن لأحكام شريعة الله إذعانا تاما في مظهره وحسه. قال- تعالى- وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً. أى يخضعوا خضوعا تاما.فقوله- تعالى- **ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ** يمثل الانقياد الباطني والنفسي.

وقوله- تعالى- **وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** يمثل الانقياد الظاهري والحسى.

وهكذا نرى الآية الكريمة تحذر المؤمنين من التحاكم إلى غير شريعة الله بأسلوب يبعث في النفوس الوجل والخشية، ويحملهم على الإذعان لأحكام الله- تعالى-.

26 -28/ في رحاب اسمائه تعالى

العلي والأعلى والمتعال

عرفت أن معنى اسمه العلي : ما يأتي :

- قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي لَا رُتْبَة فَوق رتبته وَجَمِيع الْمَرَاتِب منحطة عَنهُ وَذَلِكَ لِأَن الْعلي مُشْتَقّ من الْعُلُوّ والعلو مَأْخُوذ من الْعُلُوّ الْمُقَابل للسفل وَذَلِكَ إِمَّا فِي دَرَجَات محسوسة كالدرج والمراقي وَجَمِيع الْأَجْسَام الْمَوْضُوعَة بَعْضهَا فَوق بعض وَإِمَّا فِي الرتب المعقولة للموجودات الْمرتبَة نوعا من التَّرْتِيب الْعقلِيّ فَكل مَا لَهُ الْفَوْقِيَّة فِي الْمَكَان فَلهُ الْعُلُوّ المكاني وكل مَا لَهُ الْفَوْقِيَّة فِي الرُّتْبَة فَلهُ الْعُلُوّ فِي الرُّتْبَة والتدريجات الْعَقْلِيَّة مفهومة كالتدريجات الحسية .

مثال ذلك لو قيل لأحد من الناس عَن شَخْصَيْنِ من الأكابر وَقيل لَهُ كَيفَ يجلسان فِي الصَّدْر والمحافل فَيَقُول هَذَا يجلس فَوق ذَاك وَهُوَ يعلم أنه لَيْسَ يجلس إِلَّا بجنبه وَإِنَّمَا يكون جَالِسا فَوْقه لَو جلس على رَأسه أَو مَكَان مَبْنِيّ فَوق رَأسه وَلَو قيل لَهُ كذبت مَا جلس فَوْقه وَلَا تَحْتَهُ وَلكنه جلس بجنبه اشمأزت نَفسه من هَذَا الْإِنْكَار وَقَالَ إِنَّمَا أَعنِي بِهِ فوقية الرُّتْبَة والقرب من الصَّدْر فَإِن الْأَقْرَب إِلَى الصَّدْر الَّذِي هُوَ الْمُنْتَهى فَوق بِالْإِضَافَة إِلَى الْأَبْعَد ثمَّ لَا يفهم من هَذَا أَن كل تَرْتِيب لَهُ طرفان يجوز أَن يُطلق على أحد طَرَفَيْهِ اسْم الفوق والعلو وعَلى الطّرف الآخر مَا يُقَابله .

قال تعالى:(**ولا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**) [البقرة: من الآية255] وقال تعالى:(**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**) سورة الحج(62). (**فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ**) سورة غافر(12)

وعرفت أن معنى اسمه الأعلى : على وزن " أفعل التّفضيل "، فمهما علا الشّيء فالله أعلى، قال تعالى:{**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**} [الأعلى:1]، وقال: {**إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**} سورة اللّيل (20) .

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: "العلي: هو العالي القاهر، فعيل بمعنى فاعل، كالقدير والقادر والعليم والعالم، وقد يكون ذلك من العلو الذي هو مصدر علا، يعلو، فهو عال، كقوله:

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: 5]، ويكون ذلك من علاء المجد والشرف، يقال منه: علي يعلى علاء، ويكون الذي علا وجل أن تلحقه صفات الخلق أو تكيفه أوهامهم " .

وعرفت أن معنى اسمه المتعال : المستعلي على كلّ شيء بقدرته، وهو المتفاعل من العلوّ مثل المتقارب من القرب" قاله الطّبري رحمه الله.

وقال ابن كثير رحمه الله: "المتعال على كل شيء قد أحاط بكل شيءٍ علمًا، وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب، ودان له العباد طوعًا وكرهًا وهو الكبير المتعال، فكل شيء تحت قهره وسلطانه، وعظمته لا إله إلا هو، ولا رب سواه لأنه العظيم الذي لا أعظم منه".

وقال الشعراوي رحمه الله تعالى في تفسيره: المتعال : يعني أنه المُنَزَّه ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً؛ فلا ذات كذاته؛ ولا صفة كصفاته، ولا فعل كفعله، وكل ما له سبحانه يليق به وحده، ولا يتشابه أبداً مع غيره.

واسمه تعالى المتعال : ورد هذا الاسم في قوله تعالى: {عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالْ} [الرعد:9].

وجه دلالة هذه الأسماء على كماله سبحانه :

قال بعض العلماء : اسم الله تعالى الأعلى دل على مطلق الجلال في الذات والصفات والأفعال وليس ذلك إلا لرب العزة والجلال، طالما أنه الأعلى. فهو أعلى بذاته وأعلى بصفاته وأعلى بأفعاله، وهذه صفة جلال. فكل ما خطر ببالك فالله أعلى منه، فالأعلى سبحانه له علو الذات والفوقية وله علو الشأن في كماله وجماله، ففي رحمته عليّ أعلى، وفي عفوه عليّ أعلى، وفي كل شيء.

وعرفت أن هذه الأسماء : تثبت للمولى تبارك وتعالى صفة العلوّ بجميع معانيه، الذي هو مستقرّ في الفطر، وهو أنواع:

1/ علوّ القدر : وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله مخلوق، بل لو اجتمع الخلق كلّهم لما استطاعوا أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته سبحانه، قال عزّ وجلّ: **(وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)**.

2/ علوّ القهر : كما قال تعالى:**(وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ)**، الذي قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا يمانعه ممانع، وليس لأمره من دافع.

3/ علوّ الذّات : فهو فوق جميع مخلوقاته في سمائه، عاليا على خلقه، بائنا منهم، ويعلم حركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وأقوالهم، لا تخفى عليه خافية ،قال تعالى:(**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**) [آل عمران: من الآية55]، وقال تعالى:{بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ}، وقال:(**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**)[الأنعام:18]، وقال سبحانه:**(يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)**[النّحل:50]، وقال تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه)[فاطر: من الآية (10) .

تعلمت من اسمه تعالى الأعلى : ما يأتي :

- أن أدعو الله تعالى به وأثني عليه وأمجده في السجود فأقول (**سبحان ربي الأعلى**). (ثلاث مرات). رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه ، وهذا الذكر يملأ القلب بالخضوع والذل والانكسار للرب الأعلى. فإذا كان سبحانه أعلى من كل شيء فينبغي أن يكون كذلك عندك وفي قلبك. فتنكسر وتخضع وتذل له سبحانه. ولذلك كان السجود من أقرب القربات التي يتقرب بها العبد لله سبحانه وتعالى لأن فيه اعترافًا عمليًا من الموحد بأنه عبد، وفيه توحيد واقعي للإله الرب.

فتسبيح السجود يشمل: إعلان الخضوع لله بكل معانيه؛ بوضع الجبهة والوجه (أشرف ما لدى الإنسان) على الأرض، وكذلك استحضار تنزيه الله عز وجل عن السفول، وأنه سبحانه عليٌّ فوق مخلوقاته، ومنزه عن الوساوس التي يوحيها الشيطان بأن الله حلَّ في الأشياء سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، مع اعتقاد أنه أقرب للعبد من كل شيء، فهو سبحانه عليٌّ في دنوِّه، قريب في علوِّه، ولهذا شرع التسبيح في كل منخفض، كما شرع التكبير على كل مرتفع.

- **ومما ورد في الدعاء باسمه تعالى الأعلى في الصلاة أيضاً** : في الحديث لابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا دعاء ندعو به في القنوت من صلاة: **(اللهمَّ اهدِنا فيمَن هدَيت، وعافِنا فيمَن عافيت وتولَّنا فيمَن تولَّيت، وبارِكْ لنا فيما أعطيت، وقِنا شرَّ ما قضيت، إنك تَقضي ولا يُقضى عليكَ، إنه لا يَذِلُّ مَن والَيت، ولا يَعزُّ مَن عاديت، تباركت ربَّنا وتعالَيت)**[114] .هنا دعاء الثناء في ضمن دعاء المسألة: **«تباركت ربنا وتعاليت»**. ومن الدعاء بالمقتضى سؤال الأعلى من الخير والفضل.

بمعنى أنك تسأل ربنا سبحانه وتعالى الفردوس الأعلى، وتسأله الرفيق الأعلى. كما تقول عائشة رضي الله عنها في مرض موت النبي صلى الله عليه وسلم: "سَمِعْتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو مُسْتَنِدٌ إليَّ يقول: **(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْني وألْحِقْني بالرَّفيقِ)** صحيح؛ البخاري، (5674]) .

وفي لفظٍ : أنه صلى الله عليه وسلم : **كان يشير هكذا فعرفت أنه يخير لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها أنه ما من نبي إلا وخُيِّر .**

كما تعلمت من اسمه الأعلى [115] : ما يأتي :

- أن يكون سلوك العبد في الحياة مبنيًا على الإخلاص وابتغاء وجه ربه الأعلى، قال تعالى: {وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى}. أي ليس لأحد عنده من نعمةٍ تجزى إلا من يبتغي وجه ربه الأعلى، فلا يعطي أحدًا لمصلحة أو لغرض، لا يعطي من يحصل مدحًا أو يرائي الناس، لا يعطي إلا من قصد وجه ربه الأعلى.

ذيل الآية باسمه تعالى (الأعلى) من دون غيره من أسمائه جل وعلا، لأن في بذل العبد لماله لله دليل على أنه يتخلص من الأثر الدنيوي، فهو مجبول على الشح، قال تعالى: {وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا} [الإسراء من الآية:100]، فطرته تأمره بالبخل وهو يجاهدها ويتصدق ليتخلص من شحها.

فالمؤمن إن لم يتابع نفسه ويداوم على الترقي والتزكية فسيعود كما كان وكأنه لم يبذل شيئًا. فالتخلص من الآفات والعيوب يكون بالعلو عليها لا بقلعها منك لأن كثيرها من الفطرة والجبلة،

114/ صححه الألباني في إرواء الغليل: [429].

115/ موقع الكلم الطيب .

وبالمداومة على هذا العلو وإلا إن توقفت لحظة ستجذبك الشهوة من جديد إليها. وكذلك ظروفك وأحزانك وهمومك، ليس لها حل إلا أن تعلو عليها ولك في نبيك أسوة حسنة، إذ كانت تطلق بناته صلى الله عليه وسلم ويسعى في الدعوة وكأن شيئًا لم يكن، وماتت له زينب فيحزن ولكن لم يقعده حزنه، ومزق عمه تمزيقًا فحزن عليه حزنًا شديدًا ولكن لم ييأس ولم يقعده حزنه، بل كان صلى الله عليه وسلم يعلو على كل أمور الدنيا: همومها وأحزانها.

29/ في رحاب اسمه تعالى

الْجَامِع

عرفت أن من معاني اسمه الجامع[116] : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الْمُؤلف بَين المتماثلات والمتباينات والمتضادات :

أما جمع الله المتماثلات : فكجمعه الْخلق الْكثير من الْإِنْس على ظهر الأَرْض وكحشره إيَّاهُم فِي صَعِيد الْقِيَامَة .

وَأما المتباينات : فكجمعه بَين السَّمَوَات وَالْكَوَاكِب والهواء وَالْأَرْض والبحار والحيوانات والنبات والمعادن الْمُخْتَلفَة كل ذَلِك متباين الأشكال والألوان والطعوم والأوصاف وَقد جمعهَا فِي الأَرْض وَجمع بَين الْكل فِي الْعَالم وَكَذَلِكَ جمعه بَين الْعظم والعصب والعرق والعضلة والمخ والبشرة وَالدَّم وَسَائِر الأخلاط فِي بدن الْحَيَوَان .

وَأما المتضادات : فكجمعه بَين الْحَرَارَة والبرودة والرطوبة واليبوسة فِي أمزجة الْحَيَوَانَات وَهِي متنافرات متعاديات وَذَلِكَ أبلغ وُجُوه الْجمع .

- **وقيل** : هو الجامع قلوب أوليائه إلى شهود تقديره ليتخلَّصوا من أسباب التفرقة فيطيب عيشهم لأنَّهم لا يرون الوسائط ولا ينظرون إلى الحادثات إلا بعين التقدير " أي القدر.

- **وقيل** : الجامع سبحانه هو الذي جمع بين الكثيف واللطيف، جمع بين قلوب المؤمنين، ألَّف بين أرواح المحبِّين، هو الذي جمع في الإنسان روحاً من نور وجسماً من ظُلمة، ونفساً أمَّارةً وعقلاً مستضيئاً."

- ووجه دلالة اسمه الجامع على كمال سبحانه : أنه هو الذي جمع الكمالات كلَّها، ذاتاً، وصفاتٍ، وأفعالاً، وكما تعلم أيُّها القارىء الكريم أنَّ كلَّ إنسانٍ يتفوَّق في جانبٍ من جوانب

116/ اسم الله الجامع من الأسماء المختلف فيها وهو مذكور في رواية الترمذي وأثبته ابن العربي والغزالي وابن الوزير وابن حجر والبيهقي والبيضاوي والنابلسي .

الكمال، أما أن يجمع الكمالات كلَّها هذا مستحيل، أما أن يجمع الإختصاصات كلَّها أشدُّ إستحالةً، أما أن يجمع الحِرف كلَّها فمستحيل كذلك أما أن يجمع الخبرات كلَّها مستحيل [117].

تعلمت منه[118] : ما يأتي :

- أن الْجَامِع من الْعباد من جمع بَين الْآدَاب الظَّاهِرَة فِي الْجَوَارِح وَبَين الْحَقَائِق الْبَاطِنَة فِي الْقُلُوب فَمن كملت مَعْرفَته وَحسنت سيرته فَهُوَ الْجَامِع وَلذَلِك قيل الْكَامِل من لَا يُطْفِئ نور مَعْرفَته نور ورعه وَكَانَ الْجمع بَين الصَّبْر والبصيرة مُتَعَذر لذَلِك ترى صبورا على الزّهْد والورع لَا بَصِيرَة لَهُ وَترى ذَا بَصِيرَة لَا صَبر لَهُ وَالْجَامِع من جمع بَين الصَّبْر والبصيرة وَالسَّلَام .قاله الغزالي .

- في يوم القيامة، يجمع الله فيه بين الأولين والآخرين، بين الإنس والجن، بين أهل السماء وأهل الأرض، يجمع بين العبد وعمله فقد قال تعالى: **(اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً)**سورة الإسراء(14) .

وسُمي يوم القيامة بيوم الجمع لأنَّ الله سبحانه وتعالى يجمع بين الظالم والمظلوم، بين القوي والضعيف، بين المعطي والآخذ، بين المتكبّر والمتواضع، بين القوي الظالم والمستضعف المظلوم، يجمع بينهم ليقتصَّ لله للضعيف من القوي، للمظلوم من الظالم، للمستضعف من المستكبر، ويجمع الله سبحانه وتعالى في هذا اليوم بين كلِّ نبيٍ وأمَّته، كلُّ نبيٍ يأتي مع أُمَّته ليكون شهيداً عليهم فقد قال تعالى: (**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) سورة المائدة (117) .

فأحياناً تقف عقبة في سبيل إحقاق الحق، ذلك أنَّ الطرف الآخر لم يُبلَّغ لعدم وجود عنوان معروف للتبليغ عليه، فماذا يفعل المظلوم ؟ أقام دعوة، فكيف يحضر الطرف الآخر ويأتي به إلى ساحة القضاء وهو ليس له عنوان وإبلاغه مستحيل ؟ لكن الله سبحانه وتعالى ولله المثل الأعلى

117/ المقصد الأسنى - للغزالي - وموسوعة شرح أسماء الله الحسنى – النابلسي .

118/ السابق – بتصرف .

يجمع، يجمع القوي مع الضعيف، والظالم مع المظلوم، والمستكبر مع المستضعف، هذا معنى.. لأنَّ يوم القيامة هو يوم الجمع فالله سبحانه وتعالى جامعٌ أي يجمع كلَّ هذه الخلائق ليحاسبها.

- أن الله عزَّ وجلَّ يجمع في يوم القيامة بين ثواب أهل طاعته، وعقاب أهل معصيته، وسمّى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يوم الجمع، لأنه يجمع فيه كلَّ هذه الخلائق من أوَّلها إلى آخرها، يجمع الإنس والجن، يجمع أهل السماء وأهل الأرض، يجمع كلَّ عبدٍ مع عمله، يجمع بين الظالم والمظلوم، والمستكبر والمستضعف، والقوي والضعيف، ويجمع كلَّ نبيٍ مع أمَّته، ويجمع بين ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعصية، ذلك يوم الجمع.. فمن هذا الاسم يشتقُّ إسم الجامع.. فمن الذي جمع هؤلاء ؟

- أن الإنسان له حرفةٌ واحدة، واختصاصٌ واحد، وتفوُّق واحد، واهتمام واحد، ونشاط واحد، أما أن يجمع كلَّ الكمالات، يجمع كلَّ الاختصاصات فلا، فعندما يتقن الإنسان عملين يُدهشنا.. نقول: ما شاء الله هذا له اختصاص علمي وحرفة يدويَّة، أو تجارة وتدريس، يذهلنا أن يجمع الإنسان بين شيئين.

لكنَّ الله سبحانه جلَّ في عُلاه جمع الكمالات كلَّها، أجل جمع كل ذلك ،أسماؤه كلُّها حُسنى، فالإنسان لا يستطيع إلا أن يتفوَّق في جانب، إلا أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلَّم جمع الكمالات كلِّها، جمع الكمالات البشريَّة كلَّها، وكل صحابي من صحابته حاز على بعضها، فهذا تفوَّق في شجاعته، وهذا في حلمه، وهذا في جوده، وهذا في عفوه، وهذا في عبادته، وهذا في قيادته، لكنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان بطلاً في كلِّ الاختصاصات، فلذلك مدح فقيل فيه:

وأجمل منك لم ترقطُّ عيني وأكمل منك لم تلِدُ النساءُ

خُلقتَ مبرأً من كلِّ عيبٍ كأنَّك قد خُلقت كما تشاءُ

كان عليه الصلاة والسلام في أعلى درجات الأدب، في أعلى درجات الحلم، في أعلى درجات الرحمة... ما رؤي ماداً رجليه قط حتى ولا بين أصحابه، في أعلى درجات الوقار، في أعلى درجات الهيبة، في أعلى درجات العلم.

**يا أيُّها الأُميُّ حسبك رتبةً		في العلم أن دانت لك العُلماءُ**

فالنبيُّ جمع هذه الكمالات البشريَّة كلها، والله سبحانه وتعالى جمع الكمالات كلَّها في ذاته وفي صفاته، وفي أفعاله.

- أنَّ الله سبحانه وتعالى جمع قلوب الأحباب فقد قال تعالى: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)سورة الأنفال(63)

فقد جمع القلوب.. فزوج وزوجة.. فهذا من أسرة وهذه من أسرة، هذا من بيئة وهي من بيئة أخرى، هذا له ثقافة مغايرة وهي لها ثقافة، يتزاوجان، فتجد أقرب إنسان للرجل في الحياة زوجته وأقرب رجل في حياتها زوجها، فمن ألَّف بين القلوب فقد قال تعالى: (**وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)سورة الروم(21)

من آياته الدالَّة على عظمته، أنّ الإنسان يلتقي مع شبهه، مع مثيله أو صنفه، مع من يلتقي ؟ يلتقي مع من يشبهه في فكره وفي قيمه وفي أخلاقه فمن ألَّف بين القلوب ومن جمع بين الشتات ؟ هذا من معاني اسم الجامع.

- أحياناً يجمعك الله جلَّ جلاله مع إنسان على غير ميعاد، فملاحظة دقيقة جداً فقد تركب سيَّارة بعد انتظارك لها لفترة ثم تمشي على قدميك فإذ بهذا الإنسان تراه وجهاً لوجه، فكيف حرَّك الله هذا الإنسان وحرَّك الآخر وكيف التقيا في ذاك مكان ؟ وأحياناً هذا اللقاء قد ينتج عنه خير كثير، وهذا من تسيير الله عزَّ وجلَّ أن يجمعنا على غير ميعاد.

قال النابلسي :فقد ذكر لي أحد الإخوة وكنا في دعوة فوجدَّته مهتماً اهتماماً كبيراً بما أقول، فقال لي: في إحدى المرَّات كنت أسير من أمام مسجد الشيخ عبد الغني النابلسي فأذَّن المغرب فدخلت لأُصلِّي فوجدت جمعاً غفيراً فجلست وقد ألقيت درساً.. وكنت أعاني من مشكلة وأقسم بالله لو أنني حدثتك عن مشكلتي مائة مرَّة وكلَّفتك أن تضع لها حلولاً ما سمعت معالجةً لمشكلتي مع طرح حلولها كما سمعت في هذا الدرس.. وأنا والله لا أعرفه، فقلت سبحان الله الملهم فكيف ساقه الله إلى باب هذا المسجد وكيف دخل إليه وكيف أُلهمت أن أُعالج قضيَّةً يُعاني منها، وأن

أطرح حلاً لها.. هذا الجمع من قبل الله عزَّ وجلَّ.. فهذا الموضوع يمكن أن نذكر عليه ألف قصَّة أو أكثر، كيف أنَّ الله جمعك مع فلان ومع فلان، فقد قال تعالى: (**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**) سورة الأنفال((42) .

قلت : وصدق الدكتور النابلسي حفظه الله في قوله :(فهذا الموضوع يمكن أن نذكر عليه ألف قصَّة أو أكثر) فكثير من الأئمة والدعاة يحكون قصصا مشابهة تحدث لهم مع المصلين في حصول الحل للمشكلات من خلال سماع صاحب المشكلة لآيات تلاها الإمام في صلاته أو كلمة قالها في درس أو خطبة ، ومن ذلك يقول أحد الأئمة : جاءني رجل قُبيل الإقامة فقال لي : يا شيخ أنا رجل ثري وأملك من الأموال الكثير ، ولكن أشعر بتعاسة وشقاء في حياتي ولا أدري ما هو السبب ؟ فقلت له : اصبر حتى نصلي وبعد الصلاة أجلس معك ، ثم صليت بالناس وقرأت في الصلاة من قوله تعالى (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) سورة البقرة (276)إلى آخر الصفحة وهي قوله تعالى (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (287) وبعد الصلاة أفاجأ بقول الرجل : خلاص يا شيخ عرفت حل مشكلتي ... ففي مالي ربا وهو سبب تعاستي .. وبالفعل ذهب وتخلص من الربا فأبدل الله تعاسته سعادة .

30- 31/ في رحاب اسميه تعالى

الْقوي والمتين

عرفت أن من معاني القوي : ما يأتي :

- **القوي جل جلاله:** هو الذي لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب، ولا يَردُّ قضاءه رادٌّ، ينفذ أمرُه ويمضي قضاؤه في خلقِه، شديد عقابه لمن كفَر بآياته وجحد حججه.

- **وقيل القوي :** هو الذي تتصاغر كل قوة أمام قوته، ويتضاءل كل عظيم أمام عظمته.

- **وقيل القوي:** هو الذي يُعطي القوة بحكمته لمن يشاء، ويسلبها ممن يشاء، فبينما الرجل في أوج قوته وكامل صحته إذ بالمرض يدهمه؛ فلا يقوى أن يصلب عوده أو يرفع رأسه، ويضعف عن حمل أقل الأشياء.

وعرفت أن من معاني المتين : ما يأتي :

- المتانة تدل على شدة القوة لله تعالى فمن حيث إنه بالغ القدرة: (القوي)، ومن حيث إنه شديد القوة: متين ، قاله الغزالي رحمه الله تعالى .

- **وقيل : المتين** : الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب ، قاله الخطابي رحمه الله تعالى .

- **وقيل : المتين** : القوي في ذاته، الشديد الواسع، الكبير المحيط، فلا تنقطع قوته ولا تتأثر قدرته.

ووجه دلالة اسميه تعالى القوي المتين على كماله : أن القوي : هو المتناهي في القوة التي تتصاغر كلّ قوةٍ أمام حضرته، ويتضاءل كلُّ عظيمٍ عند ذكر عظمته .وأن المتين : هو القوي الشديد، المتناهي في القوة والقدرة، الذي لا تتنافس قدرته.وبهذا تتضاءل جميع الكائنات أما قوته ومتانته سبحانه .

وقال الغزالي رحمه الله تعالى في بيان القوي المتين : الْقُوَّة تدل على الْقُدْرَة التَّامَّة **والمتانة** تدل على شدَّة الْقُوَّة وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من حَيْثُ إِنَّه بَالغ الْقُدْرَة تامها قوي وَمن حَيْثُ إِنَّه شَدِيدَة الْقُوَّة متين وَذَلِكَ يرجع إِلَى مَعَانِي الْقُدْرَة .

وقال السعدي رحمه الله تعالى : (ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) سورة الذاريات:58 أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة، السفلية والعلوية، وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع البريات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم، ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعد ما مزقهم البلى، وعصفت بترابهم الرياح، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار، فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين.

تعلمت من هذين الاسمين القوي والمتين [119]: ما يأتي :

- المؤمن بحاجة إلى قوة للقيام بطاعته لله تعالى وكذا يحتاج إلى ما يحول بينه وبين ارتكاب المعصية ومن هنا ورد : **لا حول ولا قوة إلا باللّه: معناها لا حائل يحول بينك وبين المعصية ولا قوة على الطاعة إلاّ بتوفيق اللّه** .لا قوة لأحد على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إلا بالله، الله هو القوي، وكلّ الأقوياء يستمدون قوتهم من الله عزَّ وجلَّ. كما ورد في في حديث إجابة النداء عن عبد اللّه بن علقمة بن وقَّاص قال:إني لَعِند معاوية إذا أذّن مؤذنه فقال معاوية كما قال مؤذنه حتى إذا قال: حيَّ على الصَّلاةِ قال: (**لا حولَ ولاَقُوةَ إلاّ باللّهِ ولما قال: حيَّ على الفَلاَحِ قال: لاَحَولَ ولاَقُوةَ إلاّ باللّه).**

- إن المؤمن إذا عرف قوة الله تواضعَ، لا يجتمع كبر مع معرفة قوة الله عزَّ وجلَّ، أنت لاشيء إزاء قوة الله عز وجل، فكلما تمت معرفتك بقوة الله تلاشت قدراتك أمام قوَّته، فأصبحت متواضعاً، والتواضع علم، المتواضع يعلم حجمه أنه لاشيء وأن الله هو كل شيء قدير.

119/ مقتبس من مقال عنوان : القوي المتين جل جلاله - د. شريف فوزي سلطان – شبكة الألوكة ، وموسوعة الأسماء الحسنى – للنابلسي .

- إنّ الإنسان أحياناً يعتدُّ بقوَّته أو بماله أو بعمله، فإذا اعتدَّ بقوَّته ونسي قدرة الله.. عليه أن يتذكر قوله صلى الله عليه وسلم: **(اعلم أبا مسعود أنَّ اللهَ أقدَرُ عليك منك على هذا الغلام)** رواه مسلم . فلو عرفت أن مصدر القوة هو الله عزَّ وجلَّ ما عصيته وأطعت مخلوقاً. قال الله تعالى: (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً) الكهف(39) انظر إلى عبارة (لا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ) ، وكما أخبر الله تعالى عن يوسف عليه السلام : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) سورة يوسف (33) .

- إن الله تعالى يُحب القوة والأقوياء؛ الأقوياء في إيمانهم وأجسادهم وعلمهم وتعاطيهم وأخذهم وسائر أمورهم؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: **(المؤمنُ القويُّ خَيْرٌ وأحَبُّ إلى الله مِن المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خيرٌ، احرِصْ على ما ينفَعُكَ، واسْتعِن بالله ولا تعجزْ)** رواه مسلم.

وهو تعالى يكره القوة المبنية على الطغيان والظلم؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: **(لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لا يأخُذُ الضعيفُ فيها حقَّه غيرَ مُتَعْتَعٍ)** ؛ رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

، وقوله: (**غير مُتَعْتَعٍ**)أي: من غير أن يُصيبَه أذًى يُقلِقُه ويُزعجه .

- النصر بيد القوي جل وعلا فلن تنصر الأمة إلا إذا رجعت إليه في جميع شؤون حياتها ، قال تعالى: (**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**) [الحج: 40].نزلتْ هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ حيث كانوا في أول الإسلام ممنوعين مِن قتال الكفار، ومأمورين بالصبر عليهم لحكمة إلهية؛ فلما هاجروا إلى المدينة، وأُوذوا وحصل لهم منعة وقوة أُذن لهم بالقتال؛ فقال الله: (**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**) [الحج: 39، 40]، فإننا إن نصَرْنا الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وفِعْل ما يُرضيه؛ فإن الله تعالى ناصِرُنا على عدوِّنا مهما قلَّ عدَدُنا وعُدَدُنا، ومهما عظُم عَدَدُهم وعُدَدُهم؛ وقال تعالى: (**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ**

يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) [هود: 66]، وقال تعالى: (**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**) [المجادلة: 21]، فسبحانه كامل القوة، كاملُ العزة.

- أخبرنا الله تعالى بقوله :(**إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**)أي إن تدبيري حكيم، وإن هذا الإنسان المتفلت البعيد عن منهج الله، ولو بدا قوياً جداً، ولو بدت قوته لا تخفى، ما أهلك الله قوماً إلا ذكرهم أنه أهلك من هم أشد منهم قوة، إلا عاداً حينما أهلكها قال: (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**)

- الكيد على إطلاقه هو التدبير في الخفاء بقصد الابتلاء، أو المعاقبة والجزاء، إذا قلنا كيد تدبير ليس في العلن،الكيد تدبير في غرفة في قبو، في مكان مظلم، بعيد عن الناس، وقد يكون عيباً مذموماً إذا كان بالسوء في الابتداء، هذا عموما لكن عُزي الكيد إلى الله فهو تدبير حكيم، عادل، حماية للمؤمنين، أما إذا عُزي الكيد إلى البشر تكون جهة قوية، تخترع مشكلة، تخترع أزمة، تخترع ببلد معين تطمع في ثرواته مشكلة طائفية، تثيرها، ثم تحتل هذا البلد، هذا كيد الكافر كيد يوصف بالذم والانحراف.

32 – 35/ في رحاب اسمائه تعالى

المِلك والمالك والمليك ومَالك المُلْك

عرفت أن من معاني هذه الأسماء : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله :الملك : هوَ الَّذِي يَسْتَغْنِي فِي ذَاته وَصِفَاته عَن كل مَوْجُود، وَيحْتَاج إِلَيْهِ كل مَوْجُود بل لَا يَسْتَغْنِي عَنهُ شَيْء فِي شَيْء لَا فِي ذَاته وَلَا فِي صِفَاته وَلَا فِي وجوده وَلَا فِي بَقَائِهِ .

وقيل الملك : النافذُ الأمر في مُلكه؛ إذ ليس كل مالك يَنفُذ أمرُه أو تصرُّفه فيما يَملِكه، فالمَلك أعم من المالك، والله تعالى مالك المالكين كلهم، وإنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى .

- وعرفت أن معنى الْمَالِك : بِمَعْنى الْقَادِر التَّام الْقُدْرَة والموجودات كلهَا مملكة وَاحِدَة وَهُوَ مَالِكهَا وقادرها وَإِنَّمَا كَانَت الموجودات كلهَا مملكة وَاحِدَة لِأَنَّهَا مرتبطة بَعْضهَا بِبَعْض .

وعرفت أن معنى مَالك الْملك : هُوَ الَّذِي ينفذ مَشِيئَته فِي مَمْلَكَته كَيفَ شَاءَ وكما شَاءَ إيجادا وإعداما وإبقاء وإفناء وَالْملك هَاهُنَا بِمَعْنى المملكة وَالْمَالِك بِمَعْنى الْقَادِر التَّام الْقُدْرَة والموجودات كلهَا مملكة وَاحِدَة وَهُوَ مَالِكهَا وقادرها.

ووجه دلالة هذا الأسماء تعالى على كماله تعالى أن يقال [120]: أنها تقتضي ما يأتي :

1- انفراده تعالى بالملك: فالله تعالى هو الملك وحده وما سواه مملوك؛ قال تعالى: **(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ)** [المؤمنون: 116]، فالمالك على الحقيقة هو الله جل جلاله، وقال تعالى: **(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)** [الإسراء: 111]، فالملك الحقيقي لمن بدأ الخلق، وتفرَّد بالربوبية والتدبير، وهو الله الذي له الملك كله، وله الحكم كله، وإليه يُرجع الأمرُ كله، وقال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الملك: 1]، وقال تعالى: ﴿**لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التغابن: 1]، وقال تعالى: (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ**)[الناس: 1، 2]، فالله تعالى هو الملك والناس

120/ مقال بعنوان : الملك، المليك، المالك جل جلاله - د. شريف فوزي سلطان – الألوكة الشرعية – بتصرف يسير.

مملوكون، ولذلك فهم لا يَملِكون على الحقيقة، وفي الجمع الغفير والحشد الهائل الكبير - حشد الحجيج الذي يشبه حشد الحشر - تَسمع التلبية المباركة: "لبيك اللهم لبيك، لبَّيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملكَ، لا شريكَ لك".

2- ملكه تعالى لا ينقص بالعطاء: بخلاف ملوك الدنيا، فإنهم إذا أعطوا انتقص ملكهم بالعطاء، أما الملك الحق سبحانه فخزائنه لا تغيض ولا تنفَد مهما أعطى منها وأنفَق؛ قال الله تعالى: (يا عبادي، لو أن أولكم وآخرَكم، وإنسكم وجنَّكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر)رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم: **(يد الله ملأى لا يَغيضها نفقة، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض)** متفق عليه.انظر كم مِن أناس أكلوا وشربوا، وتملَّكوا في الدنيا وكانوا وكانوا، كل ذلك مِن ملكه ورزقه سبحانه .

3- انفراده تعالى بالعطاء والمنع والإيتاء والنَّزْع: ولذلك كان هو الملك الحق؛ قال ابن القيم عليه رحمة الله: "إن حقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع، والإكرام والإهانة، والإثابة والعقوبة، والغضب والرضا، والتولية والعزل، وإعزاز مَن يليق به العز، وإذلال مَن يليق به الذل"[121].

قال تعالى: **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** [آل عمران: 26، 27].

4- لا يُسأل عما يفعل: قال تعالى: **(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)** [الأنبياء: 23]؛ لأن العادة أن يسأل الكبير الصغير عن فعله، ولا أكبر من الله، وأن يسأل الجليل الذليلَ عن فِعْله، ولا أجَل مِن الله، وأن يسأل الأعلى مقامًا الأدنى ولا أحد أعلى مِن الله.

5- **أنه فعال في ملكه لما يريد، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد:** ولا تحدث حركة في هذا الكون إلا بإذنه؛ روى البخاري في صحيحه مِن حديث أبي ذر، قال: دخلت المسجد ورسول الله صلى الله

121/ طريق الهجرين – لابن القيم .

عليه وسلم جالس، فلما غربت الشمس، قال: **(يا أبا ذر، هل تدري أين ذهبت هذه؟)**، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (**فإنها تذهب تستأذن في السجود، فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فتَطلُع من مغربها**)، ثم قرأ: (**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**) [يس: 38]؛ فسبحانه القائل: (**وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**) [البقرة: 247]، وسبحانه القائل: (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) [يس: 82].وعندما كسر إبراهيم الأصنام التي تُعبَد مِن دون الله، أراد قومه أن يُحرِّقوه، فلما ألقَوْه في النار، ما بعث الله ريحًا لتطفئها ولا ماء لتُخمدها، ولا ملكًا ليُخرج إبراهيم، إنما تكلم بكلمة إلى النار، فخضعت لأمر الملك الجبار؛ قال تعالى: (**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**) [الأنبياء: 69] .[122]

تعلمت من هذه الأسماء الحسنى المَلِك والمالك والمليك ومَالك المُلك[123] : ما يأتي :

1- أن تعتقد أنه لا يملك أمر نفعِك أو ضرك إلا الملكُ:

فتَسير في حياتك هذه بوجه واحدٍ، لا تقول إلا الحق، ولا تعمل إلا الحق، ولا تَجبن في مواجهة مَن لا يملك مِن أمرك فضلًا عن أمر نفسه شيئًا؛ قال تعالى: (**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**) [يونس: 49].

فكما أنه لا يملك إنهاء أجَلِك إلا الملك، فكذلك لا يَملك نفعَك أو ضرَّك إلا الملك؛ يقول تعالى: (**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا**) [الجن: 20، 21].

2- ألا تسال غيره ولا تطلب ممن سواه: لأنه لا يملك على الحقيقة غيره ولا يُدبر الأمر سواه، فكل ما أردتَ وتمنيتَ قليلًا كان أو كثيرًا - مِن شفاءٍ أو صحةٍ، أو مالٍ أو ولدٍ أو زوجة، أو نجاحٍ في حياة عملية، أو زوجية، أو صلاحٍ في دين، أو غير ذلك - كل ذلك لا يَملِك خزائنه إلا الله. فكيف تطلب ممن لا يملك شيئًا وتترك باب مَن يملك كل شيء؟!

دخَل هشام بن عبدالملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبدالله بن عمر، فقال له: يا سالم، سلني حاجةً، فقال له: إني لأَستحيي من الله أن أسألَ في بيت الله غيرَ الله، فلما خرج في أثره، قال له:

122/ رواه البخاري مرفوعًا معلقًا.

123/ مقال بعنوان : الملك، المليك، المالك جل جلاله - د. شريف فوزي سلطان – الألوكة الشرعية – بتصرف يسير .

الآن قد خرجتَ، سلني حاجة، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟! قال: بل حوائج الدنيا! فقال له سالم: ما سألتها مَن يَملكها، فكيف أسأل مَن لا يَملكها؟![124].

3- **استحقاقه وحده للعبادة :** لما كان الحق هو الخالق لكل شيء، والمالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء، فإنه وحده المستحق للعبادة دون سواه، والآلهة التي تُعبَد من دونه مخلوقة مملوكة مربوبة، لا تملك مِن دون الله شيئًا، وألوهيتها باطلة، وعبادتها ظلم وضلال، قال تعالى: (**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فالذي يملك كشف الضر وحده، والذي يقدر على تحويل كل شيء وحده، والتحكم في كل شيء وحده، والهيمنة على كل شيء وحده - الملك جل جلاله الذي لا يستحق العبادة سواه.

4- **الطاعة المطلَقة** : فإذا كان الملك الحقيقي الدائم الكامل لله تعالى وحده لا شريك له، فالطاعة المطلقة إنما تكون له وحده لا شريك له؛ لأن مَن سواه مِن ملوك الأرض إنما هم عبيدٌ له تحت إمرته؛ فلا بد مِن تقديم طاعة الملك على طاعة من سواه، وحكمه على حكم مَن سواه، فلا طاعة لأحد إلا في حدود طاعته، أما في معصيته فلا سمع ولا طاعة؛ قال تعالى: (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) [النساء: 65].

5- **أن تعتقد أنه ملك الملوك وملك الأملاك،** فلا يتسمَّى بذلك غيره:روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أَغيظُ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثُه، رجلٌ كان يُسمى: ملك الأملاك، لا مَلِكَ إلا الله)**. ويلتحق بذلك ما في معناه؛ كأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وقاضي القضاة، وأمير الأمراء ونحو ذلك؛ لأن الملك جل جلاله هو الأحق بذلك، ولا شريك له في ذلك.

6- **أن نتواضع له** :فإن مَن عرف أن الله هو الملك الحق، فلا بد أن يتواضع ولا يرفع نفسه فوق منزلة العبيد، حتى لو كان مِن الملوك؛ فإنه لا يعدو كونه عبدًا فقيرًا يقع تحت قهر الله وسلطانه.

124/ صفة الصفوة – لابن الجوزي .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى السماء، فإذا مَلَكٌ ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلِق قبل الساعة، فلما نزل، قال: يا محمد، أرسلني إليك ربُّك، قال: أفملكًا نبيًّا يجعلك، أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل: تواضَع لربِّك يا محمد، قال: ((**بل عبدًا رسولًا**)) رواه أحمد وسنده صحيح.

7- أن تعلم أن لكل ملكٍ حِمًى:فمَن أراد لنفسه النجاة، فليتَّق عقوبة الملك باجتناب محارمه؛ فعن النعمان بن بشير قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يَعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حِمى، ألا وإن حمى الله محارمه)** متفق عليه.

فإذا كان الملوك يجمعون الأرض التي لهم، ويُحيطونها بحمى وسياج، فلا يدنو منها أحدٌ، فمن اقترب منها أو تجاوزها فقد عرَّض نفسه للعقوبة البالغة، فكيف تُتَجاوزُ حدودُ الملك ويُستهان بحقوقه؟!

8- اتقِ الله فيما تملِك :إذا أردت النجاة بين يدي الله، فانظرْ لكل ما ملكته بنظرتين :

الأولى: أنه قد يُسلَبُ منك في أي لحظة، وغالب السلب إنما يكون على سبيل العقوبة، فوجب أن تكون على حذرٍ؛ قال تعالى: **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ)** [الأنعام: 46].

الثانية : أن تصرُّفك فيما تملِك ابتلاءٌ وامتحان وفتنة؛ كما قال تعالى: **(لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ)** [المائدة: 48]، وقال تعالى: **(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)** [الكهف: 7].

وكلما زاد ملكك زادتْ فتنتك، فاَّتقِ الله فيما تملك؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه : (ما أحد أصبح في الدنيا إلا وهو ضيفٌ وماله عارية، والضيف مُرتحل والعارية مردودة)أخرجه الإمام أحمد في الزهد .

وما المالُ والأهلون إلا ودائعُ ولا بدَّ يومًا أن تُرَدَّ الودائعُ

9- أن تكون على يقين مِن أن كل مُلك في هذه الدنيا زائلٌ: أراد أحد الصالحين أن ينصح ملكًا، فكتب على كرسي الحكم: "لو دام لغيرك لَمَا وصل إليك"،فكل مَلِك في هذه الدنيا ينتهي ملكه بالموت أو بفقْد السيطرة عليه، لكن الله هو الملك الذي لا يُقهر: **(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)** [القصص: 88].

لا شيءَ مما ترى تَبقى بشاشتُه   يَبقى الإلهُ ويَفنى المالُ والولدُ

ختاماً قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله :

ومملكة كلِّ عبد بدنه خَاصَّة فَإِذا نفذت مَشِيئَته فِي صِفَات قلبه وجوارحه فَهُوَ مَالك مملكة نَفسه بِقدر مَا أعطي من الْقُدْرَة عَلَيْهَا ،وَلَقَد صدق بعض العارفين لما قَالَ لَهُ بعض الْأُمَرَاء سلني حَاجَتك حَيْثُ قَالَ أوتقول لي هَذَا ولي عَبْدَانِ هما سيداك فَقَالَ وَمن هما قَالَ الْحِرْص والهوى فقد غلبتهما وغلباك وملكتهما وملكاك وَقَالَ بَعضهم لبَعض الشُّيُوخ أوصني فَقَالَ لَهُ كن ملكا فِي الدُّنْيَا تكن ملكا فِي الْآخِرَة قَالَ وَكَيف؟ أفعل ذَلِك فَقَالَ :ازهد فِي الدُّنْيَا تكن ملكا فِي الْآخِرَة مَعْنَاهُ اقْطَعْ حَاجَتك وشهوتك عَن الدُّنْيَا فَإِن الْملك فِي الْحُرِّيَّة والاستغناء.

36/ في رحاب اسمه تعالى

المحصي

عرفت أن معاني اسم الله المحصى [125]: ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الْعَالِم وَلَكِن إِذا أضيف الْعلم إِلَى المعلومات من حَيْثُ يحصي المعلومات ويعدها ويحيط بهَا سمي إحصاء والمحصي الْمُطلق هُوَ الَّذِي ينْكَشف فِي علمه حد كل مَعْلُوم وعدده ومبلغه .

وقيل : المحصى الذي يحصى الأعمال ويعدها يوم القيامة، وهو العليم بدقائق الأمور، وأسرار المقدور، هو بالمظاهر بصير، وبالباطن خبير، هو المحصى للطاعات، والمحيط لجميع الحالات .

وقيل : هو الذي أحصى كل شيء بعلمه، وهو المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، العالم بخفيات الأمور ومحصيها.

ووجه دلالة اسمه تعالى المحصي على كماله سبحانه : ما يأتي :

أنه يدخل في هذا الاسم دقة الصانع وإبداع الخالق، فهو المحصي لحاجات الكون، ومرادات الخواطر، وخافيات النفوس، والظاهر من القول، والباطن من الغيب.

قال سبحانه : (**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**) السجدة (7) قال ابن عباس رضي الله عنهما : أتقنه وأحكمه . وقيل : خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض ، فكل حيوان كامل في خلقه حسن ، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه .

وقال سبحانه : (**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**) الأنعام (59) .

125/ لم يرد المحصي بالاسم في القرآن الكريم، ولكن وردت مادته في مواضع: منها :(لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) سورة الجن (28) (وكل شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبينٍ) يس (12) ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً) سورة مريم (94)ونحوها كثير ،ولذ اختلف فيه العلماء ووهو في حيث الترمذي وممن أثبته : الغزالي والبيضاوي وابن العربي والبيهقي والنابلسي .

تعلمت من اسمه المحصي : ما يأتي :

- أن أحاول إحصاء النعم التي أنعم الله بها علي لأؤدي شكرها ، قال الغزالي : وَالْعَبْد وَإِن أمكنه أَن يحصي بِعِلْمِهِ بعض المعلومات فَإِنَّهُ يعجز عَن حصر أَكْثَرهَا فمدخله فِي هَذَا الِاسْم ضَعِيف كمدخله فِي أصل الْعلم .

- أن أتأمل في عظمة آثر هذا في الكون حيث يعلم المحصي تعالى المستقر والمستودع، كما يعلم بدقة الإحصاء مسارات الكون وأفلاك الآفاق، وآفاق الآفاق .قال سبحانه: (**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**) هود (6) .

- قال أحد العلماء : لو علم الإنسان أن أفعاله بإحصاء قولاً وحركة وسكوناً، لعلم أنه مراقب وعليه حسيب، فيحاسب نفسه قبل الحساب، ويراقب سلوكه قبل أن تذل الرقاب. يقول الحق سبحانه: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ *إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ *مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ *وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) ق (22-16)

- متى علم العبد أن الله يحصي عليه كل حركاته وسكناته وخواطره وأنفاسه ونواياه شعر أن الله عز وجل بالمرصاد، وعليه أن يكون في وضع يستحي فيه من الله عز وجل، فيجب أن تراقب قلبك، ولتعلم أن الله عز وجل يراقبك، لذلك سيدنا عمر يقول: " فتعاهَدْ قلبك "، فنحن دائما نتعاهد أجسامنا، بحيث نسرع لوقاية أيّ عضو أُصيب، أما المؤمن فإنه يتعاهد قلبه كذلك ويخشى أن يرى الله عز وجل في قلبه شيئاً لا يرضيه، قال صلى الله عليه وسلم **(إِنَّ الله لا يَنْظُرُ إلى أَجْسامِكُم، وَلا إِلى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)** رواه مسلم.

37-38/ في رحاب اسميه تعالى

المبدئ والمعيد

عرفت أن من معاني المبدئ والمعيد[126] : ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله :** المبدئ والمعيد هو الموجِد لَكِن الإيجاد إِذا لم يكن مَسْبُوقا بِمثلِهِ سمي ابداء وَإِذا كَانَ مَسْبُوقا بِمثلِهِ سمي إِعَادَة وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَدَأَ خلق النَّاس ثمَّ هُوَ الَّذِي يعيدهم أَي يحشرهم والأشياء كلهَا مِنْهُ بدأت وَإِلَيْهِ تعود وَبِه بدأت وَبِه تعود .

وقيل : المبدئ : أي أن الله بدأ الخلق من العدم إلى الوجود، فأحسن كل شيء خلقه بتقدير وتدبير وعلم.

والمعيد : هو الذي يعيد الخلق للحساب ويحشرهم ويرفع عنهم الحجاب ويجازي لك مخلوق بعمله وقوله.

ويرى الإمام الرازي رحمه الله تعالى " أنَّ المعيد هو الذي يُعيدُ الأشياء بأعيانها "، قال النابلسي : فهذا الجسم الذي فني إلى ذرَّات، فالذرَّات نفسها تجتمع ويُعاد خلقها من جديد، فلو أنَّ الإنسان أُحرق كما في الهند وأُلقي رماده في الآفاق، فهذه الذرَّات يُعيده الله سبحانه وتعالى، لو أنَّه أُلقي في البحر، أو لو أنه احترق في الجو، فذرَّات الإنسان التي خلقها الله يُعيدها هي هي، وقد استنبط الإمام الرازي هذا من قوله تعالى: (**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**) يس(79).

126/ لم يرد المبدئ والمعيد بالاسم في القرآن الكريم، ولكن وردت مادته في مواضع: منها قوله تعالى (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) السجدة (7) وقوله تعالى (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سورة العنكبوت :الآية 20، والمعيد : في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) الأنبياء(104) ﴾، وقوله تعالى﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) النمل (64)ونحوها كثير ،ولذ اختلف فيه العلماء ووهو في حيث الترمذي وممن أثبته : الغزالي والبيضاوي وابن العربي والبيهقي والصنعاني والنابلسي .

تعلمت من هذين الاسمين المبدئ والمعيد [127]: ما يأتي :

- أن يتذكر الإنسان بدايته الترابية الجسمانية ليذهب منه الغرور ويتذكر بدايته الروحانية التي تصله بأسباب الله العلي الكبير. والمعيد في صفة الله تعالى هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات ثم يعيدهم بعد الموت إلى الحياة .

- يعتبر الإنسان بضعفه فالإنسان أحياناً يقول: والله قد فعلت هذا الأمر ولكنّي لا أستطيع أن أُعيده. أي جاءته معونةٌ خاصَّة خارجةٌ عنه، فإذا كلفته أن يعيده لا يستطيع، فالإنسان من ضعفه أحياناً تأتيه بوارق، حالات إستثنائيَّة، إشراقات، فهو لا يملك هذا الإشراق دائماً، فكل من يعمل في أعمال الفكر أو الإبداع، يعرف أن الإبداع لا يأتيهم متى يشاؤون، الإبداع قد يوافي الرجل، وقد لا يوافيه، فمعنى ذلك أنَّ الإنسان مفتقر، أحياناً يبدع في إلقاء كلمة، يبدع في قراءة، يبدع في فكرة، يبدع في إكتشاف، لكن قد لا يبدع أحياناً.

قال بعضهم: " العبقريَّة تسعٌ وتسعون بالمائة عرق - أي اجتهاد - وواحد بالمائة إلهام"، وهذا الشيء ثابت فكل الأدباء والكتَّاب والشعراء، حتى كل الأعمال التي تتسم بالإبداع أصحابها يعترفون أنَّه في بعض اللحظات يأتيهم إشراق، في بعض اللحظات تأتيهم معونة، في بعض اللحظات يتألَّقون، ولكنَّ هذه اللحظات لا يملكونها، تأتيهم أو لا تأتيهم، ولذلك الذي فعلته اليوم بإشراقةٍ أو بإبداعٍ أو باستثناءٍ لا تملك أن تُعيده وهذا من ضعف الإنسان، لكنَّ الله سبحانه وتعالى كلُّ شيءٍ خلقه يعيده مرَّةً ثانية كما ورد في الآية الكريمة: **(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ)**.

- **يحكي الدكتور محمد النابلسي حفظه الله تعالى :** أحد الأشخاص إتَّفق مع شخص آخر على أن يقرضه ثلاثمائة ألف ويُسجِّل له بستاناً جميلاً جداً كرهن، فلما لم يستطع المستقرِض أن يرُدَّ القرض، قال له الآخر: لا كلُّ إنسان معه حقَّه، وكان ثمن البستان مليوناً. فصاحب هذا البستان تألَّم ألماً شديداً لدرجة أنَّه أصيب بأزمة قلبيَّة وشارف على الموت، فأوصى ابنه قائلاً: يا بني إنّي إن مِت سِرّ بالجنازة أمام هذا الذي اغتصب مني البستان وأوقف الجنازة أمام دكَّانه، وأدخل إليه

127/ موقع طريق الإسلام وموسوعة النابلسي – بتصرف كبير.

وأعطه هذه الرسالة، وبعد موت الرجل وكان بيته بطرف المدينة فانتقلت الجنازة للطرف الآخر وسارت إلى جانب دُكَّان المغتصب، وأوقف ابنه الجنازة أمام الناس ودخل إلى هذا المغتصب وقال: هذه الرسالة من هذا الميِّت، قبل أن يموت كتبها لك. ففتحها فقرأ ما كتبه المتوفّى فيها قائلاً: إنني ذاهبٌ إلى الله، فإذا كنت بطلاً فلا تأتي إلينا، سوف أُقاضيك هناك.

إذًا معنى المُعيد أننا لا بدَّ من أن نعود إلى الله وسوف نُحاسب، لذلك الغنى والفقر بعد العرض على الله.

- أن أدعو المبدئ المعيد بهذا الدعاء النبوي الشريف: **(اللّٰهُمَّ ! أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَالْمَوْتُ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)رواه مسلم.**

39/ في رحاب اسمه تعالى

الْوَاجِد

عرفت أن معاني الواجد [128]: ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله : الْوَاجِد** : من لَا يعوزه شَيْء مِمَّا لَا بُد مِنْهُ وكل مَا لَا بُد مِنْهُ فِي صِفَات الإلهية وكمالها فَهُوَ مَوْجُود لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ بِهَذَا الِاعْتِبَار وَاجِد وَهُوَ الْوَاجِد الْمُطلق وَمن عداهُ إِن كَانَ واجدا لشَيْء من صِفَات الْكَمَال وأسبابه فَهُوَ فَاقِد لِأَشْيَاء فَلَا يكون واجدا إِلَّا بِالْإِضَافَة .

- **وقال ابن القيم رحمه الله:** الوَاجِدُ: في أسمائِهِ سبحانَهُ بمعنَى: ذُو الوُجدِ والغِنَى، وهوَ ضِدُّ الفاقِدِ، وهوَ كالمُوسِعِ ذِي السَّعَةِ[129]، قالَ تَعَالَى:(**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**) الذاريات(47).

- **وقال أيضاً :** ووَقَعَ فِي أَسمائِهِ الواجِدُ، فهو بمعنَى: الغَنِيّ الذي له الوَجْدُ .130

- **وقيل :** الواجد هو الذي لا يحتاج إلى شيء، منزَّهٌ عن أن يحتاج إلى شيء لأنَّه يجد كلَّ شيء .

تعلمت منه : ما يأتي :

- أن الإنسان الذي أصابه الوجد، أي ما يجده من أحوال في قلبه، فأنتم بربكُم أحياناً يشعر الإنسان بإنقباض، أو يحسَّ بكآبة، أو بإنطلاق، أو يحسَّ بالغنى الحقيقي، يكون إنسان عادي ودخله محدود وهو من عامَّة الناس، يشعر أنَّه غنيّ وأنَّ الله سبحانه وتعالى تفضَّل عليه بالمعرفة،

128/ الواجد من الأسماء المختلف فيها وهو في حديث الترمذي وأثبته الغزالي وابن القيم والبيهقي . وورد في القرآن الكريم مادَّة الوجد فقد قال تعالى:﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ص (43) وقال تعالى:﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى) الضحى (7-8)

129/ قال ابن القيم :(فأمَّا ((الواجِدُ)) فلمْ تَجِئْ تَسْمِيَتُهُ بِهِ إلاَّ في حديثِ تَعْدَادِ الأسماءِ الحُسْنَى .. والصحيحُ: أنَّهُ ليسَ منْ كلامِ النبيِّ، ومعناهُ صحيحٌ؛ فإنَّهُ ذو الوُجْدِ والغِنَى، فهوَ أَوْلَى بأنْ يُسَمَّى بهِ من ((الموجودِ)) ومن ((المُوجِدِ))، أمَّا ((المَوْجُودُ)) فَإِنَّهُ مُنْقَسِمٌ إلى كاملٍ وناقصٍ، وخيرٍ وشرٍّ، وما كانَ مُسَمَّاهُ مُنْقَسِماً لمْ يَدْخُل اسْمُهُ في الأسماءِ الحُسْنَى، كالشيءِ والمعلومِ، ولذلكَ لمْ يُسَمَّ بالمُريدِ، ولا بالمُتَكَلِّمِ وإنْ كانَ لهُ الإرادةُ والكلامُ، لانْقِسَامِ مُسَمَّى ((المُرِيدِ)) و ((المُتَكَلِّمِ)). وأمَّا ((المُوجِدُ)) فقدْ سَمَّى نَفْسَهُ بأكملِ أنواعِهِ، وهوَ (الخالِقُ، البارِئُ، المُصَوِّرُ)، فالمُوجِدُ كالمُحْدِثِ والفاعلِ والصانعِ، وهذا مِنْ دقيقِ فِقْهِ الأسماءِ الحُسْنَى، فتَأَمَّلْهُ. وباللهِ التوفيقُ) مَدارجُ السَّالكِينَ (3/383-385).نقلا عن موقع معهد آفاق التيسير.

130/ شِفاءِ العَلِيلِ – لابن القيم (1/ 332). نقلا عن موقع معهد آفاق التيسير .

وتفضَّل عليه بالقرب، وأمدَّه بالتوفيق، هذا الشعور بالغنى والشعور بالطمأنينة، والشعور بالرضا، والشعور بالأمن، فقد قال الله عزَّ وجلَّ:(وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) سورة الأنعام (81-82).

- من أكبر ثمرات الإيمان – باسمه الواجد – عند المؤمن هذا الحال الذي في قلبه.. شعور الغنى بالله تعالى المؤمن لا يخاف إذا خاف الناس وهذا أكيد، لا يقلق إذا قلق الناس، لا يستخزي إذا إستخزى الناس، لا يذِل إذا ذلَّ الناس، لأنَّه مع الله والله هو العزيز هو القوي.

اجعل لربِّك كلَّ عِزِّك يستقرُّ ويثبت

فإذا اعتززت بمن يموتُ فإنَّ عزَّك ميّتُ [131]

- **أن يستحضر العبد فقره دوما أنه في حاجة إلى الواجد جل وعلا :** فعن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَنْ هَدَيْته، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَنْ أَطْعَمْته، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْته، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي! إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إلَّا نَفْسَهُ" رواه مسلم حديث رقم (2577) .

131/ موسوعة النابلسي – بتصرف كبير.

41-40/ في رحاب اسميه تعالى

المحيي والمميت

عرفت أن من معاني المحيي والمميت [132] : ما يأتي :

- **قال الغزالي رحمه الله :** لَا خَالق للْمَوْت والحياة إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَا مميت وَلَا محيي إِلَّا الله عز وَجل وَقد سبقت الْإِشَارَة إِلَى معنى الْحَيَاة فِي اسْم الْبَاعِث فَلَا نعيده .

وقال البيهقي رحمه الله تعالى : المحيي : هو الذي يحيي النطفة الميتة، فيخرج منها النسمة الحية، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث، **ويحيي القلوب** بنور المعرفة، ويحيي الأرض بعد موتها؛ بإنزال الغيث، وإنبات الرزق ،**والمميت :** هو الذي يميت الأحياء، ويوهي بالموت قوة الأقوياء .

ووجه دلالة اسميه تعالى المحيي والمميت على كماله سبحانه : أنه مالك الحياة والموت لكل الكائنات صغيرها وكبيرها ولكل منها حياته وموته اللذان يليقان به كما قال تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) الحاقة (38-39) .

قال ابن عاشور رحمه الله : جمع الله في هذا القسم كل ما الشأن أن يقسم به من الأمور العظيمة من صفات الله تعالى ومن مخلوقاته الدالة على عظيم قدرته إذ يجمع ذلك كله الصلتان بما تبصرون وما لا تبصرون ، فمما يبصرون : الأرض والجبال والبحار والنفوس البشرية والسماوات والكواكب ، وما لا يبصرون : الأرواح والملائكة وأمور الآخرة .

132/ من الأسماء المختلف فيها : وهو في حديث الترمذي وقد أثبته الغزالي وابن العربي والبضاوي وابن حجروالبيهقي ورد آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد صفة المحيي، منها:(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) سورة البقرة: 28 وقوله تعالى :(وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) سورة الحج:66 (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سورة فصلت:39 وفي السنة النبوية عن حذيفة بن اليمان قال: «كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم :إذا أوى إلى فراشِه قال: (اللَّهمَّ باسمِك أموتُ وأحيا) وإذا استيقَظ قال: (الحمدُ للهِ الَّذي أحيانا بعدَما أماتنا وإليه النُّشورُ) رواه البخاري . وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَتمنَّينَّ أحدُكمُ الموتَ مِن ضُرٍّ أصابَهُ، فإن كانَ لا بدَّ فاعِلًا، فليقُلْ اللَّهُمَّ أحيِني ما كانتِ الحياةُ خَيرًا لي، وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خَيرًا لي» متفق عليه .

تعلمت من المحي والمميت [133] : ما يأتي :

أولاً : ما تعلمته من اسمه المحي :

- هو خالق الحياة ومعطيها لمن يشاء، ويسلبها منهم بالموت متى شاء ، وهو الذي أحيا قلوب المؤمنين بنوره، وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ونزل الكتاب، لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، وهو الذي أنزل من السماء ماء، وجعل من الماء كل شيء حي ، يقول الحق سبحانه: **(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)** الأنبياء (30)

الإحياء الأول الإحياء من العدم، والإحياء الثاني الإحياء بعد الموت، أمتنا اثنين وأحييتنا اثنين، الإحياء من العدم اي في بطون أمهاتنا، والإحياء الثاني يحيينا يوم القيامة، يبعثنا من قبورنا ونحيا مرَّةً ثانية.

- وتجد المؤمن حيّ القلب، إذا قرأ القرآن تدمع عينيه، إذا قرأ القرآن يقشعرُّ جلده، يَجِفُ قلبه ويضطرب، يحبُّ ربَّه، يحبُّ طاعته، يحبُّ الخير، يصغي إلى الحق، ينطق بالحق، يذكر الله، ويذكِّر بالله ، ويدعو إلى الله ، فله أهداف كبيرة سامية ، يسعى بها إلى مرضات ربه .

- الله المحي يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها، ويحيي القلوب بمعرفته والإقبال عليه، قال تعالى: **(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** الحديد (17)، قال السعدي : الذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله .

- **مجموع مراحل الحياة والموت أربعة** : وهو ما تشير إليه الآية: ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾(غافر:11)؛ موت قبل هذه الحياة، وموت بعد هذه الحياة الدنيا، ثم حياةٌ بين الموتين، وحياة لا موت فيها ولا موت بعدها وهي الأخيرة التي تستحق أن تسمى "الحياة". إذن ما عادت مناقشةٌ في مسألة الحياة، وما عاد لبْس في أمر الحياة الآخرة أنها هي الحياة! فيقول الإنسان

133/ موقع خطب الجمعة وموسوعة النابلسي ومقال بعنوان : مفهوم الحياة في القرآن الكريم - للأستاذ الشاهد البوشيخ- موقع حراء - بتصرف .

النادم بصراحة ناسباً ذلك لنفسه: ﴿**يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾، وكأن الحياة الدنيوية لم تكن له حياة. لذلك سوف ندرك أن هذه الحياة الأخروية هي الحياة الحقيقية ولكن الناس نيام، فإذا ماتوا استيقظوا وعرفوا الحياة الحقيقية.

- هذا المعنى للحياة هو التصوّر الإيماني الحقيقي للحياة، وعليه تُبنى حياةٌ ويُنتَج ويُصاغ إنسانٌ، لا يُؤثِر العاجلة على الآجلة، بل يؤثر الآجلة على العاجلة، على هذا التصور يصاغ إنسان يريد بالدنيا الآخرة ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾(القصص:77). إلا أن الدنيا في موقعها من الحياة جملةً -في التصور الإيماني الروحي هذا- مجرد متاع صغير بسيط واستمتاع بلحظات فقط، وهو نفسه ما تشير إليه الآية: ﴿**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾(البقرة:36). ولمن ذلك المتاع؟ لمن اعتبره هو الحياة. وهذا المتاع هو الذي يسمى بالنسبة للمغترّ به متاع الغرور ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(الحديد:20)، لكون الإنسان خُلق خلقا معينا فيه استعداد كبير للتجاوب والاستجابة للشهوات ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾(الشمس:7-10).

- والمؤمن حيّ ، فكما قيل في الحِكم : (يا بُني مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم موجودة).

ثانياً : ما تعلمته من اسمه المميت :

الموت ورد في القرآن الكريم بمعاني متعدِّدة، ومنها :

- الموت: بمعنى :انعدام القوَّة النامية في الإنسان والحيوان والنبات ، لقوله تعالى: (فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الروم (50)

- موت الفرد بمعنى انتقاله للدار الآخرة : فكلّ شخص من هذه البشرية . ومهما شاط به قطار الزمن . سيلفه يوماً رداء الموت، ويطويه بجناحه. قال تعالى:(**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**) سورة النساء (78) ، ولا تقتصر هذه السنة الإلهية الكونية على النوع البشري، فكلّ حيّ ولجته الروح سيشرب يوماً نخب كأس الموت:(**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**) سورة آل

عمران (185)، وكم هنالك من فرق بين (كلّ إنسان) و(كُلُّ نَفْسٍ)، فالآية الشريفة تعبّر بسياج (**كُلُّ نَفْسٍ**)؛ لتمدّ ذراع البحث لكلّ عالم الأحياء: إنسانياً كان أم حيوانياً أم غير ذلك.

- **موت الأمة :** وكما أنّ للفرد موتاً، للأمة . ككيان وقوة ووجود اجتماعي . موت وفناء وزوال واندثار، وهي سنة إلهية في المجتمعات عامة، كما فنيت سبأ وعاد وثمود وكندة، وفني المجتمع الفينيقي والفرعوني واليوناني والروماني، وفنيت إمبراطورية الفرس والروم، وفنيت الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، واندثرت حضارات بشرية كثيرة، كانت يوماً ما.. شامخة عتيدة ذات مهابة وجلال. قال تعالى:(**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**)سورة الأعراف (34) .

- **الموت يعني : فناء العالم فكلّ ما خلقه الله في هذا الكون:** من مجرات وكواكب ونجوم و...، سيفنى يوماً، ويبقى وجه الله . جلّ وعلا .قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) سورة الرحمن (26-27).وقد فصّلت كثير من الآيات القرآنية الكريمة هذه النهاية المروّعة للعالم، وتساقط النظام الكوني العتيد بأسره .

- **الموت: بمعنى : زوال القوّة العاقلة** ،كما قال تعالى: (**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) الأنعام (122) أي : من كان مغفَّلاً ،وكان جاهلاً ، فاستيقظ وأصبح حيّاً، فعدم النماء موت، وعدم الإحساس موت ، وعدم الإدراك موت.

- **الموت: بمعنى : الحزن والألم والكدر، والضيق** ، قال الله تعالى: **(وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)** (إبراهيم: 17).

- الموت: بمعنى : النوم، فالنوم موتٌ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ لِيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**) رواه البخاري .

فأحدنا إن نام ، إما أن يصحو من النوم ، أو لا يصحو، فإذا لم يصحُ من نومه فالله يرحمه فقد مات الموتة الكبرى، وإذا صحا من نومه ، فالله بعثه بعد موته ، قال الله تعالى: (**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)الزمر (42).

ثالثاً : حظُّ المؤمن من اسم المحي المميت أن يذكره كثيراً، ففي سنن الترمذي عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- (**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**) .

قال النابلسي : المميت في حق الله تعالى هو مُقَدِّرُ الموت على كلِّ من أماته، ذكرت قصَّة أعيدها كثيراً لأنَّها مؤثِّرة، جلست مع إنسان ساعة تقريباً حدَّثني عن طموحاته إلى عشرين عاماً.. سيسافر من البلد الفلاني إلى البلد الفلاني إلى البلد الفلاني إلى الفلاني، وسيعود وسيفتح محلاً تجارياً، ويكبر أولاده، وفي اليوم نفسه رأيت نعوته على الجدران مساءً.

لا أحد منا يعرف متى سيموت ؟ هل سيموت في الستين من عمره أم في الخامسة والخمسين أم في الثامنة والأربعين، أم في الثالثة والسبعين، أم في التسعين من عمره ؟ لا أحد يعرف، فهناك شبابٌ يموتون.

إنسان مات قبل مدة يسيرة ترك ألف مليون، أحد الورثة نصيبه تسعين مليون، أغلق محلَّه التجاري وبدأ في متابعة المعاملات فذلك أربح من كل عمله، و ستَّة أشهر بالتمام والكمال من دائرة إلى دائرة لاستخراج براءة الذمَّة، ودخل إلى الحمام فإذا به يموت فجأة قبل أن يقبض قرشاً واحداً، فيا ترى وهو يبحث من مكان إلى مكان هل كان يتصوَّر أنَّه سيموت قبل أن يقبض هذا المبلغ ؟ الذي مات مسكين ما زال شاباً لن يدركه الموت بعد.

42-43/ في رحاب اسميه تعالى

الضار - النافع

عرفت أن من معاني الضار - النافع [134] : ما يأتي :

لما كان الإخبار عن الله تعالى بأنه الضار قد يوهم نقصا ، بيّن أهل العلم أنه لا يذكر إلا مقرونا بالإخبار عنه بأنه النافع ، سبحانه وتعالى ، فيقال : الضار النافع ، كما يقال : القابض الباسط ، العفو المنتقم .[135]

معنى النافع : الذي يوصِل الخير لمن يشاء من خَلقِه ، وقيل : الذي يصدر منه الخيرُ والنّفع في الدُّنيا والدِّين .

معنى الضار : الذي يقدّر الضر ويوصله إلى من شاء من خلقه . فالخير والشر من الله تعالى ، كما قال سبحانه : (**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**) الانبياء/35

134/ الضار النافع من الأسماء المختلف فيها : وهو في حديث الترمذي وقد أثبته الغزالي وابن العربي والبيضاوي وابن القيم ، ووردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد معناهما ، فالخير والشر من الله تعالى ، كما قال سبحانه : (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) الانبياء/35 وقال : (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الأنعام/17 وقال : (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**) الزمر(38) .

135/ قال ابن القيم رحمه الله : " إن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره ، وهو غالب الأسماء . كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم ،ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده ، بل مقرونا بمقابله كالمانع والضار والمنتقم ، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله ، فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو . فهو المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو المعز المذل ، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله، عطاء ومنعا ، ونفعا وضرا ،وعفوا وانتقاما . لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيه ؛ وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ . فهذه الأسماء المزدوجة تجري مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض ، ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه . فلو قلت : يا مذل ، يا ضار ، يا مانع ، وأخبرت بذلك لم تكن مثنيا عليه ، ولا حامدا له حتى تذكر مقابلها " بدائع الفوائد – لابن القيم (132/1) باختصار .

وعن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ : بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ**) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

ووجه دلالة اسميه تعالى الضار – النافع على كماله سبحانه : قال بعض العلماء: " الضار والنافع: اسمان أو وصفان يدلان على تمام القدرة الإلهية؛ فلا ضرَّ ولا نفعَ ولا شرَّ ولا خيرَ إلا وهو بإرادة الله " ، قلت ولا بد من إضافة معنى هاما ألا وهو أن ذلك مرتبط بحكمته الأزلية وعلمه السابق بمخلوقاته .

تعلمت من اسميه تعالى الضار النافع [136]: ما يأتي :

- يجب على المسلم اعتقادُ أنَّ كُلَّ شيءٍ يجري بتقدير الله سبحانه ومشيئتِهِ لا يخرج عن تقديره الخيرُ والشرُّ، والنفعُ والضُّرُّ، والطاعةُ والمعصية، والإيمانُ والكفر، والعلمُ والجهل، والمرضُ والصِّحَّة، والغنى والفقرُ، وليس في مُلْكه شيءٌ لم يقدِّره ولا يريده، وأهلُ السُّنَّة مُجْمِعون على أنَّ ما شاء اللهُ كان وما لم يَشَأْ لم يكن، وأنه لا يكون شيءٌ إلَّا بمشيئته وقدرته، وأنهم مُتَّفِقون على أنَّ الله لا يحبُّ الفسادَ، ولا يَرضى لعباده الكفرَ؛ لذلك يفرِّقون بين إرادتين:

- **إرادةٌ قَدَريةٌ كَوْنيةٌ:** وهي المشيئةُ الشاملةُ لجميع الموجودات خيرًا كانَتْ أو شرًّا، نفعًا أو ضرًّا، نعمةً أو نِقمةً، قال تعالى: (**إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ**) [الحج(18)، وقال سبحانه: (**إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ**) سورة الحج(14)، وهذه الإرادة لا تَستلزِمُ محبَّةَ اللهِ ورِضاهُ.

- **وإرادةٌ شرعيةٌ دينيةٌ:** فهذه مُتضمِّنةٌ لمحبَّة الله ورِضاه، مثل قوله تعالى: (**وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ**)[النساء: ٢٧]، ولكنَّها قد تقع وقد لا تقع، وتُسمَّى الأولى بالإرادةِ والثانيةُ بالمحبَّة.

136/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي - والموقع الرسمي للشيخ فركوس – فتوى (905) – باختصار وتصرف .

ومِنْ هنا يُعْلَم أنه لا يَلْزَم مِنْ وقوع الشيءِ وَفْقَ إرادته أنه يُحِبُّه، فالحبُّ غيرُ الإرادة، والأشياءُ المكروهة لا تُضاف إلى محبَّته وإنْ كانَتْ لا تخرج عن إرادته ومشيئته، وهو معنَى قولِه صلَّى الله عليه وسلَّم: (**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**) رواه مسلم .

فالله سبحانه وتعالى يضرُّ مَنْ يشاءُ مِنْ عباده بالفَقر والمرض والعِلل ونحوِ ذلك، ويُنْسَب إلى فعلِه؛ فالضرُّ مِنْ مفعولاته سبحانه وتعالى، وأفعالُه مِنْ مشيئته وإرادتِه، لكِنْ لا يحبُّ الضرَّ لذاته، وإنما يُحِبُّه لغيره الذي لا يترتَّب عليه إلَّا الخيرُ؛ لذلك بيَّن المولى عزَّ وجلَّ المسَّ الذي هو مِنْ فِعل الله تعالى، وإرادةَ الخير التي هي مِنْ محبَّة الله وفعلِه ومشيئته . أيضًا . في قوله عزَّ وجلَّ: (**وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**) يونس(107).

- قال النابلسي : لو كُشف الغطاء لهذا الإنسان - والله الذي لا إله إلا هو - الذي ساق الله له من الشدائد ما ساق، لَذاب كما تذوب الشمعة إذا أُشعِل فتيلها، حُباً في الله عزّ وجل. ولو عُرفت حكمة الشدائد التي يسوقها الله لِعِباده، لَذاب الإنسان حباً وخجلاً من الله عز وجل، كما تذوب الشمعة إذا أُشعل فتيلها.

لذلك يقول الإمام علي كرَّم الله وجهه: والله لو كُشِف الغطاء، ما ازددت يقيناً. وهذا الإيمان وهذا الشعور هو أحد أكبر الأسباب سعادة الإنسان ؛

هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا فليس لي معدِلٌ عنهم وإن عَدَلُو

وإن فتَّتوا في حبهم كبدي وإن عدلوا باقٍ على عهدهم راضٍ بما فعلوا

- **الله جل جلاله هو الضار** ؛ لكن لا ينبغي أن يغيب عن ذهنك كيف، أن الأب الجرّاح يُمسك بالمِبضَع، ويفتح البطن، ويخرج الدم، ويربط الأوعية، ويأتي إلى هذه الزائدة التي آلمته جداً ويقطعها ويستأصلها، ثم يُضَمِّد الجِراح. أب طبيب جراح مُفعم قلبه بالرحمة، وممتلىء عقله بالعِلم، أُصيب ابنه بالتهاب الزائدة، ماذا يفعل معه ؟ يستأصلها ؛ استِئصالها مُؤلم، فهناك فتح بطنٍ وتخدير، وبعد انتهاء المخدر هناك آلام، لكن هذا الأب يفعل هذا لِصالح ابنه. لا يمكن أن نفهم الضر من الله إلا هكذا، وأيُّ فهمٍ آخر يُعَد كفراً وإلحاداً في أسماء الله عز وجل لأن الله

سبحانه وتعالى يقول : (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) سورة الأعراف (180).

- وعليه، فلا يُنْسَبُ الشرُّ والضرُّ إلى الله تعالى تأدُّبًا، مع أنه لا يخرج عن إرادته ومشيئته، ولا يَلْزَم مِنْ ذلك محبَّتُه، وهذا المعنى مِنَ التأدُّب مع الله تعالى ظَهَر في كلام الجِنّ عندما جزموا أنَّ الله تعالى أراد أَنْ يُحْدِث حادثًا كبيرًا مِنْ خيرٍ أو شرٍّ فقال اللهُ تعالى على لسانهم: **(وَأَنَّا لَا نَدْرِيَ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)** سورة الجن(10) وفي هذا بيانٌ لأدبهم؛ إِذْ أضافوا الخيرَ إلى الله تعالى، والشرُّ حذفوا فاعِلَه تأدُّبًا.

- **قصة يحكيها النابلسي توضح ما سبق** : الله سبحانه وتعالى لحكمته البالغة، لا بد أن يسوق لعَبده العاصي بعض الشدائد. زارني رجل عَقِب درس من دروس الأحد وقال لي: أريد أن ألتقيك، وقال لي بالحرف الواحد: أنا يا أستاذ تربيت عند رجل مُلحد، وذلك أنه كان يشتغل عنده. فكان يقول له: ليس هناك إله، وليس هناك آخرة، وافعل ما تشاء. وبِناءً على كلامه: ما من معصية تَعرفها إلا فعلتها، عدا القتل فما قَتل، أما ما سوى ذلك فقد مارس كل شيء ! والأموال بين يديَّ كثيرة، واللذائذ وفيرة، والمباهج كثيرة، وأنا منغمس في كل المعاصي والآثام إلى قِمة رأسي ؛ قصة طويلة جداً ولكن أسوق لكم ملخَّصها: قال لي فجأة سُحب البِساط من تحت قدميّ، خُتم المحَل، أودع شريكي في السجن بِتُهمة كبيرة جداً. وانقطع دخْلي فجأةً، وعليّ ديون كنت أسدها من دخْل المحل، وكُشِف أمري، فاضطررت أن أعمل عملاً دون مكانتي بكثير، كي أُؤمن طعام يومي، وساق الله إلي الأمراض والشدائد، وقد وصف لي حالته وكأن مطرقة على رأسه وقال لي: والله لا أملك ثمن الدواء، ولا ثمن الطعام، وأذلني الله ذُلاً شديداً، ودخلت المسجد أول مرة بحياتي كي أُصلي، و تُبت إلى الله، واصطلحت معه. والله بعدما خرج دمِعت عيناي وقلت: يا رب ما أحكمك وما أرحمك، لو جعلت هذا الإنسان يمشي كما يريد إلى نهاية الطريق، لاستحق النار ؛ ولكن من رحمتك به أنك سُقت له هذه الشدائد، حتى حملْته على التوبة.

- معرفة العبد بهذين الاسمين من أسماء الله - النافع الضار - تجعله يسعى لأن يكون نافعاً لعِباد الله، وينبغي أن لا يقترب من المنحرفين لئلا يصيبه منهم الضُر، قال تعالى: **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)** سورة المائدة:(54).

44-46/ في رحاب اسمائه تعالى

الْعَلِيم والعلام والعالم

عرفت أن من معاني العليم : ما يأتي :

- أن الله عليمٌ بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأحاط علمه سبحانه وتعالى بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها.

- وقال الغزالي رحمه الله : وكمال علمه تعالى أَن يُحِيط بِكُل شَيْء علما ظَاهره وباطنه دقيقه وجليله أَوله وَآخره عاقبته وفاتحته وَهَذَا من حَيْثُ كَثْرَة المعلومات وَهِي لَا نِهَايَة لَهَا ثمَّ يكون الْعلم فِي ذَاته من حَيْثُ الوضوح والكشف على أتم مَا يُمكن فِيهِ بِحَيْثُ لَا يتَصَوَّر مُشَاهدَة وكشف أظهر مِنْهُ ثمَّ لَا يكون مستفادا من المعلومات بل تكون المعلومات مستفادة مِنْهُ .

كما عرفت أن هناك فروقاً بين علم الله وعلم المخلوق :

قال الغزالي رحمه الله تعالى " للْعَبد حَظّ من وصف الْعَلِيم لَا يكَاد يخفى وَلَكِن يُفَارق علمه علم الله تَعَالَى فِي الْخَواص الثَّلَاث:

إحْدَاهَا : المعلومات فِي كثرتها فَإِن مَعْلُومَات العَبْد وَإِن اتسعت فَهِيَ محصورة فِي قلبه فَأنى يُنَاسب مَا لَا نِهَايَة لَهُ .

وَالثَّانِية : أَن كشفه وَإِن اتَّضَح فَلَا يبلغ الْغَايَة الَّتِي لَا يُمكن وَرَاءَهَا بل تكون مشاهدته للأشياء كَأَنَّهُ يَرَاهَا من وَرَاء ستر رَقِيق وَلَا تنكرن دَرَجَات الْكَشْف فَإِن البصيرة الْبَاطِنَة كالبصر الظَّاهِر وَفرق بَين مَا يَتَّضِح فِي وَقت الْإِسْفَار وَبَين مَا يَتَّضِح ضحوة النَّهَار.

وَالثَّالِثَة : أَن علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالأشياء غير مُسْتَفَاد من الْأَشْيَاء بل الْأَشْيَاء مستفادة مِنْهُ وَعلم العَبْد بالأشياء تَابع للأشياء وَحَاصِل بهَا .

وَإِن اعتاص عَلَيْك فهم هَذَا الْفرق فانسب علم متعلم مكنيكا السيارات إِلَى علم وَاضعه فَإِن علم الْوَاضِع هُوَ سَبَب وجود المكنيكا وَوُجُود الشطرنج هُوَ سَبَب علم المتعلم وَعلم الْوَاضِع سَابق على

الشطرنج وَعلم المتعلم مَسْبُوق ومتأخر فَكَذَلِك علم الله عز وَجل بالأشياء سَابق عَلَيْهَا وَسبب لَهَا وَعلمنَا بِخِلَاف ذَلِك .

ورود هذه الأسماء الثلاثة في القرآن الكريم :

ورد اسمه تعالى العليم : في مائة وسبعة وخمسين موضعًا ، منها قوله تعالى : (**إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)[النحل:28]، وقال أيضاً: (**وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا**)[النساء:70].

وورد اسمه تعالى العالم : في ثلاث عشرة موضعا : منها قوله تعالى :(**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**)[الجن:26]، وقوله تعالى: **(وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)**[الأنعام:73].

وورد اسمه تعالى العلام : ورد في أربعة مواضع : منها قوله تعالى :(قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)[المائدة:109]، وعلى لسان المسيح (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)[المائدة:116].

ووجه دلالة هذ الأسماء تعالى على كماله سبحانه : أن فيها فيه إشارة إلى مراتب العلم الإلهي وهي أربعة[137]:

1- علمه بالشيء قبل كونه، وهو سر الله في خلقه، لا يعلمه ملكٌ مُقرَّب ولا نبيٌ مُرسل .. ويُسمى علم التقدير ومفتاح ما سيصير، ومن هم أهل الجنة ومن هم أهل السعير؟ فكل أمور الغيب قدرها الله في الأزل ومفتاحها عنده وحده ولم يزل.. لذلك قال تعالى {**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**} [الأنعام:59]، وقال سبحانه {**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**} [لقمان:34].

137/ مقتبس من مقال شرح وأسرار الأسماء الحسنى - للأستاذ هاني حلمي عبد الحميد - موقع طريق الإسلام .

2- علمه بالشيء وهو في اللوح المحفوظ بعد كتابته وقبل إنفاذ أمره ومشيئته. فالله عزَّ وجلَّ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة، والمخلوقات في اللوح قبل إنشائها عبارة عن كلمات .. يقول الله جلَّ وعلا: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج:70] .. وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد:22].

3- علمه بالشيء حال كونه وتنفيذه ووقت خلقه وتصنيعه. يقول الله تعالى **{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَا . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ}** [الرعد:8،9]، وقال تعالى **{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}** [سبأ:2].

4- علمه بالشيء بعد كونه وتخليقه وإحاطته بالفعل بعد كسبه وتحقيقه. فالله عزَّ وجلَّ يعلم ما سيفعل المخلوق بعد خلقه، ويعلم تفاصيل أفعاله وخواطره وحديث نفسه، يقول **تعالى {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}** [التوبة:78].

وتلك المراتب الأربع السابقة.. ذُكِرت في قول الله جلَّ وعلا {**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ** مُبِينٍ} [الأنعام:59]. فالله سبحانه وتعالى عالمٌ بكل شيءٍ في كل وقتٍ وفي كل حين.

يقول ابن القيم رحمه الله :

وَهُوَ العليمُ أَحَاطَ عِلْماً بِالَّذِي ... في الكونِ مِنْ سِرٍّ ومنْ إِعْلانِ

وبكلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ ... فهوَ المحيطُ وليسَ ذا نِسْيَانِ

ويقول أيضًا:

وكذاكَ يَعْلَمُ ما يَكُونُ غَداً وما ... قدْ كانَ والموجودَ في ذا الآنِ

وكذاكَ أَمْرٌ لمْ يَكُنْ لوْ كانَ كيـ   فَ يكونُ ذاكَ الأمرُ ذا إِمْكَانِ

تعلمت من هذه الأسماء العليم والعلام والعالم : ما يأتي :

- أن أشرف شئ في الوجود وأنفعه لكل موجود إنما هو العلم فلا بد إذن من طلب العلم ولقد رؤي الإمام أحمد رحمه الله بعد الستين من عمره وهو يحمل محبرة فقيل له : في هذه السن وأنت تحمل المحبرة . فقال " نعم مع المحبرة إلى المقبرة " ، كلمة تكتب بماء الذهب ، فليس للعلم عمر ينتهي إليه .

- **قال الغزالي رحمه الله** " الْعلم الْأَشْرَف مَا معلومه أشرف وأشرف المعلومات هُوَ الله تَعَالَى فَلذَلِك كَانَت معرفَة الله تَعَالَى أفضل المعارف، بل معرفَة سَائِر الْأَشْيَاء أَيْضا إِنَّمَا تشرف، لِأَنَّهَا معرفَة لأفعال الله عز وَجل أَو معرفَة للطريق الَّذِي يقرب العَبْد من الله عز وَجل أَو الْأَمر الَّذِي يسهل بِهِ الْوُصُول إِلَى معرفَة الله تَعَالَى والقرب مِنْهُ وكل معرفَة خَارِجَة عَن ذَلِك فَلَيْسَ فِيهَا كثير شرف"[138] .

- أن العلم سبب في الاستقامة والعمل بالإسلام إذ لا يكون عمل إلا إذا كان هناك علم كما في قوله تعالى **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)** [فاطر:28].

- أن الإنسان مهما أوتي من العلم، فهو قليل. كما جاء في قصة موسى عليه السلام والخضر لما رَكِبا السفينة: **(فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ)** صحيح البخاري.

فإياك أن تتكبَّر بعلمك، والحل: أن تنظر إلى من هو أعلى منك علمًا، فتعلم قدرك الحقيقي. دعاء المسألة باسمه تعالى العليم: على العبد أن يسأل ربَّه تبارك وتعالى باسمه العليم؛ حتى يفتح عليه بالعلم ويَمُنَّ عليه بمعرفة ما خفيَ عنه من الخير؛ لأنه ليس كل ما خَفِيَ عنك فيه الخير، فلا نسأل إلا عما يفيدنا في أمر ديننا وينبغي أن يترتب على هذا العلم العمل[139] .

138/ المقصد الأسنى – الغزالي - اسمه تعالى العليم .

139/ مقتبس من مقال شرح وأسرار الأسماء الحسنى - للأستاذ هاني حلمي عبد الحميد - موقع طريق الإسلام .

- أن أحذر من الكلام في العلم بغير علم لقوله تعالى (**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**) قال السعدي أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، (**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**) الإسراء (36)فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى.

ها هنا سؤال مهم قد يطرحه البعض :

هل يمكن حمل ما ورد من نصوص في فضل العلم على أن كل علم مباح يفيد الإنسان في نفسه أو يفيد المسلمين من ورائه، فهو مرغب في تعلمه مأجور عليه أم أن أحاديث الترغيب في طلب العلم هي للعلم الشرعي فقط؟ أم للعلم الدنيوي . أيضا؟.

وجوابه : لا بد هنا من التفريق بين أمرين، بين كون العلوم الدنيوية التي تتحقق بها مصلحة للمسلمين علوما مطلوبة وصاحبها مأجور إذا أخلص وقصد بها نفع المسلمين وتحقيق مصلحتهم، وبين إدخال هذه العلوم في دلالة النصوص الشرعية الواردة في فضل العلم والعلماء، فلا إشكال في الأمر الأول، وأما الأمر الثاني: فالصواب هو حمل هذه النصوص على خصوص العلم الموروث عن الأنبياء، وذلك كقوله تعالى: **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)** {المجادلة: 11}. وقوله صلى الله عليه وسلم: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بخط وافر. رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وابن حبان، وصححه الألباني [140].

[140]/ إسلام ويب – قسم الفتوى – بتصرف .

47/ في رحاب اسمه تعالى

السبوح

عرفت أن من معاني : السبوح [141]: ما يأتي :

- هو الذي يسبحه، ويقدسه، وينزهه كل من في السماوات والأرض، كما قال تبارك وتعالى:**(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)** الجمعة: (1) ونحوها من الآيات وهي كثيرة جدا .

والتسبيح : التعظيم، تعظيم الله في كل كمالاته، هو غني عن تعظيمنا، لكننا إذا عظمناه سعدنا بقربه في الدنيا والآخرة.**(إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)**الزمر الآية:(7) ولذا وقال العز بن عبدالسلام رحمه الله تعالى: التسبيح: التنزيه من السوء على وجه التعظيم، فلا يُسبَّح غير الله تعالى؛ لأنه قد صار مستعملاً في أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه. [142] .

- لكن نحن إذا سبحناه فمن أجلنا، من أجل سعادتنا، من أجل سرورنا، من أجل طمأنينتنا، من أجل أن نكون موفَّقين، فلذلك: **(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)** الإسراء: (44) .

وقال السمعاني رحمه الله تعالى: سبحان : تنزيه الله من كل سوء، وحقيقته تعظيم الله بوصف المبالغة، ووصفه بالبراءة من كل نقص[143].

وتعلمت منه[144] : ما يأتي :

1/ أن التسبيح كالتعظيم، قال تعالى :**(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)** سورة الأعلى (1) هذا أمر إلهي بالتسبيح، فحينما تسبح الله فأنت في الأفق الأعلى، أنت في عظائم الأمور، لا في سفاسفها، قد يشتغل الإنسان بالسفاسف، متى يندم ؟ حينما يرى أنه ضيع حياته في سفاسف الأمور، ونسي

141/ الموسوعة العقدية - موقع الدرر السنية .

142/ تفسيره: 115/1 .

143/ تفسير السمعاني: 212/3

144/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للدكتور محمد راتب النابلسي – باختصار وتصرف .

الآخرة التي هي العطاء الكبير، فإذا فات الإنسانَ هذا العطاءُ فاته كل شيء (**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)** الزمر (15).

2/ **كل شيءٍ يقرّبني من الله هو تسبيحٌ** :حينما تفكر في كمال الله، في رحمته، في حلمه، في قوته، في قدرته، في لطفه، في جبروته، في انتقامه، هذه كلها كمالات الله، لأن الله عز وجل يقول:**(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)** سورة الأعراف (180) .

3/ إن جزءًا كبيرا من عبادتك أن تسبح الله عز وجل : فلو حدثتنا عن المجرات، ولم تقل: سبحان الله، فحديثك عن المجرات تسبيح لله، إن حدثتنا عن العين، إن قرأت كتاباً في الفقه، وعظمت هذا الأمر الإلهي فأنت بهذا تسبح الله، فأيّ شيء يقربك من الله هو تسبيح، أي ذكر لله تسبيح، أيّ ذكر لآياته تسبيح، أي شرح لقرآنه تسبيح، فأنت تسبح في كمالاته، والسبح هو الفراغ.

4/ من التسبيح تنزيه الله عن الظلمِ :فمن التسبيح أن تنزهه عن الظلم.**(لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ)** سورة غافر (17)**(فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ)** سورة التوبة (70) .

5/ **التسبيح في الصلاة أو بعدها معناه** : أنّي أبعد عن ذهني أي وصف نقص للرب ، سواء من الشيطان أو الوساوس أو من الجهل، لذلك قال تعالى (**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ الصافات (180)** فهو منزه ، (**وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) الصافات (181)** لأن ما وصفه به المرسلون هو السالم . لما تكون جاهل ويأتيك وصف الله ، تنزه الله عما قام في قلبك من نقص لكي يدخل الكمال.

كما تعلمت من اسمه السبوح [145] : ما يأتي :

- قد جاء التسبيح في القرآن بمختلف تصاريفه وصيغه في سبعة وثمانين موضعا، وافتتحت به سبع سور سميت (المسبحات) وهي: الإسراء والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى، وختمت به سور الحجر والطور والواقعة والحاقة.

145/ مقتبس من مقال بعنوان : التسبيح القرآني - للشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل – شبكة الألوكة الشرعية .

- **أن من حكمة إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم أن نسبح الله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)**[الفتح: 8-9]. وقد أمر به في الشدائد (**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ)** [ق: 39] وآيات أخرى غيرها.

فأمره له بالتسبيح بعد أمره له بالصبر على أذى الكفار فيه دليل على أن التسبيح يعينه الله به على الصبر المأمور به [146].

وجمع بعض الباحثين المسبحين الله تعالى الذين ذكرهم القرآن [147]:

1- تسبيح الله تعالى نفسه : وهو كثير في القرآن قارب ثلاثين موضعا، ومنه قول الله تعالى (**سبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**)[الصَّافات: 180].

2- تسبيح الملائكة عليهم السلام: وجاء في نحو عشر آيات، منها قول الله تعالى ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: 20] ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [فصِّلت: 38] وقد ذُكر بأن تسبيحهم كالنَفَس لنا لا يشغلهم عن مهماتهم كما لا يشغلنا التنفس عنها[148].

3- تسبيح الرسل عليهم السلام، قال يونس ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ**﴾ [الأنبياء: 87] وقال موسى ﴿**سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ [الأعراف: 143] وعن داود (**إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ)** [ص: 18] وقال عيسى ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: 116] وأمر سبحانه زكريا بالتسبيح ﴿ **وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ** ﴾ [آل عمران: 41] فأمر زكريا قومه بالتسبيح ﴿ **فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ [مريم: 11] وأمر سبحانه به نبينا محمدا في آيات كثيرة ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ ﴾ [الواقعة: 74] وقال محمد عليه الصلاة والسلام ﴿

146/ المرجع السابق .

147/ مقتبس من مقال بعنوان : التسبيح القرآني - للشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل – شبكة الألوكة الشرعية (بتصرف).

148/ تفسير الطبري – (423/18) .

وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: 108] وكان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم، تأولا للقرآن في قوله تعالى ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ [النَّصر: 3].

4- تسبيح المؤمنين: وقد جاء في آيات عدة، منها قوله تعالى (**وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا**) الإسراء: (108) .

5- تسبيح الجبال والطير ﴿ **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ** ﴾ [الأنبياء: 79] ﴿ **وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ [النور: 41].

6- تسبيح الرعد ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الرعد: 13].

7- **تسبيح كل الموجودات** : ﴿ سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ [الحشر: 1] ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: 44] وهذه الآية تدل على أنه تسبيح حقيقي على كيفية لا يعرفها البشر فلا يفقهون تسبيح هذه المخلوقات، وقد أخطأ من تأول تسبيحها لمعنى غير التسبيح المعهود في اللغة.

8- تسبيح أهل الجنة، فقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ** ﴾ [يونس: 10] فهنيئا لمن أكثر من التسبيح في الدنيا ووجد لذة فيه، وفرحا به، فإنه حري أن يتلذذ بالتسبيح في الجنة كما تلذذ به في الدنيا. وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن أهل الجنة يلهمون التسبيح، وأنهم يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا.

48/ في رحاب اسمه تعالى

الْوَارِث

عرفت أن معاني معاني الوارث [149]: ما يأتي :

- قال الغزالي رحمه الله : الوارث: هُوَ الَّذِي يرجع إِلَيْهِ الْأَمْلَاك بعد فنَاء الْملَّاك وَذَلِكَ هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذْ هُوَ الْبَاقِي بعد فنَاء الْخلق وَإِلَيْهِ مرجع كل شَيْء ومصيره وَهُوَ الْقَائِل إِذْ ذَاك (**مَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**) سُورَة غَافِر (16) وَهُوَ الْمُجيب (**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**) وَهَذَا بِحَسب ظن الْأَكْثَرين إِذْ يظنون لأَنْفُسِهِمْ ملكا فينكشف لَهُم ذَلِك الْيَوْم حَقِيقَة الْحَال وَهَذَا النداء عبارَة عَن حَقِيقَة مَا ينْكَشف لَهُم فِي ذَلِك الْوَقْت.

- قال الإمام الرازي رحمه الله: الوارث مالك جميع الممكنات هو الله سبحانه وتعالى ولكنَّه بفضله جعل بعض الأشياء ملكاً لبعض عباده، فالعباد إنما ماتوا وبقي الحقُّ سبحانه وتعالى، فالمراد يكون وارثاً هو هذا الله جلَّ جلاله .

ووجه دلالة اسمه تعالى الوارث على كماله سبحانه : كما قال أحد العلماء أن الوارث : يكشف حقيقة التملك عند الخلائق، فملكهم إلى زوال، وهو ملكٌ ناقصٌ ولحظيّ غير دائم، ناقصٌ من ناحية الكمّ إذ يبقى محدوداً بما وهبه الله، ومن ناحية القدرة على التصرّف شرعاً وقدراً، ولحظيٌّ مآله إلى زوال ثم يتركه إلى ورثته، بينما نجد أن ملك الله شاملٌ وكاملٌ لا يعتريه نقص، وباقٍ دائم لا يعتريه زوال، فهو الوارث على جهة الشمول والكمال، وهذا يجعلنا نستحضر عظمة الله سبحانه وتعالى.

149/ اسمه تعالى الوارث المختلف فيها : وهو في حديث الترمذي وقد أثبته ابن العربي والغزالي والبضاوي وابن الوزير وابن حجر والبيهقي وابن عثيمين والنابلسي ، وقد جاء في القرآن الكريم بصيغة جمع المذكر السالم ، فقال تعالى : (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) [الحجر:23]، وقال تعالى عن نبيّ الله زكريَّا: (رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) [الأنبياء:89]، وقال تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) [القصص:58].

تعلمت من اسمه الوارث : ما يأتي :

- أن البقاء الحقيقي هو لله تعالى الوارث ولكن إذا شاء الله تعالى أن يبقي آثاري من بعدي أبقاها بإبقائه لها (**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**) يس (12) قال ابن كثير : نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها- أى تركوها- من بعدهم، فنجزيهم على ذلك- أيضا-، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. كقوله صلّى الله عليه وسلم (**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**) خرجه مسلم .

فما دام الأمر كذلك فلا بد لي من بذل الجهد مع دعاء الله تعالى أن تبقى أعمالي الطيبة من بعدي نبارسا مضيئا لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

كما تعلمت من اسمه تعالى الوارث [150]:

- على ضوء معنى الوارث : الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، فالله تعالى أخبرنا بقوله(**نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا**) يقول النابلسي : مرة قرأت كتاباً من أربعة أجزاء عن قصص العرب، اتعظت بعد قراءته موعظة بالغة، وجدت أن الأقوياء ماتوا، والضعفاء ماتوا، والأغنياء ماتوا، والفقراء ماتوا، والأصحاء ماتوا، والمرضى ماتوا، والأذكياء ماتوا، والأغبياء ماتوا، وكل مخلوق سوف يموت، ماذا بعد الموت ؟ هنا البطولة.

- **إذاً الله الوارث :** يبقى بعد فناء خلقه، ويورث المؤمنين بعض ما كان بأيدي الكافرين، وثالثاً قد يورث المؤمن قصراً في الجنة. (**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**) سورة الزمر الآية: 73

150/ / الشبكة الإسلامية وموسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للدكتور محمد راتب النابلسي – باختصار وتصرف .

- **اسم الله الوارث :** يبعث على استنهاض الهمم في مجالات الخير، لاسيما الإنفاق في سبيل الله، انطلاقاً من الإدراك العميق بأن ما بين أيدينا من الأموال إنما هي ودائع استخلفنا الله تعالى عليها لينظر كيف سنتصرّف وفيها ونتعامل بها:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوماً أن تردّ الودائع

فهو ترغيبٌ في إنفاق المال في وجوه الخير، وعدم البخل به واكتنازه، ونستبين هذه الدعوة من خلال قول النبي –صلى الله عليه وسلم-: (يقول العبد: مالي، مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس) رواه مسلم.

ويُفهم مما سبق أن على المسلم أن يستعمل ما رزقه الله تعالى من الطيبات فيما يُرضيه ويُحبّه، ويتنافس مع إخوانه في الخيرات، وألا يغترّ بزهرة الحياة الدنيا الفانية.

49-50/ في رحاب اسميه تعالى

المقدم والمؤخر

عرفت أن من معاني هذين الاسمين الكريمين[151] : ما يأتي :

- **قال الخطابي رحمه الله تعالى :** المُقَدِّمُ هو المنزّل للأشياء منازلها، يقدّم ما شاء منها، ويؤخّر ما شاء: قدّم المقادير قبل أن يخلق الخلق، وقدّم من أحبّ من أوليائه على غيرهم من عبيده، ورفع الخلق فوق بعض درجات، وقدّم من شاء بالتّوفيق إلى مقامات السّابقين، وأخّر من شاء عن مراتبهم وثبّطهم عنها، لا مقدّم لما أخّر، ولا مؤخّر لما قدّم.

- **وقال الحليمي رحمه الله تعالى :** المُقَدِّمُ هو المُعطِي لعوالي الرُّتب، والمؤخّر: هو الدّافع عن عوالي الرّتب.

- **وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:**

وهو المقدِّم والمُؤَخِّرُ، ذانِك الـ الصّفتان للأفعال تابعتان

وهما صفات الذّات أيضا إذ هما بالذّات لا بالغير قائمتان

ووجه دلالة اسميه تعالى المقدم والمؤخر على كماله سبحانه : ما قال الغزالي رحمه الله : " هُوَ الَّذِي يُقرِّب ويُبعِد - من شاء - وَمَنْ قرَّبه فقد قدَّمه وَمن أبعده فقد أَخّرهُ وَقد قدم أنبياءه وأولياءه بتقريبهم وهدايتهم وَأخَّر أعداءه بإبعادهم وَضرب الْحجاب بَينه وَبينهمْ وَالملِك إِذا قرب شَخْصَيْنِ مثلا وَلَكِن جعل أَحدهمَا أقرب إِلَى نَفسه يُقَال قدَّمه أَي جعله قُدَّام غَيره والقدام تَارَة يكون فِي الْمَكَان وَتارَة يكون فِي الرُّتْبَة وَهُوَ مُضَاف لَا محَالة إِلَى من هو متَأَخّر عَنهُ .

151/ المقدم والمؤخر من الأسماء المختلف فيها ولم يردا في المقدم في القرآن الكريم، ولكن وردا في الأحاديث النبوية وممن أثبته حديث التّرمذيّ، والغزالي والبضاوي وابن حبّان، وابن خزيمة، والطبراني، والبيهقي، والخطابي، والحليمي، وابن حزم، وابن العربي، والقرطبي، وابن القيم، وابن عثيمين. (موقع الإسلام سؤال وجواب).

وَلَا بُد فِيهِ من مقصد هُوَ الْغَايَة بِالْإِضَافَة إِلَيْهِ يتَقَدَّم مَا يتَقَدَّم ويتأخر مَا يتَأَخَّر والمقصد هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، والمقدَّم عِنْد الله تَعَالَى هُوَ المقرَّب فقد قدَّم الْمَلَائِكَة ثمَّ الْأَنْبِيَاء ثمَّ الْأَوْلِيَاء ثمَّ الْعلمَاء وكل مُتَأَخّر فَهُوَ مُؤخر بِالْإِضَافَة إِلَى مَا قبله مقدم بِالْإِضَافَة إِلَى مَا بعده وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمُقدم والمؤخر.

تعلمت منهما : ما يأتي :

- أن أقدم من أمر الله تعالى بتقديمه من الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين في الحب والتوقير والتعظيم، وأن أؤخر من أمر الله بتأخيره من الكفار والفساق فليس لهم عندي وزن بل يجب ولا أدنى حب بل هم أهل للاحتقار.

- **ومما تعلمته أن أدعو الله تعالى بالدعاء الوارد :** في أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاءِ: (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) رواه البخاري ومسلم ، وهذا لفظ مسلم .

وعن علي بن أبي طالب قال: (**ثمَّ يَكونُ آخرَ ما يقولُ بينَ التَّشَهُّدِ والسَّلامِ، اللَّهمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسرَرتُ وما أعلَنتُ، وما أنتَ أعلمُ بِهِ منِّي، أنتَ المُقَدِّمُ وأنتَ المُؤَخِّرُ، لا إلَهَ إلَّا أنتَ**)) رواه البخاري ومسلم .

كما تعلمت من المقدم والمؤخر[152] **:**

- تعلُّق العبد بالله المقدم المؤخر ينزع من قلبه اليأس من التقدم ونيل مراتب السابقين مع كثرة ذنوبه فإن المعاملة مع الله أسمى مما يتصوره مخلوق فما عليك إلا الصدق في الرغبة في القرب من الله (**ن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) سورة الأنفال (70) عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية أن العباس وأصحابه قالوا للنبي

152/ مقتبس من مقال بعنوان : تغريدات حول اسم الله (المُقدّم و المُؤخر) -أمل الغفيلي – موقع صيد الفوائد .

. صلى الله عليه وسلم . : آمنا بما جئت به ونشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل إن يعلم الله في قلوبكم خيرا أي : إيمانا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أصيب منكم ويغفر لكم أي : ما كان من الشرك ، وما ترتب عليه من السيئات ، فكان العباس رضي الله عنه يقول : ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وأن لي ما في الدنيا من شيء ، فلقد أعطاني الله خيرا مما أخذ مني مائة ضعف ، وأرجو أن يكون غفر لي الله ، وقد أخذ هذا من قوله تعالى : (**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**).

وجاء في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم (صَدَق الله فصَدَقه) [153].

- رُبّ إنسان كان في الظاهر من المبعدين ثم ظهر أنه من المقربين كما أخبر تعالى عن دهشة بعض أهل النار عندما رأوا بعض من ظنوا أنهم معهم في النار فإذا هم من أهل الجنان : (**وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ**) سورة ص (62) قال ابن كثير رحمه الله : هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا : ما لنا لا نراهم معنا في النار ؟ . (**أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ**) سورة ص (63).

- متى ما استقر في القلب أن الله هو المقدم المؤخر لم يكن للعبد أمان مع كثرة طاعاته وسبقه بالخيرات أبدا ولذا تجد مثل هذا العبد يسأل ربه الثبات دومًا.

- وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عُلّو مقامه وهو المبشر بالجنة، لم تطمئنه درجته بل ظل يسأل حذيفة إن كان معدودا بين المنافقين، وظلت خشية الله ديدنه بعد ما صار خليفة.

153/هذا حديث صحيح، رواه الإمام النسائي وانفرد به بين أصحاب الكتب الستة في كتاب الجنائز من سُنَنه 60:4 (1953) عن الصحابي شَدّاد بن الهادِ رضي الله عنه في قصة رجل من الأعراب من أروع قَصَص صِدْق الاتّباع، والتضحية والفداء. رواه أيضاً الحاكم في ((المستدرك على الصحيحين)) 595:3 - 596. فقد جاء هذا الأعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجِرُ معك! فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعضَ أصحابه. ولما كانت غزوةٌ غنم النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فقَسَم وقَسَم له، فأعطى أصحابَه ما قَسَم له وكان يَرْعى ظَهْرهم (أي هذه كانت مهمته العسكرية في الغزوة وهي حماية ظهور المقاتلين). فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْم قَسَمه لك النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه وجاء إليه عليه الصلاة والسلام وقال له: ما على هذا اتّبعتك ولكنّي اتّبعتُك على أن أُرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم، فأموتَ، فأدخُلَ الجنة! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إن تَصْدُقِ الله يَصْدُقْك). فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به يُحمَل قد أصابه سهم حيث أشار! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أهوَ هو؟ قالوا: نعم، فقال: (صدقَ الله فصدقَه) .

- المؤمن لا يبتغي الرفعة في الدنيا بل يبتغي الرفعة عند الله في الآخرة **(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)** القصص (83).

قال القرطبي رحمه الله : لا يريدون علوا في الأرض أي رفعة وتكبرا على الإيمان والمؤمنين ولا فسادا عملا بالمعاصي ، قاله ابن جريج ومقاتل .

والله أجل وأكرم من يرفعه في الآخرة فحسب ويدعه في الدنيا مهينا كما جاء في الحديث**(مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ)** رواه الترمذي (2465).

- أنت بين خيارات إما أن تقدم دنياك وإما أن تقدم آخرتك، إنك تلاحظ البائع في متجره يقبل عليه الزبائن فيفرح بذلك فرحًا عظيمًا رجاء جني الأرباح وبينما هو كذلك إذ أقبل عليه رجل كبير في السن يطلب منه أن يدله على مكان يريده فهو بين أن يقدم تجارته وأرباحه، وبين أن يلتفت لكبير السن والذي غاية ما سيحصله من هذا الكبير دعوة يدعو الله له بها،لو عرف العبد منا قيمة حياته الدنيا وعرف أنها مزرعة الآخرة لأقبل على العمل الصالح أكثر من ربحه.

51/ في رحاب اسمه تعالى

الوتر

عرفت أن من معاني اسم الوتر[154] **: ما يأتي :**

قال الخطابي رحمه الله تعالى : ومَعْنَى الوِتْرِ فِي صِفَةِ اللهِ جل وعَلَا : الواحد الذي لا شَرِيكَ لَهُ ، ولا نظيرَ له ، المتفردُ عنْ خَلْقِهِ ، البائنُ منهم بِصِفَاتِهِ : فهو سبحانه وِتْرٌ ، وَجَمِيعُ خَلْقِهِ شَفْعٌ ، خُلِقُوا أَزْوَاجاً ، فَقَالَ سبحانه: **(وَمِنْ كُل شيءٍ خَلَقْنَا زَوْجين)** سورة الذاريات:(49) .

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى[155]: الوتر الفرد، ومعناه في حق الله أنه الواحد الذي لا نظير له في ذاته ولا انقسام .

تعلمت من هذا الاسم[156] **: ما يأتي :**

1/ أنَّ الشفع هم الخلق، لأنهم مفتقرون إلى بعضهم، والوتر هو الله، يحتاجه كل شيء في كل شيء. فالخلق مفتقرون في وجودهم إلى الطعام، بل مفتقرون إلى ثمن الطعام، لذلك يأتون في الأسواق. قهرك أن تكون مع أخيك الإنسان، أنت مفتقر إلى زوجة، أنت فضلاً على ذلك مفتقر أن تعيش في مجتمع، أنت مدرس، طبيب، مهندس، لكن بحاجة إلى خياط، بحاجة إلى سباك، بحاجة إلى بلاط لبيتك، بحاجة إلى نجار، بحاجة إلى حداد، حاجات الإنسان لا تعد ولا تحصى، وكل حاجة خبرات متراكمة، وتطورات، وصناعات.

2/ أن أكون متفوقاً على غيري في خدمة الإسلام : وذلك بأن أعمل بقوله صلى الله عليه وسلم **(وإن الله وتر يحب الوتر)** متفق عليه، لأنال محبة الله تعالى، والعمل به أن أكون متفوقاً، فالنبي

154/ لم يرد اسم الله الوتر في القرآن ،إنما ورد في السنة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لله تسعة وتسعون اسماً، من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر) متفق عليه ، وعن عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ) أخرجه أبو داود والنسائي وابن خزيمة ، وقد أثبته الخطابي والحليمي والبيهقي وابن حجر وابن منده وابن عثيمين .

155/ فتح الباري (11/227)

156/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى للنابلسي – بتصرف كبير.

عليه الصلاة والسلام طلب النخبة، طلب التفوق، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ**) رواه الترمذي . ولما اسلم حمزة توقف إيذاء قريش لرسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم، ولما أسلم عمر صلى المسلمون في بيت الله الحرام.

إذاً: المطلوب أن تكون متفوقاً، لا أن تكون رقماً سهلاً، وهناك ملايين أتوا إلى الدنيا، تزوجوا، وأنجبوا أولاداً، وماتوا، ولم يعلم بهم أحد، لكن القلة القليلة في العالم الذين تفوقوا، وتركوا أثراً كبيراً في مجتمعاتهم.

للتقريب: سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام واحد، جاء إلى هذه الدنيا، وغادرها بعد 63 عاماً، وعم الهدى الأرض بسببه عليه الصلاة والسلام ، ألم تسأل نفسك مرة: ماذا فعلت ؟ ما الأثر الذي تركته في الدنيا ؟ هل كنت في قلوب الناس. ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾ سورة النحل (120)

وانظر إلى تفرده عليه الصلاة والسلام حينما قال لقومه (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما ترك حتى يظهره الله، أو أهلك دونه) .

3/ أن أحرص على التفوق في العلم والعمل بالقرآن والتخلق بأخلاق الإسلام : عند الترمذي من حديث عَلِيٍّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ)أخرجه أبو داود والنسائي وابن خزيمة . ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ورد عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: (**يا بني، الناس ثلاثة: عالم رباني، ومستمع على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى، ركن وثيق، فاحذر يا كميل أن تكون منهم**). كأنه يقول : لا تكن مع الملايين التي غفلت عن الله، لا تكن مع الملايين التي عاشت لحظتها، ولم تذكر ماذا بعد الموت، لا تكن مع الملايين التي عبدت المال من دون الله.كم من شابٍ في الأرض في القارات الخمس، لو كان بخلوة مع امرأة بارعة الجمال، ودَعته إلى نفسها، بل أجبرته، كم من شاب يأبى ذلك ؟ سيدنا يوسف قال:﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾(سورة يوسف الآية: 23)

الفصل الخامس

في رحاب أسماء الجلال لذي العزة والجلال

1- اسمه تعالى : ذُو الْجلَال وَالْإِكْرَام

3-2/ اسميه تعالى المتكبر والكبير

4- اسمه تعالى : العظيم

5- اسمه تعالى : الرقيب

7-6/ اسميه : تعالى القاهر -القهار

8- اسماه تعالى : المهيمن

11-9/ اسمايه تعالى : القدير - الْقَادِر - المقتدر

13-12/ اسميه تعالى: الْخَافِض - الرافع

15-14/ اسميه تعالى : الْمعز - المذل

16- اسمه تعالى : الْخَبِير

17- اسمه تعالى : الشَّهِيد

18- اسمه تعالى : الحسيب

19- اسمه تعالى : الديان

1/ في رحاب اسمه تعالى

ذُو الْجلَال وَالْإِكْرَام

عرفت أن من معانيه[157] : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله تعالى : ذُو الْجلَال وَالْإِكْرَام : هُوَ الَّذِي لَا جلال وَلَا كَمَال إِلَّا وَهُوَ لَهُ وَلَا كَرَامَة وَلَا مكرمَة إِلَّا وَهِي صادرة مِنْهُ فالجلال لَهُ فِي ذَاته ، والكرامة فائضة مِنْهُ على خلقه وفنون إكرامه خلقه لَا تكَاد تَنْحَصِر وتتناهى وَعَلِيهِ دلّ قَوْله تَعَالَى : **(وَلَقَد كرمنا بني آدم)** سُورَة الْإِسْرَاء (70) . قال الغزالي رحمه الله تعالى :

- **وقال الخطَّابيُّ رحمه الله تعالى** : (ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ): الجَلالُ مصدرُ الجليلِ، يُقالُ: جَليلٌ بيّنُ الجَلالَةِ والجلالِ، والإكرامُ: مصدرُ أكرمَ يُكرمُ إكرامًا، والمعنى: أَنَّ الله جَلَّ وعزَّ مُستحقٌّ أنْ يُجَلَّ ويُكرَمَ فلا يُجْحَدُ، ولا يُكفرُ به، وقد يُحتَملُ أَنْ يكونَ المعنى: أَنَّهُ يُكْرِمُ أَهْلَ ولايتِهِ، وَيرْفَعُ درجاتِهم بالتوفيقِ لطاعتِهِ فِي الدُّنيا، ويُجلُّهم بأَنْ يتقبَّلَ أعمالَهم ويرفعَ فِي الجِنَانِ درجاتِهم.

- **وقال القُرطبيُّ رحمه الله تعالى:** فمعنى جلالِه: استحقاقُه لوصْفِ العظَمةِ ونَعْتِ الرِّفَعةِ، والمتعالي عزًّا وتكبُّرًا وتنزُّهًا عن نعوتِ الموجوداتِ، فجلالُه إذًا صفةٌ اسْتَحقَّها لذاتِهِ .

- **وقال الحُلَيميُّ رحمه الله تعالى:** ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ : ومعناه المُستَحِقُّ لأنْ يُهابَ لسُلطانِهِ، ويُثْنى عليه بما يليقُ بعلوِّ شأنِهِ.

- **وقال الدكتور محمد النابلسي[158] وفقه الله** : الكمالات لله تعالى بكل أنواعها يجمعها اسم **(ذو الإكرام)**، والقوة لله بكل مظاهرها يؤكدها اسم **(ذو الجلال)**. **فإذا قلت "تبارك ذو الجلال والإكرام" فهذا يعني: أن كل صفات القوة والعظمة والجبروت يتصف الله بها. وكل صفات**

157/ ذو الجلال والإكرام من الأسماء المختلف فيها : وهو في حديث الترمذي وقد أثبته الغزالي والبضاوي والبيهقي والحليمي والخطابي والنابلسي ، وورد في القرآن الكريم في قولهِ تبارك وتعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن: (26-27) وفي قوله تعالى في السورة نفسِها: ﴿ **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن: 78].

158/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للدكتور محمد راتب النابلسي – بتصرف .

الإكرام والرأفة والرحمة يتصف الله بها. فكأن هذا الاسم المركب من اسمين، جمع الأسماء الحسنى كلها من زاويتن: زاوية القوة وزاوية الإكرام.

تعلمت من اسمه تعالى ذي الْجلَال وَالْإِكْرَام :

- أن أُكثر من التوسل إلى الله تعالى بهذا الاسم الكريم في دعائي ، لأن النبيُّ صلى الله عليه وسلم حَثَّ أمَّتَه على الدعاء بهذا الاسم فقال: **(ألظُّوا بِيَاذا الجَلالِ والإكرامِ)** أخرجه أحمد والحاكم وهو صحيح ،ومعنى **ألظُّوا**؛ أي: الزَمُوا هذه الدعوةَ، وأكثِروا منها، ودُوموا على قولِكم ذلك فِي دُعَائِكم وسؤالِكم لربِّكم جلَّ شأنُه.

ولمَّا سَمِعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يدعو فِي المسجدِ يقولُ: **اللَّهم إني أسألُكَ بأنَّ لك الحمْدَ لا إله إلا أنتَ المنَّانُ، بديعُ السماواتِ والأرض، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيُّ يا قَيُّومُ،** قال صلى الله عليه وسلم: **(دَعَا اللهَ باسمِهِ الأعظمِ الذي إذا دُعي به أجَابَ، وإذا سُئِلَ به أعطَى)** أخرجه أحمد والترمذي والنسائي .

- **أن أُمجِّد الله تعالى وأعظمه بهذا الاسم العظيم كما ورد** عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ (**أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ : يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا ، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالا : يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ – وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ – : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ قَالا : يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا : اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا**) رواه ابن ماجه قال الشيخ أحمد شاكر في التفسير : إسناده جيد .

- **أن أواظب على الذكر الوارد بعد الصلاة (اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام)** رواه مسلم وغيره مع التدبر والحضور القلبي واستحضار تلك المعاني الشريفة لهذا الذكر ففيه من زيادة الإيمان الطمع فيما عند الرحمن – على وجازته – الشئ الكثير.

وقيل في شرحه (اللهم أنت السلام) أي من المعائب والحوادث والتغير والآفات.. (ومنك السلام) أي منك يرجى ويستوهب ويستفاد، (تباركت) أي تعاليت عما يقول الظالمون علوا

كبيرا أو تعالى صفاتك عن صفات المخلوقين (يا ذا الجلال والإكرام) أي يا مستحق الجلال وهو العظمة وقيل الجلال التنزه عما لا يليق وقيل الجلال لا يستعمل إلا لله والإكرام الإحسان وقيل المكرم لأوليائه بالإنعام عليهم والإحسان إليهم.

- أسعى في إكرام الناس – قدر استطاعتي – سواء أكرما ماديا أو معنويا من حيث الاحترام والتقدير (ولقد كرمنا بني آدم) ،وفي الحديث (**إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ والجَافِي عَنْهُ، وإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ حديثٌ حسنٌ**) رواه أَبُو داود.

وورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم" ذكره مسلم (رحمه الله) في أول صحيحه تعليقاً .

- قال الإمام الرازي : " ليس كل إنعام إكراماً، ولكن كل إكرام إنعام، قال: وفي تقديم لفظ الجلال على لفظ الإكرام سر،قال تعالى: **(تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)** سورة الرحمن (78) ،فلماذا قدم الله لفظ الجلال على لفظ الإكرام ؟ لأن الجلال يعني التنزيه، تقول: جل جلاله ؛ أيْ تنزهت ذاته عن كل نقص، وإن الإكرام الصادر من الله عز وجل إكرام منزه عن كل غرض ".

قال النابلسي[159] - معلقاً - "قد تُدعى لطعام الغداء من قبل أحد الأشخاص، وبعد أن تنتهي، يطلب منك حاجة ؛ فهذه الدعوة إذاً ليست خالصة، وإنما دعوة هادفة، وهي مشوبة بمكسب، وغرض وتأمين حاجة ؛ لذلك قدم الله اسم الجلال على اسم الإكرام ؛ لأن إكرامه منزه عن كل غرض كما في الحديث القدسي : **(لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زادوا في ملكي شيئاً. ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقصوا في ملكي شيئاً**) رواه مسلم.

- إن المؤمن المتصل بالله جل جلاله له هيبة،(عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ

159/ المرجع السابق .

تَأْكُلُ الْقَدِيدَ)) رواه ابن ماجه . كان عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة هابه، ومن عامله أحبه. فالنبي وأصحابه والمؤمنون الصالحون الصادقون المخلصون ؛ هؤلاء يأخذون من هذا الاسم نصيباً وهو الهيبةُ ؛ من اتقى الله هابه كل شيء. وأيُّ إنسان اتصل بالله عز وجل كانت له هيبة.

الإمام الحسن البصري كان من كبار التابعين، وكان ذا هيبة عظيمة. ولعل قصة هذا الإمام تحتوي على ما يدل على هذا المعنى ؛ لقد أدى واجب العلم، وذكر بعض الأخطاء التي صدرت عن الحجاج، ولما بلغ الحجاجَ مقالةُ البصري، غضب، وأرغى، وأزبد، وتوَعَّد، وأمر بقتله وقال: ائتوني به -طبعاً حينما أمر بقتله جاء بالسَّيَاف ومُدَّ النِّطع أمامه في قصره - بل قال قبل ذلك لمن سمع مقالة الحسن البصري، ولم يرد عليه ؛ قال لهم: والله يا جبناء لأسقِينَّكم من دمه. فلما دخل الحسن على الحجاج ورأى السَيَّاف جاهزاً، والنِّطع ممدوداً، تكلم بكلمات لم يسمعها أحدٌ، فما كان من الحجاج إلا أن وقف له، واستقبله وما زال يقربه حتى أجلسه على سريره، وكان يكنى أبا سعيد قال له: يا أبا سعيد كيف أنت ؟ يا أبا سعيد، أنت سيِّد العلماء. يا أبا سعيد يا أبا سعيد... وقيل: عطَّره، واستفتاه في قضية ثم شيَّعه.

فتَبِع الحاجبُ الحسن ، فقال له: يا أبا سعيد لقد جيء بك لغير ما فُعل بك ! فماذا قلت قبل أن تدخل؟ قال قلت: يا ملاذي عند كربتي، يا مؤنسي عند وحشتي ؛ اجعل نقمته علي برداً وسلاماً، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

- الله ذو الجلال والإكرام، وكلٌ الجلال منه، وله، وبه وكل الإكرام منه وله وبه. فإذا تمتعت بهيبةٍ فاذكر ؛ أن الله هو الذي رفع لك ذكرك، وإذا تمتعت بإكرام فاعتقد أنه منه. فكوْنه ذا الجلال فينبغي أن تُجلَّه. ولأنه ذو إكرام فينبغي أن تحبه [160].

160/ المرجع السابق .

3-2/ في رحاب اسميه تعالى

المتكبر والكبير

عرفت أن من معانيهما : ما يأتي :

فأما معنى اسمه تعالى المتكبر:

- مأخوذ هو من الكِبْر أو الكِبَر نقيض الصغر، وكبَّر الأمر جعله كبيرًا منه: (**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ**)[يوسف:31]، أي أعظمنه.. فالتكبير التعظيم، والكِبر هو الرفعة في الشرف، والكبرياء الملك، كقول الله تعالى: (**وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ**) [يونس:78]، أي العظمة والتجبر.

وقال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله :

هُوَ الَّذِي يرى الْكل حَقِيرًا بِالْإِضَافَة إِلَى ذَاته وَلَا يرى العظمة والكبرياء إِلَّا لنَفسِهِ فَينْظر إِلَى غَيره نظر الْمُلُوك إِلَى العبيد فَإِن كَانَت هَذِه الرُّؤْيَة صَادِقَة كَانَ التكبر حَقًا وَكَانَ صَاحبهَا متكبرا حَقًا وَلَا يتَصَوَّر ذَلِك على الْإِطْلَاق إِلَّا لله عز وَجل وَإِن كَانَ ذَلِك التكبر والاستعظام بَاطِلا وَلم يكن مَا يرَاهُ من التفرد بالعظمة كَمَا يرَاهُ كَانَ التكبر بَاطِلا ومذموما وكل من رأى العظمة والكبرياء لنَفسِهِ على الْخُصُوص دون غَيره كَانَت رُؤْيَته كَاذِبَة وَنَظره بَاطِلا إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وأما معنى اسمه تعالى الكبير:

قال الغزالي : هُوَ ذُو الْكِبْرِيَاء والكبرياء عبارَة عَن كَمَال الذَّات وأعني بِكَمَال الذَّات كَمَال الْوُجُود وَكَمَال الْوُجُود يرجع إِلَى شَيْئَيْنِ :

أَحدهمَا : دَوَامه أزلا وأبدا فَكل وجود مَقْطُوع بِعَدَمِ سَابق أَو لَاحق فَهُوَ نَاقص وَلذَلِك يُقَال للْإنْسَان إِذا طَالَتْ مُدَّة وجوده إِنَّه كَبِير أَي كَبِير السن طَوِيل مُدَّة الْبَقَاء وَلَا يُقَال عَظِيم السن فالكبير يسْتَعْمل فِيمَا لَا يسْتَعْمل فِيهِ الْعَظِيم فَإِن كَانَ مَا طَال مُدَّة وجوده مَعَ كَونه مَحْدُود مُدَّة الْبَقَاء كَبِيرا فالدائم الأزلي الأبدي الَّذِي يَسْتَحِيل عَلَيْهِ الْعَدَم أولى أَن يكون كَبِيرا.

وَالثَّانِي : أَن وجوده هُوَ الْوُجُود الَّذِي يصدر عَنهُ وجود كل مَوْجُود فَإِن كَانَ الَّذِي تمّ وجوده فِي نَفسه كَامِلا وكبيرا فَالَّذِي حصل مِنْهُ الْوُجُود لجَمِيع الموجودات أولى أَن يكون كَامِلا وكبيرا[161] .

وقال الخطابي رحمه الله تعالى : الكبير هو: الموصوف بالجلال وكبر الشأن فصغر دون جلاله كل كبير .

ورد اسم الله تعالى المتكبر في آية واحدة : وهي قول الله تعالى: (الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ) [الحشر:23].

وورد اسم الله الكبير في ستة مواضع من منها: قول الله تعالى: **(وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)** [الحج:62]. وقوله: **(عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)**[الرعد:9].

تعلمت من اسميه تعالى المتكبر والكبير :

- **أن التكبر لا يليق إلا بالله المتكبر جل جلاله وعز ثناؤه** ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (**قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)**.[162]

- **وأن أتواضع لله وللرسل وللخلق لأن مصير المتكبرين يوم القيامة مصير سئ** : يطؤهم الناس بأقدامهم فلأنهم في الدنيا يمشون في كبرهم وتبخترهم على الناس، عالية رؤوسهم عن التواضع لله أو لخلقه، هؤلاء المستكبرون ورد في صفة حشرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان)** رواه أحمد والرمذي وحسنه .

161/ المقصد الأسنى – للغزالي .

162/ الحديث أصله في صحيح مسلم وأخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وغيرهم وصححه الألباني.

يصبح المتكبر في ذلك اليوم لا يسوى شيئا بل هو هنا كذلك (**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**) الإسراء (37) لا تكاد تسوى ذرة هباء في الفضاء ، ولو تذكر المتكبر أنه خرج من مجرى البول مرتين لما تكبر.

- **ومن أعظم ما تعلمت من اسمه تعالى الكبير أن أخشع في صلاتي** لأنه جرت العادة بين الناس أنهم لو كانوا في مجلس وكان في المجلس وزير أو عالم كبير أنهم يتأدبون في حضرته فلا ينطق أحد منهم إلا بإذنه ، وقلَّ ما تجد إنساناً في حضرة عظيم يتشاغل عنه بسبحة أو بهمس مع من بجواره أو بنظر إلى أطراف الغرفة، لكنَ الذي هو معروف أنك إذا كنت في حضرة إنسان له قيمة فلا بُدَّ أن تتجه إليه، فهذا معنى القول: **(الله أكبر)** أي اتجه إلى الله عز وجل، والمعنى الأدق من ذلك أكبر مما عرفت، يعني كلما تعرفّت إلى الله فهو أكبر، وهو أعظم.أفلا يكون الكبير أولى بذلك فهو أولى بهذا الأدب ، ولعل هذا هو السر في اختيار الشرع لتكرار كلمة (**الله أكبر**) في الصلوات .

- وقال الغزالي رحمه الله وهو يشرح حظ العبد من اسمه الكبير : الْكَبِير من الْعباد هُوَ الْكَامِل الَّذِي لَا تقتصر عَلَيْهِ صِفَات كَمَاله بل تسري إِلَى غَيره فَلَا يجالسه أحد إِلَّا وَيفِيض عَلَيْهِ شَيْئا من كَمَاله وَكَمَال العَبْد فِي عقله وورعه وَعلمه فالكبير من عباده هُوَ الْعَالم التقي المرشد لِلْخلقِ الصَّالح لِأَن يكون قدوة يقتبس من أنواره وعلومه وَلذَلِك قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام من علم وَعمل فَذَلِك يدعى عَظِيما فِي ملكوت السَّمَاء .

4/ في رحاب اسمه تعالى

العظيم

عرفت أن من معانيه : ما يأتي :

قال الحليمي رحمه الله : ومعناه الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق، لأن عظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم، الذي لا يقدرون على مقاومته ومخالفة أمره، إلا أنه وإن كان كذلك، فقد يلحقه العجز بآفات تدخل عليه فيما بيده فتوهنه وتضعفه، حتى يستطاع مقاومته، بل قهره وإبطاله، والله جل ثناؤه قادر لا يعجزه شيء، ولا يمكن أن يعصى كرهاً، أو يخالف أمره قهراً. فهو العظيم إذاً حقاً وصدقا، وكان الاسم لمن دونه مجازاً.

وقيل العظيم :الذي ليس لعظمته بداية، ولا لجلاله نهاية.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وكل شئ موصوف فصفته بحسبه ، فعِظَمُ الذات شئ ، وعظم صفاتها شئ ، وعظم القول شئ ، وعظم الفعل شئ ، والرب تعالى له العظمة بكل اعتبار ، وكل وجه بذاته .

وقال رحمه الله في القصيدة النونية :

وهو العظيم بكل معنى يوجب التـ عظيم لا يحصيه من إنسان

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : اعْلَم أَن اسْم الْعَظِيم فِي أول الْوَضع إِنَّمَا أطلق على الْأَجْسَام يُقَال هَذَا جسم عَظِيم وَهَذَا الْجِسْم أعظم من ذَلِك الْجِسْم إذا كَانَ امتداد مساحته فِي الطول وَالْعرض والعمق أَكثر مِنْهُ ثمَّ هُوَ يَنْقَسِم إِلَى :

أ - عَظِيم يمْلَأ الْعين وَيَأْخُذ مِنْهَا مأخذا .

ب - وَإِلَى مَا لَا يُتَصَوَّر أَن يُحِيط الْبَصَر بِجَمِيعِ أَطْرَافه ، كالأرض وَالسَّمَاء فَإِن الْفِيل عَظِيم وَلَكِن الْبَصَر قد يُحِيط بأطرافه فَهُوَ عَظِيم بِالْإِضَافَة إِلَى مَا دونه وَأما الأَرْض فَلَا يُتَصَوَّر أَن يُحِيط الْبَصَر بأطرافها وَكَذَا السَّمَاء فَذَلِك هُوَ الْعَظِيم الْمُطلق فِي مدركات الْبَصَر .

فَافْهَم أَن فِي مدركات البصائر أَيْضا تَفَاوتا فَمِنْهَا :

أ - مَا تحيط الْعُقُول بكنه حَقِيقَته .

ب - وَمِنْهَا مَا تقصر الْعُقُول عَنهُ وَمَا تقصر الْعُقُول عَنهُ يَنْقَسِم إِلَى :

- مَا يُتَصَوَّر أَن يُحِيط بِهِ بعض الْعُقُول وَإِن قصر عَنهُ أَكْثَرهَا .
- وَإِلَى مَا لَا يُتَصَوَّر أَن يُحِيط الْعقل أصلا بكنه حَقِيقَته وَذَلِكَ هُوَ الْعَظِيم الْمُطلق الَّذِي جَاوز جَمِيع حُدُود الْعُقُول حَتَّى لَا تُتُصَوَّر الْإِحَاطَة بكنهه وَذَلِكَ هُوَ الله تَعَالَى .

تعلمت من اسمه تعالى العظيم : ما يأتي :

- أن يكون دينه عظيما في نفسي لأنه هو الذي أنزل الكتب وأرسل الرسل هداية للبشرية وإنجاءا لها من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة .

- ألا أحقر شيئا من الخير لأن **العظيم** هو الذي أمر به وألا أعظم شيئا من الشر لأن الله هو الذي نهى عنه ، قال ابن القيم رحمه الله: "فعلامة تعظيم الآمر الناهي تعظيم الأمر والنهي، ومن هذا أن لا يترخص ترخصًا جافيًا يخرجه عن حد التعظيم"

- وأن **أعظِّم** من أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بتعظيمه ،**فأعظِّم** من البشر : جميع الأنبياء والرسل كما أعظم العلماء والأولياء والصالحين وحملة القرآن كما **أعظِّم** ذا الشيبة من المسلمين إذا كان مستور الحال أو معروفاً بالصلاح و **وأعظِّم** الحاكم إذا كان عادلاً في رعيته وبين شعبه .

وأعظِّم من البقاع : الكعبة ومكة والمدينة ومدينة القدس ، **وأعظِّم** من الزمان شهر رمضان والأشهر الحرم : **(ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)** [الحج:٣٢].

- قال النابلسي - في تفسير قوله تعالى - : (**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ**) سورة الحاقة (30-33).

يا ترى لِمَ استحقَّ النار ؟ لأنَّه ما آمن بالله العظيم ؟ إنّ الجواب الشافي أنَّه حينما لم يؤمن بالله العظيم فقد هان أمر الله عليه، وعصى أمر ربِّه العظيم، استحقَّ النار على معاصيه، فإن لم تؤمن بالله العظيم، فلن تطيع الله عزَّ وجلَّ، فالعذاب في النار على المعاصي والآثام، وعلى البغي والعدوان، وهذه نتيجة جهل الإنسان قدْر ربّه.

كما تعلمت من اسمه تعالى العظيم [163] : ما يأتي :

- **الدعاء باسم الله العظيم:** ورد هذا الاسم مقرونًا باسمه العلي، وورد الدعاء بالوصف في بعض الأحاديث من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي بصري نورًا وفي سمعي نورًا وعن يميني نورًا وعن يساري نورًا ومن فوقي نورًا وتحتي نورًا وأمامي نورًا وخلفي نورًا وعظم لي نورًا**). وفي لفظ عند أبي داوود: (**اللهم وأعظم لي نورًا**).

وورد كذا في أذكار الصباح والمساء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: (**للَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تحتي**) رواه البخاري وغيره .

وروى النسائي وصححه الألباني قال: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه فقال: (**اللهم قد بلغت ثلاث مرات اللهم قد بلغت اللهم قد بلغت، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له، ألا إني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود فإذا ركعتم فعظموا ربكم وإذا سجدتم فاجتهدوا في الدعاء فانه قمن -أي: حرى أو أولى- أن يستجاب لكم**).

- وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (**إذا دعى أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ، ولكن ليعزم المسالة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**) رواه مسلم.

163/ شرح وأسرار الأسماء الحسنى - هاني حلمي - موقع الكلم الطيب – بتصرف .

- أسماء بنت يزيد أنها قالت: "لما توفى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المعزّي إما أبو بكر وإما عمر أنت أحق من عظم الله حقه - كأنهم تعاظموا أن يبكي - النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أنت أحق من عظم الله حقه ؟ فقال: **(تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب لولا أنه وعد صادق وموعود جامع وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا وإنا بك لمحزونون)** رواه ابن ماجه وصححه الألباني .

- ينبغي على العبد أن يستقصى جهده وتعلو همته في البذل لكي يصل إلى ربه، فيكون تعظيم الله سبحانه وتعالى دافعا له على ذلك.

- إذا كان العبد يرى الله بعين العظم والإكبار يرى نفسه بعين الذل والانكسار والافتقار: لذلك كان قول **(سبحان ربي العظيم)** مناسبا جدًا للركوع، سبحان فيها تنزيه له سبحانه عن النقص والإقرار لنفسي به، وربي فيها معنى المحبة، ثم العظيم فيها الإعظام والإكبار، فيتحقق في سبحان ربي العظيم معاني العبودية: **(ذل تام، وحب تام)** على جهة التعظيم والإكبار والإجلال.

- ومن تعظيمه سبحانه أن يطاع نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم لأن الله قال: **(مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)** [النساء:80]. فمن أطاع الرسول فقد أطاع المرسَل ومن عصاه فقد عصى الله. قال الله (**لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ**)الفتح(9) أي أن تعظموه وتعطوه قدره -صلى الله عليه وسلم- فلا ينبغي بأي حال ابتداء أن ينادى النبي صلى الله عليه وسلم كما ينادى غيره ولا ينبغي بحال أن تكون مكانة النبي صلى الله عليه وسلم توازى في قلبك مكانة أي أحد آخر فالله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وهذا يحتاج إلى معايشة معه صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته. فمن يتعايش معه ومع صفاته يكبره ويعظمه ويجله.

قال الغزالي رحمه الله : الْعَظِيم من الْعباد الْأَنْبِيَاء وَالْعُلَمَاء الَّذين إِذا عرف الْعَاقِل شَيْئا من صفاتهم امْتَلَأَ بالهيبة صَدره وَصَارَ مُسْتَوفى بالهيبة قلبه حَتَّى لَا يبْقى فِيهِ متسع .

5/ في رحاب اسمه تعالى

الرقيب

عرفت أن من معاني اسمه الرقيب سبحانه : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : الرقيب : هُوَ الْعَلِيم الحفيظ فَمن رَاعى الشَّيْء حَتَّى لم يغْفل عَنهُ ولاحظه مُلَاحظَة دائمة لَازِمَة لُزُوما لَو عرفه الْمَمْنُوع عَنهُ لما أقدم عَلَيْهِ سمي رقيبا فَكَأَنَّهُ يرجع إِلَى الْعلم وَالْحِفْظ وَلَكِن بِاعْتِبَار كَونه لَازِما دَائِما بِالْإِضَافَة إِلَى مَمْنُوع عَنهُ محروس عَن المتناول .

- **وقيل : الرقيب :** هو المطلع على خلقه يعلم كل صغيرة وكبيرة في ملكه، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.. قال تعالى: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [**المجادلة:7].

كما عرفت أن الله سبحانه رقيب : راصد لأعمال العباد وكسبهم، عليم بالخواطر التي تدب في قلوبهم، يرى كل حركة أو سكنة في أبدانهم، ووكل ملائكته بكتابة أعمالهم وإحصاء حسناتهم وسيئاتهم، قال تعالى: {**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**} [الانفطار:10- 12]، فالملائكة تسجل أفعال الجنان والأبدان، وقال تعالى عن تسجيلهم لقول القلب وقول اللسان: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}** [ق: 16-18].

ويقول ابن القيم رحمه الله في النونية :

وَهْوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَوَاطِرِ واللَّوَا   حِظِ كَيْفَ بالأَفْعَالِ بالأَرْكَانِ

ورد اسم الله الرقيب في القرآن ثلاث مرات: في قوله تعالى: **(وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)**[المائدة:117]، وقوله تبارك وتعالى **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)**[النساء:1]، وقوله **(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا)** [الأحزاب:52].

تعلمت من اسمه تعالى الرقيب : ما يأتي :

- أن أؤدب نفسي في باب المراقبة أراقب نفسي في أخلاقي وعباداتي ولا أمشي سبهللا فلا أمشي دون أن أطلب عملا ليس فيه نفع في الدنيا أو الدين .

- هذا الاسم يعلِّم العبد حفظ جوارحه وخصوصا اللسان والعينين :

أما حفظ اللسان : فمقتضى مراقبة العبد لله تعالى تجعله يحاسب نفسه على كلماته فلا ينطق بالكلمة إلا بعد أن يعلم ما فيها من خير أو مصلحة في دين أو دنيا فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجاتٍ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة مِن سخَط الله لا يُلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم**).

وروى الترمذي عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه، قال: قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال: (**ثكلَتْك أمُّك يا معاذ، وهل يكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائدُ ألسنتهم**) صححه الألباني في صحيح الترمذي - حديث:(2110).

قال الإمام النووي رحمه الله : ينبغي لكل مكلفٍ أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركُه في المصلحة، فالسنَّة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرامٍ أو مكروهٍ، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

وأما حفظ العين : فينظر إلى المخلوفات من حوله بعين المتأمل في مخلوقات الله ليزداد لإيمانا ،ويغض عما حرمه الله تعالى من النظر إلى العورات أو النساء المتبرجات .

كما قال الشاعر :

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

ألم ترَ أن اليوم أسرع ذاهبٍ وأن غدًا إذًا للناظرينَ قريبُ

وقال آخر:

ما لي أراك على الذنوب مواظباً؟	**أأخذت من سوء الحساب أمانا؟**
لا تغفلن كأن يومك قد أتى	**ولعل عمرك قد دنا أو حانا**
فخف الإله فانه من خافه	**سكن الجنان مجاوراً رضوانا**

كما تعلمت من اسمه تعالى الرقيب [164] **: ما يأتي :**

أولاً: مراقبة الله تعالى في سره وعلانيته ما معنى المراقبة؟ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى "**المراقبة:** دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق على ظاهره وباطنه" [165]

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : وصف المراقبة للْعَبد إِنَّمَا يُحمد إِذا كَانَت مراقبته لرَبه وَقَلبه وَذَلِكَ بِأَن يعلم أَن الله تَعَالَى رقيبه وَشَاهده فِي كل حَال وَيعلم أَن نَفسه عَدو لَهُ وَأَن الشَّيْطَان عَدو لَهُ وأنهما ينتهزان مِنْهُ الفرص حَتَّى يحملانه على الْغَفْلَة والمخالفة فَيَأْخُذ مِنْهُمَا حذره بِأَن يُلَاحظ مكانهما وتلبيسهما ومواضع انبعاثهما حَتَّى يسد عَلَيْهِمَا المنافذ والمجاري فَهَذِهِ مراقبته .

ثانياً : يقول الإمام الغزالي : أعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: أنه يراقب فلانًا ويراعى جانبه، ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوعٌ من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب .

أما الحالة : فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه.

وأما المعرفة : التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك.

164/ المصدر: موقع الكلم الطيب ومقال بعنوان : شرح اسم الله الرقيب – للدكتور : محمد ويلالي – موقع الألوكة الشرعية – بتصرف .

165/ مدارج السالكين - (2:65) .

فهذه المعرفة إذا صارت يقينًا، أعنى أنها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب فقهرته. فرُبَّ علمٍ لا شك فيه لا يغلب على القلب، كالعلم بالموت.. فإذا استولت على القلب، استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين" .[166]

ثالثاً : المراقبة لمن وحد الله في اسمه الرقيب على نوعين:

النوع الأول : مراقبة العبد لربِّه بالمحافظة على حدوده وشرعه واتباعه لسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم فعلى العبد أن يسعى لتحقيق أركان القبول في جميع أعماله، وهي:

1) الإخلاص : فإن كان يقوم بأعمال بر ظاهرة، عليه أن يقوم بأعمال خفية عن الناس في المقابل؛ لكي يُحقق معنى الإخلاص: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل**) صحيح الجامع الصغير.

2) المتابعة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم : بأن يتحرى السُّنَّة في عمله. فيوقن بأن الله معه من فوق عرشه يتابعه يراه ويسمعه، كما ورد من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (**يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَألت فاسْأل الله، وإذا اسْتعنتَ فاسْتعن بالله**) (رواه الترمذي وصححه الألباني).

والنوع الثاني: إيمان العبد بمراقبة الله لعباده وحفظه لهم وإحصائه لكسبهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّاي**)(صحيح مسلم).. مِنْ جَرَّاي، أي: ابتغاء وجهي.. فيستشعر العبد أن الله تعالى ناظرٌ إليه حال عمله، ويرى خطرات قلبه وظاهر عمله.

166/ إحياء علوم الدين (4:398)

رابعاً : نموذج تطبيقي للمراقبة: إذا فرغ العبد من فريضة الصبح، ينبغي أن يفرّغ قلبه ساعة لمشارطة نفسه.. فيقول للنفس: ما لى بضاعة إلا العمر، فإذا فني منى رأس المال وقع اليأس من التجارة، وطلب الربح، وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه، وأخرَّ أجلي، وأنعمَّ عليَّ به، ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا حتى أعمل فيه صالحاً، هل تحب أن تلقى الله بحالك هذا؟ أم أفضل منه؟! إن كنت تريد أن تكون أفضل مما أنت عليه الآن، لِمَ لا تتحرك وقد أمهلك الله تعالى وأمدَّ في عمرك؟! فقل لنفسك: احسبي يا نفس أنك قد توفيتِ ثمَّ رددتِ، فإياكِ أن تضيعي هذا اليوم. وينبغى أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفى العمل.. هل حركه عليه هوى النفس أو المحرك له هو الله تعالى خاصة؟ فإن كان الله تعالى، أمضاه وإلا تركه، وهذا هو الإخلاص. قال الحسن: "**رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر**". فهذه مراقبة العبد في الطاعة وهو: أن يكون مخلصاً فيها.

أما مراقبته في المعصية تكون: بالتوبة والندم والإقلاع.. فكلما ورد الذنب على خاطره، يستعيذ بالله منه ويبعث على وجل قلبه .. فيكون دائمًا أبدًا مُنيب إلى ربِّ العالمين، كثير الرجوع إليه. ومراقبته في المباح تكون: بمراعاة الأدب، والشكر على النعم.. فإنه لا يخلو من نعمة لابد له من الشكر عليها، ولا يخلو من بلية لابد من الصبر عليها، وكل ذلك من المراقبة.. والتوسع في المباحات يبعث على الذنب لا محالة؛ لأن النفس تطغى بذلك وهي لا تأمر بخيرٍ أبدًا. ثم تأتي مرحلة المراقبة بعد العمل.. وهي أن يكون قلبه وجلاً ألا يُقبَل عمله، وهذا من تمام المراقبة.. قال تعالى{**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**} [المؤمنون:60].

خامساً : حراسة الخواطر: فمراقبة الله سبحانه تعالى تقتضي أن يحترس المرء من خواطره لأنها نقطة البداية لأي عمل.. وذلك بألا تسبح مع خاطرك .. فلا تطلق لخيالك العنان وتدع نفسك تشرُد في كل ما تشتهي وتتمنى.. وكلما راودتك تلك الخواطر وأحلام اليقظة، تحرَّك واشغل نفسك بأي عمل آخر: حتى لا تسبح بخيالك بعيدًا عن هدفك. ومن راقب الله في خواطره، عصمَّه الله في حركات جوارحه.

فلو تخيلت أنك محاط بكاميرات مراقبة في كل مكان، تحصي عليك حركاتك وسكناتك، في بيتك، وفي حيك، وفي سوقك، وفي عملك، وفي سفرك.. كيف ستكون أفعالك؟ وكيف ستكون أقوالك؟

وكيف ستكون تصرفاتك؟ هذا والمراقِب بشر من البشر، فكيف والمراقب الله الذي خلقك، والذي سواك فعدلك؟ فيا هولها من مراقبة ما أصعبها، مراقبةِ من لا تنطلي عليه حيل المتحايلين، ولا خُدَع المتلاعبين، ولا سحر الساحرين. (**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**) [الزخرف: 80.]

ولئن تصرف بعض الناس بخداع إخوانهم الدنيا، فلبَّسوا عليهم بحيلهم ومكرهم، فإنهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد مُفتضَحون، وبغَدَراتهم وفَجَراتهم مُكتشفون. ﴿ **قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [ق: 27 - 29.]

وكيف حجتهم يوم القيامة، وكتابهم ينطق عليهم بسوء أعمالهم، وقبح ما جنته أيديهم؟ قال - تعالى -: (**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) [ق: 17، 18]. وقال تعالى (**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)[الجاثية: 29.]

7-6/ في رحاب اسميه تعالى

القاهر والقهار

عرفت أن من معانيهما : ما يأتي :

قاله حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : القهار : هُوَ الَّذِي يقصم ظُهُور الْجَبَابِرَة من أعدائه فيقهرهم بالإماتة والإذلال بل الَّذِي لَا مَوْجُود إِلَّا وَهُوَ مسخر تَحت قهره ومقدرته عَاجز فِي قَبضته.

وقيل : القهار : هو القاهر على المبالغة وهو القادر فيرجع معناه إلى صفة القدرة التي هي صفة قائمة بذاته ، **وقيل** :هو الذي قهر الخلق على ما أراد .

وقال ابن جرير رحمه الله: الْقَاهِرُ: المذلِّل المستعبِد خلقَه، العالي عليهم.. ومن صفة كلّ قاهر شيئًا أن يكون مستعليًا عليه .

قال ابن القيم رحمه الله :

وَكذلِكَ القّهَّارُ مِنْ أوْصَافِهِ   فَالخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيّاً عَزِيزاً قَادِراً   مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ سُلْطانِ

وجه كون القهار من أسماء الجلال : أن الله تعالى "قَهَرَ خَلْقَه بسلطانه وقدرته وصَرَّفهم على ما أَراد طوعاً وكرهاً " [167]وأن الفاجر من الناس إن قهر أحدا فالله تعالى قادر على إذلاله ، لأنه تشبَّع بما ليس له، ولعل هذا يفسر لنا لماذا لم ترد القهار في القرآن إلا مسبوقة بالواحد. قال . تعالى : **(قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)**. وقال تعالى : **(وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)**.

167/ لسان العرب - ابن منظور - (5 /120)

تعلمت من القاهر والقهار :

- قهر الشهوات والتعالى على الملذات واكتساب المكرمات، كما قال الغزالي : من قهر هَذِه الشَّهْوَة تَحت سطوة الدّين وَإِشَارَة الْعقل وَمهما قهر شهوات النَّفس فقد قهر النَّاس كَافَّة فَلم يقدر عَلَيْهِ أحد إِذْ غَايَة أعدائه السَّعْي فِي إهلاك بدنه وَذَلِكَ إحْيَاء لروحه فَإِن من مَاتَ عَن شهواته فِي حَيَاته عَاشَ فِي مماته (**وَلَا تحسبن الَّذين قتلوا فِي سَبِيل الله أَمْوَاتًا بل أَحيَاء عِنْد رَبهم يرْزقُونَ فرحين**) سُورَة آل عمرَان (170/169).

كما تعلمت من القاهر والقهار[168] :

أولا : الله هو الَّذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الَّذي لا نظير له ، وهو الَّذي يستحقّ أن يُعبد وحده كما كان قاهرًا وحده .يقهر بسلطانه كل شىء ، فتستجيب السماوات والأرض لقهره ، فلا موجود إلا وهو مسخر تحت قهره وقدرته ، عاجز في قبضته ،فهو الغالب على جميع الخلائق ، الذي يعلو في قهره وقوته فلا غالب له ولا منازع له ، بل كل شيء تحت قهره وسلطانه .

ثانيا : القهر في أوصافه سبحانه ، ليس مرادفا للانتقام من أعدائه : وليس معناه معنى تعذيب العصاة ، حتى يقال إنه لا يقهر إلا الظالمين المتغطرسين ، كما قال هذا القائل ؛ بل هذا خطأ محض ؛ فإن قهره للظالمين سبحانه ، هو لون من ألوان قهره لخلقه ، لكنه ليس مقيدا بذلك ، بل قهره عام لخلقه جميعا ، من أطاعه ومن عصاه ، لأن ذلك من مقتضى ربوبيته لخلقه ، واقتداره عليهم ، وتمام سلطانه وقوته سبحانه ، قال ابن القيم رحمه الله : **" القهار لا يكون إلا واحدا ويستحيل أن يكون له شريك ، بل القهر والوحدة متلازمان ؛ فالملك والقدرة والقوة والعزة كلها لله الواحد القهار ، ومن سواه مربوب مقهور ، له ضد ومناف ومشارك ، فخلق الرياح وسلط بعضها على بعض تصادمها وتكسر سورتها وتذهب بها ، وخلق الماء وسلط عليه الرياح تصرفه وتكسره ، وخلق النار وسلط عليها الماء يكسرها ويطفئها ، وخلق الحديد وسلط عليه النار تذيبه وتكسر قوته ، وخلق الحجارة وسلط عليها الحديد يكسرها ويفتتها ، وخلق آدم وذريته وسلط عليهم إبليس وذريته ، وخلق إبليس وذريته وسلط عليهم الملائكة يشردونهم**

168/ موقع الإسلام سؤال وجواب ومقال بعنوان :اسم الله القاهر / القهار تأصيلا وفقها - د. محمد ويلالي – الألوكة - بتصرف

كل مشرد ويطردونهم كل مطرد ، فاستبان للعقول والفطر أن القاهر الغالب لذلك كله واحد ، وأن من تمام ملكه إيجاد العالم على هذا الوجه ، وربط بعضه على بعض ، وإحواج بعضه إلى بعض ، وقهر بعضه ببعض ، وابتلاء بعضه ببعض " انتهى[169] .

ثالثاً : القهر ليس خاصا بالعصاة والظالمين ، وكذلك المرض والابتلاء ليس كله انتقاما وعذابا لمن نزل به من الخلق ، فقد يبتلي الله تعالى عبده بالمرض لا ليذله ، ولكن ليرفعه ، وقد يبتليه بالفقر لا ليحوجه ، ولكن ليغنيه .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : (**الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**)[170] .

و عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : (ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يُحَوِّيهَا ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ)[171]

رابعاً : معرفة اسم الله القهار، يورث صاحبه قلبا حَسن التوكل على مولاه، لأنه علم أن له ربا عظيما، قويا، قاهرا، مقتدرا، فلم يخش أحدا إلا الله، وهو قلب الطير الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم: **(يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ، أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ)** رواه مسلم.

وليس قلب من انخدع بقوة الظالمين المستكبرين، وارتعب من زمجرة بعض الأعاجم الظالمين، فاستكانوا لهم، وخضعوا لسلطتهم، بل مجدوهم، وتسابقوا إلى محالفتهم، والاعتزاز بقربهم. وهؤلاء هم الذين حذر منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: **(ليأتين على الناس زمان؛**

169/ طريق الهجرتين – لابن القيم - (ص 233).

170/ رواه الترمذي (2398) وصححه .

171/ رواه ابن ماجة (4024) وصححه الألباني في "صحيح ابن ماجة" .

قلوبهم قلوب الأعاجم؛ حب الدنيا، سنتهم سنة الأعراب، ما أتاهم من رزق جعلوه في الحيوان، يرون الجهاد ضرراً، والزكاة مغرماً)[172]

وقال المناوي في شرح حديث آخر: (**قلوب الأعاجم**) أي قلوبهم بعيدة من الخلاق مملوءة من الرياء والنفاق (**وألسنتهم ألسنة العرب**) متشدقون متفصحون متفيهقون يتلونون في المذاهب ويروغون كالثعالب، قال الأحنف: لأن أبتلى بألف جموح لجوج أحب إلي من ابتلى بمتلون. انتهى.

وقال الحسن . رحمه الله ـ: "يا ابن آدم، إن من ضعف يقينك، أن تكون بما في يدك أوثقَ منك بما في يد الله . عزَّ وجلَّ "وقال يوسف بن أسباط . رحمه الله ـ: "كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عملُه، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كُتب له".

خامساً : المؤمن يقهر بالتوكل الخوف من العدو : ما أُتي المسلمون اليوم إلا من ضعف اليقين بأن الله هو القهار، وأنه هو القوي الجبار. فلم تغن عنا كثرتنا شيئا، بل صارت زمرة من اليهود . وهم عددهم يقارب العشرة ملايين ، يسيطرون على مقدراتنا، ويتحكمون في مصائرنا، ويفكرون بدلنا، ويزعمون تقديم الحلول لأزماتنا ومشاكلنا، حتى أسلسنا لهم القياد، وتركنا صدق التوكل على القاهر فوق العباد.

لقد بلغ قوم عاد في زمنهم من براعة في العمران، وازدهار في الصناعة، وتنظيم في الجيش، وتقدم في العلم، ما لم يُعرف لأحد قبلهم، حتى قال . تعالى(**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**) غير أنهم سوغوا قوتهم في البطش بخلق الله، والسعي في الأرض بالظلم والفساد والاعتداء على عباد الله. فأهلكهم بجند من جنوده فقال تعالى : (**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**).

172/ أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (82/36/13) من حديث عبد الله بن عمرو ،وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (3357).

لما فتحت قبرص، بكى أبو الدرداء. فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: (بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، إذ عصوا الله، فلقوا ما ترى. ما أهون العباد على الله إذا هم عصوه).

إن ما يجري اليوم في الشام، من بسط يد العتو والجبروت في أرض الله بالفساد، وفي عباد الله بقتل منهم، وتدمير ما يحتاج إلى 400 مليار دولار لإعادة إعمار بيوتهم، في استعراض للقوة، وتفاخر بالكثرة، لهو دليل عن الذهول الكامل عن بطش الله وقهره، الذي جرت سنته . سبحانه . أنه يملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته.

سُبْحَانَ مَن تَجْرِي قَضَايَاهُ عَلَى　　　مَا شَاءَ منها غَائبُ وعِيَانُ

مَلِكٌ لَهُ ظَهْرُ الفَضَاءِ وبَطْنُهُ　　　لم تُبْلِ جِدَّةَ مُلْكِهِ الأَزَمَانُ

يَبْلَى لِكُلِّ مُسَلَّطٍ سُلْطَانُهُ　　　واللهُ لا يَبْلَى لُهُ سُلْطَانُ

سادساً : قصة تيتانك[173] :

في 10 إبريل 1912 ، ترقب العالم بلهفة ذلك الحدث التاريخي ، وهو قيام السفينة تيتانك بأولى رحلاتها عبر المحيط الأطلنطي من إنجلترا إلى الولايات المتحدة .

المارد لم يكن اسم التيتانك والذي يعني المارد ، اسما مبالغا فيه في تسمية تلك السفينة ،فقد اتصفت بثلاث صفات لم تتوفر بغيرها من السفن وهي **الضخامة وعدم القابلية للغرق والفخامة .**

فأما الضخامة : كانت السفينة تيتانك اضخم سفينة ركاب شهدها العالم حتى الآن حيث بلغ وزنها 52310 طنا وبلغ طولها 882 قدما ،وبلغ عرضها 94 قدما ، ويمكنك تصور هذه الضخامة بشكل آخر فالسفينة تيتانك يمكن أن تعادل في ارتفاعها ارتفاع مبنى مكون من أحد عشر طابقا علاوة على طولها الكبير الذي قد يعادل أربع مجموعات من الأبنية المتجاورة .

173/ شرح أسماء الله الحسنى (10) اسم الله المهيمن – موقع الراشدون .

أما عدم القابلية للغرق : كذلك لم يكن هذا المارد قابلا للغرق في نظر من صمموه فالسفينة ليست كغيرها من السفن حيث تنفرد باحتوائها على قاعين يمتد أحدهما عبر الآخر كما يتكون الجزء السفلي من السفينة من 16 قسما (مقصورة) لا يمكن أن ينفذ منها الماء وحتى لو غمرت المياه على سبيل الافتراض أحد هذه الأقسام فانه يمكن لقائد السفينة وبمنتهى السهولة أن يحجز المياه داخل هذا الجزء بمفرده ويمنعها من غمر باقي الأجزاء .

وأما عدم الفخامة : تمتعت السفينة تيتانك بدرجة فائقة من الفخامة ، لم تتوفر من قبل لأي سفينة ركاب ، ويمكنك تصور مدى هذه الفخامة والروعة إذا عرفت أن ثمن تذكرة الدرجة الأولى لهذه السفينة قد يزيد عن دخل أي فرد من طاقمها طوال فترة حياته .ببساطة لقد كانت تيتانك قصرا متحركا فوق الماء .

كيف دمر جبل الجليد السفينة بأمر الله القهار : في 14 إبريل 1912 وهو اليوم الخامس من رحلة السفينة بدأت المخاطر تتربص بالسفينة العملاقة ، فمنذ ظهيرة ذلك اليوم حتى اخره ، تلقت حجرة اللاسلكي بالسفينة رسائل عديدة من بعض السفن المارة بالمحيط ومن وحدات الحرس البحري تشير إلى اقتراب السفينة من الدخول في منطقة مياه جليدية مقابلة للساحل الشرقي لكندا .

وعلى الرغم من هذه الرسائل العديدة التي تلقتها السفينة ، لم يبد أحد من طاقمها أي اهتمام.فعلاوة على اعتقادهم ، بندرة تكون الجليد في هذه المنطقة من المحيط في شهر أبريل، فقد كانوا جميعا على ثقة بالغة بسفينتهم العملاقة تايتانك ، فقد كانت تبدوا لهم اكبر واكبر من أن يعترض شيئا طريقها ، فما بالهم يعبئون ببعض قطع من الجليد ؟ وفى منتصف هذه الليلة ،رأى مراقب السفينة فجأة خيالا مظلما يقع مباشرة في طريق السفينة ، وفي ثوان معدودات بدأ هذا الخيال يزداد بشكل ملحوظ حتى تمكن من تحديده ..إنه جبل جليدي .

فقام بسرعة بإطلاق جرس الإنذار عدة مرات لإيقاظ طاقم السفينة، ولكن لم يكن هناك أي فرصة لتجنب الاصطدام ، فارتطم جبل الثلج بجانب السفينة ،وفي الساعة الثانية والثلث بعد

منتصف ليلة الأحد الموافق الخامس عشر من أبريل، كانت السفينة تايتانيك قد اختفت تماما عن سطح المياه هي ومَن عليها من مئات الركاب .

لماذا غرقت ؟ السبب الحقيقي لغرق السفينة تيتانك هو انه لا يمكن لأحد من البشر أن يتحدى قدرة الله ..فهؤلاء الأثرياء ظنوا انهم في بروج عالية وان سفينتهم العملاقة تحميهم من أي خطر كان ،انظروا إلى ما يقوله أحد موظفي شركة وايت ستار (المصنعة للسفينة) في 31 مايو 1911 "Not even God himself could sink this ship."وترجمتها حرفيا (حتى الله نفسه ..لا يستطيع إغراق هذه السفينة) .

لقد تحدت هذه السفينة قدرة الله أو هكذا أرادوا لها من صنعوها .. وانطلقت باسم المارد ..ولكن الله عز وجل المهيمن بقدرته التي لا حدود لها ... أغرقها... وبأتفه الأسباب... بمجرد اصطدام بسيط في أحد جوانبها..فهل فهموا الدرس ؟

سابعاً : مكوك الفضاء الأمريكي تشالنجر [174]:

قبل سنوات ، في أمريكا1986 م صنعوا مركبة فضائية من المقرر أن تبقى في الفضاء سنة تقريبا ، سبعة روّاد فضاء مع امرأة ، والخطة أن تحمل هذه المرأة في الفضاء من أحد الرواد وأن تبقى في الفضاء تسعة أشهر وأن تلد في الفضاء ومعهم مُوَلِّد في المركبة ليكون أول مولود يولد في الفضاء ، وسَمَّوا هذه المركبة تشالنجر أي المتحدي ، بعد سبعين ثانية من إطلاقها أصبحت كرة من اللهب .

174/ المرجع السابق .

8/ في رحاب اسمه تعالى

المهيمن

عرفت أن من معاني هذا الاسم المهيمن : ما يأتي :

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : المهيمن : مَعْنَاهُ فِي حق الله عز وَجل أَنه الْقَائِم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم وَإِنَّمَا قِيَامه عَلَيْهِم باطلاعه واستيلائه وَحفظه، وكل مشرف على كنه الْأَمر مستول عَلَيْهِ حَافظ لَهُ ، فَهُوَ مهيمن عَلَيْهِ.

ثم قال رحمه الله : **والإشراف** : يرجع إِلَى الْعلم ، **والاستيلاء** : يرجع إِلَى كَمَال الْقُدْرَة ، **وَالْحِفْظ** : يرجع إِلَى الْفِعْل فالجامع بَين هَذِه الْمعَانِي اسْمه المهين وَلنْ يجْتَمع ذَلِك على الْإِطْلَاق والكمال إِلَّا لله عز وَجل وَلذَلِك قيل إِنَّه من أَسمَاء الله تَعَالَى فِي الْكتب الْقَدِيمَة .

وقال الحُلَيمي رحمه الله : المهيمن : لا يُنقص للمطيعين يوم الحساب من طاعاتهم شيئًا فيثيبهم عليه، لأن الثواب لا يعجزه ولا هو مُستكرَه عليه فيحتاج إلى كتمان بعض الأعمال أو جحدها، وليس ببخيل فيحمله استكثار الثواب إذا كثرت الأعمال على كتمان بعضها، ولا يلحقه نقص بما يثيب فيحبس بعضه لأنه ليس منتفعًا بشيء من مثل ذلك، كما لا يُنقص المطيع من حسناته شيئًا فلا يزيد العصاة على ما اجترحوه من السيئات شيئًا.

تعلمت من هذا الاسم الجليل : ما يأتي :

- أن حفظ حياتي بيده لأنه القائم علي وعلى جميع الكائنات بالحفظ والرعاية : كما قال تعالى **(أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ* وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ**) الرعد (33) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أي : حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة ، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ، ولا يخفى عليه خافية ، قال تعالى **(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** [يونس : 61]

وقال تعالى : **(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** [الأنعام : 59]
وقال **(وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** [هود : 6].

- **أن أرعى أسرتي وأن أرعي كل من تحت يدي من طلاب أو عمال** ، لقوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)** التحريم (6) .

قال السعدي رحمه الله تعالى : ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالًا، ونهيه اجتنابًا، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد ، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزروجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)** متفق عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها)** رواه أبو داود و الترمذي وقال هذا حديث حسن.

كما تعلمت من المهيمن [175]:

1-مراقبة الله تعالى : فهذا أول ما تستفيده من هذا الاسم، فطالما أنه مهيمن رقيب إذًا فواجب عليك مراقبته سبحانه وتعالى في السر والعلن ﴿**فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾[طه/7] فتحتاج أن تراقبه في سائر أحوالك، فإن عين الله تعالى ناظرة تبصر حالك.

175/ شرح واسرار الاسماء الحسنى – اسم الله المهيمن - للشيخ هانى حلمى – موقع الكلم الطيب .

يقول الشيخ النابلسي في شرح اسم الله المهيمن: إنه رقيب على كل شيء، كمثل طبيب مؤمن عنده مريضة تشكو له ناحية من جسمها، لو أنه نظر إلى مكان آخر هل في الأرض كلها جهة تستطيع أن تضبط هذه المخالفة ؟ أبداً.. فالله عز وجل يقول: **(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)** يعلم خواطرك ويحول بينك وبين قلبك، ولا تخفى عليه خافية، يسمعك إذا قلت، ويراك إذا تحركت، ويعلم خبايا نفسك إن تسكت، أو تتكلم، أو تتحرك، أو تجلس، أنت في علم الله، وفي قبضته، هو يعلم، ولا نهاية لعلمه .

2-الرضا : قلنا أنه يعلم الصالح ويعلم الفاسد بالنسبة لك فسلم له أمرك وارض بما قسمه لك..فدوما الخير بين يديه. **(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)** [الملك/14].

3-الاستقواء به : يقول الشيخ محمد راتب النابلسي : أنت حينما تكون مع (المهيمن) فأنت في حصن حصين، وأنت مع القوي الكبير، وأنت مع من بيده مقاليد السماوات والأرض، إذا كنت مع (المهيمن) فلن يخيب مسعاك، ولن تشعر بالإحباط، و لن تشعر بالإخفاق، أنت مع (المهيمن)، ليس شيئاً سهلاً أن يكون خالق السماوات والأرض يدعمك، ويؤيدك، وينصرك، ويحفظك، ويوفقك. المستقبل لمن كان مع (المهيمن)، والشقاء والخزي والعار لمن كان مع عبد من عبيد المهيمن . إن كنت مع (المهيمن) فأنت أيضاً مهيمن في عملك، في أسرتك، في اختصاصك، في راحة نفسك، في سلامة صدرك.

ثم قال: الآن الناس يلتفون حول القوي، لأنهم يتوهمون أن قوته دعم لهم، وأنهم يطمئنون إليه، لأنه يعطيهم، ولا يمنعهم، هذا إذا كنت مع إنسان قوي، فكيف إذا كنت مع ملك الملوك، ومع مالك الملوك، ومع قيوم السماوات والأرض، ومع من بيده كل شيء، ومع من إليه يرجع الأمر كله، ومع من هو خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل. إذا كنت أنت مع القوي فأنت معافى من الخوف، معافى من القلق، معافى من الإحباط، معافى من اليأس."

4- التصديق : أن الله سبحانه وتعالى جعل كلامه المنزل على خاتم أنبيائه ورسله مهيمنًا على ما قبله من الكتب. وفي هذا إشارة إلى كمال التصديق بما في الكتاب. فقد قلنا أن من معاني المهيمن (المصدق) وكأن في معنى أن القرءان مهيمنٌ على ما قبله أنه مُصدق لما بين يديه من الكتب (

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) [المائدة/48]

فقوله (مهيمنًا عليه) : أي عال وعلوه على سائر كتب الله ذلك بما زاد عليها من السور، وأن الله جعله قرءانًا عربيًا مبينًا، وأن جعله نظمه وأسلوبه معجز، وإن كان الإعجاز في سائر الكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى ولكن القرءان لا شك فيه إشارات عظيمة في هذا الباب.

ومن مظاهر هيمنة القرآن الكريم على الكتب السماوية : أخبر بتحريف هذه الكتب وتبديلها، وأنها لم تبق على ما كان مفروضا فيها من الثقة بها وحقية كل ما فيها، بل تناولتها أيدي أهل الكتاب الآثمة بالتحريف والتبديل، وتناولوا ما بقي منها بالتأويل الفاسد، طبقا للأهواء والشهوات، أو متابعة لذوي السلطان، أو محاولة لكسب الجدل على أعدائهم وخصومهم، بل أخبر القرآن كذلك أنهم كتبوا الكتب بأيديهم ونسبوها إلى الله زورا وبهتانا: **(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)**.

9-11/ في رحاب اسمائه تعالى

القادر - القدير - المقتدر

عرفت أن من معاني هذه الأسماء : ما يأتي :

أما معنى القادر والمقتدر : فمَعْنَاهُمَا ذُو الْقُدْرَة لَكِن المقتدر أَكثر مُبَالغَة وَالْقُدْرَة عبارَة عَن الْمَعْنى الَّذِي بِهِ يُوجد الشَّيْء متقدرا بِتَقْدِير الْإِرَادَة وَالْعلم وَاقعا على وفقهما .

وقيل القادر : هُوَ الَّذِي إِن شَاءَ فعل وَإِن شَاءَ لم يفعل وَلَيْسَ من شَرطه أَن يَشَاء لَا محَالة فَإِن الله قَادر على إِقَامَة الْقِيَامَة الْآن لِأَنَّهُ لَو شَاءَ أَقَامَهَا فَإِن كَانَ لَا يقيمها لِأَنَّهُ لم يشأها ، وَلَا يشاؤها لما جرى فِي سَابق علمه من تَقْدِير أجلهَا ووقتها فَلذَلِك لَا يقْدَح فِي الْقُدْرَة .

والقادر الْمُطلق : هُوَ الَّذِي يخترع كل مَوْجُود اختراعا يتفرد بِهِ ويستغني فِيهِ عَن معاونة غَيره وَهُوَ الله تَعَالَى ، قال الغزالي رحمه الله .

كما عرفت أن من معانيها :[176]

وقال الزَّجاج : القادر: هو الله القادر على ما يشاءُ، لا يُعجزُه شيء، ولا يفوتُه مطلوبٌ، والقادر منا - وإن استحقَّ هذا الوصف - فإن قدرتَه مستعارةٌ، وهي عنده وديعةٌ من الله تعالى، ويجوزُ عليه العجزُ في حال، والقدرةُ في أخرى .

وقد يكونُ القادرُ بمعنى المقَدِّر للشيء، كقوله: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُون) [المرسلات: 23]؛ **أي: نعم المقدرون.**

وقال ابن القيم رحمه الله:

وهو القديرُ وليس يعجزُه إذا ... ما رام شيئًا قط ذو سلطان

176/ مقتبس من مقال بعنوان : اسم الله: القادر - القدير – المقتدر - للدكتور محمد ويلالي – شبكة الألوكة الشرعية - بتصرف.

وقال الحليمي رحمه الله : المقتدر: هو المظهرُ قدرتَه بفعلِ ما يقدرُ عليه.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: (القدير) كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجوداتِ، وبقدرته دبَّرَها، وبقدرته سوَّاها وأحكمَها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعثُ العبادَ للجزاء، ويجازي المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن، فيكون، وبقدرته يقَلِّب القلوبَ ويصرفُها على ما يشاء ويريد .

ولقد وردت هذه الأسماءُ مع مشتقاتها في كتاب الله أزيدَ من 130 مرة، منها 45 مرة كلمة "قدير"، و13 مرة كلمة "قادر"، وأربع مرات كلمة "مقتدر"، ويدور معناها كلها على تسليط القوةِ، والسيطرةِ، والتمكن، والهيمنةِ.

قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُون** ﴾ [الأنعام: 65]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ [البقرة: 106]، وقال تعالى: ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: 42].

تعلمت من اسمائه تعالى القادر - القدير – المقتدر :

1/ أن أتبرأ من قدرتي وأعتمد على قدرته جل وعلا سواء في تقديري لما ينفعني من أمور حياتي أو في قدرتي على القيام بها ، وذلك لما جاء في حديث الاستخارة التسليمُ بقدرة الله، وأنه المدبرُ لكل شيء، القادرُ على كل شيء، فيقول صاحب الحاجة: (اللهم إني أستخيرُك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألُك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدرُ ولا أقدرُ، وتعلمُ ولا أعلمُ، وأنت علام الغيوب) رواه البخاري، وفيه ركونُ العبدِ إلى قدرة الله، مع إظهار الضعف وقلة الحيلةِ.

2/ أن أتذكر أن قيامي بالعبادات بل وأنشطة الحياة كلها لا يكون إلا بقدرة الله تعالى وإقداره لي ، لما ورد عن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الأذكار التي تقال دُبرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ: (لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ، اللهم لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا معطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ)؛ رواه البخاري.

وقوله : ولا ينفعُ ذا الجدِّ : أي: لا ينفع صاحبَ الحظِّ حظُّه، ولا صاحبَ الغنى غناه.

3/ أن أكون على يقين أن الله على تعالى كل شئ قدير كما وردت بذلك الآيات المتكاثرة في هذا المعنى ، ومنها قوله تعالى : (**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**) [البقرة: 106].

وقوله تعالى (**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) النحل (40)

وقال تعالى حكاية عن لقمان عليه السلام : (**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**) لقمان (16)

ولذلك فمهما قوي الإنسانُ وتمكَّن، ومهما استطاع وقدَر، فإن الله تعالى أقوى منه، وأقدرُ منه؛ ففي صحيح مسلم أن أبا مسعودٍ البدري رضي الله عنه قال: كنت أضربُ غلامًا لي بالسوطِ، فسمعتُ صوتًا من خلفي: "اعلم أبا مسعود! ، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني، إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: (**اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود!**)، قال: فألقيتُ السوطَ من يدي، فقال: (**اعلم أبا مسعود أن الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام**)، قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

والذي جعل النارَ على سيدنا إبراهيم بردًا وسلامًا، والذي فلَق البحرَ نصفين بضربةِ عصا موسى، والذي فجَّر من الحجر ينابيعَ المياه، والذي وهب لإبراهيم وزكريا أولادًا مع الكبر والعقم - هو الذي يُغنيك إذا افتقرت، ويثبِّتك إذا اضطربت، ويَشفيك إذا مرِضت، إذا صدَق لُجْؤُك إليه، وصحَّ اعتمادُك عليه، وسلِم افتقارُك إليه؛ ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النمل: 62].

كن مع الله ترَ اللهَ معكْ   واترُكِ الكلَّ وحاذِرْ طمعَكْ

وإذا أعطاك مَن يمنعُه   ثم مَن يُعطي إذا ما منعَكْ؟

وأخبرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقصة الرجل الذي كان "يسرفُ على نفسه، فلما حضره الموتُ، قال لبنيه: إذا أنا متُّ، فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح؛ فوالله لئن قدَرَ عليَّ ربي ليعذبَنِّي عذابًا ما عذَّبه أحدًا، فلما مات، فُعل به ذلك، فأمر اللهُ الأرضَ، فقال: اجمعي ما

فيك منه، ففعلتْ، فإذا هو قائمٌ؛ فقال: ما حمَلَكَ على ما صنعت؟ قال: يا رب، خشيتُك؛ فغفر له))؛ متفق عليه.

ولا شك أن الذي خلق الإنسانَ من لا شيء - قادرٌ على أن يعيدَ بعثَه ليوم الحساب؛ (**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**) [يس: 79].

كما تعلمت من اسمائه تعالى القادر - القدير – المقتدر[177] :

1- أن اسم الله القادرُ هو الفاصلُ بين المؤمنين الذين يعلمون أن المتمكن من الكون، المهيمن عليه، المتصرّفِ فيه - هو الله، فيعبدونه بمقتضى هذا الاسم وما يستحقه من الإجلال والإعظامِ، وبين الزنادقةِ والملاحدة، الذين ينسُبون التصرفَ في الكون إلى قوةِ الطبيعةِ، أو يركنون إلى قوةِ العقل البشري، ويرون أن الإنسانَ بعقله هو المتصرفُ الحقيقي في الكون.

ولقد أعجز اللهُ تعالى هؤلاء بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [الحج: 73]؛ ليبين لنا ربُّنا عز وجل حقيقةَ هذا الإنسانِ المغرور بمادياته ومخترعاته: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾ [الروم: 54].

وماذا يُشَكِّل هذا الإنسانُ اللجُوجُ في حجم هذا الكونِ، الذي تُشَكِّل فيه الأرضُ برمتها نقطةً لا تُرى وسط الكواكبِ والنجوم والمجرات الأخرى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما السماواتُ السبعُ في الكرسيِّ إلا كحلقة ملقاةٍ بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاةِ على تلك الحلقةِ**) [رواه ابن حبان في صحيحه: 361] .

إذا كان الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في صحراء، فما بالكم بنسبة العرش إلى الله -تعالى-؟

177/ المرجع السابق - بتصرف .

ولذلك كل الخلق هذا كله يكون هباءة صغيرة جدا بالنسبة لربنا -عز وجل-، لكن كثيرا من الناس عن هذا لغافلون.

ما لي سوى فقري إليك وسيلةٌ فبالِافتقار إليك فقري أدفعُ

ما لي سوى قرعي لبابك حيلةٌ فإذا رُددتُ فأيُّ باب أقرعُ

2- **لقد قضى الله تعالى بقدرته على الطغاة في كل عصر - وهو قادر على القضاء عليهم في هذا العصر - وإن النظرَ في سنن الله في القضاء على الجبابرة قديمًا وحديثًا - بيّنةٌ جليَّة**، وإذا كانت الأمثلةُ على ذلك في الكتاب والسُّنة كثيرةً، فلنذكر مثالَ فرعون الذي علا في الأرض وتكبَّر وتجبَّر، لما أخبره المنجمون بأن ملكَه سيذهبُ على يد مولودٍ من بني إسرائيل، رأى الحلَّ في قتل جميع مواليدِ بني إسرائيلَ؛ قال الزجاج: "والعجبُ من حمق فرعونَ؛ فإن الكاهن الذي أخبَره بذلك إن كان صادقًا عنده، فما ينفع القتل؟ وإن كان كاذبًا، فلا معنى للقتل"، وخوفًا من انقراض النسل، فضَّل فرعون أن يقتلَ المواليدَ سَنةً، ويستحييهم سَنة، فقضى ربُّنا عز وجل أن يولدَ موسى عليه السلام في السَّنة التي يقتل فيها المواليد، ليُلقى في البحر، وليلتقطَه آلُ فرعون، وليتربى في قصر فرعونَ، وليهلكَ فرعون على يده، ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا** ﴾ [القصص: 8]؛ لتمضي قدرةُ الله التي لا يمنعُها مانعٌ، ولا يحجُزُها حاجزٌ.

وكيف يفرُّ المرءُ عنك بذنبِه إذا كان يطوي في يديك المراحِلَا

3- **إن المؤمن عندما يعطيه الله تعالى القدرة لا يتجبر ولا يتكبر على عباد الله تعالى غير أن فئامًا من الناس اليومَ جعلت العقلَ القوةَ القاهرة، والسلطةَ الباهرة، والقدرةَ الجبَّارة**؛ بسبب ما وصل إليه من مخترعاتٍ وابتكاراتٍ مكَّنت الإنسانَ من الغوص في الماء، والتحليق في السماء، وتيسير أمور تواصلِه بآلات دقيقة، وضبط أمورِه بوسائلَ تقنيةٍ بارعة، وترهيب عدوِّهم بأسلحة فتَّاكة مبيدة، فتسرب إليهم الزهوُ والاغترار، وداخَلتهم الأنانيةُ والفَخَار، وظنُّوا أن غيرَهم يجب أن يكونَ خدمًا لهم، وتحت سيطرتِهم، فسلَّطوا عليهم قدرتَهم، وصبُّوا عليهم جبروتَهم، ووجَّهوا إليهم فوهات أسلحتِهم، ثم اتهموا المسلمين - في أيام عزِّهم وضعفِهم - بأنهم أهلُ تسلُّط وإرهاب، فكيف صارت أحوالُ العالَمِ بسبب تهوُّرِهم؟ وكيف عاش الناسُ في ظل تجبُّرِهم؟

4- يشهد التاريخُ أن المسلمين لمَّا تمكَّنوا من بسط نفوذِهم على بقعٍ غيرِ يسيرة من الأرض، عاملوا غيرَهم بما يليقُ بهم من الاحترام والتقدير، لم يُسخِّروا قوتَهم وعزَّهم في التضييق على الناس، ومنعِهم من حقوقهم، والتسلطِ على ممتلكاتهم وخيراتهم، وكان شعارُهم وصيةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم: (**اغزُوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا**)؛ رواه مسلم. **وأوصاهم بالإحسان إلى أهل الذمَّة**: فقال صلى الله عليه وسلم: (**من قتل معاهَدًا، لم يَرَحْ رائحةَ الجنة، وإنَّ ريحَها توجدُ من مسيرة أربعين عامًا**) رواه البخاري، بل جعل مجردَ تنقيصِهم.

كما أن ظلمهم سواء أكان ماديا أو معنويا إنما هو خصومةً للنبي صلى الله عليه وسلم نفسِه: فقد قال: (**ألا من ظلم مُعاهدًا، أو انتقصه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيبِ نفس، فأنا حجيجُه يوم القيامة**)؛ صحيح سنن أبي داود.

هذه المواقف البطوليةُ النبيلة، وهذه اللحظاتُ الإنسانية الفريدة، هي التي اختصرت شهادة الغربيين أنفسِهم في سماحة الإسلام، وكيف نبذ استغلالَ قدرةِ أتباعه في الاعتداء والظلم.

5- يقول الأمريكي "ول ديورانت" المتوفَّى أواخر القرن العشرين: "لقد كان أهلُ الذِّمَّة: المسيحيون، والزرادشتيون، واليهود، والصابئون، يتمتعون في عهد الخلافةِ الأُموية بدرجة من التسامح، لا نجد لها نظيرًا في البلاد المسيحية في هذه الأيام".

وقال في حق اليهود الذين عتَوا اليوم واستأسَدوا: "وكان اليهودُ في بلاد الشرق الأدنى قد رحَّبوا بالعرب، الذين حرروهم من ظلم حكَّامهم السابقين، وأصبحوا يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم، وممارسةِ شعائر دينهم".

ويقول المستشرق "دوزي": "إن تسامحَ ومعاملة المسلمين الطيبةَ لأهل الذمة، أدَّى إلى إقبالهم على الإسلام، وأنهم رأوا فيه اليسرَ والبساطةَ، مما لم يألفوه في دياناتِهم السابقة".

غير أن التاريخَ يشهد - أيضًا - أن الغربيين استغلُّوا قوتَهم وقدرتَهم - يوم تمكَّنوا وهيمنوا - في القتل والتدمير، والفتك والتخريب، لا يرقُبون في المسلمين إلًّا ولا ذِمَّة، وكانت رسالتُهم القضاءَ على الإسلام، ومحوَ أثره من الوجود، حتى أعلنوا ذلك من غير مواربةٍ أو كناية، كما حكى ذلك

ربُّنا عز وجل بقوله: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾ [البقرة: 109].

6- لما أخذ النصارى زمامَ الأمر في الأندلس، انتقموا من المسلمين بممارسة أبشعِ أنواعِ التنكيل والتعذيب، لدرجة التفكيرِ في إبادتهم إبادةً جماعية، ومن تنصَّر منهم خوفًا من بطشهم، ألزموهم بارتداء لباسٍ مُعَيَّن طول حياتهم، مع إلزام الناس بسبِّهم كلما ساروا في الشارع، أو خرجوا من بيوتهم، بعد أن أحرَقُوا عشراتِ الآلاف من كتب الشريعةِ الإسلامية، وحوَّلوا مساجدَهم إلى كنائس، وحرَموهم من استخدام اللغة العربية، والأسماء العربية، ومنعوهم من الختان وممارسة عبادتهم، ومن يخالف ذلك كان يُحرقُ حيًّا بعد أن يعذَّب أشدَّ العذاب، ونسوا أن "عيشو يابه" الذي تقلَّد منصبَ البابا سنة 657م قال: "إن العربَ الذين مكَّنهم الربُّ من السيطرةِ على العالَم، يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداءَ للنصرانية .

ملَكْنا فكان العفوُ منَّا سجيةً   فلما ملكتُم سال بالدمِ أبطَحُ

وحلَّلْتمُ قتل الأُسارى وطالما   غدونا على الأسرى نمُنُّ ونصفحُ

فحسبُكمُ هذا التفاوتُ بيننا   وكلُّ إناءٍ بالذي فيهِ ينضحُ

وهؤلاء الذين يزعمون قيادةَ العالم، ويتشدَّقون بالتحضُّر والتقدُّم، أقاموا مجدَهم على إفناء 112 مليون إنسان، ينتمون إلى أكثرَ من 400 أمة وشعب، مع تدمير منازلهم وقُراهم، ووصفت الدولة المستعمرة هذه الإباداتِ بأنها أضرارٌ هامشية لنشر الحضارة، منتهجة في ذلك 97 مما يسمى بالحروب الجرثومية الشاملة، 41 حربًا منها تصيبُ بالجدري، و4 بالطاعون، و17 بالحصبة، و10 بالأنفلونزا، و25 بالسُّل والكوليرا؛ أهكذا تُستعمل القوةُ، وتوظَّفُ القدرةُ؟!

ودفع الاعتزازُ بالقدرة على الفَتك هؤلاء إلى أن يُبيدَ بعضُهم بعضًا، حتى بلغ قتلى الحرب العالمية الثانية زهاء 60 مليون نفس بشريَّة بين عسكريٍّ ومدني، و14مليون قتيل في الحرب العالمية الأولى، دون تحقيق سلم أو وئام، حتى بلغ عددُ القتلى في القرن الأخير قرابة 250 مليون شخص.

وما يجري في فلسطين أكبرُ دليل على استغلال القدرةِ الاستئصالية للقضاء على كل ما يمتُّ إلى الإسلام بصلة؛ ففي 2001م يفتي أحدُ حاخامات اليهودِ ويقول: "السلطات (الإسرائيلية) يجبُ أن تبذلَ قصارى جهدِها من أجل القضاءِ على خصوبة العرب المسلمين في فلسطين؛ حتى يتوقفَ النَّسلُ الإسلاميُّ تمامًا، وتصبح فلسطين خالصةً لليهود، وبعدها من الممكن التفكير في حلم إقامة (الهيكل) و(إسرائيل الكاملة)".

ويفتي الآخر سنة 2004: "بأن اليهودي عندما يقتل مسلمًا، فكأنما قتل ثعبانًا أو دودة، ولا أحد يستطيعُ أن يُنكِرَ؛ لأن كلًّا من الثعبان والدودة خطرٌ على البشر؛ لهذا فإن التخلصَ من المسلمين مثلُ التخلُّص من الديدان؛ أمرٌ طبيعي أن يحدث".

12-13/ في رحاب اسميه تعالى

الْخَافِض – الرافع

عرفت أنَّ من معاني الخافض الرافع [178] ما يلي :

- **يقول الخطابي رحمه الله : الخافض الرافع :** وكذلك القول في هذين الاسمين يستحسن أن يوصل أحدهما في الذكر بالآخر[179] :

فالخافض : هو الذي يخفض الجبارين ويذل الفراعنة المتكبرين ، و**الرافع** : هو الذي رفع أولياءه بالطاعة فيعلي مراتبهم وينصرهم على أعدائه ويجعل العاقبة لهم ، لا يعلو إلا من رفعه الله ، ولا يتضع إلا من وضعه وخفضه والرافع : المعلي للأقدار".

وقال الغزالي : **الخافض :** هُوَ الَّذِي يخْفض الْكفَّار بالإشقاء و**الرافع** هو : يرْفَع الْمُؤمنِينَ بالإسعاد، **يرفع** أولياءه بالتقريب **ويخفض** أعداءه بالإبعاد وَمن رفع مشاهدته عَن المحسوسات والمتخيلات وإرادته عَن ذميم الشَّهَوَات **فقد رَفعه** إِلَى أفق الْمَلَائِكَة المقربين وَمن قصر مشاهدته على المحسوسات وهمته على مَا يُشَارك فِيهِ الْبَهَائِم من الشَّهَوَات **فقد خفضه** إِلَى أَسْفَل السافلين وَلَا يفعل ذَلِك إِلَّا الله تَعَالَى فَهُوَ الْخَافِض الرافع.

وهذا المعنى ورد في قول الله تعالى: (**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ**) الواقعة (1-3)، أي تخفض أقواما إلى أسفل سافلين في الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء ،وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم .

178/ لم يرد اسما الله الخافض الرافع فى القرآن الكريم، ولكن وردا فى الأسماء فى حديث الأسماء الحسنى ، وممن أثبتهما الحليمي والخطابي ابن القيم والغزالي والسعدي وغيرهم .

179/ حول قضية قرن مثل هذين الاسمين مع بعضهما البعض يقول الحليمي كما في "الأسماء والصفات" للبيهقي (193/1) : " ولا ينبغي أن يفرد الخافض عن الرافع في الدعاء " وقال الحكمي " أن من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترنا بمقابله , فإذا أطلق وحده أوهم نقصا تعالى الله عن ذلك , فمنها المعطي المانع , والضار النافع , والقابض الباسط , والمعز المذل , والخافض الرافع , فلا يطلق على الله عز وجل المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده , بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها , إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك ". معارج القبول" للحكمي (64/1) .

تعلمت من هذين الاسمين الجليلين [180]: ما يأتي :

أولاً : أن الرفع في الدنيا والآخرة بيد الله تعالى :

1/ **جاء الرفع في حق القسط** : ورد في الحديث عنْ أَبِي مُوسَىٰ الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: (**إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ. يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ. يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ. وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ. حِجَابُهُ النُّورُ (وَفِي رِوَايَةِ: النَّارُ) لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**). رواه مسلم.

قال أهل العلم : **يخفض العدل** بتسليط ذا الجور ، **ويرفع العدل** بإظهاره العدل ،**يخفض القسط** بأهل الجور، **ويرفع العدل** بأئمة العدل ، وهو في خفضه العدل مرة ورفعه أخرى يبتلي عباده لينظر كيف صبرهم على ما يسؤهم ،وشكرهم على ما يسرهم) ا.هـ

2/ **جاء الرفع فى حق الرسل عليهم السلام** كما في قوله تعالى: **(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ)** البقرة (253).

كما ورد قوله تعالى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) (4) الشرح ، أي رفع الله ذكره ،وسيرته في الدنيا والآخرة ،فليس هناك مؤذن أو خطيب أو متشهد أو صاحب صلاة إلا وينادي : اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

جاء الرفع فى حق إدريس عليه السلام: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) مريم(57) .

3/ جاء الرفع فى حق المؤمنين وأولى العلم قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) المجادلة (11).

180/ موقع الإسلام وسؤال وجواب وموقع النابلسي وموقع خطب الجمعة حامد إبرهيم ، ومقال لعبد الرحمن بدوي – موقع كتاب الأهرام.

وفى حق الناس كافة قوله تعالى: (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) الزخرف (32) .

وهذا الرفع الذى ذكر فى الآيات رفع معنوى، أما الرفع الحسى الذى تشاهده الأعين، فقد ورد فى قوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) الرعد (2) .

فالله هو الرافع الخافض ، وقد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة .

4/ وقد ينسب الرفع الى العمل الصالح كما فى قوله الله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) فاطر (10).

والرافع هو الله - جلت قدرته - سواء كان الرفع للمنزلة او للدرجات أو للكلم الطيب، أو للبناء، أو لغير ذلك من أوجه الرفع الحسى، أو المعنوى ومن أراد الرفعة حقا فليتحل بحلية التواضع. فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله:(**إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحد، ولا يَبغِي أحدٌ على أحد)** رواه مسلم.

ثانياً : كيف ينال العبد حظه من معاني الخافض الرافع[181] :

1/ إذا أراد العبد أن ينال حظا من اسم الله- الخافض فعليه ان يبر والديه، ويتواضع لهما، ويتواضع لكل مؤمن كما امر الله سبحانه وتعالى بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم.

2/ **أنه لايخفض ولايرفع بحق إلا الله تعالى ،خافض لمن تكبر ورافع لمن تواضع** .. بين الميزان يخفض ويرفع يخفض الجبارين ويذل الفراعنه المتكبرين .فحدثنا الله عن أقوام خفضهم وأقوام رفعهم :

181/ المراجع السابقة .

- خفض إبليس الذى كان معززا مكرما فى ملكوت السموات فاذا هو ملعون مطرود حقير ذليل من أهل الشقاء .
- كما خفض فرعون .. كان ملكا آمرا ناهيا تجرى الانهار من تحته وتحرسه جيوشه فإذا هو غريق ذليل ملقى على شاطئ البحر جثه هامدة .
- كما خفض سبحانه ملوك الفرس والروم دمر المسلمون جيوشهم وحصونهم وهدموا معاقلهم فهم بعد العز والتمكين والتجبر فى الارض قتلى وأسرى أذلاء هم ونسائهم وذراريهم.
- رفع الله العرب بالإسلام بعد أن كانت أمه مفككه لايلتفت إليها أحد فجعلها خير أمه للناس ومكن لها فى الارض ..ثم خفضها الله عندما حادت عن منهج الله .
- وخفض الله ورفعه فى الأخرة أعظم مما هو فى الدنيا فأقوام كانوا ملوك الارض وسادتها واصحاب ثرواتها اذا هم فى الأخرة أذل الناس وأحقرهم .. وأخرون كانوا فقراء مطاردين منبوذين مقهورين ،أصبحوا اهل الجنة أهل العزه والجاه الكبير ..
- خفض الله تعالى أبرهة الحبشي صاحب الفيل ذاك الذي بنى كنيسه بصنعاء وسماها القليس حتى يحج الناس اليها أراد بذلك صرف الناس عن حج بيت الله الحرام ..جاء الجيش مدلا بعدده وعدته وجاء معه بالفيل اقوى الحيوانات سلط الله عليهم اضعف المخلوقات . فقال تعالى (**وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ**) طيور غاية فى الصغر مع كل طائر ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال العدس .. لاتصيب أحد منهم إلا هلك ..أصيب أبرهه .. سحبوه معهم حتى قدموا صنعاء وهو مثل الفرخ وقبل أن يموت إنفجر صدره.
- **خفض الله تعالى أبا لهب وامرأته حمالة الحطب** ،كان من أعظم وأعز الناس فى قريش وكان كثير الأذيه ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ ، فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ ، فَنَادَى يَا صَبَاحَاهْ ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ ، فَقَالَ : (**أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي ؟**) قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : (**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**) ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**) سورة المسد آية (1) إِلَى آخِرِهَا .

4/ وأخيراً من هو المرفوع قدره أو المخفوض من العباد :

- ليس المرفوع قدرا والمستحق مجدا وفخرا من رفع الطين على الطين أو تكبر على المساكين او تكبر بكثرة ماله واستقامه أحواله وإنما المرفوع قدرا ومكانة من رفعه الله بتوفيق وأيده لتصديقه وهداه إلى طريقه .. صفى قلبه وخلى له وجهه وصعد إلى السماء أنينه وصدق إلى الله شوقه وحنينه .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :**(رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)**
- والمخفوض من العباد حقاً : هو من تنكبه التوفيق والنصرة وأدركه الخذلان والفترة وأمرته نفسه ولم يجد خيرا من ربه وإن رجع الى ربه لم يجد القدرة من قلبه وان رجع الى قلبه لم يجد ثقه بمناجاته فهو بهجران الله موصوف .. يبيت فى فترة ويصبح فى حسرة .

وختاما: تعلمت أن أترفع أبذل قصارى جهدي للميل إلى المعاني الإيمانية والترقي في المراتب الإحسانية والترفع عن الشهوات الحيوانية ، لكي أسمو في الدنيا وأنال الدرجات العليا في الآخرة . روى الطَّبراني بسند صحيح من حديث الحسين بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى يحبُّ معاليَ الأمور وأشرافَها، ويكره سفسافَها).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه - صلى الله عليه وسلم: **(فإذا سألتُم الله فسَلوه الفردوس؛ فإنه أوسطُ الجنة وأعلى الجنة، وفوقَه عرشُ الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة)** رواه البخاري، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدريِّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن أهل الجنة ليَتَراءَون أهل الغُرَف من فَوقهم كما تتراءَون الكوكب الدريَّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب؛ لتفاضُلِ ما بينهم)**، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم! قال: **(بلى والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين).**

14-15/ في رحاب اسمه تعالى

المعزُّ المذلُّ

عرفت أنَّ من معاني هذين الاسمين الكريمين[182] :

المعز: هو الغالب القوي الذي لا يغلب، وهو الذي يعز الأنبياء بالعصمة والنصر، ويعز الأولياء بالحفظ والوجاهة، ويعز المطيع ولو كان فقيرا، ويرفع التقي ولو كان كان عبدا حبشيا فهو المعز المؤمنين بطاعته ، الغافر لهم برحمته ، المانح لهم دار كرامته.

والمذل : أي الذي يلحق الذل بمن يشاء من عباده، فالله يذل الإنسان الجبار بالمرض أو بالشهوة أو بالمال أو بالاحتياج إلى سواه وقد ربط الله العز بالطاعة فهي طاعة ونور وكشف حجاب وربط سبحانه الذل بالمعصية فهي معصية وذل وظلمة وحجاب بين العبد وربه

وقيل المعز : هو الذي يهبُ العز لمن يشاءُ من عباده، وهو الميسر أسباب العزة .

والمذل : هو الذي يُلحِقُ الذُّلَّ بمَنْ يشاء من عباده ويَنفي عنه أنواعَ العز جميعاً .

وقيل المعز : من أعزّ بالطاعة أولياءه، وأظهرهم على أعدائهم في الدنيا، وأحلّهم دار الكرامة في العقبى.

والمذل : هو من أذلّ أهل الكفر في الدنيا بالرّق وبالجزية والصغار، وفي الآخرة الخلود في النار ، فلا مذل لمن أعزه الله، ولا معز لمن أذله الله. قال سبحانه وتعالى :(**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**) النساء: 139

وقال الغزالي : هُوَ الَّذِي يُؤْتِي الْملك من يَشَاء ويسلبه مِمَّن يَشَاء وَالْملك الْحَقِيقِيّ إِنَّمَا هُوَ فِي الْخَلَاص من ذل الْحَاجة وقهر الشَّهْوَة ووصمة الْجَهْل فَمن رُفع الْحجاب عَن قلبه حَتَّى شَاهد جمال حَضرته ورزقه القناعة حَتَّى اسْتغنى بهَا عَن خلقه وأمده بِالْقُوَّةِ والتأييد حَتَّى استولى بهَا

182/ هذان الاسمان من الأسماء الحسنى التي اختلف العلماء في إثباتها وهما في حديث الترمذي ، وممن أثبتهما : ابن القيم والقرطبي وابن العربي والغزالي . ووردا في القرآن بصيغة الفعل في قوله تعالى: (**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) آل عمران(26) .

على صِفَات نَفسه **فقد أعزه** وآتاه الْملك عَاجلا وسيعزه فِي الْآخِرَة بالتقريب ويناديه **(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي)** سُورَة الْفجْر الْآيَات (27-30) .

وَمن مد عينه إِلَى الْخلق حَتَّى احْتَاجَ إِلَيْهِم وسُلط عَلَيْهِ الْحِرْص حَتَّى لم يقنع بالكفاية واستدرجه بمكره حَتَّى اغْترَّ بِنَفسِهِ وَبَقِي فِي ظلمَة الْجَهْل فقد **أذله** وسلبه الْملك وَذَلِكَ صنع الله عز وَجل كَمَا يَشَاء حَيْثُ يَشَاء .

فَهُوَ الْمعز الْمذل : يعز من يَشَاء ويذل من يَشَاء وَهَذَا الذَّلِيل هُوَ الَّذِي يُخَاطب وَيُقَال لَهُ **(وَلَكِنَّكُمْ فتنتم أَنفسكُم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمر الله وغركم بِاللَّه الْغرُور فاليوم لَا يُؤْخَذ مِنْكُم فديَة)** سُورَة الْحَدِيد (14- 15) .وَهَذَا غَايَة الذل.

تعلمت من اسميه تعالى المعز والمذل :

1/ إن المؤمن عندما يدرك أن الله تعالى المعز المذل فإنه يجد في العزة مظهراً من مظاهر الثقة بالله تعالى، ورسوخ اليقين، والقوة في الدين والخلق، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **(إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)** فالعزة التي هي اسم من أسماء الله أيضاً صفة أساسية من صفات المؤمنين، لقوله تعالى: **(يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** المنافقون(8)،والمؤمن الحق عزيز لأنه مع العزيز، وعلى شرع العزيز، ومفتقر للعزيز، ومعتمد عليه.

2/ إذا أراد الله عز وجل إعزاز عبده قربه إليه، ومهد له طريق التوبة والعودة إليه، وأهله لمناجاته، وإذا أراد الله إذلال عبد ربطه بشهواته، وحال بينه وبين قربه ومخاطباته، فلا عز إلا عز طاعته.

وقد أودع الله في الإنسان شعور العزة من أجل أن يبتعد عن المعصية ترفعاً واعتزازاً، والفطرة لا تعني أن الإنسان كامل، ولكنها تعني أنه يحب الكمال.

3/ مَن أعزه الله جعله عزيزا أي له العزة والقوة والغلبة ومن أذله الله ضرب عليه الذلة والخزي وجعله ضعيفا بين خلقه تعالى ولقد ضرب الله الذلة والمسكنة والخزي على الذين يعرضون عن آيات ربهم مستكبرين فقال جل شأنه يصف حالهم بقوله الكريم: **(خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) المعارج (43))** وقال أيضا: **(وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) يونس (27))** .

ولكن الله أرسل اليهم رسله مبشرين ومنذرين فاذا هم قد **(جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) نوح (7)** فحقت عليهم كلمة العذاب **(فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) الزمر (26)** ، فهذا هو معنى الذل فهو خزي في الدنيا وعذاب في الاخرة، فالمذل -عز وجل- هو الذي يذل الكافرين بصولة الحق، ويذل الجبارين بتسليط الامراض وما من ظالم أو جبار إلا واذله الله بشيء

4/ إن شر المصائب ان يكون العبد ذليلا لشهوته، فتذله امرأة وتتصرف بعقله وهي قاصرة فيضيع دينه واشر من ذلك ان يسلط الله الكفار على المسلمين فيذلوهم وذلك بسبب عصيانهم لله وتكبرهم على الشريعة وقد ورد في الحديث الشريف : (**يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السَّيل، ولينزعنَّ الله مِن صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوَهْن؟ قال: حبُّ الدُّنيا، وكراهية الموت)** أخرجه أحمد وأبو داود وجود إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (290/7) .

5/ الإعزاز والإذلال يكونان في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : **(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)** الحاقة :19-20 ، ونقيضه الشمال ووراء الظهر فالله عز وجل بأمره التكويني يعزك ،إذا اعتززت به ،واعتمدت عليه ،وأخلصت له ،وأقبلت عليه ،ولم تشرك به ، قال جلّ ثناؤه : ﴿**مَنْ كانَ يُريدُ العِزَّةَ فالِلَّه العِزَّة جميعاً، إليه يصعدُ الكَلِمُ الطيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يرفَعُه**﴾ فاطر(10).

والمعز حينما أمرك بهذا المنهج حصَّن سمعتك، وفطرك فطرةً عالية لكي تكون عزيزاً و(المعز) فطرك على أن تحب العز أودع الله في الإنسان شعور العزة من أجل أن يبتعد عن المعصية ترفعاً واعتزازاً وتأثماً، والفطرة لا تعني أنك كامل، ولكنها تعني أنك تحب الكمال وكمال الروح في أن تعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به ، فإذا صبر العبد بحيث يصير مستغرقاً في طاعة ربه ، ومنقطع الفكر عن كل ما سوى الله ، فهذا هو الإعزاز المطلق ، وإن كان بالضد من ذلك فهو الإذلال المطلق ، وفيما بين هذين الطرفين أوساط مختلفة .

6/ قال بعض العارفين: **" عز الدنيا بالمال وعز الآخرة بالحال** " لك حال فيه طهر ونقاء واستقامة وشوق ومحبة وقرب، هذا عِزّ الآخرة أما المال عز الدنيا.

قيل أن فتحاً الموصلي، كان قاعداً، فسُئِلَ عمّن يُتابع الشهوات كيف صفته، وكان بقربه صبيان، مع أحدهما خبز بلا إدام، ومع الآخر خبز وإدام، فقال الذي لم يكن له إدام لصاحبه أطعمني مما معك فقال بشرط أن تكون كلبي، فقال صاحبه نعم، فجعل خيطاً في عنقه يعطيه اللقمة في فمه ويجره من عنقه كما يُجر الكلب، فقال فتح الموصلي للسائل أما أنه لو أنه رضي بخبزة من دون إدام ولم يطمع في إدام صديقه لم يصر كلباً له.

16/ في رحاب اسمه تعالى

الْخَبِير

عرفت أن معنى اسمه تعالى الخبير:

هُوَ الَّذِي لَا تعزب عَنهُ الْأَخْبَار الْبَاطِنَة فَلَا يجْرِي فِي الْملك والملكوت شَيْء وَلَا تتحرك ذرة وَلَا تسكن وَلَا تضطرب نفس وَلَا تطمئِن إِلَّا وَيكون عِنْده خَبَرهَا وَهُوَ بِمَعْنى الْعَلِيم وَلَكِن الْعلم إِذا أضيف إِلَى الخفايا الْبَاطِنَة سمي خبْرَة وَيُسمى صَاحبهَا خَبِيرا . قاله الغزالي رحمه الله تعالى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : الخبير : الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها .

وقال النابلسي : الخبير سبحانه وتعالى هو العالم بما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وليس هذا إلا لله وحده .

عرفت أن اسمه تعالى الخبير ورد فِي القرآنِ خمسًا وأربعين مرةً :

منها: قولُه تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: 180].وقولُه: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: 73].وقولُه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر: 31].وقولُه: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: 3].

تعلمت من اسمه تعالى الخبير[183]:

1/ قال الغزالي رحمه الله : حَظّ العَبْد من ذَلِك أَن يكون خبيراً بأحواله وبإيمانه وخبيراً بمشاعره وأحوال قلبهقلبه وبدنه والخفايا الَّتِي يَتَّصِف الْقلب بهَا من الْغِشّ والخيانة والتطواف حول العاجلة وإضمار الشَّرّ وَإِظْهَار الْخَيْر والتجمل بِإِظْهَار الْإِخْلَاص مَعَ الإفلاس عَنهُ لَا يعرفهَا إِلَّا ذُو خبْرَة بَالِغَة قد خبر نَفسه ومارسها وَعرف مكْرها وتلبيسها وخدعها فحاذرها وتشمر لمعاداتها وَأخذ الحذر مِنْهَا فَذَلِك من الْعباد جدير بِأَن يُسمى خَبِيرا .

183/ المقصد الأسنى – للغزالي وموسوعة شرح الأسماء الحسنى للنابلسي – بتصرف .

قال النابلسي : تصور تمشي في الطريق وسمعت بوق مركبة، ما الذي يحدث حتى انحرفت نحو اليسار ؟ الذي يحدث أن في الدماغ جهاز بالغ التعقيد يحسب تفاضل وصول بوق المركبة إلى الأذنين إلى أيهما دخل أولاً ؟ والتفاضل بينهما واحد على ألف وستمئة وعشرين جزءاً من الثانية، الجهاز في الدماغ يكتشف أن البوق جاء من اليمين، الدماغ يعطي أمراً إلى الإنسان أن ينحاز نحو اليسار.

دقة ما بعدها دقة، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ سورة فاطر (14) يعني الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها، وهذا من واقع الحياة، عندك جهاز بالغ التعقيد كومبيوتر صناعي ولك جار يبيع الخضراوات صالح جداً تحبه جداً هل تدعوه إلى أن يصلح لك هذا الكومبيوتر ؟ مستحيل، تبحث عن الشركة الصانعة عن خبيرها.

لوحة كتب عليها ممنوع الاقتراب خط تيار عالي، يا ترى لو اقتربت في مؤاخذة، في مخالفة، يا ترى أسجن ؟ الموضوع ليس موضوع سجن ولا مخالفة ولا مؤاخذة موضوع التيار يعملك فحمة خلال دقائق، أنت حينما تفهم أمر الله الذي هو من عند الخبير على أن العلاقة بين الأمر وبين النتائج علاقة علمية ؛ علاقة سبب بنتيجة، وأن العلاقة بين النهي وبين النتائج علاقة علمية ؛ علاقة سبب بنتيجة، تكون قد عرفت الخبير.﴿**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾(سورة فاطر الآية: 14) .

3/ قال بعض العلماء : لا يَنال الحظ الأوفر من هذا الاسم الشريف " الخبير" إلا من كان خبيراً بدسائس نفسه بصيراً بخدائع حسه، يعرف الفرق بين خطرات الشيطان وإلهامات المَلَك بصيراً بإلهامات الرحمن ووساوس الشيطان.

وعيه من المهم : أن تكون خبيراً بأحوالك وخواطرك وقلبك وإيمانك ووساوسك وإلهامات الملائكة، فأنت خبير، وأن تعلم أنه خبير عندئذ تتحق لك الفائدة من هذا الاسم الجليل.

17/ في رحاب اسمه تعالى

الشَّهِيد

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الشهيد : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : الشهيد : يرجع مَعْنَاهُ إِلَى الْعَلِيم مَعَ خُصُوص إضَافَة فَإِن الله عز وَجل عَالم الْغَيْب وَالشَّهَادَة والغيب عبارَة عَمَّا بطن وَالشَّهَادَة عَمَّا ظهر وَهُوَ الَّذِي يُشَاهد فَإِذا اعْتبر الْعلم مُطلقًا فَهُوَ الْعَلِيم وَإِذا أضيف إِلَى الْغَيْب والأمور الْبَاطِنَة فَهُوَ الْخَبِير وَإِذا أضيف إِلَى الْأُمُور الظَّاهِرَة فَهُوَ الشَّهِيد وَقد يعْتَبر مَعَ هَذَا أَن يشْهد على الْخلق يَوْم الْقِيَامَة بِمَا علم وَشَاهد مِنْهُم وَالْكَلَام فِي هَذَا الِاسْم يقرب من الْكَلَام فِي الْعَلِيم والخبير فَلَا نعيده .

قال الزجاجي رحمه الله : الشهيد : في اللغة بمعنى الشاهد كما أن العليم بمعنى العالم والشاهد خلاف الغائب كقول العرب: فلان كان شاهداً لهذا الأمر أي لم يغب عنه.

وقال السعدي رحمه الله : ومن أسمائه الحسنى الرّقيب، وهو واسمه الشّهيد مترادفان، كلاهما يدلّ على حضوره مع خلقه، يسمع ما يتناجون به، ويرى ما يخوضون فيه، ويعلم حركات خواطرهم، وهواجس ضمائرهم، وتقلّب لواحظهم، لا يغيب عنه من أمرهم شيء يقولونه أو يفعلونه، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ سورة يونس:61،

وقال تعالى :﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ سورة المجادلة(7) .

وقيل : الشهيد :جلّ جلاله هو الذي شهد لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط، كما قال الله عز وجل: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سورة آل عمران(18) .

قال القرطبي رحمه الله : والمعنى: أخبر الله- تعالى- عباده وأعلمهم بالآيات القرآنية التي أنزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم، وبالآيات الكونية التي لا يقدر على خلقها أحد سواه، وبغير ذلك من الأدلة القاطعة التي تشهد بوحدانيته، وأنه لا معبود بحق سواه، وأنه هو المنفرد بالألوهية لجميع الخلائق. وأن الجميع عبيده وفقراء إليه وهو الغنى عن كل ما عداه.

وقوله- تعالى- قائِماً بِالْقِسْطِ بيان لكماله- سبحانه- في أفعاله إثر بيان كماله في ذاته. والقسط: العدل أى: مقيما للعدل في تدبير أمر خلقه، وفي أحكامه. وفيما يقسم بينهم من الأرزاق والآجال، وفيما يأمر به وينهى عنه، وفي كل شأن من شئونه.

تعلمت من اسمه تعالى الشهيد [184]:

1- **المؤمن لا يشهد إلا بما رأى** : الشهادة هي الإخبار بما شاهده المرء، شهد فلان على فلان بحق فهو شاهد وشهيد، والشاهد يلزمه أن يبين ما علمه على الحقيقة، واجب يرقى إلى مستوى الفرض. وفي الحديث :(**ألا أُنبِّئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً - قلنا: بلى يا رسولَ الله، قال: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: وشهادة الزور ثلاثا أو قول الزور**) رواه البخاري.

وهناك أناس كثيرون يكذبون كلما تنفسوا، كل كلامه كذب.مرة إنسان في دعوى احتاج إلى شاهد، في عصور التخلف الديني، هناك من يشهد له بالأجرة، مع أنه لم يكن حاضراً، فاتفق مع إنسان أن يدلي له بشهادة مقابل مبلغ من المال يقدر بخمسة آلاف، فلما دخل أمام القاضي قال له: ضع يدك على المصحف، قال له: لحظة، عاد إلى الذي كلفه قال له: هناك يمين أريد عشرة آلاف، مشكلة كبيرة جداً.

2 – **من معاني الشهادة الحُكم:** قد جاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى بيت أبي السائب وهو مسجى على السرير، فسمع امرأة من وراء الستر تقول:(**رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله . فالنبي عليه الصلاة والسلام كلامه سنة، تشريع، فعله تشريع، وإقراره تشريع، لو بقي ساكتاً لكان كلام أم العلاء صحيحاً . رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وما يدريك أن الله أكرمَهُ ؟ فقلت:**

184/ موسوعة شرح الأسماء الحسنى للنابلسي – بتصرف كبير .

بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله ؟ فقال: أمّا هو فقد جاءه اليقين، والله إِني لأرجو له الخير. والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعَلُ بي ؟ قالت: فوالله لا أُزَكِّي أحداً بعده أبداً يا رسول الله ، قالت: فأحْزَنني ذلك، فَنِمْتُ، فرأيتُ لعثمان عينا تجري، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فقال: ذلك عمله)أخرجه البخاري .

بناءا على هذا الحديث نقول : تقييم الأشخاص من شأن الله وحده ، الذي يحكم على الآخرين حكماً قطعياً على مستقبلهم في الجنة أو في النار ، فمن يحكم على الأشخاص يكون قد وقع في معصية كبيرة، سماها العلماء التألي على الله.

لذا احذر - أخي الحبيب - كل الحذر من تقييم الأشخاص، وليكن قدوتك سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سورة المائدة (118) .

18/ في رحاب اسمه تعالى

الحسيب

عرفت أن معنى اسمه تعالى الحسيب :

قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الْكَافِي وَهُوَ الَّذِي من كَانَ لَهُ كَانَ حَسبه ، وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حسيب كل أحد وكافيه وَهَذَا وصف لَا تتَصَوَّر حَقِيقَته لغيره أَي هُوَ وَحده كَاف ليحصل بِهِ وجود الْأَشْيَاء ويدوم بِهِ وجودهَا ويكمل بِهِ وجودهَا.

وقال الخطابي رحمه الله : الحسيب هو المكافئ فعيل بمعنى فعل كقولك: أليم بمعنى مؤلم، تقول العرب: نزلت بفلان فأكرمني و**أحسبني** أي أعطاني ما كفاني حتى قلت: حسبي، و**الحسيب** أيضاً بمعنى المحاسب، كقولهم: وزير ونديم بمعنى موازر ومنادم ومنه قول الله سبحانه: ﴿**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ سورة الإسراء:14 أي: محاسباً والله أعلم»

وقال ابن القيم رحمه الله :

وهو الحسيب كفاية وحماية   والله كافي العبد كل أوان

وقيل : الحسيب بمعنى السيّد الذي عليه الاعتماد وعلى هذا فليس في الوجود حسيب سواه، فقد تعتمد على إنسان يحبّك لكنه ضعيف لا يستطيع أن ينجّيك مما أنت فيه وقد تعتمد على إنسان قوي ولكنه لا يحبّك، وقد تعتمد على إنسان قوي ويحبك ولكن لاتصل إليه .

تعلمت من اسمه تعالى الحسيب [185] :

1/ قال الغزالي رحمه الله : وَلَا تَظنن أَنَّك إِذا احتجت إِلَى طَعَام وشراب وَأَرْض وسماء وشمس وَغير ذَلِك فقد احتجت إِلَى غَيره وَلم يكن هُوَ حَسبك فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَفاك بِخلق الطَّعَام وَالشرَاب وَالْأَرْض وَالسَّمَاء فَهُوَ حَسبك وَلَا تَظنن أَن الطِّفْل الَّذِي يحْتَاج إِلَى أم ترْضِعه وتتعهده فَلَيْسَ الله حسيبه وكافيه بل الله عز وَجل حسيبه وكافيه إِذْ خلق أمه وَخلق اللَّبن فِي ثديها وَخلق

185/ ملخص من المقصد الأسنى - للغزالي وموقع طريق الإسلام ومقال بعنوان : فقه اسم الله الحسيب (2) د. محمد ويلالي - موقع شبكة الألوكة.

لَهُ الْهِدَايَة إِلَى التقامه وَخلق الشَّفَقَة والمودة فِي قلب الْأُم حَتَّى مكنته من الالتقام ودعته إِلَيْهِ وَحَمَلته عَلَيْهِ فالكفاية إِنَّمَا حصلت بِهَذِهِ الْأَسْبَاب وَالله تَعَالَى وَحده هُوَ المتفرد بخلقها لأَجله وَلَو قيل لَك إِن الْأُم وَحدهَا كَافِيَة للطفل وَهِي حَسبه لصدقت بِهِ وَلم تقل إِنَّهَا لَا تكفيه لِأَنَّهُ يحْتَاج إِلَى اللَّبن فَمن أَيْن تكفيه الْأُم إِذا لم يكن لبن وَلَكِنَّك تَقول نعم يحْتَاج إِلَى اللَّبن وَلَكِن اللَّبن أَيْضا من الْأُم فَلَيْسَ مُحْتَاجا إِلَى غير الْأُم فَاعْلَم أَن اللَّبن لَيْسَ من الْأُم بل هُوَ وَالأُم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمن فَضله وجوده فَهُوَ وَحده حسب كل أحد وَلَيْسَ فِي الْوُجُود شَيْء وَحده هُوَ حسب شَيْء سواهُ بل الْأَشْيَاء يتَعَلَّق بَعْضهَا بِبَعْض وَكلهَا تتَعَلَّق بقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

2/ لا مفر من حساب الله: الله لا يشغله حساب أحد عن أحد، فأنت حينما كنت تلميذًا تنتظر حساب معلمك لك، وتصغي بأذنك لصوته وهو ينادي أسماء من حولك، تقول في نفسك لعل الوقت ينتهي وأنجو من هذه المواجهه، لعله ينشغل مع تلميذ قبلي، وتظل تحدث نفسك وتنظر في الوقت منتظرًا الجرس، وهكذا إلى أن يصل دورك أو أن تنجو.. الله سبحانه وتعالى لا يشغله حساب أحد عن أحد ولن يكون هناك دور تنتظر فيه، ولن يكون هناك مفر من هذا الحساب، الكل سيحاسب وبدقة شديدة عن كل صغيرة وكبيرة، قال جلّ في علاه: (**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**) [غافر:17]، وهو أسرع الحاسبين سبحانه وتعالى.

3/المؤمن يحسب حسناته وسيئاته، ويقوم مِن أعمال العبادة بما يُقوّي به سِجلَّ حسناته، وأيسرُ ذلك مؤونةً أدعيةٌ خفيفة، وأعمالٌ يسيرة علَّمَنَاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

فمن الصِّنف الأول: ما رَوَتْه جُوَيرية رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرةً حين صلَّى الصبح وهي في مسجدِها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسةٌ، فقال: ((ما زلتِ على الحال التي فارقتُك عليها؟))، قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لقد قلتُ بعدَكِ أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مراتٍ، لو وُزِنَت بما قلتِ منذ اليوم لوزنَتْهنَّ: سبحان الله وبحمده، عددَ خلقه، ورِضا نفسه، وزنة عرشه، ومدادَ كلماته))؛ مسلم.

ومن الصنف الثاني: ما رواه سعدُ بن أبي وقاص أن خبَّابًا قال لعبدِالله بن عمر رضي الله عنهما: ألا تسمَعُ ما يقول أبو هريرة؟ إنه سمِع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَن خرج مع جنازة مِن بيتها وصلى عليها ثم تبِعها حتى تُدفَنَ، كان له قيراطانِ مِن أجر، كلُّ قيراط مثلُ أُحُدٍ، ومَن صلى عليها ثم رجع، كان له من الأجر مثل أُحُدٍ))، فأرسل ابنُ عمرَ خبَّابًا إلى عائشة يسألُها عن قول أبي هريرة، ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت، وأخذ ابن عمر قبضةً مِن حصى المسجد يُقلِّبُها في يده حتى رجع إليه الرسولُ، فقال: قالت عائشة: صدَقَ أبو هريرة، فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرض، ثم قال: "لقد فرَّطنا في قراريطَ كثيرةٍ!"؛ مسلم.

4/ **أن الحسيب معناه (الكافي) انظر إلى هذا الدعاء الجميل الذي نردده كثيرًا لكن نحتاج أن نستشعره بقلوبنا،** في البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: "**حسبنا الله ونعم الوكيل** قالها إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين ألقي في النار وقالها محمّد صل الله عليه وسلم حين قالوا: {**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**} [آل عمران:173].

ما أحبّ هذا الدعاء إلى القلوب "حسبنا الله" تشعر بها بالسكينة على قلبك، الله يكفيني، يكفي قلبي فلا أقلق ولا أنزعج ولا أرتاب ولا تصيبني من جرّاء الخوف أي إساءة ولا أي إشكال كيف وقد أنزل ربي سبحانه وتعالى على قلبي برد الرضا فصرت ساكنًا هادئًا مرتاحًا.

5/ **كيف يحاسب العبد نفسه :** وضع العلماء للمحاسبة شروطًا وأركانًا ينبغي أن نفقهها.

الأمر الأول : أن يكون الإنسان دائمًا أبدًا محاسبًا لنفسه كما ورد عن عمر رضي الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) فمن حاسب نفسه بدقه في حياته خُفّف عليه من الحساب يوم القيامة. يقول الله سبحانه وتعالى: {**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**} [الليل:5-7]، فيكون حسابه يسيرًا وهو مجرد العرض كما أخبر النبيّ صلّ الله عليه وسلم، فلا يمر بك يوم دون أن تنظر أين أنت من الطريق؟ هل تقدمت أم تأخرت؟

الأمر الثاني : على أي شيء أحاسب نفسي؟ - حاسبها كما يحاسبك ربك، إبدأ أولًا بالأمور العظام الكبار وانظر فيها فإن وجدتها خفيفة عندك فاعلم أن هذا وزنك، يعني ما شأن الصلوات

عندك؟ عظيمة هي عند الله، ما شأنها عندك وما وزنها؟ هل هي عظيمة في قلبك؟ ماذا عن انظر أخلاقك وسلوكياتك! فالأخلاق عظيمة عند الله، ألم يأتي في الحديث: «**إنَّ الرجلَ لَيُدركُ بحسنِ الخُلُقِ درجاتِ الصائمِ القائمِ الظمآنِ في الهواجرِ**» حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة:2/421).

فهل للأخلاق مكانة عندك؟ وهكذا سل نفسك كثيرًا هذه الأسئلة، ابدأ بالعظام من الأعمال عند الله، ثم تدرج شيئًا فشيئًا إلى أن تصل بالمحاسبة إلى خطرات النفوس، فمثلاً تضع جدولاً أسبوعيًا للمحاسبة، ولو ابتداءً لكي تضبط أمورك، فتحاسب نفسك مثلاً على إدراك تكبيرة الإحرام، وتحدد مدة للثبات أسبوعين أوثلاثة حتى ينضبط حالك في هذا الأمر، ثم تركز على غيره. وهكذا تتدرج في الأقل فالأقل، فتبحث عن الأعمال التي لم تفعلها من قبل، إذ يجب ان تضرب فيها بسهم، وضع لك قائمة بمثل هذه الأعمال تراجعها كل فترة لتعرف أي الأبواب لم تدقها بعد فتسعى لها. هذا مثال للمحاسبة على الأوامر.

6/ أمثلة من محاسبة السلف لأنفسهم [186]:

- **جاء رجل يشكو إلى عمر وهو مشغول فقال له : (أتتركون الخليفة حين يكون فارغا حتى إذا شغل بأمر المسلمين أتيتموه) ؟ وضربه بالدرة، فانصرف الرجل حزينا، فتذكر عمر أنه ظلمه، فدعا به وأعطاه الدرة، وقال له : «اضربني كما ضربتك» فأبى الرجل وقال : تركت حقي لله ولك ، فقال عمر : «إما أن تتركه لله فقط، وإما أن تأخذ حقك» فقال الرجل : تركته لله ، فانصرف عمر إلى منزله فصلى ركعتين ثم جلس يقول لنفسه : «يا ابن الخطاب، كنت وضيعا فرفعك الله، وضالا فهداك الله، وضعيفا فأعزك الله، وجعلك خليفة فأتي رجل يستعين بك على دفع الظلم فظلمته ؟!! ما تقول لربك غدا إذا أتيته ؟ وظل يحاسب نفسه حتى أشفق الناس عليه» (مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) لابن الجوزي) .**
- أرسل رجل مؤمن طعامًا إلى البصرة عن طريق وكيل وقال: "بع الطعام بسعر يومه"، فلما وصل هذا الوكيل إلى البصرة استدعى التجار ونصحوه أن يؤخر البيع أسبوعًا فقط

186- مقال بعنوان : محاسبة النفس ضرورة ملحة - نماذج من محاسبة السلف لأنفسهم – موقع الكلم الطيب – بتصرف .

ليرتفع السعر، فأخّر أسبوعًا وربح أرباحًا طائلة وبشّر موكله بهذه الأرباح وجاء الجواب: "ادفع الثمن كله لفقراء البصرة فقد دخل على مالي الشبهة". لأنه حبس الطعام ليزداد سعره فصار محتكرًا والنّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «المحتكر ملعون» (صحيح الجامع الصغير).

- **وقال إبراهيم التيمي :** مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، قلت لنفسي : يا نفس، أي شيء تريدين ؟ فقالت : أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً ! قلت : فأنت في الأمنية فاعملي» (الزهد للإمام أحمد) .
- **وحكى صاحب للأحنف بن قيس** قال : كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل، وكان يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه : (يا حنيف ! ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟) (ذم الهوى- لابن الجوزي)
- **كان عمر بن عبد العزيز شديد المحاسبة لنفسه قليل الكلام، وكان يقول : (إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة)** (سير أعلام النبلاء - للذهبي) .

7/ مما يعين على المحاسبة [187]:

هناك بعض الأمور تعين المرء على المحاسبة لنفسه، بحيث إذا تأملها وتملّاها جيدا كانت خير معين له على أن يبادر ويسارع إلى أطر نفسه وإيقافها عند أمر الله ونهيه ، فمن ذلك ما ذكره ابن القيم – رحمه الله – حيث قال : (ويعينه على هذه المراقبة والمحاسبة أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غدا إذا صار الحساب إلى غيره ، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً ، ويعينه أيضاً : معرفته أن ربح هذه التجارة سكنى الفردوس، والنظر إلى وجه الرب سبحانه، وخسارتها دخول النار والحجاب عن الرب تعالى .

فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم ، فحق على المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها، فكل نفس من أنفاس

187/ محاسبة النفس ضرورة ملحة - السابق .

العمر جوهرة نفيسة لا حظ لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد . فإضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها ما يجلب هلاكه : خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً ، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن (**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا)** [آل عمران:30] (إغاثة اللهفان) .

ويحسن التنبيه هنا على أمر يعين على المحاسبة وهو : أن يحرص المسلم على تخصيص وقت محدد يحاسب فيه نفسه، وإن كان ذلك ليس شرطاً في هذا الباب، فإن المسلم رقيب على نفسه في كل وقت، لكن ذكر بعض العلماء أن تخصيص وقت قبل النوم من كل ليلة من أحسن الأوقات للمحاسبة .

قال الماوردي رحمه الله : (عليه أن يتصفح في كل ليلة ما صدر من أفعال نهاره، فإن الليل أخطر للخاطر وأجمع للفكر)(أدب الدنيا والدين) .

وقال ابن القيم رحمه الله: (ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم ساعة يحاسب فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة، ويعزم على ألا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة، وإن استيقظ استيقظ مستقبلا للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فات) (الروح لابن القيم) .

ونختم موضوع رسالتنا هذه بالتذكير بقضية مهمة وهي : أنه لابد من أن يكون المرء صادقاً في محاسبته لنفسه، وتعتمد المحاسبة الصادقة على أسس ثلاثة ذكرها الإمام ابن القيم – رحمه الله – وهي : الاستنارة بنور الحكمة، وسوء الظن بالنفس، وتمييز النعمة من الفتنة .

فأما نور الحكمة : فهو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل، وكلما كان حظه من هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم .

وأما سوء الظن بالنفس : فحتى لا يمنع ذلك من البحث والتنقيب عن المساوئ والعيوب .

وأما تمييز النعمة من الفتنة : فلأنه كم مستدرج بالنعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه (مدارج السالكين) !

ورحم الله إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد حين فقه هذا الأمر العظيم، فلم يغتر أو يزهو بثناء الناس عليه ومدحهم له، بل عد ذلك فتنة له وامتحاناً. وذاك هو شأن العارفين بالله .

حكى الذهبي رحمه الله عن المروذي رحمه الله قال : قلت لأبي عبد الله [يعني الإمام أحمد] قدم رجل من طرسوس فقال : كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء لأبي عبد الله، وكنا نمد المنجنيق ونرمي عن أبي عبد الله، وقد رمي عنه بحجر والعلج على الحصن متترس بدرقته (الدرقة: الترس من جلد ليس فيه خشب (المعجم الوسيط) فذهب برأسه والدرقة !! قال : فتغير وجه أبي عبد الله وقال : (ليته لا يكون استدراجاً) (سير أعلام النبلاء) .

19/ في رحاب اسمه تعالى

الديان

عرفت معنى اسمه الديان [188]:

قال الخطابي رحمه الله : الديان: وهو المجازي، يقال: دنت الرجل إذا جزيته، أدينه ، والدين: الجزاء، ومنه المثل: كما تدين تدان ، والديان أيضاً: الحاكم، ويقال: من ديان أرضكم؟ أي: من الحاكم بها؟.

وقال ابن الأثير رحمه الله : في أسماء الله تعالى الديان قيل: هو القهار ، وقيل: هو الحاكم القاضي. وهو فعال، من: دان الناس أي: قهرهم على الطاعة ، يقال: دنتهم فدانوا، أي: قهرتهم فأطاعوا .

وقال ابن القيم رحمه الله : معنى يومِ الدِّينِ: "يومَ يَدينُ اللهُ العبادَ بأعمالِهِمْ، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ، أي إن كان خيرًا فهو خير، وإن كان شرًّا فهو شر، وذلك يتضمَّنُ جزاءَهُم وحسابَهم .

وقال في نونيته : من وافق الكونِيَّ وافق سُخْطه إذ لم يوافق طاعة الديان

تعلمت من هذا الاسم [189]:

1- أَنَّ اللهَ تعالى هو الدَّيانُ المحاسِبُ والمُجازِي للعبادِ، وهو الحاكِمُ بينهم يومَ المَعادِ، كما قال سبحانه: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [الفاتحة: 4]، وقال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ** ﴾ [غافر: 17].

188/ اسم الديان من الأسماء الحسنى المختلف فيها وقد ورد في السنة النبوية ،فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّان) رواه أحمد الحاكم في المستدرك ، وممن أثبته في الأسماء الحسنى : الخطابي ، وابن منده ، والحليمي ، والبيهقي ، والقرطبي ، وابن القيم .

189/ بتصرف من مقال بعنوان : معنى اسم الديان - الشيخ وحيد عبدالسلام بالي – شبكة الألوكة الشرعية ، ومقال : معنى الديان – موقع الشيخ الدكتور عثمان السبت .

وقال تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران: 30]،

وقال سبحانه: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ [الأنبياء: 47].

وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: 40].

وجاء في الحديث القدسي (**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمَنْ وجَدَ خيرًا فليحمدِ اللهَ، ومَنْ وجَدَ غيرَ ذلك فلا يَلومنَّ إلا نفسَهُ) رواه مسلم .**

2/ بناءا على ما سبق من النصوص ينبغي على العبدِ أَنْ يُحاسِبَ نفسَهُ قبلَ أن يُحاسَبَ، ويستعِدَّ للقاءِ دَيَّانِ السماواتِ والأرضِين قبل مجيءِ يومِ الدِّينِ. قال أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: حاسِبوا أنفسَكُم قَبْلَ أَنْ تُحاسَبوا، وزِنُوا أَنفسَكُمْ قبلَ أَنْ تُوزَنُوا، فإنَّه أَهْونُ عليكم فِي الحسابِ غدًا، أَنْ تحاسِبوا أنفسَكُم اليومَ، وتَزَيَّنوا للعَرضِ الأكبرِ، يَومئذٍ تُعرضونَ لا تَخْفَى منكم خَافيةٌ[14].

3/ الخوف من القصاص يوم القيامة فالله تعالى يقتص للمظلوم من الظالم : لقد دلت النصوص على تعظيم حقوق الناس وأنها لا يعفى منها أحد وكما قيل : حقوق الله مبنيّة على المسامحة وحقوق الخلق مبنية على المشاحة ، ومما ورد في السنة النبوية :

قال جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ.

فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهَ، فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشَيْتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " **يَحْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ**

الْقِيَامَةِ، أَوْ قَالَ: الْعِبَادَ عُرَاةً، غُرْلا، بُهْمًا، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا «بُهْمًا» ؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَايَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أنا الْمَلِكُ، أنا الدَّيَّانُ، لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ، قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عُرَاةً، غُرْلا، بُهْمًا؟ قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ " [190].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَتَدرونَ مَا المُفْلسُ؟"، قالوا: المُفلِسُ فينا مَن لا دِرهمَ له ولا مَتَاعَ، قال: "**إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقَدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَل مالَ هذا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وضربَ هذا، فَيُعْطَى هذا من حَسناتِهِ وهذا من حسَناتِهِ، فإن فَنِيَتْ حسَناتُه قبل أن يُقْضى ما عليه أُخِذَ مِنْ خَطَاياهم فَطُرِحَتْ عليه ثم طُرِحَ فِي النَّارِ**". رواه مسلم .

وعنه رضي الله تعالى عنه مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-: **(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)** رواه مسلم.

4/ مما لا ينتبه له الكثيرون الحقوق المعنوية وظلم العباد في أعراضهم : قال أحد الدعاة : فهذا الإنسان الذي جلس، وتمدد بعد الإفطار، وهو صائم ذلك اليوم في رمضان، أو في نفل، أو نحو ذلك، ثم غمز فلانًا لما ذكر في المجلس، وتكلم فيه، وقال كلمة يعبر فيها عن احتقاره له، أو عن وصف غير محمود، هذا الإنسان مباشرة يمكن أن يقال له: هذه الكلمة التي قلتها ستدفع الثمن.

قد يكون الثمن هو ثواب هذا اليوم الذي صمته، يذهب إليه، تعبت، وصمت يوماً كاملاً، ثم يذهب ثوابك من أجل هذه الكلمة، وقد يكون الثمن أكبر من هذا، **(لقد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)** أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

190/أخرجه ابنُ أبي عاصم في السُّنَّة (1/ 225)، وأحمد (3/ 495)، والبخاريُّ تعليقًا (13/ 453) مختصرًا، وفي الأدب المفرد (970)، قال الحاكم: صحيحُ الإسنادِ، ووافقه الذهبيُّ. وهو صحيح . نقلا عن المرجع السابق .

فما حاجتك لهذه الكلمة؟ ما الفائدة من هذه الكلمة التي أطلقتها؟ ماذا استفدت؟ لا شيء، ولكن الشيطان هو الذي أغراه، فتكلم، وما علم أنه هو الخاسر.

لو أن الإنسان نظر بهذه الطريقة، وحاسب نفسه لما احتاج الناس إلى محاكم، ولما احتاج الناس إلى قضاة، ولما احتاج الناس إلى زواجر، وروادع، وقوارع في الدنيا من تعزيرات، وما إلى ذلك.

5/ ومما يجب الألتفا إليه أن يتوخى الإنسان العدل مع الناس، ممن ابتلاه الله -تبارك وتعالى- بالحكم بينهم، الحكم عليهم، فيشيع العدل، ويحكم بينهم بالحق، ويتقى الله -عز وجل- فيما يأتي وما يذر.

وقد دخلت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز -رحمها الله فوجدته في مصلاه، يده على خده، تسيل دموعه، فقالت: يا أمير المؤمنين لشيء حدث؟

قال: يا فاطمة، إني تقلدت أمر أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، فتفكرت في الفقير، والجائع، والمريض، والضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم محمد -صلى الله عليه وسلم-، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي، فبكيت.

إذا كان للإنسان نوع ولاية، فإنه ينبغي أن يتذكر: أن كل ما يقع من خلل هنا، وهناك، وتعثر، وما يكون لأهل الضر، والمسغبة، والضعف، والعجزة، وما إلى ذلك، أن الله سيحاسبه على هؤلاء جميعاً إذا قصر في حقهم.

ولما حبس الرشيد أبا العتاهية، الشاعر المعروف، شاعر الزهد، قال أبياتاً، وهذه الأبيات أيضاً تروى عن علي -رضي الله تعالى عنه:

أمَا واللهِ إن الظلم شؤم   وما زال المسيءُ هو الظلومُ

إلى ديان يوم الدين نمضي   وعند الله تجتمع الخصومُ

وقال آخر:

إذا خان الأميرُ وكاتباه وقاضي الأرض داهنَ في القضاءِ

فويلٌ ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماءِ

ومن ذلك قول خويلد بن نوفل الكلابي، للحارث بن أبي شمر الغساني، الملك المعروف من الغساسنة، وكان ملكاً ظالماً جائراً عاتياً، فخاطبه قائلاً:

يا أَيُّها المَلِكُ المهِيبُ أما ترى ليلاً وصُبحاً فِيكَ يختلِفانِ

هل تستطيعُ الشَّمسُ أن تأتي بِهَا مشياً وهل لكَ في الصَّباحِ يَدانِ

اعلمْ وأيقِنْ أنَّ مُلككَ زائِلٌ واعلمْ بأنَّ كما تدِينُ تُدانُ

الفصل السادس

في رحاب أسماء الجمال لله ذي الجمال والكمال

1- اسمه تعالى الرب 2-3/ اسماه تعالى الرحمن الرحيم 4- اسمه تعالى الرؤوف

6-5/اسماه تعالى الحافظ والحفيظ 7-اسمه تعالى الجبار

9-8/ اسماه تعالى الوكيل والكفيل 10-12/ أسماؤه الغافر والغفار والغفور

13- اسمه تعالى العفو 14-15/ اسماه تعالى المجيب والمغيث

16- اسمه تعالى الحميد 17-18/اسماه تعالى الكريم والأكرم 19 - اسمه تعالى المعطي

20- اسمه تعالى المانع 21- اسمه تعالى المؤمن 22-23/ اسماه تعالى الغني والمغني

24 - اسمه تعالى البديع 25 - اسمه تعالى الواسع 26 - اسمه تعالى الرفيق

27 - اسمه تعالى المستعان 28- اسمه تعالى الرشيد 29- اسمه تعالى الصبور

30- اسمه تعالى التواب 31- اسمه تعالى المقسط 32- اسمه تعالى اللَّطِيف

33-34/ اسمه تعالى الشاكر والشكور 35-37/ اسماؤه تعالى الولي والمولى الْوَالِي

38- اسمه تعالى الْوَدُود 39- اسمه تعالى الحليم 40 - اسمه تعالى البر

41- اسمه تعالى الوهاب 42-43/ اسمه تعالى الرزاق والرازق 44 – اسمه تعالى المقيت

45- اسمه تعالى الفتاح 46-47/ اسماه تعالى القابض الباسط 48- اسمه تعالى الْهَادِي

49-50/اسماه الظاهر والباطن 51-52/ اسمه تعالى النصير والناصر 53 -اسمه تعالى الطيب

54- اسمه تعالى السيد 55- **اسم تعالى المحسن 56- اسمه تعالى الشافي**

57- اسمه تعالى الجواد 58- اسمه تعالى المنان 59- اسمه تعالى الحيي

60- اسمه تعالى الستير 61-62/ اسميه تعالى الكافي والكفيل

1/ في رحاب اسمه تعالى

الرب

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الرب [191]: ما يأتي :

اسم الله **الرب** تشعر فيه -حين تفهم مدلوله ومعناه- بنوع من الطمأنينة والسكينة؛ إذ أن هذا الاسم في ثنايا معناه: أنه هو سبحانه وتعالى هو الرازق والخالق ومدبر الأمر؛ فتشعر بأنك ترمى كل حملك على هذا الرب السيد سبحانه وتعالى فتشعر بالطمأنينة والسكينة، وتشعر أنه لا ينبغي لك أن تخاف من شيء، تشعر بنوعٍ من الأمان في ثنايا مدلول هذا الاسم الشريف. فهيا نشرع سويًا في التقاط معاني هذا الاسم العظيم.

ومن هنا قال الراغب رحمه الله تعالى : الرب في الأصل التربية وهي إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدِّ التمام". وفي حق الله سبحانه وتعالى: **الرب هو المُتكفِّل بخلق الموجودات وإنشائها، القائم على هدايتها وإصلاحها الذي نظّم معيشتها ودبّر لها أمورها.**

يقول الله جل وعلا: {**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**} [الأعراف:54].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى : والرب : هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأخص من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم، وأخلاقهم. ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة) .

وتساءل أحدهم : لماذا لا يشعر بعض العباد بعناية الرب ورحمته بهم؟

ينقصهم اليقين، قلوبهم لم تمتلئ يقينًا بأن ربهم موصوف بالرحمة الكاملة والواصلة لو أراد أن يرحمك مباشرة أعطاك لكنه سبحانه يريد لك ما يصلحك، وما يصلحك أنت نفسك قد لا

191/ مقال : شرح وأسرار الأسماء الحسنى - (34) اسم الله الرب - لهاني حلمي عبد الحميد - وقع الكلم الطيب – بتصرف .

تعلمه، فتأتي رحمة لقلب ممتلئ بمعرفة صفة رحمة الرب فيرضى عن أقواله ويرى تربية الله ويستطيع أن يستبشر بلطف ربه. يعني أنه عندما يتقلب فيما يضره يعلم أن الفرج قريب من تمام ثقته أن الله إلا و يفرج على عباده حتى أنه لا يقول:إن شاء الله بقوله تعالى: {**إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**} إذا وثقت أن الله سيفرج عنك فإنه سيفرج همك من حيث لا تحتسب. بمعنى: أن العبد وهو يتقلب في الآلام يعلم أنها طريق لتحقيق الآمال.

وورد ذكر اسم الرب في القرآن في أكثر من 900 موضع:

كقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحة: 2]، **وقوله سبحانه: قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ [الأنعام: 164]، وقوله عز وجل : إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ [هود: 66]، وقوله سبحانه: وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ [المؤمنون: 97-98]، وقوله تعالى: بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** [سبأ: 15]،

تعلمت من اسمه الرب :

أولاً : تعلمت منه أن أربي نفسي على الإسلام والإيمان -وكذا من واجبي أن أربي أسرتي - وذلك يستوجب أن أصلح عيوبي كلما ظهر لي عيب ولا أترك نفسي هملا دون مراقبة ومتابعة .

قال ابن الجوزي رحمه الله: وما زلت أغلب نفسي تارة وتغلبني تارة، فخلوت يوماً بنفسي فقلت لها: ويحك اسمعي أحدثك إن جمعت شيئاً من وجه فيه شبهة، أفأنت على يقين من إنفاقه؟ قالت: لا.. قلت لها: فالمحنة عند الموت أن يحظى به غيرك ولا تنالين إلا الكدر العاجل والوزر، ويحك اتركي هذا الذي يمنع الورع لأجل الله، أَوَمَا سمعت أن من ترك شيئا لله عوضه الله خير منه .

وقال رحمه الله : وجدت رأي نفسي في العلم حسنا إلا أني وجدتها واقفةً مع صورة التشاغل بالعلم فصحت بها: فما الذي أفادك العلم؟ أين الخوف؟ أين الحذر؟ أَوَمَا سمعت بأخبار الصالحين في تعبدهم واجتهادهم.. أَوَمَا كان الرسول صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ثم قام حتى تورمت قدماه؟ أما كان أبو بكر رضي الله عنه شجي النشيج كثير البكاء؟ أما كان في خد عمر رضي الله عنه خطان من آثار الدموع؟ " (صيد الخاطر - ص 248).

فمن واجب كل إنسان أن يسعى في إصلاح نفسه وتهذيبها وفق قواعد أهل العلم من التخلية والتحلية؛

التخلية: بأن يتخلى عن آفات نفسه، وذلك وفق أسس معينة كما بينها بعض أهل العلماء :

أ- أول مقام هو الاستعانة بالله سبحانه وتعالى على هذا، ويعلم أنه لن يُهذّب نفسه إلا إذا شاء الله عز وجل له ذلك، لا بحوله ولا قوته {**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**} [الرعد من الآية:11]؛ إذن عليهم فقط أن يشرعوا في التغيير والله عز وجل يُقرِّبهم إليه.

ب- ثم بعد ذلك يأتي مقام الصدق وقاعدة الأساس: الصدق والإخلاص في طلب التغيير، وإلا فلن يتغير. قالوا: إن من علامات الصدق التبشير من الله قبل العمل، واستدلوا بحديث أنس بن النضر رضي الله عنه لمّا قال: "ليَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ"، فبشّره الله فشمّ ريح الجنة.. "الجنةُ وربِّ النضرِ، إني أجدُ ريحها من دونِ أُحُدٍ" (صحيح البخاري: [2805]). فإذا صدقت -مثلًا- في طلب العلم؛ تجد الأمور فُتِحت وتيسّرت، إذا أردت أن تُغير نفسك وتسعى في تهذيبها وصدّقت؛ اعلم أنك ستُرشَد، هذا حال الصادق. أما الكاذب أو المرائي تجده متخبطًا متعثرًا (إنما يتعثّر من لم يُخلِص).

وأقول: إن أفضل مَن يربي النفوس ويزكيها هو الله تعالى : **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ)** النور (21) .

قال القرطبي رحمه الله : (أي لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ، ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودسها وما فيها من أخلاق رديئة ، كل بحسبه ، لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا) .

والتخلية طهارة للقلب وتزكية للنفس: وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: **(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)** (التوبة: 103) .

قال ابن عاشور رحمه الله : قوله **(تُطَهِّرُهُمْ)** إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات، وقوله **(وَتُزَكِّيهِم)** إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات، ولا جرم أن التخلية مقدمة على التحلية.

فالتخلية تكون قبل التحلية، فإن الوعاء الذي يملؤه صاحبه بما يختار ويشاء لا يستطيع أن يضع فيه شيئاً إذا كان مملوءاً بمادة أخرى، ومن هنا كان عليه أولاً أن يفرغه مما فيه ثم ينظفه مما علق به من تلك المادة، وبعد ذلك يصب فيه ما يريد، وهكذا القلوب والنفوس هي أوعية تحتاج منا عملاً وجهداً حتى نفرغ ما فيها من أمراض وآفات تتفاوت من شخص لآخر، ثم نملؤها بما يزكيها ويرفعها من الصالحات، وقد قال تعالى: (**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)** الأعلى(14-15)، قال ابن عاشور: معنى «تزكى»: عالج أن يكون زكياً؛ أي بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها، وقُدم التزكّي على ذكر الله والصلاةِ لأنه أصل العمل بذلك كله، فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية فعُلمت منافعها وأكثرت من الإقبال عليها.

ثانياً : أن أكثر من سؤال الله تعالى باسمه الرب اقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : خير من دعى ربه تعالى وخير من أثنى عليه واقتداءا بما ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وأوليائه الصالحين حيث صدروا دعاءهم بهذا الاسم الكريم ومن ذلك.

ومما ورد في القرآن الكريم :

- دعاء الأبوين الكريمين آدم وحواء - عليهما السلام - بقولهما: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: 23].

- دعاء نوح - عليه الصلاة والسلام - بقوله: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**)الآية [نوح: 28]، وقوله: **(رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي)** [هود: 54].

- ودعاء موسى - عليه الصلاة والسلام - بقوله: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ) [الأعراف: 151].

- **ودعاء يوسف عليه الصلاة والسلام** : بقوله :**(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ)** الآية [يوسف: 101].

- **ودعاء زكريا عليه الصلاة** والسلام: **(رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)** [آل عمران: 38].

- **ودعاء سليمان عليه الصلاة والسلام: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي)** [ص: 35].

- **ودعاء امرأة عمران في قولها :(رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** [آل عمران: 35].

- **ودعاء عباد الله الصالحين في قولهم : (رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ)** [آل عمران: 193-194]، وقولهم: **(رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)** [الفرقان: 65].

- **وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الله كثيراً باسم (الرب)**، ويمجده ويعظمه به، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**) رواه البخاري .

- وسئلت عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها : بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ ؟ **قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ (اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) رواه مسلم وغيره .**

- وكان صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب بقوله: (**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم**) رواه مسلم وغيره . والنصوص الواردة في ذلك في الكتاب والسنة كثيرة جدا .

كما تعلمت من اسمه الرب :

1- **أن تعلم أن الله تعالى له علو الشأن والقهر والفوقية وأوصاف العظمة والكبرياء**، وأنه لا ينازع في ذلك؛ فتقتضى منك ذلًا وانكسارًا وافتقارًا. أن يكتسي العبد ثوب العبودية، ويخلع عن نفسه رداء الربوبية.

2- **أن تستشعر طوال الوقت أنك عبد له رب**. ففي قصة توبة بِشر الحافي أن أحد الصالحين مرّ على بيته فسمع منه أثر من اللهو والموسيقى، فطرق على بابه ففتحت له الجارية؛ فقال: أهذا بيت عبد؟ أهذا بيت عبد؟! ثم تركها وولّى.

فنادى بِشر على الجارية وسالها: "ماذا هنالك؟ قالت: جاء رجل، فقال: أهذا بيت عبد؟". فوقعت في قلبه بموقعٍ حَسن وطار لها لُبّه وخرج في إثر الرجل حافيًا وفتح الله عليه باب التوبة.

فلما جرى خلفه، وناجى الله عز وجل وفتح الله عليه باب التوبة بعد ذلك؛ فكان يمشي بعدها كثيرًا حافيًا وعُلِم منه ذلك، فقيل له: ألا تتخذ النعال؟ قال: "كان أول الأمر هكذا حافًيا".

الشاهد: أن الرجل قال كلمة واحدة "أهذا بيت عبد؟"؛ ما يفعل ذلك عبد، هذا ليس عبدًا، لو كان عبدًا ما كان منه هذا العصيان وهو يعلم أن الله مُطَّلِعٌ عليه.

3- **ألا يصف نفسه بأنه رب كذا؛ تواضعًا لربه وتوحيدًا له، من باب التأدب**، فثبت في ذلك حديث عند أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقولن أحدُكم: عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوكُ: ربِّي وربَّتي، وليقل: المالك فتاي وفتاتي، وليقلِ: المملوكُ سيدي وسيدتي؛ فإنكم المملوكون والربُّ اللهُ عز وجل» (صحّحه الألباني في صحيح أبي داود: [4975]).

4- من أهم ما يتعلمه المؤمن من اسمه الرب أن يعلم أن الله ربه يربيه، يعتني به، يصلحه من أجل أن يكون صالحا ليس للآن للآخرة في جنات عدن، الإصلاح ليس لتصلح لك الحياة الآن إنما للآخرة.

ولذا أخبر الله تعالى في سورة الفجر: أن الناس ينقسمون حال استقبال النعمة لقسمين:

ربي أكرمن، وربي أهانني إذا قدر عليه رزقه. فبماذا يجيب الله عزوجل؟

يقول : كلا، نعمة : ربي أكرمني. بلاء : ربي أهانني، لا هذا صحيح ولا هذا صحيح. أيضا في أخر السورة ينقسم الناس إلى قسمين، قسم يقول: يا ليتني قدمت لحياتي ليست هنا إنما في الآخرة، النظرة هذه ناقصة. عندما نقول : الله عزوجل يربي عباده، ويعتني بهم ويصلحهم ليس لهذه الحياة بل للحياة الحقيقة الأخروية، هذه الحياة التي نعيشها الآن اسمها دنيا سفلى دنية، ما هي التي يعتني الرب بك من أجلها إنما يعتني بك حتى لا تقول في الآخرة : يا ليتني قدمت لحياتي.

هذا الذي تحسر جاءته فرص كثيرة ولم يغتنمها ليقدم لحياته وهذا من أعظم معاني المربي وصفاته أن يعلم العبد أن ربه يرقيه ويصلحه و يعتني به فإن أعرض، أعرض الله عنه وهذا هو المخيف. والإعراض يكون بعدم فهم تربية الله. الآم العبد التي يعيشها كلم نفسك وقل لها هذا أبذله الآن لأبني حياتي الحقيقية الآن بناء الدور في الدنيا شاق ويحتاج إلى مجهود كبير، يرتاح صاحبه بعده عندما يرى بناءه، وهذه نفس الصورة مع الفارق الشاسع. أتعب في البلاء هذا التعب صورة بناء حتى لايقول: يا ليتني قدمت لحياتي.

3-2/ في رحاب اسميه تعالى

الرحمن الرحيم

عرفت أن من معني هذين الاسمين الكريمين [192]: ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : الرحمن الرحيم : اسمان مشتقان من الرَّحْمَة وَالرَّحْمَة تستدعي مرحوما وَلَا مَرْحُوم إِلَّا وَهُوَ مُحْتَاج ، وَالَّذِي يَنْقَضِي بِسَبَبِهِ حَاجَة الْمُحْتَاج من غير قصد وَإِرَادَة وعناية بالمحتاج لَا يُسمى رحِيما وَالَّذِي يُرِيد قَضَاء حَاجَة الْمُحْتَاج وَلَا يَقْضِيهَا فَإِن كَانَ قَادِرًا على قَضَائهَا لم يسم رحِيما إِذْ لَو تمت الْإِرَادَة لوفَّى بهَا وَإِن كَانَ عَاجِزا فقد يُسمى رحِيما بِاعْتِبَار مَا اعتوره من الرقة وَلكنه نَاقص.

وَإِنَّمَا الرَّحْمَة التَّامَّة إفَاضَة الْخَيْر على المحتاجين وإرادته لَهُم عناية بهم وَالرَّحْمَة الْعَامَّة هِيَ الَّتِي تتَنَاوَل الْمُسْتَحق وَغير الْمُسْتَحق وَرَحْمَة الله عز وَجل تَامَّة وَعَامة :

أما تَمامهَا فَمن حَيْثُ أَنه أَرَادَ قَضَاء حاجات المحتاجين وقضاها وَأما عمومها فَمن حَيْثُ شمولها الْمُسْتَحق وَغير الْمُسْتَحق وَعم الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَتَنَاول الضرورات والحاجات والمزايا الْخَارِجَة عَنْهُمَا فَهُوَ الرَّحِيم الْمُطلق حَقًا .

ثم قال رحمه الله : الرحمن : هُوَ العطوف على الْعباد بالإيجاد أَولا وبالهداية إِلَى الْإِيمَان وَأَسْبَاب السَّعَادَة ثَانِيًا وبالإسعاد فِي الْآخِرَة ثَالِثا والإنعام بِالنّظرِ إِلَى وَجهه الْكَرِيم رَابِعا .

ولذا قيل : فالرحمنُ الذي الرَّحْمَةُ وَصْفُهُ أي صفة ذاتية ، والرحيمُ الراحمُ لِعِبَادِهِ أي صفة فعلية .

192/ المقصد الأسنى – للغزالي ومقال بعنوان : شرح وأسرار الأسماء الحسنى - موقع طريق الإسلام .

وعرفت أن هناك عددا من الفروقات : منها : ما يأتي :

الرحمن : هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، أي: إن رحمته عامة تشمل المؤمن والكافر في الدنيا، وخاصة بالمؤمنين فقط في الآخرة، قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:5]، فذكر الاستواء باسمه (الرحمن) ليعم جميع خلقه برحمته.

الرحيـم : هو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، كما في قوله تعالى: {..وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب:43]، فخص برحمته عباده المؤمنين.

يقول ابن القيم رحمه الله : الرحمن : دال على الصفة القائمة به سبحانه **والرحيم** دال على تعلقها بالمرحوم، **فكان الأول للوصف والثاني للفعل**، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: **(وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)** الأحزاب(43) **(إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)** التوبة(117)، ولم يجيء قط **رحمن بهم** فعُلِم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته" .[193]

تعلمت من الرحمن الرحيم[194] :

1/ جلاء آثار رحمة الله على الخلق، انظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة، فبرحمته سبحانه وتعالى أرسل إلينا رسوله، وأنزل علينا كتابه وعصمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض، وجعلها مهادًا وفراشًا، وقرارا، وكفاتًا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان. وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني

193/ بدائع الفوائد – لابن القيم - (34/2) .

194/ موقع الكلم الطيب وموقع طريق الإسلام .

والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والراعي والمرعي، ثم أفقر الجميع إليه، ثم عمَّ الجميع برحمته.[195]

2/ **رحمة الله واسعة :** يقول الله جلَّ وعلا: {..**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**..} [الأعراف:156]، فرحمة الله عزَّ وجلَّ عـامة واسعة،هي للمؤمنين في الدارين، يقول الله تبارك وتعالى: {..**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**} [الأعراف:156].

- **وفتح الله تعالى: أبواب رحمته للتائبين،** فقال تعالى: {**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**} [الزمر:53].

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طَمِع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**)متفق عليه.

3/ رحمة الله تغلب غضبه، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي**» رواه الترمذي، وقال الألباني: حسن صحيح، وهذا الحديث موافق لمعنى قوله تعالى: {..**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**..} [الأنعام:54]، فالله تعالى أوجب على نفسه الرحمة ولا يوجب أحدٌ على الله تعالى شيئا .

4/ **لله جلَّ ثناؤه مائة رحمة، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض،** فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والطير والوحش والبهائم، وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه.

ودليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**إن الله تعالى : خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، وأخر تسعا وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**) رواه أحمد، وصححه الألباني، صحيح الجامع:1767).

195/ مختصر الصواعق المرسلة - لابن الموصلي محمد بن محمد بن عبد الكريم البعلي- (121- 124) - بتصرف.

5/ الله سبحانه وتعالى: أرحم بعباده من الأم بولدها : عن عمر بن الخطاب قال: "قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها، تسعى إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟»، فقلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها» (متفق عليه).

6/ نِعَم الله سبحانه وتعالى له رحمة وقد سمى الله سبحانه بعض نعمه بالرحمة، **كالمطر** في قوله تعالى: {**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**..} [الأعراف:57].

- **وسمى رزقه** بالرحمة في قوله تعالى: {**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا**} [الإسراء:28]، أي:إذا سألك أقاربك وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لعدم وجود ما تنفقه عليهم، فعليك أن تعدهم باللين إنه إذا جاء رزق الله -الرحمة- فسنصلكم إن شاء الله.

- **وسمى الله كتابه العزيز بالرحمة**، فقال تعالى: {**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**} [النحل:89].

- **وسمى الله عزَّ وجلَّ الجنة بالرحمة**، وهي أعظم رحمة خلقها الله لعباده الصالحين، قال تعالى: {**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} [آل عمران:107].

- **وسمى الله تعالى: وحيه إلى أنبيائه رحمة**، كما في قوله تعالى مُخبرًا عن نبيه نوح عليه السلام: {**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**} [هود:28]، فجعل الوحي والعلم والحكمة.

كما تعلمت اسميه تعالى الرحمن الرحيم [196] **:**

أولاً : أَن المؤمن من منطلق إيمانه بالرحمن من واجبه يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عَن طَرِيق الْغَفْلَة إِلَى الله عز وَجل بالوعظ والنصح بطرِيق اللطف دون العنف وَأَن ينظر إِلَى العصاة بِعَين الرَّحْمَة لَا بِعَين الإزراء وَأَن يكون كل مَعْصِيّة تجْرِي فِي الْعَالم كمصيبة لَهُ فِي نَفسه

196/ المقصد الأسنى – للغزالي ، وموقع الكلم الطيب وموقع طريق الإسلام – بتصرف .

فَلَا يألو جهدا فِي إِزَالَتهَا بِقدر وَسعه رَحْمَة لذَلِك العَاصِي أَن يتَعَرَّض لسخط الله وَيسْتَحق الْبعد من جواره . تأسيا بقوله تعالى **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}** [التوبة:128]، ومن أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم : **(نبي الرحمة)** حسنه الألباني، مختصر الشمائل:316).

ثانياً : قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : ومن منطلق إيمان العبد بالرَّحِيم أَن لَا يدع فاقة لمحتاج إِلَّا يسدها بِقدر طاقته وَلَا يتْرك فَقِيرا فِي جواره وبلده إِلَّا وَيقوم بتعهده وَدفع فقره إِمَّا بِمَالِه أَو جاهه أَو السَّعْي فِي حَقه بالشفاعة إِلَى غَيره فَإِن عجز عَن جَمِيع ذَلِك فيعينه بِالدُّعَاءِ وَإِظْهَار الْحزن بِسَبَب حَاجته رقة عَلَيْهِ وعطفا حَتَّى كَأَنَّهُ مساهم لَهُ فِي ضره وَحَاجته.

ثالثاً : لقد **مدح النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أصحابه من بعده بهذه الصفة**، فقال: (أرحم أمتي بأمتي: أبو بكر..) رواه الترمذي وصححه الألباني **فكأن من يتصف بالرحمة ينال درجة الصديقية**، وهي أعلى الدرجات عند الله تعالى.

- وبيَّن صلى الله عليه وسلم أن الرحمة تَنال عباد الله الرحماء فقال: «**فإنما يرحم الله من عباده الرحماء**» (متفق عليه)، **والشقي هو الذي نزعت من قلبه الرحمة**، وقال: «**من لا يرحم الناس، لا يرحمه الله**» (متفق عليه)، وعن عائشة قالت: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**» (متفق عليه) .

رابعاً : من أراد الدخول في رحمة الله تعالى فعليه بالقرآن : لأن الله وصفه بأنه رحمة ، قال تعالى:{**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**} [الإسراء:82]، فقراءة القرآن رحمة، وتدبُّر القرآن رحمة، وكل تعلُّقٌ للمؤمن بكتاب الله جلَّ وعلا مستوجبٌ لنزول الرحمة .

- من أراد الدخول في رحمة الله تعالى فعليه بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فهي من أعظم أسباب الرحمة، وكلما كان العبد أطوَّع لله، كان أكثر استحقاقًا لاستنزال الرحمة به، قال تعالى: {**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [آل عمران:132].

- **من أراد الدخول في رحمة الله تعالى فعليه بالإحسان:** فالإحسان يبدأ من الإتقان وتجويد العمل، ويصل إلى المنزلة العظمى من منازل الإيمان وهي: أن تعبد الله كإنك تراه، كما جاء في حديث جبريل حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» (رواه مسلم).

وهذه المنزلة العظمى تقتضي مراقبة الله جلَّ وعلا في السر والعلن، فإن كنت تريد أن تتنزل عليك الرحمة: راقب قلبك وحالك في الخلوات،فإن كنت مستقيم الحال في خلوتك، فاعلم أن هذا من أعظم أسباب استنزال الرحمة عليك، يقول تعالى: {..**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} [الأعراف:56]

كما أن على العبد يُكثر من سؤال ربِّه الرحمة، فيقول:اللهم ارحمني، اللهم ارحمني. فإذا دعوت الله، فاعزم في الدعاء ولا تتردد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء ولا مكره له»رواه البخاري.

خامساً : هناك شبهة تثار من قِبَل البعض - ولعلها من وساوس الشيطان - **ومفادها : أن اتصاف الله تعالى بالرحمة يتنافى مع وجود الأمراض والفقر والحروبات وما شابه ذلك مما يكرهه البشر ؟**

أجاب حجة الإسلام الغزالي رحمه عن ذلك بقوله (باختصار) :

لَعَلَّك تَقول مَا معنى كَونه تَعَالَى رحِيما وَكَونه أرْحم الرَّاحِمِينَ والرحيم لَا يرى مبتلى ومضرورا ومعذبا ومريضا وَهُوَ يقدر على إمَاطَة مَا بهم إِلَّا ويبادر إِلَى إماطته والرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادر على كِفَايَة كل بلية وَدفع كل فقر وغمة وإماطة كل مرض وَإِزَالَة كل ضَرَر وَالدُّنْيَا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا وَهُوَ قَادر على إِزَالَة جَمِيعهَا وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن.

فجوابك : إن الطِّفْل الصَّغِير قد ترق لَهُ أمه فتمنعه عَن الْحجامَة وَالْأَب الْعَاقِل يحملهُ عَلَيْهَا قهرا وَالْجَاهِل يظنّ أَن الرَّحِيم هِيَ الْأُم دون الْأَب، والعاقل يعلم أَن إيلام الْأَب إِيَّاه بالحجامة من كَمَال

رَحمته وَعطفه وَتَمام شفقته وَأَن الْأُم لَهُ عَدو فِي صُورَة صديق فَإِن الْأَلَم الْقَلِيل إِذا كَانَ سَببا للذة الْكَثِيرَة لم يكن شرا بل كَانَ خيرا.

والرحيم يُرِيد الْخَيْر للمرحوم لَا محَالة وَلَيْسَ فِي الْوُجُود شَرّ إِلَّا وَفِي ضمنه خير لَو رفع ذَلِك الشَّرّ لبطل الْخَيْر الَّذِي فِي ضمنه وَحصل بِبُطْلَانِهِ شرا أعظم من الشَّرّ الَّذِي يتضمنه فاليد المتآكلة قطعهَا شَرّ فِي الظَّاهِر وَفِي ضمنه الْخَيْر الجزيل وَهُوَ سَلامَة الْبدن وَلَو ترك قطع الْيَد لحصل هَلَاك الْبدن ولكان الشَّرّ أعظم وَقطع الْيَد لأجل سَلامَة الْبدن شَرّ فِي ضمنه خير.

فَكَانَت السَّلامَة مَطْلُوبَة لذاتها أَولا وَالْقطع مَطْلُوبا لغيره ثَانِيًا لَا لذاته فهما داخلان تَحت الْإِرَادَة وَلَكِن أَحدهمَا مُرَاد لذاته وَالْآخر مُرَاد لغيره وَالْمرَاد لذاته قبل المُرَاد لغيره ولأجله قَالَ الله عز وَجل **(إن رَحْمَتي سبقت غَضَبي فغضبه)** متفق عليه .

فَالْآن إِن خطر لَك نوع من الشَّرّ لَا ترى تَحْتَهُ خيرا أَو خطر لَك أَنه كَانَ تَحْصِيل ذَلِك الْخَيْر مُمكنا لَا فِي ضمن الشَّرّ فاتهم عقلك الْقَاصِر فِي أحد الخاطرين .

أما فِي قَوْلك إِن هَذَا الشَّرّ لَا خير تَحْتَهُ فَإِن هَذَا مِمَّا تقصر الْعُقُول عَن مَعْرفَته ولعلك فِيهِ مثل الصَّبِي الَّذِي يرى الْحجامَة شرا مَحْضا أَو مثل الغبي الَّذِي يرى الْقَتْل قصاصا شرا مَحْضا لِأَنَّهُ ينظر إِلَى خُصُوص شخص الْمَقْتُول لِأَنَّهُ فِي حَقه شَرّ مَحْض وَيذْهل عَن الْخَيْر الْعَام الْحَاصِل للنَّاس كَافَّة وَلَا يدْرِي أَن التَّوَصُّل بِالشَّرِّ الْخَاص إِلَى الْخَيْر الْعَام خير مَحْض لَا يَنْبَغِي للْغَيْر أَن يهمله .

أَو اتهمَ عقلك فِي الخاطر الثَّانِي وَهُوَ قَوْلك إِن تَحْصِيل ذَلِك لَا فِي ضمن ذَلِك الشَّرّ مُمكن فَإِن هَذَا أَيْضا دَقِيق غامض فَلَيْسَ كل محَال وممكن مِمَّا يدْرك إِمْكَانه واستحالته بالبديهة وَلَا بِالنّظرِ الْقَرِيب بل رُبمَا عرف ذَلِك بِنَظَر غامض دَقِيق يقصر عَنهُ الْأَكْثَرُونَ .

فاتهم عقلك فِي هذَيْن الطَّرفَيْنِ وَلَا تشكن أصلا فِي أَنه أرْحم الرَّاحِمِينَ وَفِي أَنه سبقت رَحمته غَضَبه وَلَا تستريبن فِي أَن مُرِيد الشَّرّ للشر لَا للخير غير مُسْتَحقّ لاسم الرَّحْمَة .

4/ في رحاب اسمه تعالى

الرؤوف

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الرؤوف[197] :

قال الحُليمي رحمه الله تعالى : الرَّؤوف معناه المتساهل - أي الميسِّر-على عباده؛ لأنَّه لم يُحملهم ما لا يُطيقون، بل حَمَّلَهم أقل مما يُطيقون بدرجاتٍ كثيرة .

وقيل : الرؤوف : هو المتعطف على المذنبين بالتوبة وعلى أوليائه بالحفظ[198] من الوقوع في الذنب ، ويعطف على عباده المذنبين، فيفتح لهم باب التوبة ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم **(مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)** رواه مسلم .

تكررذكر الرؤوف في القرآن الكريم ما يقرب من عشر مرات ،منها :

قوله تعالى : **(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)** سورة التوبة (117).

وقال الله تعالى : **(أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)** سورة النحل (47)

وقال الله تعالى : **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)** سورة النور(20)

وقال الله تعالى : **(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}** الحديد(9) .

197/ شرح واسرار الاسماء الحسنى - للشيخ هانى حلمى – موقع الكلم الطيب - بتصرف .

198/ معلوم أن العصمة للأنبياء والحفظ للأولياء والمؤمنين ،، وفرق كبير بين العصمة وبين الحفظ، فالأنبياء جميعاً معصومون عن أن يخطئوا بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، بينما الأولياء فغير معصومين، لكنهم محفوظون، ومعنى أنهم محفوظون أي أنهم إذا أخطؤوا فسريعاً ما يتوبون ويستغفرون ويعودون ويتراجعون، فمن اعتقد العصمة لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبيائه ورسله الكرام فقد زاغت عقيدته، ومن لم يعتقد العصمة للنبي عليه الصلاة والسلام فقد زاغت عقيدته .

الفرق بين معني اسميه تعالى الرؤوف والرحيم[199] :

وقد يسأل سائل: فيقول من أسماء الله الحُسنى الرحيم، ومن أسماء الله الحُسنى الرؤوف فما الفرق بينهما ؟.

1/ **الإمام الرازي رحمه الله تعالى يفرق بين اسم الرؤوف واسم الرحيم**، فيقول: واعلم أنه تعالى أينما ذكر الله تعالى هذين الوصفين قدم الرأفة على الرحمة، فلابد من بيان الفرق بين الوصفين، والفرق هو أن **الرحيم** في الشاهد - أي في الواقع - إنما يحصل لمعنى في المرحوم من فاقة وضعف وحاجة، و**الرأفة** تطلق عندما تحصل الرحمة في الفاعل من شفقة على المرحوم.

والمعنى دقيق سأشرحه لكم ؛ فالباعث في الرحمة هو المرحوم، وأما الباعث بالرأفة فهو الراحم، والمرحوم هو الإنسان إذا وقع في مصاب شديد يقتضي المصاب أن يحتاج إلى الرحمة، فالله رحيم أما هذا المخلوق قبل أن يُصاب فمن كمال الله عز وجل، حرصه على سلامته، وهذا الحرص يقتضي الرأفة، فالانطلاق في الرأفة من الله، وفي الرحمة من العبد، وهذا هو الفرق.

فمنشأ الرأفة كمال حال الفاعل في إيصال الإحسان، ومنشأ الرحمة كمال حال المرحوم في الاحتياج للإحسان، فالإنسان إذا احتاج إلى الرحمة فالله رحيم، وأما ربنا عز وجل فلأنه منزه ولأنه كامل يحول بين عبده وبين أن يقع في السوء، فالرأفة من الله والرحمة بسبب مصيبة ألمت بالعبد.

2/ **الرأفة شدة الرحمة، وهي أشد من الرحمة**، ورأف به أشفق عليه من مكروه يحل به، والرأفة نهاية الرحمة، والرأفة من الله دفع السوء، لذلك قيل، إن الرؤوف من أسماء الله هو المتعطف على المذنبين بالتوبة.

لأضرب لكم مثلاً يقرب هذين المعنيين: الأب حريص على أولاده ولاسيما في أيام الشتاء من أن يصيبهم البرد، من ألا يخرجوا من بارد إلى حار أو من حار إلى بارد لئلا يصابوا بأمراض الشتاء، فالحرص البالغ من الأب على ألا يصاب ابنه بمرض هذا من الرأفة، أما حينما يصاب الابن بمرض ويتفطر قلب الأب رحمة به ،فهذا من باب الرحمة، فالرحمة تخفيف الألم عن مصاب

199/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي - باختصار وتصرف .

واقع، بينما الرأفة هي الحيلولة بين المتعطف عليه وبين الوقوع في الشدة، فالرأفة متعلقة بالوقاية، بينما الرحمة فمتعلقة بالعلاج.

3/ **الله عز وجل يحذر ويبين وينبه ويرسل المواعظ، ويسخر الدعاة، ويظهر الآيات لئلا تعصيه**، فإن عصيته فلا بد من عقاب رادع والعقاب الرادع هو الرحمة، لأنه هو الذي يحملك على التوبة، لكن الله حريص على ألا تقع في المعصية وبالتالي ألا تستوجب هذه العقوبة ،فإذا أصر الإنسان على عمله السيء وتعلّقت نفسه به عندئذ يطلق الله عز وجل العقاب عليه ويؤدبه، وبتأديبه يرحمه، فالرأفة فيها معنى الوقاية، والرحمة فيها معنى العلاج، والوقاية رأفة والعلاج رحمة، والله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم.

4/ **الرأفة هي أخصّ من الرحمة وتكون خير وحسن في جميع أحوالها في أول أمرها وآخره** وفي ظاهره وباطنه العبرة فيها بالبداية والنهاية يجب أن تكون كلها حسنة. ولتوضيح الفرق من كتاب الله عز وجل في تنفيذ حد الجلد للزاني: يقول الله تعالى : **(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)** سورة النور (2).

قال الله تعالى :(وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ) لم يقل لا تأخذكم بهما رحمة ، لماذا؟ لأن الرحمة حاصلة فعلاً فإن الجلد تطهير للزاني والزانية وقد ينتهي بهما في نهاية الأمر إلى جنات النعيم، فرغم أنه في ظاهره عذاب فإنه في باطنه رحمة. ولكن نهى الله تعالى عن الرأفة فإن الرأفة خير في أولها وأخرها ولو حصلت الرأفة لا يمكن تنفيذ حد الجلد.

5/ الرحمة تكون للمؤمن والكافر والبر والفاجر ومن رحمة الله إرسال الرياح والأمطار وهي رحمة يشترك فيها الإنسان مؤمناً وكافراً والحيوان والأشجار وكثير من مخلوقات الله تعالى بينما الرأفة تكون فقط للمؤمنين: قال الله تعالى : **(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا)**سورة الفرقان (48) .

تعلمت من اسم الله تعالى الرؤوف [200] : ما يأتي :

أولاً: طهّر قلبك حتى يمتلىء بالرحمة : قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [النور: 19,20]

لأن العبد إذا لم يُطهّر قلبه، لن تدخله الرحمة بل سيكون قلبًا قاسيًا .. فلا يعرف معروفًا ولا يُنكِر مُنكرًا .. وحينها ستستحكم الأمراض من هذا القلب، فيمتلىء بالحقد والضغينة ويكون ممن يحبون أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين والعياذ بالله.

ومن رأفة الله عزَّوجلَّ بعباده أن أنزل عليهم القرآن؛ ليفك تلك الأغلال التي تُقيد القلب ..

قال تعالى {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحديد: 9]

فتدبُّر القرآن يُخرِج القلب من ظلمات الشهوة والقسوة إلى نور الهداية والإيمان .. ومن ظلمات الشك إلى نور اليقين .. فإذا امتلأ القلب بهذا النور، تنزلت عليه الرحمة وصار قلبًا نقيًا طاهرًا سليمًا.

ثانيًا: من رأفة الله تعالى أنه يبتلي العصاة ليرجعوا إليه :

قال النابلسي : في جامع النابلسي، انتهى الدرس فاقترب مني شاب، وقال: أريد أن ألتقي معك على انفراد، قلت مرحباً بك، فأخذته إلى البيت، فقال: لي بالحرف الواحد، أنا إنسان أعمل في صنعة، وصاحب هذه الحرفة ينكر وجود الله عز وجل، وكنت عنده صغيراً، وأقنعني أن هذا الكون ليس له خالق، وافعل ما تشاء، وقال لي: والله يا أستاذ، ما من معصية تخطر على بالك إلا فعلتها إلا القتل، وأنا في بحبوحة، والمال وفير، وعندي محل لتأجير أفلام منحطة، ويدر علي مبالغ طائلة، ونحن في أوج نشوتنا بهذا الدخل الوفير، وهذا التفلّت من منهج الله، واللقاءات التي لا ترضي الله،

200/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي وشرح واسرار الاسماء الحسنى - للشيخ هانى حلمى – موقع الكلم الطيب بتصرف .

والسفر بنية المعاصي، والقصة طويلة..... حل به وبشريكه مصاب جلل، ذكر لي أن هذا المصاب من باب التقريب كأن مطرقة أضرب بها على رأسي، حتى إن رأسي تهشم، وقال: لا مال، بل مرض أنا وزوجتي وأولادي، وأنا أقول هذا الكون ليس له خالق، إلى أن دخلت المسجد أول مرة في حياتي، وصليت وأنا أبكي واصطلحت مع الله عقب هذه المصيبة، وكانت هذه المصيبة سبب توبتي،وقد ذكرت لكم مقتطفات من هذه القصة، وحينما خرج والله الذي لا إله إلا هو قلت: يا رب ما أشد رحمتك بهذا الإنسان، فلو أنك تركته على حاله يأكل ويشرب ويتنعم وينغمس في الموبقات إلى أن جاءه الأجل فاستحق جهنم إلى أبد الآبدين.

أخ كريم آخر حدثني عن قصة ورجاني أن أرويها لكم، درس في فرنسا، وعاش مجتمع التفلت، فلما قدم إلى بلده، قال جعلت من بيتي ملهى، كل الموبقات في البيت، وأنا أعتقد أن الحياة هكذا.

قال لي فجأةً أصبت بمرض عضال، كل شيء أمامي يهتز وفقدت التوازن والتوافق الحركي، عشرون محاولة كي أمسك بكأس عشرون محاولة كي أمسك الملعقة،إنه عدم التوافق الحركي، وعدم التوازن والأشياء كلها تتحرك وترتجف، وقال لي: لقد التقيت بسبعة وثلاثين طبيباً في دمشق، وكلهم عجز عن معرفة هذا المرض، ثم ذهبت إلى بلد غربي، فقال لي الأطباء: إن هذا المرض يصيب الناس بنسبة واحد على ثلاثة عشر مليوناً، وجاؤوا بطبيب يُعد الأول في العالم في هذا المرض فبقي يعالجني ستة أشهر، ثم قال لي: أنا أعلم الأطباء بهذا المرض، وليس لك علاج إطلاقاً، فعد إلى بلدك أو اذهب إلى الهند فالتق ببعض البوذيين لعلك تألف هذا المرض، وانتهى الأمر.. عاد إلى الشام، وله قريب جلبه إلى بعض الدروس، حيث كنا في الحاجبية وقتها، وهو في الدرس قال: يا رب إن شفيتني لأصلينَّ، وفي الدرس الثاني قلت: في سياق الحديث، إن الله لا يُجرَّب ولا يشارط، فقال من توه والله يا رب لأصلين، وأول مرة يصلي بحياته في الدرس الثاني، أما حالته المرضية فلا تُطاق، وكل شيء أمامه يترك، اضطراباً في الصورة، وعدم توافق حركي ويقسم بالله العظيم أنه عاد إلى البيت وفجأةً ثبتت الصورة أمامه، ومن شدة فرحه اختل توازنه وصاح، ثم قام ليقف فوقع، فأمسك الكأس فوقع، أما الصورة فقد ثبتت، وبعد حين عاد له التوافق الحركي، والتوازن وهذا الإنسان هو الآن من طلاب العلم، ومن رواد المساجد ! لقد اصطلح مع

الله، وتاب توبةً نصوحاً.. ويقول لولا هذا المرض..لجعلت بيتي باراً، وجعلته كالنادي الليلي، وكل المعاصي أقترفها.

فربنا عز وجل عندما يصر الإنسان على المعصية رحيم، لكن الله حريص علينا ألا نقع، وحرصه ألا نقع رأفة منه، ومعالجتنا بدواء مر بعد أن نقع رحمة بنا، فهو رؤوف ورحيم.

ثالثًا: كن رؤوفًا بالناس : على العبد أن يمتلأ قلبه بالرحمة والرأفة التي تشمل عامة المسلمين وخاصتهم ، عن عبد الله بن عمرو :أن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : **(الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ)** رواه الترمذي وصححه الألباني (1924)،وعليك أن تسعى في جميع الأسباب الموجبة للرحمة؛ لكي تنال رأفة الله عزَّ وجلَّ .

ولا يجوز بحال أن تأخذك الرأفة إلى درجة أن ترأف بالعصاة حتى تترك ما أمر الله به من العقوبة، فتصبح كمن ينادي بتعطيل الحدود الشرعية من قطع يد السارق ورفع عقوبة الزنا، وإباحة الشذوذ والسحاق واللواط وغير ذلك من الأمور الانحلالية تحت دعوى الحرية، فهؤلاء من أظلم الناس في حق نفسه ونظرائه، وهو بمنزلة جماعة من المرضى قد وصف لهم الطبيب ما ينفعهم فوجد كبيرهم مرارته، فترك شربه ونهى عن سقيه للباقين.

ومن لم يكن مبغضًا للفواحش كارهًا لها ولأهلها، ولا يغضب عند رؤيتها وسماعها لم يكن مريدًا للعقوبة عليها، فيبقى العذاب عليها يوجب ألم قلبه .. قال تعالى : **(وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ)** سورة النور(2) .

6-5/ في رحاب اسميه تعالى

الحافظ والحفيظ

عرفت أن من معاني هذين الاسمين الكريمين : ما يأتي :

- **الحافظ** : هو الذي يحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم ويعلم نياتهم وما تكن صدورهم، والذي يحفظ أولياءه من الذنوب والشياطين ، ودليل حفظ الأعمال قوله تعالى:(**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**) سورة الشورى (6).

الحفيظ : بمعنى الوكيل، قال تعالى:(**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**) سورة هود (57) .

- **قال الغزالي رحمه الله : الحفيظ:** هُوَ الْحَافِظ جدا وَلنْ يفهم ذَلِك إِلَّا بعد فهم معنى الْحِفْظ وَهُوَ على وَجْهَيْن :

أَحدهمَا : إدامة وجود الموجودات وإبقاؤها ويضاده الإعدام وَالله تَعَالَى هُوَ الْحَافِظ لِلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْض وَالْمَلَائِكَة والموجودات الَّتِي يطول أمد بَقَائِهَا وَالَّتِي لَا يطول أمد بَقَائِهَا مثل الْحَيَوَانَات والنبات وَغَيرهمَا

وَالْوَجْه الثَّانِي : وَهُوَ أظهر الْمَعْنيين أَن الْحِفْظ صِيَانة المتعاديات والمتضادات بَعْضهَا عَن بعض وأعني بِهَذَا التعادي مَا بَين المَاء وَالنَّار فَإِنَّهُمَا يتعاديان بطباعهما فإمَّا أَن يُطْفِئ المَاء النَّار وَإِمَّا أَن تحيل النَّار المَاء إِن غلبت المَاء بخارا ثمَّ هَوَاء والتضاد والتعادي ظَاهر بَين الْحَرَارَة والبرودة إِذْ تقهر إِحْدَاهمَا الْأُخْرَى وَكَذَلِكَ بَين الرُّطُوبَة واليبوسة وَسَائِر الْأَجْسَام الأرضية مركبة من هَذِه الْأُصُول المتعادية إِذْ لَا بُد للحيوان من حرارة غريزية لَو بطلت لبطلت حَيَاته وَلَا بُد لَهُ من رُطُوبَة تكون غذَاء لبدنه كَالدَّمِ وَمَا يجْرِي مجْرَاه وَلَا بُد .

ذكر السعدي رحمه الله أن للحفيظ معنيان[201] **:**

الحفظ العام : حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها وتمشي إلى هدايته وإلى مصالحها بإرشاده وهدايته العامة التي قال عنها : **(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)**سورة طه:50 أي هدى كل مخلوق إلى ما قَدَّر له وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل والمشرب والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره والمضار، وهذا يشترك فيه البر والفاجر بل الحيوانات وغيرها، فهو الذي يحفظ السماوات والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكَّل بالآدمي حفظةً من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

والحفظ الخاص : حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، يحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه والفتن والشهوات، فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس، فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، قال الله :(**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**) سورة الحج(38).

وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم، فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه، وفي الحديث : «**احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . أي احفظ أوامره بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعدِّيها، يحفظك في نفسك، ودينك، ومالك، وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله.

ورد اسم الله الحافظ مرتين : في قوله تعالى: ﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ سورة يوسف:64،

وقوله تعالى :﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ سورة الحجر(9) .

201/ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الانبياء والمرسلين من الكافية الشافية – للعلامة عبد الرحمن السعدي - ص:59

وورد اسم الله الحفيظ ثلاث مرات في القرآن:

في قول الله تعالى: **{إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}** [هود من الآية:57].

وقوله تعالى: {**وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**} [سبأ من الآية:21].

وقوله تعالى: {**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ**} [الشورى من الآية:6].

تعلمت من هذين الاسمين الكريمين[202] :

- **حَفظَ اللهُ تعالى الإنسان بأن سخر له ملائكة يحفظونه وربنا** عز وجل يقول:(**إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**)[هود:الآية57] والنبي عليه الصلاة والسلام علمنا أن نقرأ قبل النوم آية الكرسي وقال:(**لا يزال عليك من الله حافظ**) فقد تصيبك أخطار بالليل.

- إن الله الحفيظ حفظك قبل أن تعرفه وقبل أن تدعوه فمن حفظك يوم أن كنت نطفة صغيرة في بطن أمك؟. من الذي حفظك يوم أن كنت رضيعاً لا تستطيع أن تذب الذبابة عن وجهك؟ إنه الله الحفيظ.وبعد أن غدوت تملك القوة والسلطان والمال هل بإمكانك أن تستغني عن حفظ الله لك طرفة عين؟.لا.والله.فمن حفظ بيوتنا ألا تحترق أو أموالنا ألا تُسرق أو أعراضنا أن لايعدوا عليها ذئاب البشر القذرين؟ إنه الله الحفيظ.

من حفظ علينا صحة أبداننا؟.إنه الله الحفيظ.من حفظ علينا عقولنا ولم نكن مجانين في الشوارع؟إنه الله الحفيظ.من حفظ على بلادنا أمنها ورغد عيشها؟ إنه الله الحفيظ.

ولا يعني الاتكال على حفظ الله عدم الأخذ بالأسباب تعالوا واسمعوا لسيدنا يعقوب عليه السلام وهو يوصي أولاده فبدأ معهم بغرس مفهوم حفظ الله أولاً فقال: {**هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**}(يوسف:64).

202/ المقصد الأسنى ومقال بعنوان : شرح اسم الله الحفيظ والحافظ - للدكتور أمين بن عبدالله الشقاوي – شبكة الألوكة الشرعية ومقال بعنوان اسم الله الحفيظ الدكتور عصام بن هاشم الجفري – صيد الفوائد – بتصرف .

ثم أرشدهم لاتخاذ الأسباب وبيَّن الله أن أخذهم بالأسباب لا يغنيهم عن حفظ الله: **{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}**(يوسف:67-68).

- **الله سبحانه الذي يحفظ الوجود من الاضطراب ثم العدم** : فقد خلق الكون وهو الذي يحفظ بقاءه وهذا هو معنى قوله تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ أَنْ تَزولا**) ومَن يحفظ للأرض توقيتها ومسارها ؟ هو الله جل جلاله. **وهو الذي يحفظ لك دينك ولو تخلى عنه لزلت بك شبهة أو شهوة، فسلامة دين المرء دليل على حفظ الله له من كل سوء .**

- **على العبد أن يحفظ حدود الله وحقوقه :** لأنه سبحانه الذي يحفظ المؤمنين الحافظين حقوقه وحدوده، فقال بعدما ذكر بعضًا من صفاتهم: ﴿ **وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [التوبة: 112]. وقال تعالى: ﴿ **هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ** ﴾ [ق: 32، 33].

- **ومما يلزم المؤمن حفظه رأسه، وبطنه:**

أما حفظ الرأس : فيدخل فيه حفظ السمع، والبصر، واللسان، من المحرمات.

وأما حفظ البطن : فيتضمن حفظ القلب عن الإصرار على مُحَرَّمٍ، قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ** ﴾ [البقرة: 235].

وقد جمع الله ذلك كله في قوله: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾ [الإسراء: 36].

ويدخل في حفظ البطن حفظه من إدخال الحرام إليه من المأكولات والمشروبات. ومما يجب حفظه من المَنهِيَّاتِ حفظ اللسان والفرج، قال تعالى: ﴿**وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ**﴾ [الأحزاب: 35].

وعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: **(مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ)** رواه البخاري .

- **أن من أعظم ما يجب على المسلم حفظه من حقوق الله التوحيد** : فإن من حفظ هذا الحق حفظه الله يوم القيامة وأَمَّنَهُ من عذابه، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: 82].

وعن معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : (**هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟**)، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (**فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ **قَالَ: (لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا)** متفق عليه.

وبالجملة فإن المؤمن مأمور بحفظ دينه أجمع، وكلما كان المؤمن لدينه أحفظ كان حفظ الله له أعظم، قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [البقرة: 40].

- أن المحفوظ هو ما حفظه الله - سبحانه - وتعالى - وشاء له أن يُحفظ، وأما من شاء الله أن يضيع أو يتغير فإنه ضائع لا محالة، وقد تَكَفَّلَ الله بحفظ كتابه العزيز من التغيير، والتبديل إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ سورة الحجر(9) .

7/ في رحاب اسمه تعالى

الجبار

عرفت ان معاني اسم الله الجبار [203]:

أولاً: الجبار بمعنى العالي على خلقه ،من قولهم تجبر النبات إذا علا ، أي أن الله سبحانه وتعالى له العلو على خلقه، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر والجبر فلا يدنو منه الخلق إلا بأمره.

ثانيًا: معناه المصلح للأمور، من جبر الكسر إذا أصلحه، وجبر الفقير إذا أغناه، لذا ففيه صفة جمال وصفة جلال إذ يجبر الكسر سبحانه وفي نفس الوقت له الجبروت بمعنى العظمة والجلال والقوة.

وقال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : الجبار : هُوَ الَّذِي يُنفذ مَشِيئَته على سَبِيل الْإِجْبَار فِي كل وَاحِد وَلَا تنفذ فِيهِ مَشِيئَة أحد الَّذِي لَا يخرج أحد من قَبضته وتقصر الْأَيْدِي دون حمى حَضرته فالجبار الْمُطلق هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ يجْبر كل أحد وَلَا يجْبرهُ أحد وَلَا مثنوية فِي حَقه فِي الطَّرفَيْنِ .

فكأنه مال رحمه الله إلى المعنى الأول وهو أنه تعالى عال على خلقه وقاهر لهم فلا يخرج عن سلطانه أحد .

- وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في النونيـة:

وكذلك الجبار من أوصافه	**والجبر في أوصافه قسمانِ**
جَبرُ الضعيف وكلِّ قلبٍ قد غدا	**ذا كسرة فالجَبرُ منه داني**
والثاني جَبرُ القهر بالعز الذي	**لا ينبغي لسواه من إنسانِ**
وله مسمّىً ثالث وهو العلو	**فليس يدنو منه من إنسانِ**

203/ شرح واسرار الاسماء الحسنى - للشيخ هانى حلمى – موقع الكلم الطيب (بتصرف).

مِن قولهم جُبَارةٌ للنخلة العليا   التي فاتت لكل بنانِ

تعلمت من اسمه تعالى الجبار:

- **جبر الخواطر وعدم إحراج أحد** ، بدءا من العلماء والدعاة الذين استفدت من علمهم ومرورا بالوالدين ثم الزوجة والأولاد ولو كانوا أطفالاً صغارا ،كما كان صلى الله عليه وسلم يعطف على الأطفال ويلاطفهم كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير - أحسبه قال: كان فطيما -، قال: فكان إذا جاء رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فرآه قال: **(يا أبا عمير، ما فعل النغير؟)** قال: (فكان يلعب به) رواه مسلم . النغير: طائر صغير كالعصفور؟

- **أن أخضع لله الجبار في ركوعي وسجودي** قائلاً : "**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة** " رواه أبو داود، والمقام واضح لماذا يستخدم هذا في هذا المقام لا شك هذا مقام الذل والافتقار لله سبحانه وتعالى.

- أن أسأل الله تعالى أن يجبر بخاطري وأن يملأ قلبي بالقناعة والرضا كما تعلمنا ذلك من الدعاء الذي نقوله في الجلسة بين السجدين (**اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني**).رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الحاكم ،وقد قيل في معنى **واجبرني** : قوِّني مِن كل ضعف، واخلف عليَّ كل غائبة بخير.فاللهم صل على سيدنا محمد الذي علمنا هذا الدعاء وعلمنا كل خير.

كما تعلمت منه[204] :

1/ أن تعلو همتي في العلم والعمل : وكلام أهل العلم في علو الهمة يقتصر على طالب الآخرة لا طالب الدنيا، بمعنى أنك إذا وجدت إنسانا حاصل على أعلى الشهادات في علم دنيوي بحت ليس فيه خدمة لدينه، وليس فيه أي نوع من القربة لله عز وجل، فلا يسمى هذا عالي الهمة، هذا نشيط أو مجتهد أو أي لفظ آخر.

204/ ملخص من المرجع السابق .

فإذا ارتقت همتك وتعلقت بالله عز وجل وبالجنة .. علوت وارتقيت وصارت الدنيا عندك سفاسف، فتعلو عنها وعن شهواتها، قال النبي صلى الله عليه وسلم (**إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها**) [حسنه السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني].

وأمسك النبي صلى الله عليه وسلم يوما بجدي أَسَكّ -يعني جيفة- أمام الصحابة وقال أيكم يأخذ هذه بدرهم؟ قالوا أهذه تساوي شيء؟ قال: "**للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**." [صحيح مسلم] انظر لهذا التمثيل، هكذا الدنيا ، خبيثة، منتنة، لا تريد أن تنظر لها، حقيرة، فلا ينبغي أن تنشغل بها إذا كنت عالي الهمة؟!

ولذا قال الغزالي رحمه الله : " **الْجَبَّار** من الْعباد من ارْتَفع عَن الأتباع ونال دَرَجَة الاستتباع وَتفرد بعلو رتبته بِحَيْثُ يجْبر الْخلق بهيئته وَصورته على الِاقْتِدَاء بِهِ ومتابعته فِي سمته وَسيرَته فَيُفِيد الْخلق وَلَا يَسْتَفِيد ويؤثِّر وَلَا يتأثر ويستتبع وَلَا يتبع وَلَا يُشَاهِدهُ أحد إِلَّا ويفنى عَن مُلَاحظَة نَفسه وَيصير متشوقا إِلَيْهِ غير ملتفت إِلَى ذَاته وَلَا يطْمع أحد فِي استدراجه واستتباعه وَإِنَّمَا حظي بِهَذَا الْوَصْف سيد الْبشر صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَيْثُ قَالَ (**لَو كَانَ مُوسَى بن عمرَان حَيا مَا وَسعه إِلَّا اتباعي**) رواه أحمد والبيهقي في كتاب شعب الإيمان، وهو حديث حسن.

وقال صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (**نا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**) رواه مسلم .

2/ أنه سبحانه وتعالى جبر خلقه على ما أراد أن يكونوا عليه من خلق : فهو سبحانه لا يمتنع عليه شيء {**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**} [يس/82]. وقلنا أن هذه هي الإرادة الكونية، فالعبد المؤمن يتلقى أفعال الله وإرادته بالرضا والتسليم، يقول أيوب السختياني: "إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون" بمعنى أنك متى ما أردت شيئا مخالفا لسنة الله الكونية فلتُردَّ الأمر إلى إرادة الله وتثق به وتسلم لأمره.

وذلك لأن المؤمن دوما يردد في نفسه أن كل شأنه يدور على "كن" فإذا مرضَ أو افتقرَ أو ابُتلي بأي بلاء كان فإن فرَجَه مع "كن" ، فالأمر إليه سبحانه وتعالى ولا مرد لقضائه سبحانه وتعالى.

قال تعالى:{**أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**} [آل عمران/83] ومن ها هنا كان السلف يقولون: عرفت الله بنقض العزائم ..فمهما أخذت بالأسباب في تحصيل مرادك فإنما وسيلتك إليه هي التوفيق. فالعبد لا يخلق إرادته وإنما خالقها الله وهو خالق أفعال العباد.

3/ التسليم لشرع الله سبحانه وتعالى : الله سبحانه وتعالى، جبر خلقه على ما شاء من أمر أو نهي، بمعنى، أنه شرع لهم من الدين ما ارتضاه هو، فلابد أن يرتضي العبد ما ارتضاه الله سبحانه وتعالى من هذه الشرائع، فالله تعالى شرع لهم من الشرائع ما فيه صلاحهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة، وأمرهم باتباعها ونهاهم عن العدول عنها، فمن أطاع له الجنة ومن عصى فله النار.

4/ إياك والجبروت : الجبروت بمعنى: الكبرياء والعز والعلو، وهو صفة استأثر الله تعالى بها نفسه، فالله قاهر الجبابرة بجبروته سبحانه وتعالى {**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**} [الأنبياء/23]

أما الخلق، فموصوفون بصفات النقص، مقهورون مجبورون، تؤذيهم البقة وتشوشهم الذبابة، العبد أسير جوعه وصريع شبعه، ومن تكون هذه صفته كيف يليق به التكبر والتجبر؟!!.وقد أنكرت الرسل على أقوامها صفة التكبر والتجبر في الأرض، فهذا هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول لقومه {**وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِين .فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**} [الشعراء/131،130] إلى أن قال لهم {**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**} [الشعراء/135]

فعاندوا واتبعوا أمر جبابرتهم فهلكوا أجمعين {**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**} [هود/59].

وقد كان هذا التكبر سببًا للطبع على قلوبهم، يقول الله تعالى: {**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**} [غافر/35] فالطبع على القلوب هذا وعيد الله سبحانه وتعالى لمن تجبر وطغى في الأرض. فلما تجد قلبك مقفل ولا تنفع فيه موعظة، ولا يحركه مؤثر فاعلم أن هذا هو الطبع.

- هذا ما كان في أمرهم في الدنيا أما في الآخرة فقد توعد الله الجبابرة بالعذاب والنكال في الأخرة، قال الله في سورة إبراهيم {**وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى**

مِن مَّاء صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} [إبراهيم/15،16،17]

يشرب هذا الماء الذي هو المهل لكي يسد ظمأه فما يكون له إلا زيادة في وباله وعقابه وعذابه .. {يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ} .. ولا يستطيع أن يستسيغه يشربه هكذا حتى يروي هذا العطش فلا يكون من أمره إلا أن يزداد في العذاب .

{وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} [إبراهيم/17].كل المهلكات تجتمع عليه {**وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ**} يضرب حتى يكون من أمره الهلكة ولا يكون كذلك .. {**وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ**} [إبراهيم/17]. لم كل ذلك؟ هذا لأنه نازع الله في صفة استأثر بها نفسه.

9-8/ في رحاب اسميه تعالى

الوكيل والكفيل

عرفت أن من معاني اسميه تعالى الوكيل والكفيل : ما يأتي :

أما معنى اسمه تعالى الوكيل :

قال الغزالي رحمه الله : الوكيل: هُوَ الَّذِي الْأُمُور موكولة إِلَيْهِ وَهُوَ مليٌّ بِالْقيامِ بهَا وَفِي بإتمامها وَذَلِكَ هُوَ الله تَعَالَى فَقَط .

وقال السعدي رحمه الله : الوكيل: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، والذي تولى أولياءه، فيسَّرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلاً كفاه.

وقال ابن العربي رحمه الله : فإذا علمتم معنى الوكيل - أي في اللغة - فلله في ذلك منزلته العليا بأحكامٍ تختص به أربعة: **الأول:** انفراده بحفظ الخلق. **الثاني**: انفراده بكفايتهم. **الثالث: قدرته** وحده على ذلك. **الرابع:** أن جميع الأمر من خيرٍ وشر، ونفعٍ وضُرٍّ، كل ذلك حادثٌ بيده .

وأما معنى اسمه تعالى الكفيل [205]:

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: (وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً) وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعياً، يرعى الموفي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض.

وقال في زهرة التفاسير: في تفسيرها : الكفيل هنا هو الرقيب الضامن، فمَن عاهد بيمين الله، فقد جعل الله تعالى كفيلا له ضامنا لقوله فعليه أن يحترم، وكفيلا - هنا تتضمن معنى الرقابة؛ لأن الكفيل يراقب المكفول، حتى يؤدي ما التزم أداءه.

205/ وقع الخلاف في إثبات اسم الله الكفيل قد ذكر هذا الاسم غير واحد من أهل العلم منهم الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير، كما نقل عنه حافظ الحكمي في معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول.(الشبكة الإسلامية – الفتوى رقم : 325897) وممن أثبته القرطبي وردالكفيل في قوله تعالى : (**وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً**)[النحل: 91.] ودليله من السُّنَّة : حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت).

وقال ابن عاشور الكفيل : الشاهد والضامن والرقيب على الشيء المراعى لتحقيق الغرض منه .

وقيل الكفيل : هو المتكفل بأرزاق خلقه، وآجالهم، وإنشائهم، ومآلهم.

ورود اسميه تعالى الوكيل والكفيل في القرآن الكريم :

ورد اسمه تعالى الكفيل بصيغة الاسم : في قوله تعالى : (**قَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً**)[النحل: 91].

وورد الوكيل في القرآن الكريم في عدد من الآيات ، منها :

قوله تعالى: (**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**) سورة الأنعام (102).

قوله تعالى: (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) سورة آل عمران(173) .

قال ابن جرير في قوله تعالى: **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** أي: يكفينا الله وهو نعم المولى لمن وليه وكفله، وإنما وصف الله تعالى نفسه بذلك؛ لأن الوكيل في كلام العرب هو: المُسْنَد إليه القيام بأمر مَن أَسنَدَ إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله تعالى في هذه الآيات كانوا قد فَوَّضُوا أمرهم إلى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: (**وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) الله تعالى لهم".

تعلمت من اسميه تعالى الوكيل والكفيل [206] :

- **أن أتوكل عليه في أمر ديني ودنيايي ، فهناك من يتوكل على الله في طلب الرزق والوظيفة وما شاكلهما من أمور الدنيا وينسى أن يتوكل على الله في إتمام صلاته والخشوع فيها ، أو حفظ القرآن الكريم والسنة المطهرة أو التفقه في الدين مع أن التوكل في أمور الدين أهم من التوكل في أمور الدنيا .**

206/ شرح وأسرار الأسماء الحسنى – موقع طريق الإسلام – باختصار وتصرف .

- إن الله سبحانه وتعالى هو القائم بأمر الخلائق أجمعين والمتكفِّل برزقهم وإيصاله لهم، والرعاية لمصالحهم، وما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، ويلزم من كونه سبحانه وتعالى وكيلاً، أن يكون حيًا، قويًا، عليمًا، قديرًا، رحيمًا، حكيمًا، جوادًا، كريمًا، يفي بعهده ويصدق خلقه وعده.. إلى غير ذلك من الأوصاف الجليلة اللائقة بكماله وعظمته جلَّ جلاله.
- قال القرطبي: "فيجبُ على كل مؤمن أن يعلم أن كلَّ ما لا بدَّ له منه، فالله سبحانه وتعالى الوكيل المتكفل بإيصاله إلي عبده ، إما بنفسه فيخلق له الشبع والرِّيِّ كما يخلق له الهداية في القلوب أو بواسطة ملك أو غيره يوكله به" [207].
- **معنى التوكُّل** : صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة. وهو الثقة فيما عند الله واليأس مما في أيدي الناس، فلا يعطي ولا يمنع ولا ينفع ولا يضر سوى الله جلَّ وعلا. ولا يستقيم التوكل بدون الأخذ بالأسباب، يقول ابن القيم: "**فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها**"[208]
- **تحقيق معنى التوكُّل**: يقول تعالى: {**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**} [الأحزاب:3]. ويقول: {**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا**} [الفرقان:58]، لِمَ تتوكَّل على عبادٍ يموتون ويفنون ولا يقدرون على نفعك أو ضرك؟! توكَّل على الحي الذي لا يموت. وقال سبحانه وتعالى: {**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**} [هود:123]، فلو كُشِفَ الحجاب ورأينا مآلات الأمور، لرضيَّ كل واحدٍ منا بقدر الله سبحانه وتعالى، فوكِّل له أمرك؛ فإنه يعلم ما لا تعلمه وهو سبحانه وتعالى يُقدِّر لك الخير.. إذًا، كيف نُحقق التوكُّل على الله؟ فوائد التوكُّل وكيفية تحقيقه:

---

[207]/ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى – للقرطبي – (571/1) .

208/ مدارج السالكين - (2:120) .

- **التوكل والثقة بالله:** يقول ابن القيم: "قال صاحب المنازل: الثقة سواد عين التوكل ونقطة دائرة التفويض وسويداء قلب التسليم، وصدَّر الباب بقوله تعالى لأم موسى: **{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** [القصص من الآية:7]، فإن فعلها هذا هو عين ثقتها بالله تعالى؛ إذ لولا كمال ثقتها بربّها لما ألقت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء تتلاعب به أمواجه وجرياته إلى حيث ينتهي أو يقف.. ومراده: أن الثقة خلاصة التوكل ولبه، كما أن سواد العين أشرف ما في العين، وأشار بأنه نقطة دائرة التفويض إلى أن مدار التوكل عليه وهو في وسطه كحال النقطة من الدائرة، فإن النقطة هي المركز الذي عليه استدارة المحيط ونسبة جهات المحيط إليها نسبة واحدة وكل جزء من أجزاء المحيط مقابل لها، كذلك الثقة هي النقطة التي يدور عليها التفويض" .[209] فإذا وثقت في الله تعالى، سيولد ذلك في قلبك التفويض والتوكُّل.

مواطن التوكُّل: فالتوكُّل مطلوب في كل لحظةٍ من حياتك. لكن هناك مواطن معينة جاء الشرع بالحضِّ عليها، وهي كثيرة ، ومنها:

1- **إن طلبت النصر والفرج، فتوكَّل على الله.** قال تعالى: {**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**} [آل عمران:160].
2- **إذا أعرضت عن أعدائك ورفقاء السوء،** فليكن رفيقك التوكُّل. قال تعالى: {**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**} [النساء من الآية:81].
3- **إذا أعْرَض عنك الخلق، فتوكَّل.** قال تعالى: **{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}** [التوبة:129]، فلا تضعُف وتتذبذب إذا أعرض الناس عن دعوتك إياهم للخير، بل ثق في الله وتوكَّل عليه.
4- **إذا تلوت القرآن أو تُليَّ عليك،** فاستَنِدْ على التوكُّل. ثق في إن هذا البيان هو الحق من ربُّك واخضع لحكمه، قال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}** [الأنفال:2].

209/ مدارج السالكين - (143:2).

5- إن أَردتَ أَن يكون الفردوس الأَعلى منزلك، انزل فى مقام التوكُّل. {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [العنكبوت:59]. 14- إِن شئت النزول محلَّ المحبَّة، اقصد أَولاً طريق التوكُّل. {**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**} [آل عمران من الآية:159].

6- **إن أَردتَ أَن يكونَ الله تعالى لكَ**، وتكون خالصًا لله، فاستقرَّ على تَخْت التوكُّل. {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق من الآية:3]، {**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**} [النمل:79].

وختاما : التوكل على اللَّه سبب كفاية اللَّه لعبده، قال تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3]. أي كافية كل أموره الدينية والدنيوية، والتوكل هو اعتماد القلب على اللَّه في حصول المطلوب ودفع المكروه مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها شرعاً ،**قال بعض السلف** – في تفسيرها - جعل اللَّه تعالى لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: (**فَهُوَ حَسْبُهُ**) ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه .

فهناك لا تسأل عن كل أمر تيسر وصعب يتسهل وخطوب تهون وكروب تزول وأحوال وحوائج تقضى وبركات تنزل ونقم تدفع وشرور ترفع .

10-12/ في رحاب أسمائه تعالى

الغافر والغفار والغفور

عرفت أن معاني هذا الأسماء :ما يأتي :

أما معنى اسمه تعالى الغافر:

قال الحليمي رحمه الله : الغافر : هو الذي يستر على المذنب، ولا يؤاخذه فيشهره ويفضحه.

وقيل : غافر: فاعل من غفر وهو المبالغ في الستر، فلا يفضح المذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وأما معنى اسمه تعالى الغفار:

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : الغفار : هُوَ الَّذِي أظهر الْجَمِيل وَستر الْقَبِيح والذنُوب من جملَة القبائح الَّتِي سترهَا بإسبال السّتْر عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا والتجاوز عَن عقوبتها فِي الْآخِرَة ، والغفر هُوَ السّتْر.

وقيل : الغفار : أشد مبالغة منه ، فهو من يغفر الذنوب الكثيرة ، وهو مخصص للذنوب الشديدة التي قد لا يتخيل العبد أن الله سيغفرها له .

وأما معنى اسمه تعالى الغفور :

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : بِمَعْنى الْغفار وَلكنه بِشَيْء يُنبئ عَن نوع مُبَالغَة لَا يُنبئ عَنْهَا الْغفار فَإِن الْغفار مُبَالغَة فِي الْمَغْفِرَة بِالْإِضَافَة إِلَى مغْفرَة متكررة مرّة بعد أُخْرَى فالفعال يُنبئ عَن كَثْرَة الْفِعْل والفعول يُنبئ عَن جودته وكماله وشموله فَهُوَ غَفُور بِمَعْنى أَنه تَامّ الْمَغْفِرَة كاملها حَتَّى يبلغ أقْصَى دَرَجَات الْمَغْفِرَة.

وقال الحليمي رحمه الله : الغفور : هو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته .

وقيل : الغفور : للمبالغة كثير المغفرة، أي يغفر و لا يبالي فهو يغفر الذنوب بالجملة و لا يحاسب عليها إذا تكررت .

مقارنة بين هذه الأسماء : كأنه تعالي يقول : إن كنت ظالماً فأنا غافر ، وإن كنت ظلوماً فأنا غفور ، وإن كنت ظلاماً فأنا غفار .

ورود هذه الأسماء في القرآن الكريم :

قال بعضهم قد سمى الله نفسه **بالغفور** في إحدى وتسعين آية، وأما اسمه **الغفار** فقد جاء في خمس آيات، فعلم أن ورود الغفور في القرآن أكثر بكثير من الغفار، **والغفار أبلغ من الغفور،** قَالَ تَعَالَى: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيم** ﴾ [الحجر: 49-50]. أما الغفار ففي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّار** ﴾ [ص: 66]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴾ [نوح: 10].

وأما الغافر : فقد ورد مرة واحدة في القرآن، قَالَ تَعَالَى: (**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**) [غافر: 3].

تعلمت من هذه الأسماء الجميلة :

1/ كثرة الاستغفار : أن استغفر لنفسي ولأمة الحبيب صلى الله عليه وسلم [210]: لقوله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) سورة الحشر (10).

210/ قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) : وروى مصعب بن سعد قال : الناس على ثلاثة منازل ، فمضت منزلتان وبقيت منزلة، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت . وعن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنه ، أنه جاءه رجل فقال له : يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما تقول في عثمان ؟ فقال له : يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم : للفقراء المهاجرين الآية . قال : لا . قال : فوالله لئن لم تكن من أهل الآية فأنت من قوم قال الله فيهم : والذين تبوءوا الدار والإيمان الآية . قال : لا . قال : فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام وهي قوله تعالى : والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان الآية . وقد قيل : إن محمد بن علي بن الحسين ، رضي الله عنهم ، روى عن أبيه : أن نفرا من أهل العراق جاءوا إليه ، فسبوا أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ثم عثمان - رضي الله عنه - فأكثروا ; فقال لهم : أمن المهاجرين الأولين أنتم ؟ قالوا : لا . فقال : أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ؟ فقالوا : لا . فقال : قد تبرأتم من هذين الفريقين ! أنا أشهد أنكم

قال السعدي رحمه الله : وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا.

ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ لَزِم الاسْتِغْفَار، جَعَلَ اللَّه لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مخْرجًا، ومنْ كُلِّ هَمٍّ فَرجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ**) رواه أبو داود.

ولقوله صلى الله عليه وسلم : (**سيِّدُ الاسْتِغْفار أَنْ يقُول الْعبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَه إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَني وأَنَا عَبْدُكَ، وأَنَا عَلَى عهْدِكَ ووعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمتِكَ علَيَ، وأَبُوءُ بذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يغْفِرُ الذُّنُوبِ إِلاَّ أَنْتَ. منْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَماتَ مِنْ يوْمِهِ قَبْل أَنْ يُمْسِيَ، فَهُو مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ، ومَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وهُو مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبل أَنْ يُصْبِح، فهُو مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ**) رواه البخاري.

وقال الحسن البصري رحمه الله : (أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة).

ورحم الله القائل :

يا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً ... فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إِن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ ... فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ

أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعاً ... فَإِذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرحَمُ

ما لي إِلَيكَ وَسيلَةٌ إِلا الرَجا ... وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنّي مُسلِمُ

لستم من الذين قال الله عز وجل : والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم قوموا ، فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس .

2/ أن أحسن الظن بالله تعالى أنه يستر عيبي ويغفر ذنبي لأنه تعالى **واسع المغفرة (إن ربك واسع المغفرة)** النجم (32) . بل ومن كرمه أن يبدل السيئات حسنات **(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)** الفرقان(70) .

3/ تعلمت أن أغفر إلى من يسيء إلي فلا أقابله بالإساءة ، عملا بقوله تعالى : **(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)** قال السعدي: أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح.

فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالى: **(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)** .

كما تعلمت من هذه الأسماء [211]:

1/ قال الغزالي رحمه الله : أن أول ستر الله تعالى على العَبْد : أَن جعل مقابح بدنه الَّتِي تستقبحها الْأَعْين مستورة فِي بَاطِنه مغطاة بِجَمَال ظَاهره فكم بَين بَاطِن العَبْد وَظَاهره فِي النَّظَافَة والقذارة وَفِي الْقبْح وَالْجمال فَانْظُر مَا الَّذِي أظهره وَمَا الَّذِي ستره .

وستره الثَّانِي : أَن جعل مُسْتَقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة : سر قلبه حَتَّى لَا يطلع أحد على سره وَلَو انْكَشَفَ لِلْخلقِ مَا يخْطر ببَالِهِ فِي مجاري وسواسه وَمَا ينطوي عَلَيْهِ ضَمِيره من الْغِشّ والخيانة وَسُوء الظَّن بِالنَّاسِ لمقتوه بل سعوا فِي تلف روحه وأهلكوه فَانْظُر كَيفَ ستر عَن غَيره أسراره وعوراته .

وستره الثَّالِث مغفرته ذنُوبه الَّتِي كَانَ يسْتَحق الافتضاح بهَا : على مَلأ الْخلق وَقد وعد أَن يُبدل سيئاته حَسَنَات ليستر مقابح ذنُوبه بِثَوَاب حَسَنَاته مهما مَاتَ على الْإِيمَان .

211/ المقصد الأسنى – للغزالي ومقال بعنوان : شرح أسماء الله الحسنى 18- الغفار ، 19- الغفور- موقع الراشدون – بتصرف .

وعلى العَبْد من هَذَا الِاسْم أَن يستر من غَيره مَا يحب أَن يُستَرَ مِنْهُ فقد قَال النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (**ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة**) متفق عليه .

2- كرم الله لعباده العاصين : فهو واسع المغفرة (**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**)النجم (32) وهو سبحانه الذي يغفر الذنوب جميعا (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**) الزمر 53

بل ومن كرمه أن يبدل السيئات حسنات (**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**) الفرقان:70

3- لا تغتر بستر الله عليك : كما في الحديث عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالى يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ)، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}**. رواه الطبراني وأحمد والبيهقي .

ومعنى(استدراج) أي أخذه الله العبد العاصي بتدريج واستنزال من درجة إلى أخرى،فكلما فعل معصية قابلها بنعمة وأنساه الاستغفار فيدنيه من العذاب قليلاً قليلاً ثم يصبه عليه صباً.

قال الطيبي : فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ، ظانين أن متواترة النعم أثرة من الله وتقريب ، وإنما هي خذلان منه وتبعيد .

4- لا تغتر بإعجاب الناس بك إنما أعجبوا بستر الله عليك: نعم إن ستر الله هو المسدل على أعمالنا الصالحة ، فلو أن الله سبحانه وتعالى نزع ستره عنا لما جلس معنا احد ولما آكلنا أحد ، فالإعجاب بالنفس يأتي من عدم رؤية ستر الله علينا فلو استحضرنا ذنوبنا لعلمنا أن نعمة الستر نعمة عظيمة.وكان الحسن البصري يقول : الحمد لله أنه ليس للذنوب رائحة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فإذا حسنت السرائر .. أصلح الله الظواهر) ويقول ابن القيم رحمه الله: (إذا زكاك المزكون وأثنى عليك المثنون فإنما هم إلى جميل ستر الله ينظرون فلا تغتر) .

ويقول الشيخ محمد صالح المنجد : (ليس الخائف من الله الذي يبكي فيعصر عينيه ، إنما الخائف من ترك ما اشتهى من الحرام وهو يقدِر عليه **(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)** الرحمن (46).

5- أن نستر من غيرنا ما يستره الله من أعمالنا عنهم: فلو اطلع أحدنا على معصية لأخيه فلا ينبغي أن يذكرها لأحد ، إن تكلم عن ذنبه فقد اغتابه وإن عيَّره ابتُلي به وإن رضي منه هذا الذنب شاركه في الإثم، بل عليه النصيحة والستر .

6- عدم اليأس من رحمته أبدا : فهو يغفر الذنوب الكبيرة ويغفر الذنوب الكثيرة في الحديث القدسي قال الله :(**يَا ابْنَ أَدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ أَدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ أَدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لقِيْتَنِيْ لاَتُشْرِك بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً)** رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

13/ في رحاب اسمه تعالى

العفو

عرفت أن من معاني اسمه العفو: ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي يمحو السَّيِّئَات ويتجاوز عَن الْمعاصِي وَهُوَ قريب من الغفور وَلكنه أبلغ مِنْهُ فَإِن الغفران يُنبئ عَن السّتْر وَالْعَفو يُنبئ عَن المحو والمحو أبلغ من السّتْر.

وقال الخطابي رحمه الله : العَفْوُّ : الصَّفحُ عن الذنوب، وتركُ مُجازاة المسيء .

وقال الحليمي رحمه الله : العَفْوُ : معناه: الواضعُ عن عباده تَبِعَات خطاياهم وآثارهم، فلا يستوفيها منهم، وذلك إذا تابوا واستغفروا، أو تركوا لوجهه أعظم مما فعلوا، فيُكفِّر عنهم ما فعلوا بما تركوا، أو بشفاعة من يشفع لهم، أو يجعل ذلك كرامة لذي حرمة لهم به، وجزاء له بعمله .

قال ابن القيم رحمه الله في النونية :

وَهْوَ العَفُوُّ فعَفْوُهُ وَسِعَ الوَرَى   لَوْلاهُ غَارَ الأَرْضُ بالسُّكَّانِ

ورد اسمه العفو في القرآن الكريم خمس مرات :

قوله تعالى: ﴿**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ سورة النساء:43

وقوله تعالى : ﴿**فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ سورة النساء:99

وقوله تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا**﴾ سورة النساء:149

وقوله تعالى : ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ سورة الحج:60 .

الفرق بين العفو والمغفرة :

قال ابن جزي رحمه الله في قوله تعالى: (**وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا) سورة البقرة (286)** : ألفاظ متقاربة المعنى، وبينها من الفرق أن **العفو** : ترك المؤاخذة بالذنب، **والمغفرة** : تقتضي مع ذلك الستر، و**الرحمة :** تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام. التسهيل لعلوم التنزيل..

وفرَّق الرازي رحمه الله بينهما عند هذه الآية : بأن **العفو أن يسقط عنه العقاب**، والمغفرة أن يستر عليه جرمه صوناً له من عذاب التخجيل والفضيحة، كأن العبد يقول: أطلب منك العفو، وإذا عفوت عني فاستره علي، فإن الخلاص من عذاب القبر إنما يطيب إذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة، والأول هو العذاب الجسماني، والثاني هو العذاب الروحاني. هكذا قال وتبعه على ذلك جماعة من المفسرين كالنيسابوري والخازن وابن عادل.

تعلمت من اسمه تعالى العفو :

1/ محبة الله تعالى للعفو والعافين[212] : أن الله تعالى يحب العفو، ويحب العافين عن الناس؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى عفو يحب **العفو**) أخرجه الحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع (1779).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : "إن أول رجل قطع في الإسلام أو من المسلمين، رجلٌ أتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل: يا رسول الله، إن هذا سرق، فكأنما أُسِفَّ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمادًا، فقال بعضهم: يا رسول الله؛ أي يقول: ما لك؟ فقال: **(وما يمنعني وأنتم أعوان الشيطان على صاحبكم، واللهُ عز وجل عفُوٌّ يحبُّ العفو، ولا ينبغي لوالي أمر أن يُؤتى بحدٍّ إلَّا أقامه)** ثم قرأ: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [النور: 22] الحديث رواه أحمد في المسند 1/ 419 (3977)، وانظر: السلسلة الصحيحة 4/ 181(1638).

2/ عفو الله تعالى العام : ومن عفو الله عفوه العام عن كل من ارتكب خطيئة أو بارزه بمعصية، فإن الله تعالى فتح له باب عفوه بشرط أن يتوب عنه، وتلك من رحمات الله تعالى؛ قال

212/ مقتبس من مقال بعنوان : العفو الكريم جل جلاله – للشيخ السيد مراد سلامة – الألوكة الشرعية - بتصرف.

الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا** ﴾ [الفرقان: 68 - 71].

عن أَبِي طَوِيلٍ شَطَبٍ الْمَمْدُودِ رضي الله عنه أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: (**فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟**) قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: (**نَعَمْ ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ**) قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: (**نَعَمْ**) **قَالَ: (اللهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى)** رواه الطبراني في الكبير وهو صحيح الترغيب والترهيب: 3164.

3/ عفو الله تعالى عن الآباء والأمهات بشفاعة الأبناء:

ومن عجيب عفو الله تعالى وجُودِه يوم القيامة، أن يعفوَ عن الآباء والأمهات بشفاعة أبنائهم يوم القيامة؛ فعن شرحبيل بن شفعة، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**إنه يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة**)، **قال: فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا، قال: (فيأتون)، قال: فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم مُحْبَنْطِئِينَ، ادخلوا الجنة ، قال: فيقولون: يا رب آباؤنا ، قال: فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم)** رواه أحمد.

العفو العام لأمة خير الأنام صلى الله عليه وسلم يوم القيامة:

عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فو الذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجُّون، فيقال لهم: أخرِجُوا مَنْ عرَفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به،

فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير، فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير، فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا)، وكان أبو سعيد الخُدْري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 40]، فيقول الله عز وجل: (شفعت الملائكة، وشفع النبيُّون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضةً من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطُّ، قد عادوا حممًا، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر، أو إلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض؟)، فقالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعى بالبادية، قال:(فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدَّموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه، فهو لكم، فيقولون: ربنا، أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا، أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا) متفق عليه.

نموذج من عفو النبي صلى الله عليه وسلم عمَّن أساء إليه:

عن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء" متفق عليه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيًّا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: **(رب اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون)** متفق عليه .

نموذج من عفو أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

فهذا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه - خير الناس بعد الأنبياء - كان من قرابته مسطح بن أثاثة، وكان أبو بكر ينفق عليه، ويحسن إليه، فلمَّا خاض مسطح فيمن خاض في حادثة الإفك، حلف أبو بكر ألا يحسن إليه كما كان يحسن في السابق، فعاتبه ربُّه عز وجل وأنزل: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [النور: 22]، فقال: بلى، أحب أن يغفر الله لي، وعاد إلى ما كان عليه من الإحسان إليه وكفَّر عن يمينه).

نموذج من عفو عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا بن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا بن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: 199]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله) رواه البخاري .

تعلمت من اسمه العفو:

- **إذا كان العفوُ هو المحو فيجب علي أن أنسى عيوب الآخرين** فأمحو ذلك من قلبي فأقبل ما صفى لي من أخلاق الناس وأن أتغافل عما تكدر من تعاملاتهم كما قال تعالى : **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)** سورة الأعراف (199) . قال مجاهد وغيره : : **(خُذِ الْعَفْوَ)** من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحسس .

وهذا يعني ألا أدقِّق في كل كلمة تقال أو تصرف لا يليق أو إشارة أو نحو ذلك من الهفوات التي تصدر ممن أعاشرهم وخاصة أفراد الأسرة والأقارب والزملاء في العمل .

وقال بعض العلماء : الناس رجلان : فرجل محسن ، فخذ ما عفا لك من إحسانه ، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه . وإما مسيء ، فمره بالمعروف ، فإن تمادى على ضلاله ، واستعصى عليك ، واستمر في جهله ، فأعرض عنه ، فلعل ذلك أن يرد كيده .

ورحم الله القائل :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

- **وأن أعفو عمن ظلمني لعل الله تعالى أن يعفو عني**، قال الغزالي رحمه الله تعالى : وحظ العَبْد من ذَلِك لَا يخفى وَهُوَ أَن يعْفُو عَن كل من ظلمه بل يحسن إِلَيْهِ كَمَا يرى الله تَعَالَى محسنا فِي الدُّنْيَا إِلَى العصاة والكفرة غير معاجل لَهُم بالعقوبة بل رُبمَا يعْفُو عَنْهُم بِأَن يَتُوب عَلَيْهِم وَإِذا تَابَ عَلَيْهِم محا سيئاتهم إِذْ التائب من الذَّنب كمن لَا ذَنْب لَهُ وَهَذَا غَايَة المحو للجناية .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلَّا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)** رواه مسلم وغيره .

وقد حثَّ الله تعالى عباده على العفو والصفح وقبول الأعذار، وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتصدَّق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه، فلما شارك المنافقين في اتهام أم المؤمنين عائشة بالإفك وبرأها الله عزَّ وجلَّ، قال أبو بكر رضي الله عنه : (وَاللهِ لاَ أُنْفِقُ عَلى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَال لعَائِشَةَ)، فَأَنْزَل اللهُ سبحانه وتعالى: {**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} [النور:22]، فَقَال أَبُو بَكْرٍ: (بَلى، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لي ، فَرَجَعَ إِلى مِسْطَحٍ الذِي كَانَ يُجْرِي عَليْهِ) . رواه البخاري .

وقال تعالى: {**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**} [الشورى:40]. فاعْفُ عن الظالمين، وأَعْرِض عن الجاهلين، ويَسِّر علي المعسرين طلبًا لعفو الله عند لقائه.

- **كثرة الدعاء باسم الله العَفُوُّ وسؤال الله العفو والعافية** ورد دعاء المسألة بالاسم المطلق في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "قلت: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ (**تَقُولِينَ اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)** رواه ابن ماجه وصححه الألباني: 3850).

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قام رسول الله على المنبر ثم بكى، فقال: **(سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية)** رواه الترمذي وصححه الألباني، مشكاة المصابيح: 2489).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح **(اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي)** رواه ابن ماجه وصححه الألباني: 3871).

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس؛ إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: **(رجلان من أُمَّتي جثيا بين يدي ربِّ العزَّة، فقال أحدهما: يا رب، خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تبارك وتعالى: أعط أخاك مظلمته، فقال: يا رب، لم يبق من حسناتي شيء، فقال الله للطالب: كيف تفعل ولم يبق من حسناته شيء، فقال: يا رب، يتحمَّل من أوزاري)**، قال: وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء، ثم قال: **(إن ذلك يوم عظيم، يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم، قال: فقال الله للطالب: ارفع رأسك، فرفع رأسه، فقال: يا رب، أرى مدائن من فضة مرتفعة، وقصورًا من ذهب مكللة باللؤلؤ، فلأي نبي، أو صديق، أو شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب، ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بم يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب، إني قد عفوت عنه، قال الله: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة)**، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: **(اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم؛ فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة)** رواه الحاكم في "المستدرك" 4/ 576، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وهذا الفضيل بن عياض رحمه الله - أحد التابعين - يوم عرفة وقف يدعو: " يا رب، اعف عني، اعف عني، فلما غربت الشمس بكى، والأصل أن يحسن الظن بالله ويستبشر، فسألوه: ألست مَنْ تُعلِّمنا حُسْنَ الظنِّ بالله؟ فقال: "لست أبكي لذلك؛ ولكن واخجلاه! واحيائي منه وإن عفا!".

ويقول سليمان الداراني رحمه الله- أحد التابعين - : (لئن سألني يوم القيامة عن ذنوبي لأسألنَّه عن عفوه؛ لأني لا أجد لي مخرجًا إلا أن أسأله عن عفوه).

14-15/ في رحاب اسميه تعالى

المجيب والمغيث

عرفت أن من معاني اسميه تعالى المجيب والمغيث ما يأتي :

أما معنى المجيب : فقد قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي يُقَابل مَسْأَلَة السَّائِلين بالإسعاف وَدُعَاء الداعين بالإجابة وضرورة الْمُضْطَرين بالكفاية ، بل ينعم قبل النداء ويتفضل قبل الدُّعَاء وَلَيْسَ ذَلِك إِلَّا لله عز وَعلا فَإِنَّهُ يعلم حَاجَة المحتاجين قبل سُؤَالهمْ وَقد علمهَا فِي الْأَزَل فدبر أَسبَاب كِفَايَة الْحَاجَات بِخلق الْأَطْعِمَة والأقوات وتيسير الْأَسْبَاب والآلات الموصلة إِلَى جَمِيع الْمُهِمَّات .

وقيل : المُجِيبُ سُبْحَانَهُ هُوَ الذِي يُقَابِلُ السُّؤَالَ والدُّعَاءَ بِالقَبُولِ وَالعَطَاءِ ، وهو المُجِيبُ الذي يُجِيبُ المُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيُغِيثُ الملْهُوفَ إذا نَادَاهُ ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ عَنْ عِبَادِهِ ويَرْفَعُ البَلاءَ عَنْ أَحِبَّائِهِ .

وقال ابن القيم رحمه الله :

وهو المجيب يقول من يدعو أجيبه   أنا المجيب لكل من ناداني

وهو المجيب لدعوة المضطر إذ   يدعوه في سر وفي إعلان

ورد المجيب في قوله تعالى حكاية عن نبيِّه صالح: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود: 61].

وقال تعالى:(ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون).

وقال عز وجل عن أيوب عليه السلام:(وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين* فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر).

ودعا يونس عليه السلام ربه قائلا:(لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين* فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين).

وأما معنى المغيث [213]:

قال الحليمي: الغياث هو المغيث وأكثر ما يقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم .

وقال ابن القيم في نونيته :

وهو المغيث لكل مخلوقاته وكذا يجيب إغاثة اللهفان

تعلمت من هذي الاسمين المجيب والمغيث :

أولاً : أن أرفع إليه حوائجي لأنه هو القادر على إجابة دعائي وعلى أن يعطيني مرادي فهو المجيب دعاء الملحين في الدعاء لأنه قال :(**ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ**)الأعراف (55)

يا من له عنت الوجوه بأسرها وله جميع الكائنات توحد

يا منتهى سؤلي وغاية مطلبي من لي إذا أنا عن جنابك أطرد

أنت المؤمل في الشدائد كلها يا سيدي ولك البقاء السرمدُ

ولك التصرفُ في الخلائق كلها فلذاك تهدي من تشاء وتُسعدُ

وقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ سورة غافر (60) لذلك قالوا: ما أمرك أن تدعوه إلا ليجيبك، وما أمرك أن

213/ اختلف أهل العلم في اسمي (المغيث) أو (الغياث) : هل هو من أسماء الله الحسنى ، أو لا ؟ وممن أثبته : القرطبي وابن القيم والأصبهاني والحليمي وشيخ الإسلامابن تيمية حيث يقول : " قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله، وأن كل غوث فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يد غيره، فالحقيقة له سبحانه ولغيره مجاز . وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين: (اللهم أغثنا اللهم أغثنا) يقال أغاثه إغاثة وغياثا وغوثا، وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب، قال تعالى: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) إلا أن الإغاثة أحق بالأفعال والاستجابة أحق بالأقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر " انظر: مجموع الفتاوى (1/ 105)، وينظر: مجموع الفتاوى (110/1)، و(437/11). وكذا ذكره الشوكاني مقرراً له، كما في "الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني" (1/ 307)، والعلامة السعدي في توضيح الكافية الشافية (ص124). انظر الموقع الرسمي للدكتور عمر المقبل .

تسأله إلا ليعطيك، وما أمرك أن تتوب إليه إلا ليتوب عليك، الآية الواضحة أن الله حكيم في إجابته، وقال تعالى:﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ** ﴾ بالقدر الذي نشاء، وللسائل الذي نريد، هناك حكمة إلهية ، وهي ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً** ﴾ سورة الإسراء الآية: (18-19) .

ثانياً : أن أكثر من سؤال المجيب جل وعلا وأن أدل الناس عليه ليسألوه فيجيبهم وأن أحسن الظن بالله تعالى،لأنه المجيب ،فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) أخرجه الترمذي (3479)وحسنه الألباني في صحيح الجامع (245) ، وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني**) متفق عليه.

وقال بعض العلماء[214] :

والدُّعَاءَ الخَالِصَ هو الطرِيقُ إِلَى اللهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ إِظْهَارِ الخُضُوعِ والذُّلِّ ، والتَّمَسْكُنِ والتَّوَاضُعِ ، وكَمَالِ الافْتِقَارِ إِلَى اللهِ الوَاحدِ القَهَّارِ ، فيه يَكُونُ القُرْبُ ، ولَهُ يَكُونُ الحُبُّ ، وبه يَكُونُ الفَلَاحُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

قال تَعَالَى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة : 186] . ونحوها من الآيات .

وَمِنْ فَوَائِدِ الدُّعَاءِ أَنَّهُ يَغْرِسُ فِي نُفُوسِ العِبَادِ العِزَّةَ ؛ إِذْ يَلْجَأُ العَبْدُ في أَوْقَاتِ الشِّدَّةِ إلى اللهِ وَحْدَهَ ، ولا يَلْجَأُ إلى أَحَدٍ سِوَاهُ ، وهذه هي العِزَّةُ في أَسْمَى مَظَاهِرِهَا وأَرْقَى مَعَانِيهَا ، فَهُمْ بِهَذِهِ العِزَّةِ مُلُوكٌ يُغْبَطُونَ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ .. فَهَلْ هُنَاكَ أَعَزُّ وَأَكْرَمُ ، وَأَقْوَى وَأَمْنَعُ ، وأَغْنَى وأَعْظَمُ مِنْ عَبْدٍ اسْتَغْنَى بِخَالِقِهِ فَلَاذَ بِهِ وَلَمْ يَلُذْ بِسِوَاهُ !

وكان الإمام أحمد يقول: " اللهم كما صُنْتَ وجهي عن السجود لِغَيْرِك، فَصُن وجهي عن مسألة غَيْرِك "

214/ مقتبس من مقال بعنوان : شرح أسماء الله الحسنى 50- المجيب – موقع الراشدون .

وَمِنْ فَوَائِدِ الدُّعَاءِ أَيْضًا أَنَّهُ يَنْقِلُ الدَّاعِي مِنْ صَخَبِ الحَيَاةِ وَضَوْضَائِهَا إلى رِحَابِ الْمُنَاجَاةِ وصَفَائِها ، ويَقْطَعُه ولَوْ لِفَتْرَةٍ مَحْدُودَةٍ عَنْ شَهَواتِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ومَتَاعِها الزائِلِ لِيَصِلَه بِالملأِ الأَعْلَى ، وَيَجْعَلُهُ يَشْعُرُ بِاللذةِ الرُّوحِيَّةِ ، والطُّمَأْنِينَةِ القَلْبِيَّةِ ، وَالسَّعَادَةِ النَّفْسِيَّةِ ، وفي ذلك مَا فِيهِ مِنَ الاسْتِعْدَادِ القَوِيِّ ، والتَّهَيُّؤِ الفَعَّالِ ، لِحُسْنِ التَّحَوّلِ إلى الْمُدَاوَمَةِ على ما يُرْضِي اللهَ ، والعَزْمِ الأكيدِ على مُخالَفَةِ الهَوَى والشَّيْطَانِ .

أيضا فَإِنَّ الإيمان بِهَذَا الاسْمَ ينزع مِنْ نُفُوسِ المؤْمِنِينَ مَا قَدْ يُصِيبُهَا مِنْ يَأْسٍ وجَزَعٍ وَخَوْفٍ وَضَعْفٍ ، وَيُشْعِرُهم بأَنَّ اللَه قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ ، يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وهو مُوقِنٌ بالإجَابَةِ ، ويَكْشِفُ عنه السُّوءَ بما شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ ؛ فَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ وَنِعْمَ الْمُجِيبُ .

وَعَلَى العَبْدِ حين يَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ في قَلْبِهِ الشُّعُورَ بِأَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ افْتِقَارًا تَامًّا ، فَإِنَّ هَذَا الشُّعُورَ يُوَلِّدُ شُعورًا آخَرَ ، وَهُوَ تَعْظِيمُ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ ، فَيَدْعُو وَهُوَ شَاكِرٌ ، ودُعَاءُ الشَّاكِرِينَ لا يُرَدُّ .

وَبِهَذَا الشُّعُورِ الْمُزْدَوَجِ يَدْعُو العَبْدُ رَبَّه مِنْ غَيْرِ إِحْسَاسٍ بالجَزَعِ ، الذي قَدْ يَعُوقُه عَنِ الإِخْلَاصِ فِيهِ ؛ فَإِذَا قَالَ العَبْدُ : يَا رَب ، شَعَرَ بَادِئَ ذِي بِدْءٍ بِأَنَّهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ يَدْعُو رَبًّا بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وهو يُقَدِّمُ بينَ يَدَي دُعَائِهِ أَنَّهُ مَغْمُورٌ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ ، وَإِنَّمَا يَدْعُوهُ إلى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ طَمَعًا في الْمَزِيدِ مِنْ وَاسِعِ رَحْمَتِهِ ، وَلَكِنْ لَا يَقْوَى العَبْدُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا إِذَا غَذَّى قَلْبَه وعَقْلَهُ وَرُوْحَه بِذِكْرِ اللهِ فَبِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ، وتَسْلَمُ مِنْ هَوَاجِسِ النَّفْسِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ ، يقولُ اللهُ : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ الرعد : (28) .

ثالثاً : مما يحسن ذكره في هذا المقام ثلاثة أشياء تتعلق بالدعاء [215] :

الأول : فَضْلُ الدُّعَاءِ :

1- الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ نَتَقَرَّبُ بِهَا إلى اللهِ : رَوَىَ التِّرْمِذِيُّ . وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ . عَنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ » ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ غافر : 60 .

فَفِي هَذَا الحَدِيثِ يُبَيِّنُ لنَا النَّبِيُّ أنَ ّّّّالدُّعَاءَ مِنْ أَفْضَلِ العِبَادَاتِ فَقَالَ : « الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ » أَيْ رَأْسُ العِبَادَاتِ ، أَوْ لُبُّهَا ، أو أَفْضَلُها؛ فَيَنْبَغِي للمُسْلمِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ هَذِهِ العِبَادَةِ العَظِيمَةِ الجليلَةِ .

2- **الدُّعَاءُ يَرُدُّ عَنْكَ المَصَائِبَ قَبْلَ وُقُوعِها** :فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ ».

فَقَدْ يَدْعُو الشَّابُّ أَنْ يَنْجَحَ هذا العَامَ ، فَلَمْ يَسْتَجِبِ اللهُ لَهُ ، فَيَظُنُّ أَنَّ دُعَاءَهُ ذَهَبَ سُدًى ، ولَكِنَّ اللهَ قَدْ يَدْفَعُ عَنْهُ مُصِيبَةً أَوْ حَادِثًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ بِسَبَبِ الدُّعَاءِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو ، لَيْسَ بِإِثْمٍ ، وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَها لَهُ فِي الآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَها » ، قَالَ : إِذًا نُكْثِرُ ، قَالَ : « اللهُ أَكْثَرُ »

3- **الدُّعَاءُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ المَغْفِرَةِ** : عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابنَ آدمَ ، إنكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابنَ آَدمَ ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابنَ آدمَ ، إِنَّكَ لَوُ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » رَوَاه التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ ، وَذَكَرَهُ الألبانيُّ فِي الصحيحةِ وحَسَّنَهُ بِشَوَاهِدِهِ

215/ المرجع السابق – بتصرف .

الثاني : شُرُوطُ وآداب الدُّعَاءِ :

1- الإِخْلَاصُ :قَالَ تَعَالَى :﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾غافر (14)وَالإِخْلَاصُ : هُوَ صِدْقُ النيةِ فِي التَّوَجُّه إلى اللهِ وَحْدَهُ ، مَعَ اليقينِ بِأَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

2- اسْتِحْضَارُ القَلْبِ أَثْنَاءَ الدُّعَاءِ :عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « **ادْعُوا اللَه وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ ، واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ** » رَوَاه التِّرمِذِيُّ وحَسَّنَه الأَلْبانِيُّ، ورأى كليم الله موسى عليه السلام رجلا عند قطيع الغنم يدعو ويصر في الدعاء، فقال موسى: يا رب لو كان الأمر بيدي لاستجبت له، فقال الله عزوجل: يا كليمي أنت لا تعرفه صاحبك يدعوني بلسانه وقلبه عند غنمه وأنا لا أستجيب لعبد لسانه معي وقلبه مع غيري.

3- **أَكْلُ الحَلَالِ** : إِنَّ أَكْلَ الحَرَامِ قَدْ يَمْنَعُ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (**أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)** (سورة المؤمنون آية 51) وقال : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)** سورة البقرة(172) ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ، يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) رواه مسلم.

ومعنى الحديث :أن التعامل بالمال الحرام أكلاً ولباساً وتغذية مانع لإجابة دعاء الداعي مهما توفرت أسباب الإجابة من السفر ، والتبذل ، ورفع الأيدي ، والإلحاح ، وغيرها . قال بعض السلف : (لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي)

4- **أَنْ لَا يَدْعُوَ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ** : رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللِه صلى الله عليه وسلم : « يُسْتَجَابُ للعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ » ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ : مَا الاسْتِعْجَالُ ؟ قَالَ : « يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ ، وَقَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ أَرَ يُسْتَجَبْ لِي ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَحْسِرُ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ ».

الإِثْمُ : الذَّنْبُ ، كَأَنْ يَدْعُو اللَه أَنْ يُمَكِّنَهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ : كَسَرِقَةٍ وَزِنَا وَنَحْوِهِمَا ، قَطِيعَةُ الرَّحِمِ : الدُّعَاءُ عَلَى أَقَارِبَهِ وَأَرْحَامِهِ .

5- عَدَمُ الاعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ :قَالَ تَعَالَى : (**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**)الأعراف (55) قَالَ ابْنُ القَيِّمِ مَا مُلَخَّصُهُ :« الاعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ تَارَةً يَكُونُ بِسُؤَالِ مُحَرَّمٍ ، وتَارَةً يَكُونُ بِأَنْ يَسْأَلَ اللهَ مَا يُنَافِي حِكْمَتَه ؛ كَأَنْ يَسْأَلُهُ أَنْ يُخَلِّدَه إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، أَوْ أَنْ يَعِيشَ بِلَا طَعَامٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ » اهـ .

أَمْثِلَةٌ للاعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ : رَوى أَحْمَدُ . وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ . عنْ سعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابنًا لهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وأَسْأَلُك مِنْ نَعِيمِهَا وَبَهْجَتِهَا ، وَمِنْ كَذَا وَمِنْ كَذَا ، وَمِنْ كَذَا وَمِنْ كَذَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ ، وَسَلَاسِلِهَا ، وَأَغْلَالِها ، وَمِنْ كَذَا وَمِنْ كَذَا ...

فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَتَعَوَّذْتَ باللهِ مِنْ شَرٍّ كَثِيرٍ ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « **سَيَكُونُ قَومٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ** » وَقَرَأَ هَذِهِ الآية : (**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**) الأعراف(55) وَإِنَّ حَسْبَكَ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ ومَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ »

وَرَوَى أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ وَالذَّهَبِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابنَه يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ القَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا .

فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، سَلِ اللهَ الجَنَّةَ ، وعُذْ بِهِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « يَكُونُ قَوُمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ والطُّهُورِ » .

6- عَدَمُ اسْتِبْطَاءِ الإِجَابَةِ : رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « **يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يُعَجِّلْ ، يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي** » .

7- التَّضَرُّعُ وَخَفْضُ الصَّوْتِ : قَالَ تَعَالَى : " ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " الأعراف : 55 ..قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ : « كَانَ المُسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَمَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ ، إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهم » .

وفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : رَفَعَ النَّاسُ أَصْوَاتِهِمْ بالدُّعَاءِ ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، إِنَّ الذِي تَدْعُونَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ »

8- **رَفْعُ اليَدَينِ أَثْنَاءَ الدُّعَاءِ :** عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « إِنَّ رَبَّكم حَيِيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحْيِي أَنْ يَبْسُطَ العَبْدُ يَدَيه إِلَيْه فَيَرُدَّهُما صِفْرًا » ، أَوْ قَالَ : « خَائِبَتَينِ » رواه أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ .

9 – أَنْ يَبْدَأَ بِحَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ والصَّلاةِ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : عنِ ابنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : كُنْتُ أُصَلِّي والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بكْرٍ وَعُمَرُ مَعَهُ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ تَعَالَى ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ دَعَوْتُ لِنَفسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ : « **سَلْ تُعْطَهْ ، سَلْ تُعْطَهُ** » رَوَاه التِّرمِذِيُّ وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وعَنْ فَضَالَة بنِ عُبَيْدٍ ، قَالَ : سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : « **عَجَّلَ هَذَا ، إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ يَدْعُو بِمَا شَاءَ** » رَوَاه التِّرْمِذِيُّ . وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ . .

10- **يَعْزِمُ المَسْأَلَةَ وَلَا يَسْتَثْنِ :** فَفِي الصَّحِيحَينِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عن النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمَ الدُّعَاءَ ؛ فَإِنَّ اللهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ ، لَا مُكْرِهَ لهُ**).

11- تَكْرَارُ الدَّعْوَةِ ثَلَاثًا :مُسْلِمٍ عَنِ ابنِ مَسْعَودٍ قَالَ : (وَكَانَ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا ، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا) وَعِنْدَ أَبِي دَاودَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ **(أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُوَ ثلاثًا وَيَسْتَغْفِرَ ثلاثًا)** .

الثالث : أَوْقَاتُ إجَابَةِ الدُّعَاءِ :

1- **جَوْفُ الليلِ** :مُسْلمٌ عَنْ جَابرٍ مَرْفُوعًا : « **إنَّ في اللَّيْلِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُها رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أمرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَاهُ ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ** » .

وَحُدِّدَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ :فَفِي الصَّحِيحَيْنِ : « **يَنْزِلُ رَبُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ ... يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتِجيبُ له ، مَنْ يَسْأَلُنِي فأُعْطِيه ، مِنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ** » .

2- **سَاعَةُ الجُمُعَةِ** :ففي الصحيحينِ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : « إنَّ في الجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ وهوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقلِّلها » ، وعِنْدَ مُسْلِمِ : « وهيَ سَاعَةٌ خَفِيفَةٌ » .

وَعِنْدَ أَبِي دَاودَ والحاكِمِ وَصَحَّحَهُ ووافقَهُ الذَّهبيُّ عنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا : « **يَوْمُ الجُمُعَةِ اثنتَا عَشْرَةَ سَاعَةً ، مِنْهَا سَاعَةٌ لا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فيهَا شيئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَالتَمِسُوها آخِرَ سَاعةٍ بَعْدَ العَصْرِ** » .

3- **دَعْوَةُ الصَّائِمِ وَالْمُسَافِرِ : عند** البَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ عن أبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : (**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ : دَعْوَةُ الصَّائِمِ ، وَدَعْوَةُ المظْلُومِ ، ودَعْوةُ المسَافِرِ**) .

4- **بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَةِ** : فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحيحٍ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا : « الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ » .وَعِنْدَ أَبِي يَعْلَى : (**الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ مُسْتَجَابٌ فادْعُوا**) .

5- **حَالُ السُّجُودِ** : فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُريرةَ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبّه وهُوَ ساجدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ ».

رابعا : لا تستَعْظِم شيئاً تسأله الله، فالله عز وجل لا يُعْجِزُه شيء ، ولا تستعظم السؤال إطلاقاً فالله على كل شيء قدير قال صلى الله عليه وسلم : إذا سألت فاسأل الله وإذا اِستَعَنت فاسْتَعِن بالله.

أن ألبي طلبات إخواني المسلمين قدر استطاعتي وألا أبخل بما في مقدوري عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (إن لله عبادًا اختصَّهم بالنعم لمنافع العباد، يُقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منَعوها نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم) [216].

كما تعلمت من اسميه المجيب والمغيث [217] **:**

أولاً: قال الغزالي رحمه الله : العَبْد يَنْبَغِي أَن يكون مجيبا أَولا لرَبه تَعَالَى فِيمَا أمره وَنَهَاهُ وَفِيمَا نَدبه إِلَيْهِ وَدعَاهُ ثمَّ لِعِبَادِهِ فِيمَا أنعم الله عز وَجل عَلَيْهِ بالاقتدار عَلَيْهِ وَفِي إسعاف كل سَائل بِمَا يسْأَله إِن قدر عَلَيْهِ وَفِي لطف الْجَوَاب إِن عجز عَنهُ قَالَ الله عز وَجل **(وَأما السَّائِل فَلَا تنهر)**سُورَة الضُّحَى (11).

ثانياً : الله تعالى هو المجيب لدعوة الداعين، وسؤال السائلين، وعباده المستجيبين، وإجابته سبحانه وتعالى نوعان:

1/ إجابة عامة للداعين: مهما كانوا، وأينما كانوا، وعلى كل حال كانوا، كما وعَدهم بهذا الوعد المطلق الصادق الذي لا يتخلَّف.

2/ إجابة خاصة: للمستجيبين له، المنقادِين لشرعه، المخلِصين له في الدعاء والعبادة؛ ولهذا عقب بقوله: ﴿ **فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي** ﴾ [البقرة: 186][2].ومن هنا يتبيَّنُ أن اللهَ يجيب مَن دعاه في حالة الاضطرار، مؤمن أو كافر؛ قال تعالى: ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ﴾ [النمل: 62].

وقال تعالى عن استجابتِه للكفَّارِ في حالة الاضطرار: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ [العنكبوت: 65].أن يستجيبَ الله للمؤمن والكافر في حال اضطراره، فليس هذا بغريب على ربٍّ مجيب، لكن السؤال الذي دار في خَلَدي: هل يستجيب الله للكافر المستكبر المصرِّ على كُفره واستكباره؟!

216/ حسنه الألباني في صحيح الجامع للألباني، حديث (2164).

217/ المقصد الأسنى ومقال بعنوان تأملات في اسم الله (المجيب) - جواهر بنت صويلح المطرفي – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف .

الجواب: نعم، ومن خلال تتبُّعي لاسم الله "المجيب" في بعضِ النصوص القرآنية، أحببتُ أن أبرز جلالَ هذا الاسم، فأقول وبالله التوفيق:

ثالثاً : اسم "المجيب"، كما يجيب اللهُ دعاءَ من يُحبُّ، فإنه قد يجيب دعاء مَن يُبغِض، ومَن ليس له عنده أي كرامة، ومن القرآن العظيم أستشِفُّ هذا المكنون العجيب لاسم الله المجيب:

1- استجاب الله لإبليس دعوته حين طلب أن يُنظِرَه الله إلى يوم الوقت المعلوم:﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ** ﴾ [الحجر: 36 - 38]، **قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره:** "وليس لإجابة اللهِ لدعائه كرامة في حقه، وإنما ذلك امتحان وابتلاء من اللهِ له وللعباد".

2- استجاب الله لفرعونِ هذه الأمة أبي جهل حين استفتح يوم بَدْرٍ فقال مقولته: "اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرِفُه، فأَحِنْه الغداة، اللهم أينا أحبُّ إليك، وأرضى عندك، فانصُرْه اليوم، وفي ذلك أنزَل الله تعالى: ﴿ **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال: 19][4].

3- استجاب اللهُ لقوم سبأ في سورةٍ سمَّاها باسمهم؛ وذلك حين أنعَم اللهُ عليهم بنِعَمِه العظيمة، وآلائه الجسيمة، فاستكثروا نِعَم الله، وقابَلوها بالجحود والنُّكران: ﴿ **فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ** ﴾ [سبأ: 19].

4- النَّضر بن الحارث حين دعا وقال: "اللهم إن كان هذا هو الحقَّ، فأمطِرْ علينا حجارة من السماء، أو ائتِنا بعذاب أليم"، قالعطاء: لقد نزَل في النضرِ بن الحارث بضعَ عَشْرةَ آيةً، فحاق به ما سأَل من العذابِ يوم بَدْرٍ[218].

هذه بعضُ المعاني التي وقفتُ عليها، أردتُ من خلالها أن أرسلَ رسالة لكل شخص: لا تكُنْ عدوَّ نفسِك، وتَدْعُ دعاء تُسخِط به ربَّك، بل كن على حذرٍ من نفسك الأَمَّارةِ بالسوء، واعلم أنه

218/ الرحيق المختوم – للمباركفوري- صـ 216.

سبحانه هو الرحمن الرحيم، قد لا يستجيب للشخص في كثيرٍ من الأمور؛ ليصرفَ عنه شرورًا هو لا يعلمها.

رابعاً :على المسلم أن يقضِيَ حوائِج الطالِبين: لِيَقْضِيَ الله حاجَتَه. كما جاء في الحديث **(وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)** رواه مسلم .

وأختم الكلام على هذين الاسمين بكلام غاية في الأهمية للنابلسي :

من أراد أن يعرف مقامه عند الله عز وجل فلينظر فيما استعمله الله تعالى : أيها الأخوة ، الآية الكريمة : **(يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)** [الرحمن:29] .

آية دقيقة جداً : **(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)** كيف ؟ للتوضيح : طبيب مرّ على مريض أخذ لائحة الفحوصات ، وجد الضغط مرتفعاً ، أعطى أمراً بإيقاف الملح في الطعام ، الطعام من دون ملح لا يستساغ ، هذا قرار الطبيب ، لأن شأن هذا المريض ارتفاع الضغط ، فالموقف المناسب أن تمنعه من الملح .... وجد الضغط معتدلاً جداً ، وجسم المريض بحاجة إلى غذاء دسم فأمر أن يُطعم أطيب الطعام .فأنت إن كان شأنك مع الله الطاعة فقرار الله الإكرام ، وإن كان شأنك مع الله لا سمح الله ولا قدر المعصية فشأن الله معك التأديب .

(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) ما شأنك أنت ؟ الطاعة ؟ شأن الله الإكرام ما شأنك ؟.ما شأنك أنت ؟ الإسراف في الإنفاق على ملذاتك ؟ شأن الله التقتير .... ما شأنك أنت ؟ الإنفاق في الأعمال الصالحة ؟ شأن الله التوسعة ..... ما شأنك أنت ؟ الخضوع لله ؟ شأن الله الإعزاز ، يعزك ، ما شأنك أنت الكبر على العباد ؟ شأن الله الإذلال .

قال ابن عطاء الله السكندري : "إذا أردت أن تعرف مقامك - عند الله تعالى - فانظر أين أقامك " أي فيما استعملك ، جميع الخلائق تستند إليه وتعتمد عليه .

16- في رحاب اسمه تعالى

الحميد

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الحميد : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الْمَحْمُود الْمثنى عَلَيْهِ وَالله عز وَجل هُوَ الحميد بِحَمْدِهِ لنَفسِهِ أزلا وبحمد عباده لَهُ أبدا وَيرجع هَذَا إِلَى صِفَات الْجلَال والعلو والكمال مَنْسُوبا إِلَى ذكر الذَّاكِرِينَ لَهُ فَإِن الْحَمد هُوَ ذكر أَوْصَاف الْكَمَال من حَيْثُ هُوَ كَمَال .

وَقَالَ الخَطَّابِيُّ رحمه الله : الحَمِيدُ : هُوَ المَحْمُودُ الذِي اسْتَحَقَّ الحَمْدَ بِفِعَالِهِ، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَهُوَ الذِي يُحْمَدُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَفِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ؛ لِأَنَّهُ حَكِيمٌ لَا يَجْرِي فِي أَفْعَالِهِ الغَلَطُ، وَلَا يَعْتَرِضُهُ الخَطَأُ، فَهُوَ مَحْمُودٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ" .

وَقَالَ الحُلَيمِيُّ رحمه الله : الحَمِيدُ : هُوَ المُسْتَحْقُّ لِأَنْ يُحْمَدَ؛ لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَدَأَ فَأَوْجَدَ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ النِّعْمَتَينِ الجَلِيلَتَيْنِ: الحَيَاةِ وَالعَقْلِ، وَوَالَى بَيْنَ مِنَحِهِ، وَتَابَعَ آلَاءَهُ وَمِنَنَهُ حَتَّى فَاتَتْ العَدَّ وَإِنِ اسْتُفْرِغَ فِيهَا الجَهْدُ، فَمَنْ ذَا الذِي يَسْتَحِقُّ الحَمْدَ سِوَاهُ؟ بَلْ لَهُ الحَمْدُ كُلُّهُ لَا لِغَيْرِهِ، كَمَا أَنَّ المَنَّ مِنْهُ لَا مِنْ غَيْرِهِ .

وقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله فِي نُونِيَّتِهِ:

وَهُوَ الحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٍ — أَوْ كَانَ مَفرُوضًا مَدَى الأَزْمَانِ

مَلأَ الوُجُودَ جَمِيعُهُ وَنَظِيرُهُ — مِنْ غَيْرِ مَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانِ

هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ — كُلُّ المَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحْسَانِ

روَدَ اسْمُ الحميد في القرآن الكريم سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً، مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [البقرة: 267].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** ﴾ [هود: 73].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ** ﴾ [الحج: 24].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [لقمان: 12].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر: 15].

تعلمت من اسمه الحميد : ما يأتي :

- أن أحمد الله على كل نعمة أنعم بها علي سبحانه وأن يلهج لساني بالحمد عند تجدد النعم وأن يلهج لساني بالحمد صباحا ومساءاً لقوله صلى الله عليه وسلم فِي فَضْلِ الحَمْدِ عَلَى النِّعَمِ: (**مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ، إِلَّا كَانَ الذِي أُعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ**)[219] .
- أن الكائنات تسلك سبيل الحمد للقيام بواجب الشكر على نعمتي الإيجاد والإمداد ، قال تعالى (**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**) الأسراء (44) **قال مجاهد : كل الأشياء تسبح لله حيا كان أو ميتا أو جمادا ، وتسبيحها سبحان الله وبحمده .**
- ولذا من الأجدر بي أن أكون واحدا من خرزات هذا العقد الذي خرزاته هو كل ذرة في هذا الكون ولا يتثنى إلا الكفرة من الإنس والجن .

219/ حديث حسَن: أخرجه ابن ماجه (2/ 1250) واللفظ له، وأبو بكر بن السني في عمل اليوم والليلة (358) عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد، عن شبيب بن بشْر، عن أنس مرفوعًا به، وسنده حسَن، شبيب ابن بشر وثَّقه ابنُ معين، وليَّنَه أبو حاتم، وقال الحافظ في التقريب: "صدوق يخطئ." وله شاهد، يَرويه الطبراني في الكبير (8/ 193/ 7794) عن سويد بن عبد العزيز، عن ثابت بن عجلان، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعاً بنحوه، وفيه سويد بن عبد العزيز، ضعيف، وبذلك أعلَّه الهيثمي في المجمع (10/ 95) (نقلا عن مقال بعنوان : معنى اسم الله الحميد - للشيخ وحيد عبدالسلام بالي – موقع الألوكة الشرعية) .

كما تعلمت من اسمه الحميد [220]: ما يأتي :

1/ قال الغزالي رحمه الله :الحميد من الْعباد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله كلهَا من غير مثنوية وَذَاكَ هُوَ مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَمن يقرب مِنْهُ من الْأَنْبِيَاء وَمن عداهم من الْأَوْلِيَاء وَالْعُلَمَاء وكل وَاحِد مِنْهُم حميد بِقدر مَا يحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله وَإِذا كَانَ لَا يَخْلُو أحد عَن مذمة وَنقص وَإِن كثرت محامده فالحميد الْمُطلق هُوَ الله تَعَالَى .

2/ **ما دام الحَمِيدُ هُوَ الذِي لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَأَسْبَابِ الحَمْدِ مَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَحْمُودًا وَإِنْ لَمْ يَحْمِدْهُ غَيْرُهُ، فَهُوَ حَمِيدٌ فِي نَفْسِهِ**، وَالمَحْمُودُ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ حَمْدُ الحَامِدِينَ، فَإِنَّ **الحَمْدَ يَسْتَلْزِمُ الثَّنَاءَ وَالمَحَبَّةَ لِلْمَحْمُودِ**، فَمَنْ أَحْبَبْتَهُ وَلَمْ تُثْنِ عَلَيْهِ لَمْ تَكُنْ حَامِدًا لَهُ، وَكَذَا مَنْ أَثْنَيْتَ عَلَيْهِ لِغَرَضٍ مَا وَلَمْ تُحبَّهُ لَمْ تَكُنْ حَامِدًا لَهُ حَتَّى تَكُونَ مُثْنِيًا عَلَيْهِ مُحِبًّا لَهُ.

وَهَذَا الثَّنَاءُ وَالحُبُّ تَبَعٌ لِلأَسْبَابِ المُقْتَضِيَةِ لَهُ، وَهُوَ مَا عَلَيْهِ المَحْمُودُ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ، وَنُعُوتِ الجَلَالِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الغَيْرِ، فَإِنَّ هَذِهِ هِيَ أَسْبَابُ المَحَبَّةِ، وَكُلَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ أَجْمَعَ وَأَكْمَلَ كَانَ الحَمْدُ وَالحُبُّ أَتَمَّ وَأَعْظَمَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِكُلِّ حَمْدٍ، وَبِكُلِّ حُبٍّ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يُحَبَّ لِذَاتِهِ وَلِصِفَاتِهِ وَلِأَفْعَالِهِ وَلأَسْمَائِهِ وَلِإِحْسَانِهِ وَلِكُلِّ مَا صَدَرَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى [221] .

كَمَا أَنَّ مُجَرَّدَ الفِعْلِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا حِكْمَةٍ وَلَا مَصْلَحَةٍ يَقْصِدُهُ الفَاعِلُ لِأَجْلِهَا لَا يَكُونُ مُتَعَلَّقًا لِلْحَمْدِ، فَلَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، حَتَّى لَوْ حَصَلَتْ بِهِ مَصْلَحَةٌ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ الفَاعِلِ لِحُصُولِهَا لَمْ يَسْتَحِقَّ الحَمْدَ عَلَيْهَا، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ. بَلِ الذِي يَقْصِدُ الفِعْلَ لِمَصْلَحَةٍ وَحِكْمَةٍ وَغَايَةٍ مُحْمُودَةٍ، وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ تَنْفِيذِ مُرَادِهِ، أَحَقُّ بِالحَمْدِ مِنْ قَادِرٍ لَا يَفْعَلُ لِحِكْمَةٍ وَلَا لِمَصْلَحَةٍ وَلَا لِقَصْدِ الإِحْسَانِ، هَذَا المُسْتَقِرُّ فِي فِطَرِ الخَلْقِ.

220/ المقصد الأسنى – للغزالي وعن مقال بعنوان : معنى اسم الله الحميد - للشيخ وحيد عبدالسلام بالي – موقع الألوكة الشرعية.

221/ جلاء الأفهام – لابن القيم -(ص: 243) نقلا عن مقال بعنوان : معنى اسم الله الحميد - للشيخ وحيد عبدالسلام بالي – موقع الألوكة الشرعية.

3/ إِثْبَاتُ الحَمْدِ كُلِّهِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ: نِسْبَةُ القُدْرَةِ وَالحِكْمَةِ للهِ تَسْتَلْزِمُ الحَمْد، وَيَجْمَعُ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ العَظِيمَيْنِ - القدرة والحكمة - أَصْلٌ ثَالِثٌ هُوَ عَقْدُ نِظَامِهَا وَجَامِعُ شَمْلِهَا، وَبِتَحْقِيقِهِ وَإِثْبَاتِهِ عَلَى وَجْهِهِ يَتِمُّ بِنَاءُ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ وَهُوَ **إِثْبَاتُ الحَمْدِ كُلِّهِ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**. فَإِنَّهُ المَحْمُودُ عَلَى مَا خَلَقَهُ وَأَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، فَهُوَ المَحْمُودُ عَلَى طَاعَاتِ العِبَادِ وَمَعَاصِيهِم وَإِيمَانِهِم وَكُفْرِهِم، وَهُوَ المَحْمُودُ عَلَى خَلْقِ الأَبْرَارِ وَالفُجَّارِ وَالمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ.ومحمود عَلَى خَلْقِ الرُّسُلِ وَأَعْدَائِهِم، **وَهُوَ المَحْمُودُ عَلَى عَدْلِهِ فِي أَعْدَائِهِ**.

كَمَا هُوَ المَحْمُودُ عَلَى فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، فَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ الكَوْنِ شَاهِدَةٌ بِحَمْدِهِ، وَلِهَذَا سَبَّحَ بِحَمْدِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ: ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾ [الإسراء: 44]، وَكَانَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ الاعْتِدَالِ مِنَ الرُّكُوعِ: **(ربَّنا لك الحمدُ، مِلْءَ السَّمواتِ والأرضِ، ومِلْءَ ما شِئتَ مِن شيءٍ بعدُ، أهلَ الثَّناءِ والمجدِ، أحقُّ ما قال العبدُ، وكلُّنا لك عبدٌ، اللهمَّ لا مانعَ لِما أعطَيتَ، ولا مُعطيَ لِما منَعتَ، ولا ينفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ)** رواه مسلم.

فَلَهُ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ حَمْدًا يَمْلَأُ المَخْلُوقَاتِ وَالفَضَاءَ الذِي بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَيَمْلَأُ مَا يَقْدِرُ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ اللهُ أَنْ يَمْلَأَ بِحَمْدِهِ، وَذَاكَ يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُمْلَأَ مَا يَخْلُقُهُ اللهُ بَعْدَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالمَعْنَى أَنَّ الحَمْدَ مِلءَ مَا خَلَقْتَهُ وَمِلءَ مَا تَخْلُقُهُ بِعْدَ ذَلِكَ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ المَعْنَى مِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ يَمْلَؤُهُ حَمْدُكَ، أَيْ يُقَدَّرُ مَمْلُوءًا بِحَمْدِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا، وَلَكِنْ يُقَالُ: المَعْنَى الأَوَّلُ أَقْوَى لأَنَّ قَوْلَهُ: **(مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ)** يَقْتَضِي أَنَّهُ شَيءٌ يَشَاؤُهُ، وَمَا شَاءَ كَانَ، وَالمَشِيئَةُ مُتَعَلقةٌ بِعَيْنِهِ لَا بِمُجَرَّدِ مَلءِ الحَمْدِ لَهُ، فَتَأَمَّلْهُ لَكِنَّهُ إِذَا شَاءَ كَوْنَهُ فَلَهُ الحَمْدُ مِلْؤُهُ، فَالمَشِيئَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى المَمْلُوءِ بِالحَمْدِ، فَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مَوْجُودًا يَمْلَؤُهُ حَمْدُهُ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ قَوْلَهُ: "**مِنْ شَيءٍ**" بَعْدُ يَقْتَضِي أَنَّهُ شَيءٌ يَشَاؤُهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ كَمَا يَخْلُقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ مَخْلُوقَاتِهِ مِنَ القِيَامَةِ وَمَا بَعْدَهَا. وَلَوْ أُرِيدَ تَقْدِيرَ خَلْقِهِ لَقِيلَ: وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ مَعَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ المُقَدَّرَ يَكُونُ مَعَ المُحَقَّقِ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ: مِلءَ مَا شِئْتَ أَنْ يَمْلَأَهُ الحَمْدُ،

بَلْ قَالَ: مَا شِئْتَ، وَالعَبْدُ قَدْ حَمِدَ حَمْدًا أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنَّ ثَنَاءَهُ وَوَصْفَهُ بَأَنَّهُ يَمْلَأُ مَا خَلَقَهُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَمَا يَشَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ "وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ" يَقْتَضِي إِثْبَاتَ مَشِيئَةٍ تَتَعَلَّقُ بِشَيءٍ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ حَمْدُهُ قَدْ مَلَأَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَلَأَ العَالَمَ العُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، وَوَسِعَ حَمْدُهُ مَا وَسِعَ عِلْمُهُ، فَلَهُ الحَمْدُ التَّامُّ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَلَا حُكْمَ يُحْكَمُ إِلَّا بِحَمْدِهِ، وَلَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا بَحَمْدِهِ، لَا يَتَحَوَّلُ شَيءٌ فِي العَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِي مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ إِلَّا بِحَمْدِهِ، وَلَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ؛ إِلَّا بِحَمْدِهِ، كَمَا قَالَ الحَسَنُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: لَقَدْ دَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ وَإِنَّ حَمْدَهُ لَفِي قُلُوبِهِم مَا وَجَدوا عَلَيْهِ سَبِيلًا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ الكِتَابَ بِحَمْدِهِ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ بِحَمْدِهِ، وَأَمَاتَ خَلْقَهُ بِحَمْدِهِ، وَيُحْيِيهِم بِحَمْدِهِ، وَلِهَذَا حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ الشَّامِلَةِ لِذَلِكَ كُلِّهِ فَ: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الفاتحة: 2].

4/ أن نُكثِر من حمد الله سبحانه وتعالى على سائر الأحوال ونسبح بحمده كما يسبح كل شيء في الكون بحمده سبحانه: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء من الآية:44] وكلمة {شَيْءٍ} أي: الموجود، تطلق على سائر الموجودات، أي ما من مخلوقٍ موجودٍ إلا ويسبح بحمد الله. واعلم أن حمد الله سبحانه وتعالى يستوجب رضاه فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنَّ اللهَ تعالى لَيرضى عن العبدِ أنْ يأكلَ الأكلةَ، أو يشربَ الشربةَ، فيحمدُ اللهَ عليها**» رواه مسلم.

والحمد مستوجب لغفران الذنوب وعلو المكانة عند الله وبلوغ مقام الرضا. ولا أفضل من مقام الرضا فلنحمد الله بالقلب وباللسان وبالجوارح بالتعبُّد والخضوع لله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطَّهورُ شطرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسبحان اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ -أو: تملأُ- ما بين السماواتِ والأرضِ» (رواه مسلم).

5/ الحمد لله من أحب الكلم إلى الله، كما جاء في الحديث: «أحبُّ الكلامِ إلى اللهِ أربعٌ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ. لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأتَ» رواه مسلم.

وقال سليمان عليه السلام : {**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**} [النمل من الآية:19]، يطلب من الله عمل صالح يرضيه لأنه ليس كل عمل صالح يرضيه. فالغني الذي يتصدّق بخمس جنيهات ليس كالفقير الذي يتصدّق بتلك الخمس ولا يقارن هذا بذاك. فإذا ليس كل عمل صالح يرضيه. وقال الله عز وجل: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ من الآية:13].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فُضُلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ ، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ , وَيُمَجِّدُونَكَ , وَيَذْكُرُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا , وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا , وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا لَهَا أَشَدَّ طَلَبًا ، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالُوا : يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ هَرَبًا , وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا , وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ ، فَيَقُولُ : هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ) . رواه الترمذي وقال : هَذَا حَسَنٌ صَحِيحٌ .

17-18/ في رحاب اسميه تعالى

الكريم والأكرم

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الكريم والأكرم : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : الكريم : هوَ الَّذِي إِذا قدر عَفا ، وَإِذا وعد وفَّى وَإِذا أعْطى زَاد على مُنْتَهى الرَّجَاء ، وَلَا يُبَالِي كم أعْطى وَلمن أعْطى ، وَإِن رُفعت حَاجَة إِلَى غَيره لَا يرضى، وَإِذا جُفي عَاتب وَمَا استقصى وَلَا يضيع من لَاذَ بِهِ والتجى، ويغنيه عَن الْوَسَائِل والشفعاء فَمن اجْتمع لَهُ جَمِيع ذَلِك لَا بالتكلف فَهُوَ الْكَرِيم الْمُطلق وَذَلِكَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَط .

وقال الخطابي رحمه الله : في معنى الأكرم : هُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ ، لَا يُوَازِيهِ كَرِيمٌ وَلَا يُعَادِلُهُ فِيهِ نَظِيرٌ ، وَقَدْ يَكُونُ الْأَكْرَمُ بِمَعْنَى الْكَرِيمِ .

وقال أبو حيان رحمه الله : الْأَكْرَمُ : صِفَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْكَرَمِ ، إِذْ كَرَمُهُ يَزِيدُ عَلَى كُلِّ كَرَمٍ يُنْعِمُ بِالنِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَى ، وَيَحْلُمُ عَلَى الْجَانِي ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ ، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ .

وقال القرطبي رحمه الله : أن الكريم له ثلاثة أوجه هي:الجواد والصفوح والعزيز ،وهذه الأوجه الثلاثة يجوز وصف الله عز وجل بها، فعلى أنه جواد كثير الخير، صفوح لابد من متعلق يصفح عنه وينعم عليه ،وإذا كان بمعنى العزيز كان غير مقتض مفعولاً في أحد وجوهه ،

فهذا الاسم - الْكَرِيمِ - متردد بين أن يكون من أسماء الذات، وبين أن يكون من أسماء الأفعال ، والله جل وعز لم يزل كريماً ولا يزال، ووصفه بأنه كريم هو بمعنى نفي النقائص عنه ووصفه بجميع المحامد، وعلى هذا الوصف يكون من أسماء الذات، إذ ذلك راجع إلى شرفه في ذاته وجلالة صفاته ،وإذا كان فعلياً كان معنى كرمه ما يصدر عنه من الإفضال والإنعام على خلقه ، **وإن أردت التفرقة بين الأكرم والكريم، جعلت الأكرم الوصف الذاتي والكريم الوصف الفعلي.**

ورد اسم الله تعالى الكريم في القرآن ثلاث مرات :

قوله تعالى : (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) سورة النمل:40 .

وقوله تعالى : (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)سورة المؤمنون:116.

وقوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيم**) [العلق : 6] فتأمل كيف جاء هذا الاسم لله في هذا الموضع ؛ ليحذر العبد من العصيان بسسب الكرم الإلهي[222] .

وورد الأكرم في موضع واحد : قال تعالى : **(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)** العلق(3)

تعلمت من هذين الاسمين الكريمين الكريم والأكرم : ما يأتي :

تعلمت منهما التقوى لأن الله تعالى يقول:(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات:13] وعند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قَالَ : أَتْقَاهُمْ ، فَقَالُوا : لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ ، قَالَ : **فَيُوسُفُ نَبِي اللهِ ابْنُ نَبِي اللهِ ابْنِ نَبِي اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ** ، قَالُوا : لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ ، قَالَ : **فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا**) ففي الآية إشارة إلى كرم الذات وليس الكرم هنا بمعنى الإنفاق والسخاء،فإذا صارت ذاتي كريمة عليه تعالى فمن وصل إلى ذلك فهو يعني الوصول إلى المغفرة والرحمة والرضوان.كما أن من صار كريما على الله فإنه سينال الرفعة في الدنيا والآخرة .

222/ قال ابن كثير:"لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور مع أنه قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة " وقال ابن القيم "غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء وجهله وهواه وأتي سبحانه بلفظ الكريم وهو السيد العظيم المطاع الذي لاينبغي الاغترار به ولا إهمال حقه فوضع هذا المغتر الغرور فى غير موضعه واغتر بمن لاينبغي الاغترار به" . فهو سبحانه ذو الجلال والإكرام فهو أهل أن يجل فلا يعصى وأن يطاع فلا يخالف .

كما تعلمت من هذين الاسمين الكريمين : الكريم والأكرم [223]: ما يأتي :

1/ العمل بمقتضى هذا الاسم يكون بمعرفة كرم الله تعالى وجوده ، وأن خزائنه لا تفنى ، وكرمه وجوده لا حد له ، فيحسن العبد ظنه بربه ، ويحسن التوكل عليه ، وإذا أذنب تاب إليه وأقبل عليه ، ولم ييأس من رحمته ، ولا قنط من فضله وجوده ، وإذا سأله أيقن بالإجابة ، وألح عليه في دعائه.

2/ محبته سبحانه وتعالى على كرمه وجوده ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ، والسعي إلى تحقيق هذه المحبة ، بشكره سبحانه بالقلب واللسان والجوارح، وإفراده وحده بالعبادة، وأن لا يكون من العبد إلا ما يرضي الله سبحانه، ومجاهدة النفس في ترك ما يسخطه ، والمبادرة إلى التوبة عند الوقوع فيما لا يرضيه عز وجل...

3/ الحياء منه سبحانه والتأدب معه - عز وجل - حيث : مع كثرة معاصي عباده ، إلا أنه لم يمنع عنهم عطاءه وكرمه وجوده . وهذا الكرم العظيم يورث في قلب العبد المؤمن حياء وانكسارًا ، وخوفًا ورجاءً ، وبعدًا عما يسخطه سبحانه وتعالى .

4/ التعلق به وحده سبحانه ، والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه ، وطلب الحاجات منه وحده سبحانه ، لأنه الكريم الذي لا نهاية لكرمه ، والقادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، الحي الذي لا يموت ، بخلاف المخلوق الذي يغلب عليه الشح في العادة ، ولو كان كريمًا فإن كرمه محدود ، وفان بفنائه ، وقد يريد التكرم على غيره ولكن عجزه يحول دون ذلك . قال الله تعالى: { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } [الفرقان: 58] ، وقال سبحانه: { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) } [الشعراء: 217 . [وهذا يورث قوة الرجاء ، والطمع في كرمه ورحمته ، وقطع الرجاء من المخلوق.

5/ **التخلق بخلق الكرم ، والتحلي بصفة الجود والسخاء على عباد الله تعالى** ، فإن الله - عز وجل - كريم يحب من عباده الكرماء الذين يفرج الله بهم كرب المحتاجين ، ويغيث بهم الملهوفين.

223/ شرح أسماء الله الحسنى- للرازي - ص278 ، وتفسير الأسماء الحسنى للزجاج ص50 ، والمقصد الأسنى للغزالي ص105 ، والبيهقي ص73 ، والمفردات ص707 . وكتاب ولله الأسماء الحسنى - للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليل (594-596) . ومقال بعنوان :الكريم الأكرم جل جلاله – خالد بن محمد السليم – موقع صيد الفوائد .

وخلق الكرم الذي يحبه الله تعالى : ليس في الإسراف والتبذير وتضييع الأموال، وإنما هو التوسط بين الإسراف والتبذير، وبين البخل والشح.

قال الغزالي رحمه الله : حظ العبد من هَذِه الْخِصَال أنه قد يتجمل فِي اكتسابها وَلَكِن فِي بعض الْأُمُور ، وَمَعَ نوع من التَّكَلُّف فَلذَلِك قد يُوصف بالكريم وَلكنه نَاقص بِالْإِضَافَة إِلَى الْكَرِيم الْمُطلق ،وَكَيف لَا يُوصف بِهِ العَبْد بالكرم وَقد قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم **(لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ)** متفق عليه ،وَقيل إِنَّمَا وصف شَجَرَة الْعِنَب بِالْكَرمِ لِأَنَّهُ لطيف الشَّجَرَة طيب الثَّمَرَة سهل القطاف قريب المتناول سليم عَن الشوك والأسباب المؤذية بِخِلَاف النّخل .

أن يتحلى بوصف الكرم والسخاء ، والجود والعطاء لأنه يحب من عباده الكرماء ، قال ابن القيم : "ومن وافق الله في صفه من صفاته قادته تلك الصفة اليه بزمامه وأدخلته على ربه وأدنته منه وقربته من رحمته وصيرته محبوبا له فانه سبحانه رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء عليم يحب العلماء " .[224]

والآيات والأحاديث التي تبين عظيم الثواب لم كان كريما بماله عطوفا على إخوانه من الشهرة بمكان ولا بأس بالتذكير ببعضها في هذا المقام :

قال الله تعالى (**وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**) [سبأ : 39] [225]. وسخر الله لمن أنفق ملكين يدعوان له بالخلف من الله فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)متفق عليه .

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:(**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**)متفق عليه .

224/ الجواب الكافي – لابن القيم - ص(44) .

225/ قال السعدي : { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ } نفقة واجبة, أو مستحبة, على قريب, أو جار, أو مسكين, أو يتيم, أو غير ذلك، { فَهُوَ } تعالى { يُخْلِفُهُ } فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق, بل وعد بالخلف للمنفق, الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر { وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } فاطلبوا الرزق منه,

وتكفل الله لمن أنفق أن ينفق عليه كما ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :(**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**) .

6/ كثرة التمجيد والثناء على الله تعالى والتوجه إلي بالدعاء وطلب الحاجات منه سبحانه، مهما كان قدر هذه الحاجة وإحسان الظن به تعالى، فإن تأخير ، أو منع إجابة الدعاء ، وقضاء الحاجة : لا يقدح في كرم الله سبحانه وجوده، بل إن منعه سبحانه قضاء حاجة عبده المؤمن ، هي في ذاته كرمًا منه سبحانه ورحمة، إذ قد يكون في قضاء الحاجة التي يلح العبد في قضائها هلاك له في دينه أو دنياه، والله سبحانه بمنه وكرمه ورحمته لا يستجيب له ، لما يعلم من ضررها عليه لو حصلت له.

فقد ورد الدعاء بالاسم المطلق عند البيهقي في أصح الروايات عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يدعو في السعي : (**اللهمَّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ الأَعَزُّ الأَكْرَمُ**) رواه البيهقي في سننه ، وفي رواية أخرى : (**اللهمَّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ، وَاعْفُ عَمَّا تَعْلَمُ ، وَأَنْتَ الأَعَزُّ الأَكْرَمُ ، اللهمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**) .

ومن الدعاء بالوصف ما ورد عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي كان إذا دخل المسجد قال : (**أَعُوذُ بِالله العَظِيمِ ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ ، وَسُلطَانِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ اليَوْم**) رواه أبو داود وصححه الشيخ الألباني.

ومن التمجيد له سبحانه بهذا الاسم أن يذكر نفسه بعد كل صلاة فريضة بأنه سبحانه ذو الجلال والإكرام كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة قالت (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لا يقعد يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام).**

7/ ليس في الوجود كريم يسمو إلى كرمه تعالى ولا إنعام يرقى إلى إنعامه ولا عطاء يوازي عطاءه ، فما أكرمه سبحانه، (**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**)[النحل:18] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**) متفق عليه .

ومن شواهد كرمه قبوله العمل من عبده المخلص له على يسره وقلته وينميه له ويشكره عليه **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ ,وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ)** متفق عليه .

والحسنة لا تكون عنده إلا عشرا ويضاعف إلى سبعمائة ضعف لمن يشاء فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ (جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ فَقَالَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ) رواه مسلم .

ويعطي من يخصهم بفضله إلى ما لا نهاية فيزيدهم على السبعمائة مع ما يكرمهم به من سعة أرزاقهم , وانشراح صدورهم , وطيب عيشهم, فإذا كان هذا عطاؤه في الدنيا فكيف سيكون عطاؤه لأوليائه في دار كرامته قال تعالى **(وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)** سورة غافر (40) .

8/ وليس الإنعام الدليل على الرضا والمحبة بل هو ابتلاء يستوجب الشكر والطاعة ، قال تعالى : **(فَأَمَّا الإنسان إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن كَلا**)[الفجر:17]، وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال : **(فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ أي فُلْ : أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟فَيَقُولُ : بَلَى قَالَ فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**).

9/ أن يسعى العبد أن يكون ممن أكرمهم ربهم ولم يهنهم فليس ثمة إلا مكرم ومهان قال تعالى : (**وَمَنْ يُهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)** الحج :18 فالإكرام الحقيقي هو إكرام

الله بالتوفيق للإيمان ، قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[الحجرات:13]

10/ أن من عرف ربه بهذا الكرم أحسن ظنه فلا يخشى على نفسه فقرا أبدا ، و لا يلوم قدرا و لا يذل لمخلوق كائنا من كان بل يسارع عند النوازل والكروب والضائقات المالية والنفسية إلى من أن يمينه ملأى سحا الليل والنهار .

وأختم الكلام على هذين الاسمين الكريم والأكرم بذكر نماذج من كرم النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الكرام :

- مما هو معلوم لكل مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكرم الخلق فعند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه :(**أَنَّ رَجُلاً سَأَل النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ؟ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ؛ فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَال : أَيْ قَوْمِ أَسْلمُوا فَوَ اللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا ليُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الفَقْرَ ؛ فَقَال أَنَسٌ : إِنْ كَانَ الرَّجُل ليُسْلمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا فَمَا يُسْلمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِليْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَليْهَا**).

وأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنْ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً قَالَ صَفْوَانَ "وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ "رواه مسلم .

سَمِعْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ (**مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا**) متفق عليه .

- **كرم أبي طَلْحَة الأنصاري رضي الله عنه :** عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنَّه سمع أنس بن مالك، يقول : " كان أبو طَلْحَة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة مالًا، وكان أحبَّ أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب مِن ماءٍ فيها طيِّبٍ، قال أنسٌ: فلمَّا نزلت هذه الآية: **لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ** [آل عمران: 92] قام أبو طَلْحَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنَّ الله يقول في كتابه: لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ، وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرحى، وإنَّها صدقةٌ لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول

الله حيث شئت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(بخٍ ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ، قد سمعتُ ما قلتَ فيها، وإنّي أرى أن تجعلها في الأقربين)** فقسمها أبو طَلْحَة في أقاربه وبني عمِّه" رواه مسلم .

- كرم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما : مَرِض قيس بن سعد بن عبادة، فاستبطأ إخوانه، فقيل له: إنَّهم يستحيون ممَّا لك عليهم مِن الدَّيْن، فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان مِن الزِّيارة، ثمَّ أمر مناديًا فنادى: مَن كان عليه لقيس بن سعد حقٌّ فهو منه بريء، قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة مَن زاره وعاده) (الإحياء للغزالي – (247/3).

- كرم ابن عبَّاس رضي الله عنهما : قال عطاء: (ما رأيت مجلسًا قطُّ أَكْرَم مِن مجلس ابن عبَّاس، أكثر فقهًا، وأعظم جَفْنَةً، إنَّ أصحاب القرآن عنده، وأصحاب النَّحو عنده، وأصحاب الشِّعر، وأصحاب الفقه، يسألونه كلُّهم، يصدرهم في وادٍ واسعٍ) أبو نعيم في معرفة الصحابة – (3805).

- كرم الليث بن سعد رحمه الله : كان الليث بن سعد ثريا من الرجال نبيلا سخيا وكان دخله في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه زكاة درهم قط.

قال شعيب بن الليث بن سعد : خرجت مع أبي حاجا فقدم المدينة فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب قال فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه . و كتب مالك إلى الليث إني أريد أن أدخل ابنتي على زوجها فأحب أن تبعث إلي بشيء من عصفر فبعث إليه بثلاثين حملا عصفرا فصبغ لابنته وباع منه بخمس مائة دينار وبقي عنده فضلة . وسألت امرأة الليث بن سعد منا من عسل فأمر لها بزق فقال له كاتبه إنها سألت منا فقال إنها سألتني على قدرها فأعطيناها على قدر السعة عندنا .

19/ في رحاب اسمه تعالى

المعطي

عرفت أن من معاني اسم الله المعطي :[226] **ما يأتي :**

قال ابن القيم رحمه الله : الهدى والرحمة وتوابعهما من الفضل والإنعام كله من صفة العطاء ، والإضلال والعذاب وتوابعهما من صفة المنع ، وهو سبحانه يصرِّف خلقه بين عطائه ومنعه ، وذلك كله صادر عن حكمة بالغة وملك تام وحمد تام " [227].

وقال في نونيته :

هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان

يعطي برحمته من يشا ء بحكمة والله ذو السطان

وقيل : المعطي سبحانه : هو الذي أعطى كل شيء خلقه وتولى أمره ورزقه في الدنيا والآخرة .

كما عرفت أن عطاءه تعالى على أنواع :228 :

1- عطاء في الدنيا : المعطي سبحانه هو الذي أعطى كل شيء خلقه وتولى أمره ورزقه في الدنيا والآخرة كما قال تعالى عن موسى عليه السلام وهو يصف عطاء الربوبية: **(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)** [طه: 50].

2- عطاء في الآخرة : قال تعالى عن عطاء الآخرة: **(وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ)** [هود: 108].

226/ / هذا الاسم من الأسماء الحسنى التي اختلف العلماء في إثباتها ولم يرد اسم المعطي في القرآن الكريم ، بل ورد في السنة، كما قوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي، وأنا القاسم) رواه البخاري ومسلم .،وممن أثبته : ابن منده وابن العربي والبيهقي والقرطبي وابن القيم والشّيخ السّعدي وابن عثيمين .

227/ الفوائد - لابن القيم - ص (151) نقلا عن : شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى – للكتور عمر سليمان الأشقر- ص (194).

228/ الموسوعة العقدية - موقع الدرر السنية .

3- عطاء الله قد يكون عاماً أو خاصاً:

- **فالعطاء العام يكون للخلائق أجمعين:** فمن العطاء العام ما ورد في قوله تعالى: **(كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا)** [الإسراء: 20] والعطاء هنا هو تمكين العبد من الفعل ومنحه القدرة والاستطاعة، كل على حسب رزقه وقضاء الله وقدره.

- **والعطاء الخاص يكون للأنبياء والمرسلين وصالح المؤمنين:** ومن العطاء الخاص استجابة الدعاء وتحقيق مطلب الأنبياء والصالحين من الأولياء، ومن ذلك الدعاء والعطاء في قصة سليمان عليه السلام: **(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[ص: 35-39].**

تعلمت من اسمه تعالى المعطي :

1/ **أنه سبحانه لا يعطي إلا لحكمة ولا يمنع إلا لحكمة** فلو منعني شيئا فمنعه في الحقيقة عطاء خفي لأن كل منع منه تعالى لا بد أن يصحبه عطاء من راحة وطمأنينة وقناعة فمن ظن أن لطفه سبحانه ينفك عن قدره – المكروه بالطبيعة البشرية – فإنما ذلك لجهله بربه .

2/ **أن أفضل عطاء يعطيه الله للعبد المؤمن بعد الإيمان أن يفقهه في الدين** قال صلى الله عليه وسلم: (**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي، وأنا القاسم**) رواه البخاري ومسلم .

كا تعلمت منه [229]:

- أن العطاء يدخل في معنى التوحيد ، لأنه لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، علاقتك مع الله، فهذا هو التوحيد الله وحده هو الرافع، والخافض، والمعز، والمذل والمانع، والمعطي، ولا إله إلا الله، وهذا الدين لا يقوم إلا على التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، ونهاية

229/ موسوعة النابلسي – بتصرف .

العلم التوحيد، ونهاية العمل التقوى. ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك،هذا معنى قوله تعالى:﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾(سورة لقمان الآية: 20).

ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد السلام من الصلاة: (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**) رواه البخاري ومسلم .

- **أن المؤمن يبني حياته على العطاء، كيف** ؟﴿ **فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** ﴾ سورة الليل (5-6) بنى حياته على العطاء، بالتعبير المعاصر بنى استراتيجيته على العطاء، العطاء سمة عميقة من سماته، فيعطي من وقته، ويعطي من ماله، ويعطي من خبرته، ويعطي من عضلاته في سبيل مرضاة الله عز وجل .

- **أن المؤمن عطاءه وفق مبادئه، يعطي لله، ويمنع لله،** يرضى بحسب مبادئه، يرضى ويغضب، يرضى لله، ويغضب لله، يصل لله، ويقطع لله، ليس عنده عمل عشوائي، وعادات وتقاليد مسيطرة عليه، يتحرك وفق مبادئ وقيم. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:(**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**) رواه أبو داود .

- **المصائب والحرمان والمتاعب نِعَمٌ باطنة،** لأن الله عز وجل يقول:﴿ **مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ** ﴾ حينما يؤمن الإنسان ويشكر تنتهي كل المعالجات، لأنه حقق الهدف من وجوده. ورد أنَّ أحدهم كان يطوف حول الكعبة فقال: " يا رب، هل أنت راضٍ عني ؟ كان وراءه الإمام الشافعي، قال له: يا هذا، هل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك ؟ قال له: سبحان الله ! مَن أنت يرحمك الله ؟ قال له: أنا محمد بن إدريس، قال له: كيف أرضى عن الله، وأنا أتمنى رضاه ؟ قال له: إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله "، والدليل:﴿ **رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ** ﴾ سورة المائدة (119) يجب أن ترضى عن الله، يجب أن ترضى عن قضائه وعن قدره، وعن حكمته، حين جعل إنسانا ذا دخل محدود، يا رب، لك الحمد، وإذا جعل إنسانا آخر بدخل غير محدود، يا رب، لك الحمد، تتمتع بصحة جيدة، يا رب، لك الحمد، فيك بعض

الأمراض، يا رب، لك الحمد، زوجة صالحة جداً، يا رب لك الحمد، زوجة متعبة، يا رب لك الحمد.

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)** رواه مسلم .

20- في رحاب اسمه تعالى

المانع

عرفت أن معاني هذا الاسم الكريم [230]: ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي يرد - يدفع - أَسبَاب الْهَلَاك وَالنُّقْصَان فِي الْأَدْيَان والأبدان بِمَا يخلقه من الْأَسْبَاب الْمعدة للْحِفْظ وَقد سبق معنى الحفيظ وكل حفظ فَمن ضَرُورَته .

منع وَدفع فَمن فهم معنى الحفيظ فهم معنى الْمَانِع وَالْمَنْع إِضَافَة إِلَى السَّبَب المهلك وَالْحِفْظ إِضَافَة إِلَى المحروس عَن الْهَلَاك وَهُوَ مَقْصُود الْمَنْع وغايته إِذْ الْمَنْع يُرَاد للْحِفْظ وَالْحِفْظ لَا يُرَاد للْمَنْع فَكل حَافظ مَانع وَلَيْسَ كل مَانع حَافِظًا إِلَّا إِذا كَانَ مَانِعا مُطلقًا لجَمِيع أَسبَاب الْهَلَاك وَالنَّقْص حَتَّى يحصل الْحِفْظ من ضَرُورَته .

وقال ابن القيم رحمه الله : مصدر ما في العبد من الخير والشر والصفات الممدوحة والمذمومة من صفة المعطي المانع وهو سبحانه يصرِّف عباده بين هذين الاسمين أي المعطي المانع [231] .

هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان

وقيل: **الله تعالى المانع** الذى يمنع البلاء حفظا وعناية، ويمنع العطاء عمن يشاء ابتلاء أو حماية، ويعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الآخرة إلا لمن يحب، سبحانه يغنى ويفقر، ويسعد ويشقى، ويعطى ويحرم، ويمنح ويمنع فهو المعطى المانع، وقد يكون باطن المنع عين العطاء.

وقال أحد العلماء : إذا منع البلاء عن بعض أوليائه كان ذلك لطفاً جميلاً، وإن منع العطاء عنهم كان ذلك فضلاً جزيلاً ، منع البلاء لطف، ومنع العطاء فضل. قال ابن عطاء الله السكندريُّ يقول: " إذا فتح الله بصيرتك رأيت المنع عين العطاء ".

230/ هذا الاسم من الأسماء الحسنى التي اختلف العلماء في إثباتها وهو في حديث الترمذي ، وممن أثبتها : ابن منده والبيهقي والقرطبي وابن القيم والغزالي .

231/ الفوائد - لابن القيم – ص 91– نقلا عن : شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى – للكتور عمر سليمان الأشقر- ص (194).

تعلمت من اسمه تعالى المانع : ما يأتي :

1/ أن أدعو الله تعالى بهذ الاسم دبر الصلوات كما ورد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه كتب إلى معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة: (**لا إلهَ إلاَّ اللَّه وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ. اللَّهُمَّ لا مانِعَ لما أعْطَيْتَ، وَلا مُعْطيَ لما مَنَعْتَ، ولا ينْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجدُّ**) متفقٌ عليه [232].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - معلقاً على قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعتَ"، وما تضمنه من التوحيد الخالص لله ربِّ العالمين: قال رحمه الله: "فَبَيَّن في هذا الحديث أصلين عظيمين :

أحدهما : توحيد الربوبية : وهو أنْ لا مُعطِي لما منع الله، ولا مانع لما أعطاه، ولا يُتَوَكلُ إلا عليه، ولا يُسألُ إلا هو.

الثاني: توحيد الإلهية: وهو بيان ما ينفع وما لا ينفع، وأنه ليس كلُّ من أُعطِي مالاً أو دنيا أو رئاسة كان ذلك نافعاً له عند الله منجياً له من عذابه؛ فإن الله يعطي الدنيا من يُحِب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الإنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن * كَلاَّ**﴾ الفجر: (15- 17) .

يقول : ما كُلُّ مَنْ وسَّعتُ عليه أكرمتُه، ولا كُلُّ مَنْ قَدَرتُ عليه - أي ضيَّق عليه في الرزق - أكون قد أهنتُه، بل هذا ابتلاء؛ ليشكر العبدُ على السَّرَّاء، ويصبر على الضَّرَّاء، فمن رُزِق الشكر

232/ الجد: المشهور فيه فتح الجيم وهو الحظ والغنى والعظمة والسلطان. قال النووي رحمه الله "أي لا ينفع ذا الحظ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظه، أي لا ينجيه حظه منك وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح، كقوله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك)[الكهف:46] " اه. ومن العلماء من ضبطه بالكسر، ومعناه: الاجتهاد. أي لا ينفع ذا الاجتهاد منك اجتهاده، إنما ينفعه وينجيه رحمتك. والصحيح المشهور أنه الجَد بالفتح .

قاله العلَّامة النووي رحمه الله، قال: في هذا الكلام دليلٌ ظاهر على فضيلة هذا اللفظ، فقد أخبَر النبيُّ صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى، أن هذا أحقُّ ما قاله العبد، فينبغي أن يُحافَظ عليه، لأننا كلنا عبد لله، وألَّا نهمله، وإنما كان هذا الذكْر أحقَّ ما قاله العبد لما فيه من التفويض إلى الله تعالى والإذعان له والاعتراف بوحدانيته والتصريح بأنه لا حول ولا قوة إلا به، وأن الخير جلبَه منه، والشر دفعَه منه سبحانه، والحثُّ على الزهادة في الدنيا والإقبال على الأعمال الصالحة.

والصبر كان كلُّ قضاءٍ يقضيه الله خيراً له، كما في "الصحيح" عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يقضي الله للمؤمن من قضاءً إلا كان خيراً له، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سَرَّاءُ شَكَر فكان خيراً له، وإن أصابته ضَرَّاء صَبَر فكان خيراً له". والله أعلم. انتهى.

3/ أن أطمئن إلى المانع الذي يدفع عني المصائب المتوقعة وغير المتوقعة وفي هذا الشأن يحكي النابلسي - وفقه الله - عددا من القصص ، منها :

- امرأة صالحة تطهو طعامها في قِدْر تعمل بالبخار- طنجرة بخار - يبدو أن فيها خللاً وصارت على وشك الانفجار، وإذا انفجرت شيء مخيف جداً، وقبيل أن تنفجر بدقيقةٍ واحدة قُرِع الجرس، ذهبت لتفتح فلم تجد أحداً، كان طفل صغير يلهو فقرع الجرس وهرب، في أثناء فتحها للباب انفجرت القِدر - الطنجرة - فالله مانع، منع المرأة أن تصاب بأذى.
- إخوةٌ كُثُر.. حدَّثوني وكانوا في طريقهم في سفر، وبعد أن قطع أحدهم ألفاً وخمسمائة كيلو مترٍ من الطريق وأوقف السيارة أمام البيت تفككت بعض قطع السيارة وتساقطت على الأرض ، لو أنَّها أصابها الخلل أثناء السير لهلكوا كلَّهم، من الذي منع وقوع الحادث ؟ الله جلَّ جلاله.. الله يمنعك من الحوادث.
- قال لي أحد الطلاب الذين يدرسون الطب.. ركب سيارة عازماً على السفر إلى محافظة إدلب.. فجاء إنسان فظ غليظ وشأنه غير معقول فهو كالوحش، فتح الباب وبدلاً من أن يقول لهذا الطالب اسمح لي بهذا المقعد، وهذا الطالب حجمه صغير، فحمله ووضعه على الأرض وركب بدلاً منه وأخذ مكانه، فقال لي هذا الطالب: امتلأت غيظاً إلى حد كبير وغير معقول، ومضت ساعة ونصف حتى تمكَّن من ركوب سيارة أخرى، وعند قرية - تفتناز وهي إحدى قرى محافظات الشمال- وجدت السيارة الأولى قد تدهورت وفيها أربعه قتلى من ركابها الخمسة، والناس متجمِّعون حولها.. كان أحد ركاب تلك السيارة المنكوبة لكنه أرغم على النزول.. من الذي منعه وأنزله منها ؟ الله جلَّ جلاله، إما عن طريق إلهام، أو عن طريق سبب آخر.

- ولقد وقع قديماً حادثٌ بمكان سمعت أنَّ كل من كان في هذا المكان قُتلوا، ولي صديق موظَّف في المكان نفسه وتوقَّعت أنه في عداد القتلى، ثم فوجئت به في الطريق بعد أيام فسألته عن أحواله فقال لي: قبل خمس دقائق من الحادث خطر لي أن أشتري ربطة من الخبز من مكان قريب فخرجت، وأثناء غيابي وقع الحادث.
- قد يحدث حريق أو انفجار لأسطوانة الغاز، أو يكون الشخص بمطعم فتنفجر أسطوانة الغاز ويكون مقدراً لها أن تقتل عشرة أشخاص وفيهم شخص ممنوع فيخطر في باله بالخروجُ لشراء شيء ما وأثناء خروجه تنفجر، فليس هناك شيء يقع صدفةً في الكون كله أبداً، فالله عزَّ وجلَّ مانع.. يمنع الخطر.

4/ كما يمنع الله العبد من المصائب الدنيوية فكذلك يمنع أولياءه من المصائب الدينية - المعاصي – كما قال تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) [233]الأنفال (24) .

قال النابلسي : قد تكون غالياً على الله وقريباً منه، وفي ساعة غفلة تفكِّر بعمل لا يرضي الله تجد أن الله عزَّ وجلَّ وضع أمامك العراقيل منعك ولم يوافق المسؤولون لك على السفر مثلاً، فهناك منع قاسٍ وظاهره من البشر لكن حقيقته من ربِّ البشر، فالمؤمن محفوظٌ من المخالفات، فلعلَّه بهذا السفر تضعف مقاومته، أو عنده هشاشة في مقاومته فالله عزَّ وجلّ يعلم سرَّه وعلانيته.

233/ وإن كان المعنى المشهور للآية هو: أن يرى بعض الهداية ويعلم الحق ، لكنه لا يسلك سبيله ، إلا أن هناك من قال أنها تحتمل (يحول بين الولي والتفكير في المعصية) .

21- في رحاب اسمه تعالى

المؤمن

عرفت أن من معاني اسمه تعالى المؤمن [234]: ما يأتي :

يحتمل أن يكون مأخوذا من التصديق : (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) يوسف (17) أو مأخوذ من الأمان (وَآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ) سورة قريش (3) .

أولاً : من معاني المؤمن المشتق من (المصدق) ما يلي:

1/ أنه يصدق نفسه بتوحيده وصفاته، كما قال عز من قائل: **(شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ)** [آل عمران: 18].

فقد شهد سبحانه لنفسه بالوحدانية، وهذه الشهادة أعظم شهادة: **(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)** [الأنعام: 19]، فليس فوق شهادة الله شهادة، فهي أعظم من شهادة ملائكته، ورسله، وأنبيائه، ومخلوقاته له بالشهادة.

2/ تصديق الله تعالى لرسله وأنبياءه وأتباعهم، فمن ذلك ما أنزله الله من الآيات البينات التي دلت على صدقهم، فقد أعطى الله كل رسول معجزة بها يتحدى قومه كما هو معلوم من قصصهم في القرآن فهذا بمثابة قوله تعالى : صدق رسولي .

ومنها: أن الكفرة قد يدعون الله أن ينصر المحق، فينصر الله المؤمنين، وغير ذلك مما يصدق به رسله وأتباعهم. ومن ذلك: إيقاع العذاب بالمجرمين والطغاة، أعداء الرسل فإن وقوع العذاب بهم تصديق من الله – عز وجل – لرسله.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم له من شواهد صدقهم، فهو الذي صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه؛ وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دل بها على صدقهم – قضاء وخلقاً – فإنه سبحانه أخبر وخبره الصدق؛ وقوله

234/ المقصد الأسنى – للغزالي ، والموسوعة العقدية – موقع الدرر السنية .

الحق: أنه لابد أن يري العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله، فقال تعالى: (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**) [فصلت: 53]، أي: القرآن، فإنه هو المتقدم في قوله: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ**) [فصلت: 52].

3/ تصديق الله عباده المؤمنين في يوم الدين، فالله يسأل الناس في يوم القيامة، ويصدق المؤمنين بإيمانهم، ويكذب الكفرة والمجرمين، فيشهد عليهم أعضاءهم، فتشهد. ويصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ومصدق ما أوعدهم من العقاب .

ثانياً: من معاني المؤمن المشتق من (الأمان): وفيه من المعاني ما يلي:

1/ قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي يُعزى إِلَيْهِ الْأَمْن والأمان بإفادته أَسبَابه وسده طرق المخاوف وَلَا يُتَصَوَّر أَمن وأمان إِلَّا فِي مَحل الْخَوْف وَلَا خوف إِلَّا عِنْد إِمْكَان الْعَدَم وَالنَّقْص والهلاك وَالْمُؤمن الْمُطلق هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

2/ المؤمن الذي يؤمِّن الذي يهب عباده المؤمنين الأمن في الدنيا بالطمأنينة والأنس الذي يجدونه في قلوبهم بفعل الإيمان به سبحانه وتوحيده. كما قال تعالى: (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)فهو مؤمِّن.

3/ **أنه الذي يؤمن عباده المنقادين لشرعه بما يشرع لهم من الأحكام والحدود التي يأمنون فيها على دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، وأعراضهم،** وأموالهم سواء على مستوى الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع بحيث يعيش الجميع في أمن وسلام في ظل أحكام الله – عز وجل – والتي هي أثر من آثار اسمه (السلام المؤمن).

4/أنه الذي يؤمن عباده يوم الفزع الأكبر من مخاوف يوم القيامة ومن عذاب النار، قال الله تعالى عن عباده المؤمنين: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) [الأنبياء: 101-103]، وقال سبحانه عن أثر الإيمان في تحقيق الأمن في الدنيا والآخرة: (**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**) [الأنعام: 82]

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في موضع واحد : في قوله تعالي : **(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)** سورة الحشر(23) .

تعلمت من اسمه تعالى المؤمن : ما يأتي :

- أن الأمن في الدنيا والآخرة بيده تعالى فلا أطلب الأمان من أحد سواه سبحانه ، قال الله تعالى **(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)** الأنعام (82).

قال السعدي رحمه الله : الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء.

- أن المؤمن هو الذي يأمن الناس من جانبه على أعراضهم وأموالهم بل قبل ذلك على دمائهم إلا ما كان بحكم الشرع كما جاء في الحديث النبوي **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ)** رواه الإمام أحمد وابن حبان (4862) والحاكم (24).

وكما جاء في الحديث القدسي **(يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا)** رواه مسلم .

وقال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : حَظّ العَبْد من هَذَا الِاسْم وَالْوَصْف أَن يَأْمَن الْخلق كلهم جَانِبه ، بل يَرْجُو كل خَائِف الاعتضاد بِهِ فِي دفع الْهَلَاك عَن نَفسه فِي دينه ودنياه ، كَمَا قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره)** متفق عليه،

و عن أَبي هريرة رضي الله عنه : أَن النَّبيَّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، قِيلَ: مَنْ يا رسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **(الَّذي لا يأْمنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ)** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- وأحق الْعباد باسم الْمُؤمن من كَانَ سَببا لأمن الْخلق من عَذَاب الله بالهداية إِلَى طَرِيق الله عز وَجل والإرشاد إِلَى سَبِيل النجَاة وَهَذِه حِرْفَة الْأَنْبِيَاء وَالْعُلَمَاء

- أن أنشر الأمان في الأرض فلا أمان إلا في ظل اسمه تعالى المؤمن ، وفي ظل كلمة القرآن الكريم **(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** الرعد (28).

كما تعلمت من اسمه تعالى المؤمن [235] : ما يأتي :

1/ **المؤمن هو الذي يجير المظلوم من الظالم،** والدليل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ** ﴾ سورة المؤمنون (88) وتروَى في هذا قصة رمزية: أن ملِكًا في القديم توعد شيخ النجارين بوعيد لا يحتمل، طلب منه مئة كيس نشارة خلال ساعات، يعمل سنتين لا يخرج معه كيس نشارة، وشيخ النجارين مثل نقيب الآن، أيقن هذا الشيخ أنه مقتول لا محالة، فودع أولاده، ودع زوجته، كتب وصيته، أنهى كل شيء، بعد الفجر جاء أتباع الملك ليأخذوه إن لم يؤدِ هذا العدد، فقيل له: مات الملك تعال فاصنع لنا تابوتاً.

2/ سئل أحد السلف، يا إمام من هو الله؟، فقال: ألم تركب البحر؟، قال: بلى قال: هل حدث مرة أن هاجت الريح عاصفة؟، قال: نعم، قال: وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة؟، قال: نعم، قال: فهل خطر في بالك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء؟، قال: نعم، قال: ذلك هو الله المؤمن -سبحانه-، ويصدق هذا قول الله -عز وجل-: **(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنسان كَفُورًا)** [الإسراء:67].

يا مُؤمِناً عبدهُ في كل نازلة   وناشراً عدله في كل ميدانِ

وباسِطاً فضلهُ دنيا وآخرةً   وحافظًا خلقه من شر طغيانِ

عُدنا إليك فهبنا منك مغفرة   تمحو بها كل تقصيرٍ وعصيانِ

235/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي ، وموقع ملتقى الخطباء – بتصرف .

22-23/ في رحاب اسميه تعالى

الغني والمغني

عرفت أن من معاني هذين الاسمين الكريمين : ما يأتي :

أما معنى اسمه تعالى الغني :

قال الغزالي رحمه الله : الْغَنِيّ هُوَ الَّذِي لَا تعلق لَهُ بِغَيْرِهِ لَا فِي ذَاته وَلَا فِي صِفَات ذَاته بل يكون منزها عَن العلاقة مَعَ الأغيار فَمن تتَعَلَّق ذَاته أَو صِفَات ذَاته بِأَمْر خَارج من ذَاته يتَوَقَّف عَلَيْهِ وجوده أَو كَمَاله فَهُوَ فَقير مُحْتَاج إِلَى الْكسْب وَلَا يتَصَوَّر ذَلِك إِلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وقال الخطابي رحمه الله : الغَنِيُ هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه، فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون، كما وصف نفسه تعالى فقال عزَّ من قائل: ﴿**وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ سورة محمد(38) .

وقيل: الغنيّ : هو الذي لا يحتاج إلى شيء، وهو المستغني عن كلِّ شيء، المفتقر إليه كلُّ شيء.

وقيل : الغنيُّ : هو الغنيُّ بذاته عن العالمين، المتعالي عن جميع الخلائق في كلِّ زمنٍ وحين، الغنيُّ عن العباد، المتفضِّل على الكلِّ بمحض الوداد.

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

وهو الغني بذاته فغناه ذاتي   له كالجود والاحسان

ورد اسم الله الغني في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة ،منها:

قال تعالى: **(وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ)** سورة الأنعام:133

وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)** سورة فاطر:15

وقال تعالى: **(وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)** سورة العنكبوت:6

وأما معنى اسمه تعالى المُغني[236] :

قال الغزالي رحمه الله : وَالله عز وَجل هُوَ الْمُغنِي أَيْضا وَلَكِن الَّذِي أغناه لَا يُتَصَوَّر أَن يصير بإغنائه غَنِيا مُطلقًا فَإِن أقل أُمُوره أَنه مُحْتَاج إِلَى الْمُغنِي فَلَا يكون غَنِيا بل يَسْتَغْنِي عَن غير الله بِأَن يمده بِمَا يحْتَاج إِلَيْهِ لَا بِأَن يقطع عَنهُ أصل الْحَاجة والغني الْحَقِيقِيّ هُوَ الَّذِي لَا حَاجَة لَهُ إِلَى أحد أصلا وَالَّذِي يحْتَاج وَمَعَهُ مَا يحْتَاج فَهُوَ غَنِي بالمجاز وَهُوَ غَايَة مَا يدْخل فِي الْإِمْكَان فِي حق غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وقيل : المغني : هو الذي يُعطي الغنى لعباده، إما أن يعطيهم الكفاية ؛ أي أغناهم عن السؤال، أو يُغني بعض عبادة عن بعض . وما من غنيً في الوجود، إلا وهو من جناب الحقّ ممدود، الغنى الحقيقي من الله عزَّ وجلَّ .

وقيل المغني : يُغني بعض عباده بهداية وصلاح قلوبهم؛ بمعرفته وإجلاله وتعظيمه ومحبته، فيُغنيهم بما هو أبلغ وأكمل من صلاح دنياهم.

عرفت أن من مقتضات اسمه تعالى الغني المغني :

الأول : كثرة ما عند اللَّه :قال تعالى : { **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [المائدة : 120] .

قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية : (أي هو الخالق للأشياء المالك لها المُتَصرِّف فيها القادر عليها ، فالجميع ملكه وتحت قهره ، وقدرته وفي مشيئته ، فلا نظير له ولا وزير ، ولا عديل ولا والد ، ولا ولد ، ولا صاحبة ، ولا إله غيره ولا رب سواه) .

الثاني : غناه دائم : فما من مخلوق أصبح غنيًّا إلا بعد فقر أو تكون عاقبتُه إلى فقر أو يفني المال وصاحبه ، أما اللَّه جل جلاله فغناه دائم لا يفنى أبدًا ، قال تعالى : { **مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ** } [النحل : 96] ، وقال تعالى :{ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ** } الرحمن (26-27) .

---

[236]/ هذا الاسم من الأسماء الحسنى التي اختلف العلماء في إثباتها وهو في حديث الترمذي ، وممن أثبته : الخطابي والقرطبي والغزالي .

الثالث : غناه ذاتيٌ : أي أن غنى اللَّه في ذاته ،وليس فيما يراه الناس من الملك في السماوات والأرض ، فإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له : كن فيكون ، ولكن غنى الخلق إنما يكون بما يمتلكون من ثروات وأموال ،

الرابع : غناه مطلق : فإن الخلق يحتاجون إلى ما تقوم به أبدانهم وأرواحهم ، وهذا يجعلهم فقراء إلى رزق اللَّه من كل الوجوه ، فإنهم فقراء إلى الطعام وإلى الشراب ، والنفس والروح والسعادة والزوجة والولد ، والسمع والبصر .. هذا فقرٌ مطلق إلى اللَّه الذي بيده هذه النعم وغيرها مما لا غنى عنه للخلق ، أما اللَّه جلَّ جلاله فإنه غنيّ عن ذلك كله ، بل وعن كل ما سواه ، تبارك وتعالى ، لذلك فإن غنى اللَّه غنى مطلق ، وكل العباد فقرهم إلى اللَّه فقر مطلق

خامسًا : وأنه هو أغنى وأقنى : قال تعالى : { **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [آل عمران : 26] . فإن الغنى والعطاء بيد من له ملك الأرض والسماء ، فلا يَغْتَني أحدٌ إلا بإذنه ، ولا يُرزق أحدٌ إلا من عطائِه ،

ربُّنا سبحانه وتعالى مُغني بمعنى : أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثم هدى أعطاك قدمين تمشي بهما، أعطاك سمعاً، أعطاك بصراً، أعطاك حركة، أعطاك يداً، مفاصل، أصابع، رسغاً، مرفقاً، كتفاً، أعطاك جهازاً للهضم، جهازاً للأمعاء، جهاز دوران، جهاز إفراز، أعطاك هيكلاً عظمياً.﴿ **أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ سورة طه (50) أعطاه ما يصلحه، أعطاك إدراكاً وذاكرة.

تعلمت من اسميه تعالى الغني والمغني[237] : ما يأتي :

- أن أكون غنيا به فقيرا إليه أما فقري إليه فلأن كل ذرة في لا بقاء لها إلا به كما قال تعالى(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**) فاطر (15).
- وأما غنائي به فلأن طلب الغنى من غيره حوجة إلى ذلك الغير وذلك الغير هو فقير إلى الله تعالى فصار لسان الحال فقير يلجأ إلى فقير بل إلى من هو أفقر منه .

[237]/ موسوعة شرح الأسماء الحسنى – للنابلسي – بتصرف كبير .

- إذا وصفت إنساناً بأنه غني فهذا في الحقيقة ليس بغني ، هذا غنى نسبي ، لماذا ؟ يعني الإنسان على حجم ماله الكبير ، على هيمنته الكبيرة ، على مكانته الرفيعة ، على سيطرته ، على كل ما يملك هذا منوط بقطر شريانه التاجي فإذا ضاق هذا الشريان دخل في متاعب لا تنتهي ، وقد ينجو ، وقد لا ينجو ، إذاً ليس غنياً .

- هذا الإنسان القوي ، هذا المتفوق ، هذا المتغطرس ، كل مكانته ، وقوته منوطة بسيولة دمه ، فإذا تجمدت قطرة دم في أحد أوعية دماغه في مكان أصيب بالشلل ، في مكان فقد الذاكرة ، في مكان فقد السمع ، في مكان فقد البصر ، في مكان فقد الحركة ، إذاً ليس غنياً .

- قال النابلسي : أعرف شخصاً جاء بشهادة عليا ، وصل لمنصب ما قبل الوزير ، مكانة ، وعلم ، وزوجة رائعة ، وبيت فخم ، ودخل كبير ، فقد بصره ، زاره أحد أصدقائي ، قال له : يا فلان والله أتمنى أن أجلس على الرصيف ، وأتسول ، وليس عليّ إلا هذا المعطف ، وأن يرد لي بصري .

- **شيء آخر قاله الإمام علي رضي الله عنه : "الغنى والفقر بعد العرض على الله "أما قبل العرض على الله لا يعد الغني غنياً ، ولا الفقير فقيراً .**

- وأجمل ما يجب أن يعلمه المسلم أن الغنى الحقيقي هو غنى العمل الصالح ، والدليل : أن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حينما سقى للفتاتين ابنتي سيدنا شعيب ، قال : (**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**) [القصص:24] . وقال تعالى (**وَاللهُ الْغَنِيّ وَأَنْتُم الْفُقَرَاء**) مُحَمَّد (38).

- فيجب أن تعد نفسك غنياً إذا أكرمك الله بعمل صالح ، إذا سخرك لخدمة خلقه ، إذا كنت مفتاحاً للخير ، مغلاقاً للشر ، إذا بثثت في الناس الطمأنينة ، والأمن ، والسكينة ، إذا أطعمت جائعهم ، إذا كسوت عاريهم ، إذا عالجت مريضهم ، إذا آويت مشردهم ، إذا أنصفت مظلومهم ، أنت الغني ، الغنى الحقيقي غنى العمل الصالح .

- المؤمن باتصاله بالله عزَّ وجلَّ يشتقُّ من هذا الاسم شيئاً، يصبح غنياً عن الناس، لا ينظر إلى ما عندهم. الإنسان يدخل إلى أحد البيوت، تجده ينظر إلى كل ما فيه من أشياء ويسأل: كم ثمن هذه الثُّريّا، ومن أين اشتريت هذه، وكيف حصَّلت هذه ؟ تشعر بضعفه

وتشعر بدنوّه.. أما هناك إنساناً لا يأبه بكلِّ هذه المظاهر.. ربما يركب مركبة فخمة فلا بدَّ من أن يسأل عن ميّزاتها وعن سرعتها، وعن مصروفها وعن ثمنها، وكيف طَوَّبْتَها، و هل مستأجرة أم هي ملكا لك ؟ أم سياحي وما وضعها ؟ يبدو أن نفسه قد تاقت لها.. المؤمن المتصل بالله يستغني، يشعر بغنى.

- دخلوا على سيّدنا أبي عبيدة الجراح، وكان قائد الجيوش الإسلاميَّة في بلاد الشام، رأوا في غرفته قدر ماءٍ مغطىً برغيف خبزٍ، وجلداً يجلس عليه، وسيفٌاً معلَّقاً في الحجرة. قيل له: يا أبا عُبيدة ما هذا ؟ قال: هو للدنيا وعلى الدنيا كثير، ألا يُبلِّغنا المقيل.

وقد جعل اللَّه الغني لرزقه أسبابًا ،يُغنى بها من أراد من عباده ، فمن هذه الأسباب :

1- **التفرغ للعبادة** : قال تعالى في الحديث القدسي : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ** » رواه الترمذي وغيره.

2- **من نزلت به فاقة فأنزلها باللَّه** : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم :« **مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى إِمَّا أَجَلٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنًى عَاجِلٍ** » رواه أحمد وغيره .

3– **المتابعة بين الحج والعمرة** : فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِى الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ » رواه الترمذي وغيره

4- **تقوى اللَّه عز وجل** : قال تعالى : **{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ }** الطلاق :(2- 3) ،**وقال اللَّه تعالى :{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }** [الأعراف : 96] .

5- **الاستغفار** :قال تعالى : { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [نوح: 10- 12] .

6- الاستغناء باللّه عن الخلق : ففي الصحيحين عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضى الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ**) .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ : **(لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)** .

وروى الترمذي عن علي رضِي الله عنْه أن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان يقول: **(اللهم اكْفِنِي بحلالك عن حرامك، وأغنِنِي بفضلك عمَّن سِواك).**

7- **صلة الرحم** : ففي الصحيحين عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : **(مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)** .

8- **الزكاة والصدقة** : ففي الصحيحين (عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ ». وَقَالَ « يَمِينُ اللَّهِ مَلأَى – وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ مَلآنُ – سَحَّاءُ لاَ يَغِيضُهَا شَىْءٌ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ».

9- من كان همُّه الآخرة : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِى قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ » رواه الترمذي وغيره.

10- الدعاء : قال تعالى-: ﴿ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء: 32].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَقُولُ « إِذَا بَقِىَ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ مَنْ ذَا الَّذِى يَدْعُونِى أَسْتَجِيبُ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِى يَسْتَغْفِرُنِى أَغْفِرُ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِى يَسْتَرْزِقُنِى أَرْزُقُهُ مَنْ ذَا الَّذِى يَسْتَكْشِفُ الضُّرَّ أَكْشِفْهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ ». رواه أحمد.

24- في رحاب اسمه تعالى

البديع

عرفت أن من معاني البديع : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي لَا عهد بِمثلِهِ فَإِن لم يكن بِمثلِهِ عهد لَا فِي ذَاته وَلَا فِي صِفَاته وَلَا فِي أَفعاله وَلَا فِي كل أَمر رَاجع إِلَيْهِ ، فَهُوَ **البديع الْمُطلق** وَإِن كَانَ شَيْء من ذَلِك معهودا فَلَيْسَ ببديع مُطلق وَلَا يَلِيق هَذَا الِاسْم مُطلقًا إِلَّا بِاللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وقال الإمام البيضاوي رحمه الله : البديع : فيه وجهان:

الأول : أنه لا مثل له، يقال هذا شيء بديع إذا كان عديم المثل، والحق سبحانه أولى جميع الموجودات بهذا الاسم، فإنه تعالى منزه عن المثل في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله.

الثاني : أن البديع بمعنى المبدع، الذي فطر الخلق على غير مثال سبق. وقال بعض العلماء البديع هو الذي أظهر عجائب صفاته، وأبدى غرائب حكمته.كما قال سبحانه-: **(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [البقرة: 117] أي خالقها ومبدعها, فهو -سبحانه- الخالق المخترع لا عن مثال سابق.

تعلمت من اسمه تعالى البديع : ما يأتي :

1/ أن أتبع ولا أبتدع في أمور الدين، كما قال بعض أهل العلم : على كل ذي عقل سليم أن يَحذَر من البدع ومحبتها والعمل لإظهارها وتشجيع أصحابها، وألا يَستحسِن ما ليس بالحسن؛ ﴿ **أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا** ﴾ [فاطر: 8]،

فهناك للبدع شيطانان: شيطان إنس وشيطان جن يُزيِّنانها ويُحسِّنانها، فالعاقل يَحذر ذلك.

أما شيطان الجن فقد قال الله عنه : ﴿ **فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النحل: 63] .**وأما شيطان الإنس** فقد قال الله عنه : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ [الأنعام: 112].

2/ أن أبدع في كل عمل دنيوي أقوم به ما دام في ذلك نفع للمسلمين وذلك لأن الابتداع في أمور الدنيا فالمجال فيها متسع فلا تدخل في النصوص المحذرة من البدعة.

3/ أن أعين المبدعين[238] - من أبناء المسلمين - وأن أقف بجانبهم وأن أشجعهم ما دامنا نرجو منهم أن يخترعوا شيئا فيه نفع للبشرية وذلك للوصول إلى منافسة أمم الدنيا التي تاهت وتجبرت على الأمة الإسلامية بسبب ما وصولوا إليه من تطور ورقي في مختلف مجالات الحياة .

كما تعلمت منه [239] : ما يأتي :

قال الغزالي: كل عبد اخْتُصَّ بخاصية فِي النُّبُوَّة أَو الْوِلَايَة أَو الْعلم لم يعْهَد مثلهَا إِمَّا فِي سَائِر الْأَوْقَات وَإِمَّا فِي عصره فَهُوَ بديع بِالْإِضَافَة إِلَى مَا هُوَ مُنْفَرد بِهِ وَفِي الْوَقْت الَّذِي هُوَ مُنْفَرد فِيهِ.

قال النابلسي : إن من تكريم اللّه لهذا الإنسان أنْ مكَّنهُ مِن أنْ يُبدع، وهذا في الصناعة والتفكير والعلوم التجريبية،وورد في الحديث: (**إن الله كتب الإحسان على كل شئ**) رواه مسلم.

238/ قال أحد المختصين : إن على الوالدين أن يلاحظا طفلهما فيما يخص الأمور التي تقع ضمن واحدة أو أكثر من الزمر الست التالية:

1/إذا كان الطفل حساساً بمحيطه فإن الوالدين سيجدانه يربط أفكاره بما تمكن رؤيته أو لمسه أو سمعه ويظهر اهتماماً بالوجوه الجمالية لما خبره ومواضع النكتة فيها. إضافة إلى إحساسه بالعلاقات ذات المعنى.

2/ وإذا كان لدى الطفل روح المبادرة فقد يجده الوالدان قائداً لزملائه في اللعب أو في أداء الأعمال اليدوية الخفيفة أو مجدداً ومغيراً في الإدارة والتنظيم عندما يصل إلى المرحلة الجامعة .

3/ وإذا كان ذا شخصية قوية فإنه سيبدي الثقة بالذات والقدرة على التقويم واستسهال أداء الأعمال، والرغبة في المخاطرة، والتوق إلى التفوق، والقدرة على التنظيم.

4/ وإذا كان الطفل يتمتع بالعقلانية فإنه سيظهر فضولاً عقلياً وسروراً بالتصدي للمهمات الصعبة، وخيالاً خصباً، وتفضيلاً للمغامرة، وحباً لإعادة بناء الأشياء والأفكار، وكرهاً للقيام بالأعمال وفق رتابة محددة.

5/ وإذا أظهر الطفل ملامح فردية فإن مما يلاحظ لديه أنه يفضل العمل منفرداً على العمل مع الجماعة، وقد تلاحظ فيه بعض الأطوار الغريبة والميل إلى نقد الآخرين، كذلك الميل إلى العمل مدداً طويلة من دون كلل أو ملل.

6/ وإذا كان لديه الروح الفنية فإنه سيبدو ميولاً إلى الإنتاج ولاسيما الصور والرسوم والنماذج وكتابة الشعر والقصص والروايات وغير ذلك. إن ملاحظة هذه الصفات تعطي الوالدين إشارات إلى أن طفلهما مبدع، وإلى نوع الإبداع الذي سينجح فيه. وحينئذ سيجدانه بحاجة إلى مزيد من العناية، وتعهد مواهبه، وإتاحة الفرص له في البيت والمدرسة والنوادي والمنظمات وسواها. ثم إن من المناسب أن يكافأ على إبداعاته ويشجع بالقول والفعل. إن معرفة الوالدين طفلهما ومواهبه ستساعدهما بالتأكيد على تقرير ما يجب فعله من أجله. وليس من الصعب تقديم المساعدة التي قد توثق الصلة بين الوالدين وأولادهما.

239/ المقصد الأسنى – للغزالي وموسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي – بتصرف .

والإتقان من أبرز صور الإبداع وتاريخ المسلمين زاخر بالمبدعين في كل المجالات في الطب والرياضيات والعلوم والكيمياء وسائر العلوم وفي القيادة والتفكير الإنساني, وفي علوم الشريعة كان هناك الأئمة والأفذاذ والعلماء الكبار الذين كانوا في غاية الإبداع والإتقان في مجالاتهم, والواجب على المسلمين حتى يتخلصوا من حالة التخلف الحضاري التي أوقعتهم فريسة سهلة لأعدائهم وأن يبذلوا أقصى ما عندهم من جهد, ويخرجوا كل طاقاتهم الإبداعية؛ لتحقيق نهضة الأمة وإخراجها من كبوتها العارضة.

وقد وقع تحت يَديّ كتابٌ موسوعيّ عن الطيور، وفي مقدمة الكتاب يقول المؤلف: إنّ أرقى طائرة صُنِعت حتى اليوم ؛ لا ترقى إلى مستوى الطائر، فالطائرة تقليد للطائر. والغواصة تقليد للسمكة. وأيُّ شيء صنعه الإنسان لو دققت فيه لرأيته قد قلّد به شيئاً مما في الطبيعة من إبداع الله تعالى، لكنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الكون على غير مثال سابق ؛ فمَن قال إنَّ الأرض ينبغي أن تكون كُرة ؟ ومن قال إنَّ الأرض ينبغي أن تدور حول نفسها، وأن تدور حول الشمس؟ ومن خلق الضوء ؟ من جعل الشمس منبعاً حرارياً وضوئياً ؟ من أعطى الماء صفاته وخصائصه ؟

تأمل في هذا الكون بدقائقه، والأرض بما عليها، يعني مثلاً: على مرأى من الخلق كلهم، أوراقُ الأشجار؛ فهل تعتقد أنه في الإمكان أن ترسم لنا ورقةً ليس لها أصل في الكون؟ أوراق كبيرة وصغيرة، مسننة وملساء وخشنة، انسيابية ومخططة، ذات لون داكن ولون فاقع وألوان متداخلة لو أردت أن ترسم أنواع الأوراق التي خلقها الله عزٌ وجل، بل إنّ أوراق أيَّةِ شجرة واحدة هل تتشابه ؟ كما قال أحد العرفين : "يارب لو تشابهت ورقتا زيتون لما سُمّيتَ الواسع" . وسيأتي مزيد بيان لهذا المعنى في اسمه تعالى الواسع .

ومن مظاهر اسم الله المبدع أننا لو كلَّفنا رسَّاما أن يرسم وجهاً يرسم وجه اثنين.. ثلاثة مختلفة عن بعضها، وبعد ذلك ينضب الإبداع من ذهنه وتأتي رسوماته متشابهة، ومهندسو السيارات يصممون أشكال السيارات، مرة خطوط منحنية، مرةً خطوط متعامدة، مرةً خطوط انسيابية، وبعد حين يعودون إلى الشكل السابق فإبداعهم ينضب. أما الله سبحانه وتعالى بديع السماوات والأرض فهو واسع حكيم .

25- في رحاب اسمه تعالى

الواسع

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الواسع : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : الواسع : مُشْتَقّ من السعَة وَالسعَة تُضَاف مرّة إِلَى الْعلم إِذا اتَّسع وأحاط بالمعلومات الْكَثِيرَة ، وتضاف أُخْرَى إِلَى الْإِحْسَان وَبسط النعم وَكَيف مَا قدر وعَلى أَي شَيْء نزل فالواسع الْمُطلق هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لِأَنَّهُ إِن نُظر إِلَى علمه فَلَا سَاحل لبحر معلوماته بل تنفد الْبحار لَو كَانَت مدادا لكلماته .

وَإِن نُظر إِلَى إحسانه ونعمه فَلَا نِهَايَة لمقدوراته وكل سَعَة وَإِن عظمت فتنتهي إِلَى طرف وَالَّذِي لَا يَنْتَهِي إِلَى طرف فَهُوَ أَحَق باسم السعَة وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْوَاسِع الْمُطلق لِأَن كل وَاسع بِالْإِضَافَة إِلَى مَا هُوَ أوسع مِنْهُ ضيق وكل سَعَة تَنْتَهِي إِلَى طرف فَالزِّيَادَة عَلَيْهِ متصورة وَمَا لَا نِهَايَة لَهُ وَلَا طرف فَلَا يتَصَوَّر عَلَيْهِ زِيَادَة .

وقال الخطابي رحمه الله : الواسع: هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه، والسعة في كلام العرب: الغنى. ويقال: الله يعطي عن سعة أي عن غنى .

وقال السعدي رحمه الله : الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم .

وقيل : الواسع : هو الذي لا نهاية لبرهانه، ولا نهاية لسلطانه، واسع في علمه فلا يجهل، واسع بقدرته فلا يعجل.

تعلمت من اسمه تعالى الواسع : ما يأتي :

- أنَّ علمه تعالى وسع كل شيء ورحمته وسعت كل شيء وهو واسع المغفرة كما قال تعالى إخبارا عن الملائكة الكرام **(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**

وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) غافر (7). قال ابن كثير أي : إن رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم ، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم .

- أنْ أسع الناس بحسن خُلقي إن لم أسعهم بمالي فلأسعهم بالعفو والصفح والحلم وحسن الخلق كما قال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ)**.رواه البزار وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب" (2661).

وعن عبد الله بن عمرو عن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : **(إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا)** متفق عليه .

قال النووي رحمه الله : فِيهِ الْحَثّ عَلَى حُسْن الْخُلُق ، وَبَيَان فَضِيلَة صَاحِبه ، وَهُوَ صِفَة أَنْبِيَاء اللَّه تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ ، قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ : حَقِيقَة حُسْن الْخُلُق بَذْل الْمَعْرُوف , وَكَفّ الْأَذَى , وَطَلَاقَة الْوَجْه.

وقَالَ الْقَاضِي عِيَاض رحمه الله : هُوَ مُخَالَطَة النَّاس بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْر ، وَالتَّوَدُّد لَهُمْ ، وَالْإِشْفَاق عَلَيْهِمْ , وَاحْتِمَالهمْ ، وَالْحِلْم عَنْهُمْ , وَالصَّبْر عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَاره ، وَتَرْك الْكِبْر وَالِاسْتِطَالَة عَلَيْهِمْ ، وَمُجَانَبَة الْغِلَظ وَالْغَضَب ، وَالْمُؤَاخَذَة " انتهى [240].

كما تعلمت من اسمه تعالى الواسع : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : حظ العبد سَعَة العَبْد فِي معارفه وأخلاقه فَإِن كثرت علومه فَهُوَ وَاسع بِقدر سَعَة علمه وَإِن اتسعت أخلاقه حَتَّى لم يضيقها خوف الْفقر وغيظ الْحَسَد وَغَلَبَة الْحِرْص وَسَائِر الصِّفَات فَهُوَ وَاسع وكل ذَلِك فَهُوَ إِلَى نِهَايَة وَإِنَّمَا الْوَاسِع الْحق هُوَ الله تَعَالَى .

قال النابلسي : يقول بعض العارفين بالله: **"والله يا رب لو تشابهت ورقتا زيتون لما سميت الواسع"** يوجد بالأرض ستة آلاف مليون إنسان لا يوجد إنسان يشبه الآخر، الإنسان فرد، وقد منح الله جلّ جلاله الإنسان أحد صفاته وهي الفردية لأن الإنسان كريم عليه، لكرامة الإنسان

240/ نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب .

عند الله، فالإنسان فرد في شكل وجهه، وفي قوامه، و في نمط حركته، فرد في قزحية عينه، لا يوجد قزحية عين في الأرض تشبه قزحية عين الآخر، حتى إن بعض البلدان الآن تأخذ صورة قزحية العين وتضعها على الجواز، ولا يمكن لهذا الجواز أن يزور، بل إن بعض الأقفال التي صنعت لا تفتح إلا على قزحية العين، ومعنى ذلك أن هذا القفل لا يفتح إلا من خلال صاحبه، فقزحية العين هوية للإنسان.

أصبح مما هو معلوم أن رائحة جلد الإنسان هوية له، لا يوجد إنسان له رائحة جلد تشبه رائحة جلد إنسان آخر و على هذا الأساس يبنى عمل الكلاب البوليسية، ولولا أن الإنسان يتميز برائحة خاصة لما استطعنا أن نستخدم الكلاب البوليسية التي تملك من حاسة الشم مليون ضعف عن حاسة شم الإنسان.

ونبرة الصوت هوية لك، لا يوجد إنسان في الأرض تشبه نبرة صوته نبرة صوتك وهذا نستخدمه في الهاتف، فلان تعرفه من نبرة صوته.

الآن صار الإنسان فردا حتى في بلازما الدم، الزمرة النسيجية غير الزمرة الدموية، لكل إنسان زمرته النسيجية، هذا من تكريم الله للإنسان جعله فرداً، في كل ما سبقت الإشارة إليه .

26- في رحاب اسمه تعالى

الرفيق

عرفت أن معنى اسمه تعالى الرفيق [241]: ما يأتي :

قال الخطابي رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ) معناه: ليس بعَجول، وإنما يعجل من يخاف الفوت، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه، فليس يعجل فيها .

وقال القرطبي رحمه الله : الرفيق: أي الكثير الرفق، وهو اللين والتسهيل، وضده العنف والتشديد والتصعيب.

وقال ابن القيم رحمه الله في النونية:

وهْوَ الرَّفِيقُ يُحبُّ أهلَ الرِّفْقِ   بَلْ   يُعطيهمُ بالرِّفقِ فَوْق أمَانِي

تعلمت من اسم الله الرفيق :

أولاً : كان النبي صلى الله عليه وسلم متصفا بالرفق ولنا في الأسوة الحسنة ، ومن مواقف رفقه[242] :

241/ لم يرد اسم الله الرفيق في القرآن الكريم، ولكن ورد في السنة النبوية، منها:عن عائشة بنت أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**) رواه وفي رواية آخرى: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ».رواه البخاري مسلم .وممن أثبته القرطبي والخطابي وابن القيم وابن عثيمين .

242/ مأخوذ من مقال بعنوان : فقه اسم الله الرفيق (3) - للدكتور محمد ويلالي – الألوكة الشرعية .

1/ رفقه صلى الله عليه وسلم في تعليم الجاهل بأمور الدين، بكل حلم ولطف. لا عنف، ولا شدة، ولا غلظة. فعن معاوية بن الحكم السلمي قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ. فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا - قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ - أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ. فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي (نهرني)، وَلاَ ضَرَبَنِي، وَلاَ شَتَمَنِي، قَالَ: (**إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**) رواه مسلم.

قَال النوويُّ - رحمه الله -: "فِيهِ مَا كانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ عَظِيم الخُلُقِ، الَّذِي شهِدَ اللهُ تَعَالى لَهُ بِه، وَرفْقِه بالجاهِل، ورأفَتِه وشفقَتِه عَلَيْه.. وحُسْنِ تَعلِيمِه، واللُّطْفِ بِهِ، وَتقْرِيبِ الصَّوابِ إِلَى فَهْمِه".

2/ رفقه صلى الله عليه وسلم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ. فقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "لاَ تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ". فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: (**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله . عَزَّ وَجَلَّ .. وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ". ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَصُبَّ عَلَيْهِ، وقال: "إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**) متفق عليه.

وكان قبل ذلك قد صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الأعرابي وهو في الصلاة: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " **لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**" رواه البخاري.

ومن أعظم صور الرفق في النهي عن المنكر، قصة ذلك الفتى الشاب، الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ له الرسول صلى الله عليه وسلم: "ادْنُهْ". فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً فَجَلَسَ. قَالَ له صلى الله عليه وسلم: "أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟". قَالَ: لاَ وَالله، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ**". قَالَ:

"**أَفَتُحِبُّهُ لاِبْنَتِكَ**؟". قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟". قَالَ: لاَ وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: **وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ**". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ**؟". قَالَ: لاَ وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ**؟". قَالَ: لاَ وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ**". فَوَضَعَ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: **(اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ. فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)** رواه أحمد بإسناد صحيح .

فانظر إلى مدخل الرفق كيف جعل الشاب يقر بخطئه، ويعدل عن الانسياق وراء شهوته. بل طهرت نفسه، وانشرح صدره، وحسن حاله.

3/ **رفقه صلى الله عليه وسلم في تخفيف وطأة الموت**، وفتح باب الرجاء والتفاؤل للميت، وأن الله يعفو بالعمل اليسير. قال صلى الله عليه وسلم: (**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الأَدْنَيْنَ أَنَّهُمْ لا يعلمُونَ إلا خيرًا، إلاَّ قَالَ الله: قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيهِ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**)[243] .

وعن أبي الأسود قال: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ، وَهُمْ يَمُوتُونَ مَوْتًا ذَرِيعًا، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه، فَمَرَّتْ جِنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ خَيْراً، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ. ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى، فَأُثْنِيَ خَيْرًا، فَقَالَ: وَجَبَتْ. ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثْنِيَ شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ. فَقُلْتُ: مَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "**أَيُّمَا مُسْلِمٍ، شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**". قُلْنَا: وَثَلاَثَةٌ؟ قَالَ: "**وَثَلاَثَةٌ**". قُلْتُ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: "**وَاثْنَانِ**". ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ" رواه البخاري.

فكيف لا يفرح المسلم بهذا الدين العظيم، وثوبُ الرفق يلفه من كل جانب، حتى وهو في إدبار من الدنيا، وإقبال على الآخرة؟

243/ أخرجه أحمد "242/2"، والحاكم "378/1" من طريق مؤمل بن إسماعيل، بهذا الإسناد، وصحَّحه الحاكم على شرطِ مُسلمٍ، ووافقه الذهبي!. وقال الهيثمي في المجمع (4/3) وهوفي صحيح الترغيب والترهيب .

4/ **رفقه صلى الله عليه وسلم في تنزيل الأحكام والتشريعات بما يناسب المخاطب. فقد جاءه رجل فقال: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: "وَمَا أَهْلَكَكَ؟". قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ: "هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟". قَالَ: لاَ. قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟". قَالَ: لاَ. قَالَ: "فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟". قَالَ: لاَ. ثُمَّ جَلَسَ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ فَقَالَ: "تَصَدَّقْ بِهَذَا". قَالَ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: "اذْهَبْ، فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"** متفق عليه.

وفي ذلك إرشاد للمفتي أن يكون رفيقا بالسائلين، وأن يرغبهم في دين الله بسلوك منهج التيسير، بما لا يتعارض مع مقاصد الشريعة.

ماذا نقولُ عن الحبيبِ المصطفى فمحمدٌ للعالمينَ إمـامُ

ماذا نقولُ عن الحبيبِ المجتبى في وصفهِ تتكسَّرُ الأقلامُ

5/ **رفقه صلى الله عليه وسلم بالسائل الذي يطلب حقه:** قال أنس رضي الله عنه: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النبي صلى الله عليه وسلم، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ" البخاري. وصدق الله القائل: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**) آل عمران (159).

وإذا عفوتَ فقادرا ومقدَّرًا لا يستهين بعفوك الجهلاء

6/ **رفقه صلى الله عليه وسلم بالمسلم في عبادته،** بأن لا يكلف نفسه ما لا تطيق. فقد "**دَخَلَ النبي صلى الله عليه وسلم الْمَسْجِدَ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟". قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي، فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ. فَقَالَ: "حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**" متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "يَا عَبْدَ الله، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟". فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: "**فَلاَ تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ (الزائر) عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**". فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً. قَالَ: "**فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ الله دَاوُدَ . عَلَيْهِ السَّلاَمُ . وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ**". قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ الله دَاوُدَ . عَلَيْهِ السَّلاَمُ .؟ قَالَ: "**نِصْفَ الدَّهْرِ**". فَكَانَ عَبْدُ الله يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم " متفق عليه.

ورافق الرفق في كل الأمور فلم ... يندم رفيق ولم يَذمُمْه إنسان

ولا يغرنْك حظ جَرَّهُ خُرُق ... فالخُرْق هدم ورفق المرء بنيان

ثانياً : عدم الاستعجال في الحكم على الناس[244] :

1/ **فمنا من يستعجل في الحكم على الناس، فيسرع برميهم بالألقاب الجائرة**، والأوصاف الذميمة، التي قد ترتقي إلى التكفير، أو التبديع، أو التلقيب ب"عدو الله"، وما شابه ذلك. قال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ الله وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ (أي: رجعت الدعوة عليه)" مسلم. ونبه كتاب الله إلى أن هذا من العجلة المذمومة فقال – تعالى -: ﴿ **وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولًا** ﴾.

2/ **ومنا من يستعجل بالدعاء - عند الغضب - على الأهل، والمال، والولد**، حتى إذا أصيب في شيء من ذلك، ندم ساعة لا ينفع الندم. قال صلى الله عليه وسلم: "**لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنْ الله سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**" مسلم.

244/ مأخوذ من مقال بعنوان : فقه اسم الله الرفيق (2) للدكتور محمد ويلالي – موقع الألوكة الشرعية .

ولعل كثيرًا مما نرى من المصائب، والأمراض، وفساد الأولاد، يكون بسبب الدعاء عليهم، والآباء لا يشعرون بذلك. وإذا سلموا من الإصابة فبفضل من الله ورحمة. قال - تعالى -: ﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**﴾.

3/ **ومنا من يستعجل إجابة الدعاء، ويغضب إن لم يستجب له**، ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول: "**يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي**" متفق عليه.

ومنا من يستعجل الرزق، فإذا تأخر عنه، غضب وجزع، وربما طلبه بمعصية الله، واحتال له من طرق غير مشروعة. قال صلى الله عليه وسلم: "**وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي الله، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُدرَكُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ**" صحيح الجامع.

4/ **ومنا من يستعجل في النطق بالطلاق بعد خصام قد يكون لأمور صغيرة**، كان من الممكن أن تعالج بشيء من الصبر، والتعامل بقليل من الرفق. وقد سبق معنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إِذَا أَرَادَ اللهُ . عَزَّ وَجَلَّ . بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ**" صحيح الجامع. حتى إذا افترق الزوجان، وخرب البيت، وتشتت الأسرة، وتجرع الأبناء ويلات البعد من دفء الأبوين، ناح كل طرف باللائمة على نفسه، وعاد بالخسارة على تعجله وتسرعه، ووقع من الهم والغم ما الله به عليم. ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾.

وزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنَّما   يُبدي العقولَ أو العيوبَ المنطقُ

لو سار ألفُ مدجَّجٍ في حاجةٍ   لم يقضِها إلا الذي يترفَّقُ

5/ **ومن مظاهر الإعراض عن الرفق المتسبب في العجلة، الاستهانة بالاطمئنان الواجب في الصلاة**، وعدم إتمام الركوع والسجود. وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: "**أَمَرَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِثَلاَثٍ، وَنَهَانِي عَنْ ثَلاَثٍ. أَمَرَنِي بِرَكْعَتَي الضُّحَى كُلَّ يَوْمٍ، وَالْوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ، وَصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ**" صحيح الترغيب.

وقال للمسيء صلاته المستعجل: "**ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**" ثلاث مرات، حتى إذا لم يحسن الاطمئنان والتأني، قال له صلى الله عليه وسلم: "**إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، وَاقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ وَتَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا**" متفق عليه.

6/ **ومنها العجلة في سياقة السيارات والدراجات، وما تستتبعه من حوادث مروعة**، تكون سببا في إزهاق الأرواح، والإصابة بالأمراض الخطيرة، والعاهات المزمنة المستديمة.

خذِ الأمورَ برفقٍ واتئدْ أبدًا   إياك مِن عجلٍ يدعو إلى وصبِ

الرفقُ أحسنُ ما تُؤتَى الأمورُ به   يصيبُ ذو الرفقِ أو ينجو مِن العطبِ

27- في رحاب اسمه تعالى

المستعان

عرفت أن معنى اسمه تعالى المستعان : ما يأتي :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [245] : **المستعان** : هو الذي يستعان به على حصول المطلوب ودفع المكروه .

قال العلماء : الاستعانة : هي طلب العون من الله على فعل مصالح الدنيا ونيل درجات الآخرة.

تعلمت من اسمه تعالى المستعان [246] : ما يأتي :

أولاً : على المؤمن أن يبرأ من حوله وقوته إلا أن يكون بالله، فإنه لا تحول له عن المعصية إلا بتوفيق الله، ولا قوة له على الطاعة إلا بمعونة الله. وأعظم ما يطلب فيه المسلم المعونة من الله هو: المعونة على ذكر الله وعبادته كما ورد حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: **(اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)** رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم ، وكما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **(إذا سألت؛ فاسأل الله، وإذا استعنت؛ فاستعن بالله).** رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح .

ثانياً : طلب العون من الله أمرٌ لا ينفكُّ عن حال المسلم، ولا يجوز لمسلم أن ينفك عنه بحال من الأحوال.ونحن في كلِّ ركعة من صلاة الفريضة أو النافلة نقول: إياك نعبد وإياك نستعين، قال ابن القيم - رحمه الله -: "﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ المتضمِّن معنى: لا نعبدُ إلا إيَّاك؛ حبًّا وخوفًا، ورجاءً وطاعةً وتعظيمًا؛ فـ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ تحقيقٌ لهذا التوحيد، وإبطال للشرك في الإلهية، كما أن ﴿**إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ تحقيقٌ لتوحيد الربوبية وإبطال للشرك به فيها"[247] .

245/ طريق الهجرتين - ص (56) .

246/ ملخص من مقال : تحقيق القول في مقام ومقال كلمة "الله المستعان - لعبدالقادر محمد المهدي أبو سنيج – الألوكة الأدبية واللغوية .

247/ مدارج السالكين (1/ 86) – نقلا عن المقال السابق .

وقال في موضع آخر: "وسر الخلق والأمر، والكتب والشرائع، والثواب والعقاب، انتهى إلى هاتين الكلمتين، وعليهما مدارُ العبودية والتوحيد، حتى قيل: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، جَمَع معانيها في التوراة، والإنجيل، والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصَّل، وجمع معاني المفصَّل في الفاتحة، ومعاني الفاتحة في ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾، وهما الكلمتان المقسومتانِ بين الربِّ وبين عبده نصفينِ؛ فنصفهما له - تعالى - وهو ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾، ونصفهما لعبده وهو ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ 248".

ثالثاً : كلمة (الله المستعان) في القرآن: ﴿ **وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف: 18]. وجاء عن الحسن، قال: لما جاء إخوةُ يوسفَ بقميصه إلى أبيهم، قال: جعل يقلِّبه فيقول: ما عهدتُ الذئب حليمًا؟ - أي عاقلا - أكل ابني، وأبقى على قميصِه. وقوله ﴿ **وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ يقول: واللهَ أستعينُ على كفايتي شرَّ ما تصفون من الكذب.

وقال البيضاوي رحمه الله تعالى : " ﴿ **وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ على احتمال ما تصفونه من إهلاك يوسف " .

وقال السعدي رحمه الله تعالى:"﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾؛ أي: أما أنا فوظيفتي سأحرص على القيام بها، وهي أني أصبر على هذه المحنة صبرًا جميلاً، سالمًا من السخط والتَّشكِّي إلى الخلق، وأستعينُ اللهَ على ذلك، لا على حَولي وقوّتي، فوعد من نفسه هذا الأمر، وشكا إلى خالقه، في قوله: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾ [يوسف: 86]؛ لأن الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الجميل، لأن النبي إذا وعد وفَّى".

رابعاً : **كلمة (الله المستعان) في السنة:** وردتْ كلمة (الله المستعان) في السنة في حديثين وفي بعض الآثار - حسب اطلاعي - وهي كما يلي:

248/ مدارج السالكين - (1/ 95) .

1- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: "كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائطٍ من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (**افتحْ له وبشِّره بالجنة**)، ففتحتُ له، فإذا هو أبو بكر، فبشَّرتُه بما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فحَمِد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (**افتحْ له وبشِّره بالجنة**)، ففتحتُ له، فإذا هو عمرُ، فأخبرته بما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فحَمِد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: (**افتحْ له، وبشِّره بالجنة على بلوى تُصِيبه**)، فإذا عثمانُ، فأخبرته بما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحَمِد الله، ثم قال: **الله المستعان**"؛ متفق عليه.

2- ورد عن أبي سليمان الداراني أنه قال : قد أكرمهم، وأذلَّهم من قبلِ أن يَخلُقَهم، وأسكنهم الجنة والنارَ من قبل أن يوفِّقهم لطاعته، ويبتلِيَهم بمعصيتِه؛ عدلاً منه وتفضلاً على أوليائه؛ فسبحانه من كريمٍ ما أكرمه! والعجبُ لِمَن وجده كيف تركه! والعجب لمن لم يجده كيف لا يطلبه؟ ثم قال: إن السَّحاب يَجْرِي بالرياح، وإن العباد إنما يَحزَنون بالتوفيق، وإن التوفيقَ على قدر القربة، والله المستعان" [249].

3- قال أحمد بن حنبل : الذي أرى إذا جاوزَ الختانُ الختانَ؛ فقد وجب الغسل، قيل له: قد كنت تقول غير هذا، فقال: ما أَعْلمُنِي قلتُ غير هذا قط، قيل له: قد بلغنا ذلك عنك، قال: الله المُستعان"[250] .

خامساً : ينبغي على المسلم أن يعين إخوانه في كل ما يطلبون فيه العون فيما يقدر عليه ، لما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إلَّا نَزَلَتْ**

249/ شعب الإيمان - (516/1).

250/ منهج الإمام أحمد في إعلال الأحاديث - (927/2).

عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبَطْأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وجاء في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: " **والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**"[251]
إن المجتمع لن يكون سوياً قوياً، ولن يكون قوياً متماسكاً إلا إذا قام على أساس من التعاون والتضامن والتكافل فيما بين أفراده، فسعى كل منهم في حاجة غيره، بنفسه وماله وجاهه، حتى يشعر الجميع أنهم كالجسد الواحد، وهذا ما دعا إليه الإسلام وأمر به القرآن، وجعلته السنة المطهرة عنواناً لمجتمع الإيمان، قال- تعالى-:{**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**} سورة المائدة: من الآية: 2.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**) متفق عليه.

ولما كان التعاون له أثر في بناء المجتمعات، وحياة الأمم والأفراد كان من أفضل الأعمال عند الله عز وجل، وكان عبادة لها من الأجر والثواب مثل ما للصلاة والصيام والصدقة ونحو ذلك أو يزيد،قال-عليه الصلاة والسلام-: (**وتعين الرجل في دابته:فتحمله عليها،أو ترفع له عليها متاعة صدقة**) متفق عليه .

وعن أنس رضي الله عنه قال:"كنا مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في سفر،فصام بعض وأفطر بعض، فتحزم المفطرون وعملوا" وفي رواية:" فضربوا الأبنية وسقوا الركاب ، وضعف الصوام عن بعض العمل، فقال في ذلك : "**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**" رواه مسلم، أي جاوزه واستصحبوه ومضوا به، ولم يتركوا لغيرهم شيئاً منه، وهذا على المبالغة، والمراد: أن لهم من الأجر مثل ما للصوام أو أكثر؛ لأنهم بعملهم أعانوا الصوام على صومهم.

لاشك أن أعظم ثمرة يجنيها المسلم من إعانته لأخيه هي ذاك العون والمدد من الله- تبارك وتعالى-**:" والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"** وكيف لا؟ ولا حول للإنسان ولا قوة إلا بالله عزوجل، وهو سبحانه المتصرف في هذا الكون،وهو المعطي والمانع، بيده قلوب العباد يقلبها كيف يشاء، فيلهم الناس ليسارعوا إلى معونة من يبذل العون لغيره، ويسعوا في خدمته، وقضاء حوائجه، والاهتمام بشؤونه، والفضل منه وإليه سبحانه، ولكن سخر الناس بعضهم لبعض.

251/ مقال جوامع الخير – موقع إمام المسجد .

28- في رحاب اسمه تعالى

الرشيد

عرفت أن معنى الرشيد [252] : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي تنساق تدبيراته إِلَى غاياتها على سنَن السداد من غير إِشَارَة مشير وتسديد مُسَدّد وإرشاد مرشد وَهُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقال الرازي رحمه الله : معنى الرشيد : على وجهين :

أولهما : أن الراشد الذى له الرشد ويرجع حاصله إلى أنه حكيم ليس فى أفعاله هبث ولا باطل.
وثانيهما : إرشاد الله يرجع إلى هدايته، والله سبحانه الرشيد المتصف بكمال الكمال عظيم الحكمة بالغ الرشاد وهو الذى يرشد الخلق ويهديهم إلى هدايته .

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

وهو الرشيد فقوله وفعاله رشد وربك ومرشد

وكلاهما حق فهذا وصفه والفعل للإرشاد ذاك الثاني

وقيل : الرشيد : هو المتَّصف بكمال الكمال، عظيم الحكمة، بالغ الرشاد الذي تتجه تدبيراته إلى غاية الصواب والسداد، والذي يرشد الخلق ويهديهم إلى فيه صلاحُهم، الرشيد يوجِّهم بحكمته إلى ما فيه خيرهم ورشادهم في الدنيا والآخرة .

وقيل : الرشيد : هو الذي أسعد من شاء، وأرشد الأولياء إليه لا يوجد سهوٌ في تدبيره ولا في تقديره، وهو الموصوف بالعدل، والمتجلِّي بالفضل .

وقيل : الرشيد : هو الذي يُلهم أهل الرُشد إلى طاعته، والذي أرشد الخلائق إلى هدايته، ذو الحبل الشديد والأمر الرشيد.

252/ اسم الله الرشيد ورد في حديث الوليد بن مسلم في الترمذي وأثبته ابن القيم وابن منده والغزالي وابن العربي والبيهقي وفي القرآن الكريم (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) الكهف (10) .

تعلمت من اسمه تعالى الرشيد :

1/ قال الغزالي رحمه الله : ورشد كل عبد بِقدر هدايته فِي تدابيره إِلَى مَا يشاكل الصَّوَاب من مقاصده وَدينه ودنياه .

2/ أن أتبع سبيل الرشد في حياتي : عملا بقوله تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) الحجرات (7) .

قال السعدي رحمه الله تعالى : (هُمُ الرَّاشِدُونَ) أي: الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم.

كما تعلمت منه[253] : ما يأتي :

1/ **الرشد أن تسير في أمورك كلها مستقيماً دون أن تحيد يمنةً ولا يسرة،** وأن تصل إلى هدفك بأقلِّ جهدٍ وأقصر وقتٍ،والراشد هو الذي له الرشد، أي يتمتَّع برؤية صحيحة.. بالمناسبة فلسفة الرشد.. الإنسان متى يكون رشيداً ؟ إذا كان مبصراً، فأي إنسان لا على التعيين أعطه مصباحاً وضَّاءً وقل له: سر في غابةٍ ليلاً، فما دام معه مصباح وضَّاء فسيرى كل شيء أمامه، هل يعقل أن يقع في حفرةً بل يحيد عنها، ولا يعقل أن يدوس على أفعى تلدغه بل يبتعد عنها، انطلاقا من حبِّه لذاته يسلم، فقضيَّة الرشد أساسها الرؤيا..بالمناسبة.. النبيُّ عليه الصلاة والسلام قال: **(وَالصَّلاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)**صحيح مسلم .

أنت حينما تتصل بالله تطهر نفسك من كلُّ أدرانها.. فالمصلي لا يحقد ولا يتكبر ولا يبخل ولا يظلم.. لأنَّ مكارم الأخلاق مخزونةٌ عند الله تعالى فإذا أحبَّ الله عبداً منحه خُلُقاً حسناً.فأنت أخلاقيٌّ بقدر اتصالك بالله.ومؤمن لأن رؤيتك صحيحة وقد ألقى الله في قلبك نوراً فرأيت الحق حقاً فسلكت طريق الحق فأصبحت رشيداً.

253/ موسوعة شرح الأسماء الحسنى – للنابلسي .

2/ إذا ركب أحد مركبته متوجهاً إلى بلدة ولم يخطيء إطلاقاً فهذا دليل على قراءته للعلامات وللوحات الإرشادية الموضوعة على جوانب الطريق وهو قد قرأها واستوعبها وسار وفق توجيهاتها، فوصل إلى البلد المقصود في أقرب وقت وفي أيسر حال، إذا هو رشيد.

ولو أننا نقرأ بعض الآيات فنقف عندها وقفة متأنّية لرأينا العجب العجاب، قال تعالى:**(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)** سورة البقرة (269)

هنا الرشد يُلتقى مع الحكمة، الرشد والحكمة يقتربان من بعضهما بعضاً، أساسهما رؤيةٌ صحيحة، أساس هذه الرؤية اتصال بالله، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ سورة البقرة (269)

قال النابلسي : تذكرت مزاراعاً ينمي محصوله بالبيوت المحمية والتي إنتاجها غالٍ جداً يبلغ خمسمائة ألفاً تقريباً، فلا بدَّ من أن يشتري سماداً لتسميدها، وإنطلاقاً من رغبةٍ أن يكون النماء شديداً ضاعف السماد، أصبح في اليوم التالي كل النبات أسود اللون.. هو أراد أن يربح، وأراد أن يكثر رزقه فمحق رزقه لأنَّه جاهل، هل كان رشيداً ؟ أبداً.. ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

العلماء قالوا: " إنَّك بالحكمة تصلح الزوجة الفاسدة، وبالحُمق تفسد الصالحة "، أنت بالحكمة تكسب المال، وبالحمق تبدِّده، أنت بالحكمة ينمو جسمك وتنمو مداركك، وتعيش سعيداً، وبالحمق تدمِّرُ ذاتك، فالحكمة هي الرشد.

أحياناً يقول لك أحد الأشخاص: والله اتخذّت قراراً هو أكثر قراراتي حكمة، هذا القرار المصيري قد تُبنى عليه سعادة أبديَّة.

3/ مرشد صفة فعل لله عزَّ وجلَّ في حقيقة الأمر رشيد بمعنى فعيل، ومفِعل، أي راشد ومرشد.ابنك الصغير ذو إدراك محدود يقترب من المدفأة، وسيحترق وأنت أب قلبك مليء بالرحمة لن تبتسم وتبقى مكانك دون ضربه ! فقد أجاز لك الشرع أن تقطع صلاتك من أجل أن تنقذ ابنك، ماذا في قلب الأب ؟ رحمةٌ صغيرة..

أرحم الخلق بالخلق النبيُّ الكريم عليه الصلاة والسلام فقد قال له الله تعالى:﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ آل عمران (159)

الله عزَّ وجلَّ أرشدنا إلى ذاته، والله أيُّها الإخوة.. ما من سعادةٍ أعظم من نعمة الهُدى، تعرف الله، ولماذا أنت في الدنيا، تعرف ماذا بعد الموت، فبعد الموت جنَّة عرضها السماوات والأرض.

29- في رحاب اسمه تعالى

الصبور

عرفت من معاني اسمه تعالى الصبور[254] : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي لَا تحمله العجلة على المسارعة إِلَى الْفِعْل قبل أَوَانه بل ينزل الْأُمُور بِقدر مَعْلُوم ويجريها على سنَن مَحْدُود لَا يؤخرها على آجالها المقدورة لَهَا تَأْخِير متكاسل وَلَا يقدمهَا على أَوْقَاتهَا تَقْدِيم مستعجل بل يودع كل شَيْء فِي أَوَانه على الْوَجْه الَّذِي يجب أَن يكون وكما يَنْبَغِي وكل ذَلِك من غير مقاساة دَاع على مضادة الْإِرَادَة .

وقال الخطابي رحمه الله : الصَّبُوْرُ: هُوَ الذِي لَا يُعَاجِلُ العُصَاةَ بِالِانْتِقَامِ مِنْهُمْ ، بَلْ يُؤَخِّرُ ذَلِكَ إِلَى أجَلٍ مُسَمَّى ، وَيُمْهِلُهُم لِوَقْتٍ مَعْلُوْم.

فَمَعْنَى الصبورِ فِي صِفَةِ الله سبْحَانَهُ ، قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الحَلِيم ؛ إلا أن الفَرْقَ بَين الأمْرَيْنِ : أنهم – أي العباد - لَا يَأمَنُونَ العُقُوْبَةَ فِي صِفَةِ الصبورِ، كمَا يَسْلَمُونَ مِنْهَا فِي صِفَةَ الحَلِيْمِ ، والله أعْلَمُ بالصواب " .

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

وهو الصبور على أذى أعدائه ... شتموه بل نسبوه للبهتان

قالوا له ولد وليـس يعيدنا ... شتما وتكذيبا من الإنسان

هذا وذاك بسمعه وبعلمه ... لو شاء عاجلهم بكل هوان

لكن يعافيهم ويرزقهم وهم ... يؤذونه بالشرك والكفران

254/ الصبور من الأسماء الحسنى المختلف فيها وهو في حديث الترمذي ، وعده من جملة الأسماء الحسنى من أهل العلم : الخطابي ، وابن منده ، والحليمي ، والبيهقي ، والغزالي ، وابن العربي ، والقرطبي ، وابن القيم ، وغيرهم . ، وقد ثبت في الحديث وصف الله جل جلاله بالصبر : عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ) رواه البخاري (7378) ومسلم (2804) . نقلاً عن كتاب معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى- د.محمد خليفة التميمي- (223) .

وقال النابلسي [255] : وقد ورد في القرآن الكريم في آيات كثيرة جداً تتحدث عن مدلول هذا الاسم ، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً** ﴾ سورة فاطر (45).

الإنسان أحياناً، إذا تولى أمر عشرة أو أكثر، فحينما يغضب منهم يتمنى أن يُنزِل فيهم أشدَّ العقوبة ،فتأخير العقوبة هو مدلول اسم الصبور.

الفرق بين اسميه تعالى الصبور والحليم[256] :

قال النابلسي : " الصبور يلتقي مع اسم الحليم في تأخير العقوبة كما اتضح من الآيات السابقة وهذا حسن. فكيف يفترقان ؟ وهل يتطابق ! اسم الصبور مع اسم الحليم تطابقاً تاماً ؟ طبعاً لا، إذاً يفترقان، فكيف يفترقان ؟ دقق في هذه الآية: ﴿**وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** ﴾ سورة الرعد (32) . هذه الآية تُفيد أن الصبور هو الذي يؤخر العقاب .

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى**﴾ سورة طه (129) يعني كان لِزاماً أن ينزل الله بالعُصاة أشد العقاب، وأن يُنهيَهم ويبيدهم، ولكنَّ كلمة سبقت من الله عز وجل هي التي تجعل العقوبة متأخرة. فما هي هذه الكلمة ؟ هي: (إن رحمتي سبقت غضبي) حديث قدسي متفق عليه ما هذه الكلمة ؟ إن الله خلق الخلق ليرحمهم، ما الذي يؤخر إنزال العقوبات الحاسمة ؟ هو حلم الله عزّ وجل ؛ يعني كأن الله عزّ وجل يُعطي الناس فرصةً ليتوبوا، يُعطيهم فرصةً ليرجعوا لِيُنيبوا ليصححوا ليستغفروا لذلك الله عز وجل قال:﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾سورة الأنفال (33).

255/ موسوعة شرح الأسماء الحسنى للنابلسي – بتصرف .

256/ السابق – بتصرف .

قالوا المُذنِب أشدَّ أمناً مع الحليم منه مع الصبور، أي أن الصبور من شأنه تأخير العقاب، أما اسم الحليم فقد يلتقي مع اسم العفوّ لكنَّ إنزال العقاب قد يستدعي التريث، أليس هناك حالات في الطب لابد من بتر عضو فاسد ؟ ولو كان الطبيب هو الأب فيقطع، ويجب أن تعلم أن الشيء الذي وقع لابُدَّ مِن أن يقع، ولو لم يقع لكان عدم وقوعه نقصاً في الحِكمة.

تعلمت من اسمه تعالى الصبور [257]:

1/ **صبر الله تعالى على الكفار وإمهالهم له** : الإنسان أحياناً يختل توازنه حينما يرى كافراً قوياً شديداً عتيداً مستعلياً يزداد قوة ومنعة وغنىً وسيطرةً، وقد يسأل الإنسان نفسه: أين الله ؟ ربنا عزّ وجل بماذا يجيب عن هذا السؤال ؛ إذا رأيت الكافر يزداد قوةً وغِنىً وسيطرةً واستعلاءً وجبروتاً ويتحدى ويَسخَر ويستهزئ فاذكر فرعون، ألم يقل فرعون " أنا ربكم الأعلى " فأينَ الله ؟ بماذا أجاب الله عزّ وجل في القرآن الكريم عن هذا السؤال ؟ قال الله تعالى: ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ سورة آل عمران (196-197) .

وقوله تعالى:﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ سورة الأنعام (44) وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ** ﴾ سورة إبراهيم (42)

العاقل يطمئن لطاعة الله، يجب أن تطمئن حينما تُطيع الله عزّ وجل. أما إذا كُنت قوياً أو إذا كُنت غنياً أو إذا كُنت وجيهاً هذه أشياءٌ تُسلَبْ في لحظة واحدة. عطاؤه عجيب.

2/ **لاَ أَحَدَ أَصْبَرُ من الله تعالى:** روى مسلم في صحيحه : عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- « **لاَ أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ** ».

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : وأما صبره سبحانه فمتعلق بكفر العباد وشركهم، ومسبتهم له سبحانه وأنواع معاصيهم وفجورهم فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة بل يصبر على كيده،

257/ السابق – بتصرف كبير .

ويمهله، ويستصلحه ويرفق به، ويحلم عنه، حتى إذا لم يبق فيه موضع للضيعة، ولا يصلح على الإمهال والرفق بالحلم ولا ينيب إلى ربه ولا يدخل عليه لا من باب الإحسان والنعم، ولا من باب البلاء والنقم أخذه أخذ عزيز مقتدر بعد غاية الإعذار إليه، وبذل النصيحة له ودعائه إليه من كل باب، وهذا كله من موجبات صفة حلمه، وهي صفة ذاتية له لا تزول ((عدة الصابرين)

3/ **الصبر عند العباد ثلاثة أقسام :**

- **من يتصبر بأن يتكلف الصبر** ويقاسى الشدة فيه .. وتلك أدنى مراتب الصبر .
- **ومن يصبر على على تجرع المرارة** من غير عبوس ومن غير إظهار للشكوى .. وهذا هو الصبر وهو المرتبة الوسطى
- **ومن يألف الصبر والبلوى** لأنه يرى أن ذلك بتقدير المولى عز وجل فلا يجد فيه مشقة بل راحة قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** سورة آل عمران (200) ، قيل اصبروا فى الله .. وصابروا لله ..ورابطوا مع الله.. فالصبر فى الله بلاء والصبر لله عناء والصبر مع الله وفاء ،ومتى تكرر الصبر من العبد أصبح عادة له وصار متخلقا بأنوار الصبور.

4/ **أنت لا تصبر إلاّ إذا أعانك الله على الصبر**، فهل هناك آية يرتفع بها الصبر إلى أعلى مستوى ؟ نحن عندنا قاعدة وهي أن العطف يقتضي التجانس ؛ إذ لا تستطيع أن تقول: اشتريت بيتاً وملعقةً لعدم التناسب، هذا ولقد جُمع الصبر مع الصلاة وجُمع الصبر مع الحظ العظيم وجُمع الصبر مع الجزاء بغير حساب وجُمع الصبر مع الحق.﴿**إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ سورة العصر (3)

فالصبر معروف، أما المُصابرة أن تُعِينَ أخاك على الصبر لذلك قال صلى الله عليه وسلم **(لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم)** رواه البخاري أي أنت إذا أعنته وبيّنت له وخففت عنه مصابه، وواسيتَه بمالك فلعلّ في ذلك معاونةً لأخيك على الصبر وقال موسى لقومه:﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ سورة الأعراف(128) .

5/ **أوضح آية متعلقة بالصبر والتي معناها يُثلج الصدر هي قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾** سورة البقرة (155-157) .

هذه المصائب لمن ؟ للمؤمنين، هذه المصائب خاصة للمؤمنين ، يعني أن الله يُربيك وأنت تفهم على الله عزّ وجل وتصبر، إذاً من هو الصابر ؟ هو إنسان راشد مثلاً يجلس على كرسي طبيب الأسنان فيعلم علم يقين أنه مُتقِن لصنعته وأنه دكتور وأن بحوثاً عديدة مرَّ بها وأن أُناساً كثيرين أَثْنَوا عليه وأنه تعلَّم عِلماً صحيحاً وأن يده فيها مرونة كبيرة وعنده وسائل جيدة وأن كل ما يفعله بك طبيب الأسنان هو في صالح أسنانك ؛ لذلك ولو آلمك في بعض الأحيان فلا بُدَّ من أن تصبر، فمن الذي يصبر إذاً ؟ هو الذي فهم على الطبيب، وَثِقَ من علمه ومن خبرته ومن نصيحته وهو يتحمل معالجة هذا الطبيب لأسنانه، هذا بشكل مُبسّط.

30- في رحاب اسمه تعالى

التواب

عرفت أن من معاني اسمه تعالى التواب : ما يأتي :

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى : هُوَ الَّذِي يرجع إِلَى تيسير أَسبَاب التَّوْبَة لِعِبَادِهِ مرّة بعد أُخْرَى ، بِمَا يُظْهر لَهُم من آيَاته ، ويسوق إِلَيْهِم من تنبهاته ويطلعهم عَلَيْهِ من تخويفاته وتحذيراته ، حَتَّى إِذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذُّنُوب استشعروا الْخَوْف بتخويفه فَرَجَعُوا إِلَى التَّوْبَة فَرجع إِلَيْهِم فضل الله تَعَالَى بِالْقبُولِ.

وَقَالَ الخَطَّابِيُّ رحمه الله تعالى : **التَّوَّابُ** : هُوَ الذِي يَتُوبُ عَلَى عَبْدِهِ وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُ كُلَّمَا تَكَرَّرَتِ التَّوْبَةُ تَكَرَّرَ القَبُولُ، وَهُوَ حَرْفٌ يَكُونُ لاَزِمًا وَيَكُونُ مُتَعَدِّيًا، يُقَالُ: تَابَ اللهُ عَلَى العَبْدِ بِمَعْنَى وفَّقَهُ لِلتَّوْبَةِ فَتَابَ العَبْدُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا** ﴾ [التوبة: 118].

وَقَالَ الحُلَيمِيُّ رحمه الله تعالى : التَّوَّابُ : وَهُوَ المُعِيدُ إِلَى عَبْدِهِ فَضْلَ رَحْمَتِهِ إِذَا هُوَ رَجَعَ إِلَى طَاعَتِهِ، وَنَدِمَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَلاَ يُحْبِطُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ، وَلاَ يَمْنَعُهُ مَا وَعَدَ المُطِيعِينَ مِنَ الإِحْسَانِ" .

تعلمت من اسمه تعالى التواب : ما يأتي[258] :

أولاً : أن الله عز وجل يقبل التوبة عن عباده ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها:

إن الله عز وجل يقبل التوبة عن عباده ، حالاً بعد حال ، يوماً بعد يوم ، وحيناً بعد حين ، فما من عبد عصاه ، وبلغ عصيانه مداه ، ثم رغب في التوبة إلا فتح له أبواب رحمته ، وفرح بعودته ، ما لم تغرغر النفس ، أو تطلع الشمس من مغربها ، باب التوبة يغلق والإنسان على فراش الموت ، تغرغر روحه ، أو تطلع الشمس من مغربها .كما قال تعالى **(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً) سورة النساء:27] .**

---

[258]/ أسماء الله الحسنى ...للدكتور محمد راتب النابلسي – موقع الكلم الطيب – بتصرف .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم **(إنَّ اللِهَ عزَّ وجلَّ يبْسُطُ يدَهُ باللَّيْلِ ليَتوبَ مُسيءُ النهار ، ويبسُطُ يدَه بالنَّهار ليتُوبَ مُسيء الليلِ ، حتى تطْلُعَ الشمسُ من مغرِبِها)** رواه مسلم . و في الحديث : الآخر (**إنَّ اللّهَ يقبلُ توبة العبدِ ما لم يُغَرغِرْ**) رواه الترمذي .

وباب التوبة مفتوح على مصراعيه قبل أن يموت الإنسان إلا في إحدى حالتين :

1 . **عند الموت** : إذا حضر أحدكم الموت ، عندما يحضر الموت تلغى التوبة ، الآية واضحة : " وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآَنَ " [النساء:18] في هذه الحالة يغلق باب التوبة .

2 . إذا طلعت الشمس من مغربهاها ، طلوع الشمس من مغربها من أشراط الساعة . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه). ولأبي داود والنسائي من حديث معاوية رفعه: (لا تزال تقبل التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها). وسنده جيد.

والحكمة في ذلك – أي عدم قبول التوبة - أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي، فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعاينة، وارتفع الإيمان بالغيب فهو كالإيمان عند الغرغرة وهو لا ينفع، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله. وقال القرطبي في التذكرة بعد أن ذكر هذا: فعلى هذا فتوبة من شاهد ذلك أو كان كالمشاهد له مردودة، فلو امتدت أيام الدنيا بعد ذلك إلى أن ينسى هذا الأمر أو ينقطع تواتره ويصير الخبر عنه آحادا فمن أسلم حينئذ أو تاب قبل منه، وأيد ذلك بأنه روى أن الشمس والقمر يكسيان الضوء بعد ذلك ويطلعان ويغربان من المشرق كما كانا قبل ذلك. قال: وذكر أبو الليث السمرقندي في تفسيره عن عمران بن حصين قال: إنما لا يقبل الإيمان والتوبة وقت الطلوع لأنه يكون حينئذ صيحة فيهلك بها كثير من الناس، فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت لم تقبل توبته، ومن تاب بعد ذلك قبلت توبته.

ثانياً : مما سبق يجب على كل مسلم أن يسارع إلى التوبة الصادقة النصوح من كل ذنب [259]:

إن الله تعالى يأمر كافة عباده المؤمنين بالتوبة الصادقة، حيث قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**). [التحريم: 8].

وقد ذكر العلماء للتوبة شروطا لا بد منها:

1- **ترك التلبس بالمعصية**، بحيث يبتعد الشخص عنها، لأن المقيم على فعل المعاصي لا يمكن أن يصف نفسه بأنه تائب. فلا يعقل أن يكون الشخص ممسكا بسجارته ويقول : أنا تبت من التدخين . أو جواله مليء بأرقام الفتيات اللاتي يتواصل معهن بغير ما يرضي الله ويقول : أنا تبت من هتك أعراض المسلمات .
2- **العزم على عدم الرجوع إلى المعصية**. قال تعالى: (**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) [آل عمران:135].فلا بد من ترك الإصرار على الذنب.
3- **الندم على فعل الذنب**، فإن الذي يرتاح للذنب والوقوع فيه كاذب في توبته. قال صلى الله عليه وسلم : (**الندم توبة**) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (3429) . وقد فسر العلماء هذا الحديث الموجز الجامع المانع بأنه لا ندم من دون علم ، أي لابد للندم من علم سببهُ ومن سلوك أوجبهُ.

وفيه دلالة على أنه لابد للتوبة من ندم ، أي أن يندم المرء على ما سلف من الذنوب والمعاصي ، فإنه لا يمكن تصور التوبة إلا من نادم حزين آسف على ما بدر منه من المعاصي ، لذا لا يعد نادماً من يتحدث بمعاصيه السابقة ويفتخر بذلك ويتباهى بها ، كما أنه لا يعد نادما من يتوب ولم يندم على ما اقترفت يداه من المعاصي والأخطاء.

4- **أداء الحقوق لأهلها :** فمثلاً إذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمي كمالٍ يطالبه به، فعليه أداؤه قبل أن يؤخذ من حسناته في الآخرة، كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في شأن المفلس، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟"

259/ ركن الفتوى – إسلام ويب .

قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: "**إِنّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطَىَ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَىَ مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمّ طُرِحَ فِي النّارِ**". رواه مسلم.

وينبغي للتائب أن يبتعد عن أماكن المعصية التي كان يألفها وينصرف إلى مجالسة أهل الخير، ففي صحيح مسلم في شأن قصة الرجل الذي قتل مائة نفس فدُلَّ على رجل عالم فقال له: ومن يحول بينك وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن فيها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء) .

ثالثاً : قال النابلسي : من علامات رحمة الله عز وجل بعباده المتابعة والتهديد والوعيد والإنذار والتشدد :

أيها الأخوة ، فإذا تاب العبد إلى الله ، بمعنى أنه أقلع عن الذنب ، وندم ، وعقد العزم ألا يعود إليه ، يتوب الله عليه ، فيقبل توبته .

تتجلى الرحمة الإلهية في توبته على العباد : في الأمثلة الآتية :

المثل الأول : لو أن إنساناً أرسل ابنه إلى أمريكا ليدرس ، حوّل له مبلغاً يكفيه كل سنوات الدراسة دفعة واحدة ، أعطاه حقه ، أعطاه مصروفه الكامل ، وهيأ له جامعة راقية ، وتركه ، هذا الابن أو هذا الشاب فتنته الدنيا هناك ، مشى في طريق غير صحيح ، تعلق بالفتيات ، نسي الدراسة ، نسي الجامعة ، مضت الأعوام كلها ، وعاد إلى بلده صفر اليدين ، عامله أبوه بأعلى درجات العدل ، أعطاه مصروفه الكامل ، هيأ له أرقى جامعة ، لكن تركه ، هذه حالة .

هناك أب آخر : يتابعه كل أسبوع ، باتصال هاتفي ، برسالة ، يسافر إليه ، يتفقد دراسته ، يتفقد أحواله ، يعطيه مصروفه لشهر واحد فقط، ثم يقول له : أرسل لي رسالة حينما ينتهي هذا المبلغ ، بهذه المتابعة الشهرية ، وهذه الزيارة المفاجئة ، وهذا التفقد ، وهذا الحرص ، انضبط الابن ، وتابع دراسته ، وجاء بأعلى شهادة .

الحالة الأولى عدل ، أما الحالة الثانية رحمة ، الحالة الثانية تربية ، الحالة الثانية متابعة ، لأن الله جل جلاله هو رب العالمين ، يتابعنا ، يؤدبنا ، يسوق لنا بعض الشدائد أحياناً يخيفنا ، أحياناً يمرضنا ، أحياناً يفقرنا ، أحياناً يبتلينا بكآبة ، بضيق ، بقلق ، لأنه رب العالمين ، لأنه خلقنا لجنة عرضها السماوات والأرض ، لأنه يتابعنا ، المتابعة رحمة ، هذا مثل .

مثل آخر : أنشأنا ثانوية ضخمة ، موقع ، بناء ، قاعات تدريس ، مخابر ، قاعات محاضرات ، وجبات غذائية جيدة جداً ، مكتبة عامرة ، قاعات كمبيوتر مثلاً ، وهناك نظام داخلي ، إذا الطالب غاب أسبوعين يفصل بحسب النظام الداخلي فصلاً كاملاً ، هذه معاملة فهناك طلاب توانوا عن الدوام فصلوا ، فُصل معظم الطلاب ، هذه المعاملة في أعلى درجات العدل ، كل شيء بأتم وضع ، والنظام واضح ، لكن هناك إدارة أخرى ، تتابع دوام الطلاب أسبوعياً ، فإذا بدأت الأيام تزداد في الغياب ، أرسل رسالة إلى ولي الأمر ، استدعي الأب أُبلغ عن غياب ابنه ، رُسمت خطة بالاتفاق مع الأب كي يعود الابن إلى الدوام ، الإدارة الثانية إدارة رحيمة ، لأنها تتابع دوام الطلاب .

ليست العبرة أن نطبق النظام الداخلي ، ونفصل معظم الطلاب ، العبرة أن ننبههم ، أن نتابعهم ، أن نحاسبهم ، أن نجري اتفاقاً مع أوليائهم حتى تتعاون الإدارة مع الأولياء ، كي ينضبط هؤلاء الطلاب ، الإدارة الثانية إدارة رحيمة ، من علائم رحمتها المتابعة ، والتهديد والوعيد ، والإنذار ، والتشدد ، هكذا .

مثل ثالث : مؤسسة تجارية أعلنت عن وظيفة ، ومن شروط هذه الوظيفة أن هناك فترة تجربة ، ستة أشهر ، فهناك إدارة لهذه الشركة ، تسجل على هذا الموظف أخطاءه فقط ، تأخر ، لم يقم بهذا العمل ، هناك كذب ، تجمع هذه الأخطاء فإذا تراكمت ، صُرف هذا الموظف من الوظيفة بحسب إعلان قبوله ، يوجد فترة تدريب وتأهيل ستة أشهر ، أما لو هذا الموظف ابن صاحب المؤسسة ، كلما أخطأ حاسبه على كل خطيئة ، على كل زلل ، على كل تقصير ، على كل تأخر ، المتابعة تقتضي الرحمة .

رابعاً : بيان أقسام العباد في دوام التوبة :

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى[260] : اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات :

الطبقة الأولى : أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدّث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبه النبوّة، فهذه هي الاستقامة على التوبة، وصاحبها هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة: **التوبة النصوح . واسم هذه النفس الساكنة: النفس المطمئنة**، التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : "**سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً** "261 . فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم.

وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات. فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صرعها، وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مُليَ بمجاهدتها وردها، ثم تتفاوت درجات النزاع أيضاً، بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع. وكذلك يختلفون من حيث طول العمر، فمن مختطف يموت قريباً من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة؛ ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته. وحال هذا أعلى وأفضل إذ كل سيئة فإنما تمحوها حسنة.

الطبقة الثانية : تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كبائر الفواحش كلها، إلا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجارى أحواله من غير أن يقدم عزماً على الإقدام عليها، ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التي تعرّضه لها.

وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوامة، إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأى وقصد، وهذه أيضاً رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى، وهى أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينه الآدمي قلما ينفك عنه، وإنما غاية سعية أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات، فأما أن تخلو

---

[260]/ إحياء علوم الدين (4/4) وما بعدها. باختصار .

261/أخرجه الترمذى وحسنه.

بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد. وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى : (**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**)[262]

فكل إلمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه قال تعالى : (**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ**)[263] فأثنى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه.

وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه على كرم الله وجهه: " خياركم كل مفتن تواب "[264] أي يذنب الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينفض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين.

ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والأطعمة الحارّة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار، وكالفقيه الذى يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتورة عن التكرار والتعليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة. وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه. بل الفقيه في الدين هو الذى لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال النبي صلى الله عليه وسلم : " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "[265]،

وقال تعالى : (**أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ**)[266] فما وصفهم بعدم السيئة أصلاً.

الطبقة الثالثة : أن يتوب ويستمرّ على الاستقامة مدّة، ثم تغلبه الشهوات في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو اقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها، هذا أمنيته في حال قضاء الشهوة عند الفراغ يتندم ويقول ليتبنى لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسى في قهرها.

لكنه تسوّل نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوماً بعد يوم. فهذه النفس هي التي تسمى : النفس المسوّلة، وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم : (**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً**

262/ سورة النجم الآية (32).

263/سورة آل عمران الآية (135).

264/ صححه السيوطي في الجامع الصغير رقم : (3996).

265/ رواه الترمذي والحاكم وصحح إسناده وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من حديث علي سعدة عن قتادة.

266/ سورة القصص الآية (54).

صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً)267 فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجوّ فعسى الله أن يتوب عليه، وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره، فربما يُختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة فإن تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين.

وإن غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأزل، لأنه مهما تعذر على المتفقة مثلاً الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه.

وإذا يسرت له أسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الأزل أن يكون من جملة العالمين. فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية، وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس.

فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدّم بالعلم إلا نفس صارت فقيهة بطول التفقُّيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا القرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهراً بطول التزكية والتطهير، هكذا سبق في الأزل بتدبير رب الأرباب.

ولذلك قال تعالى : **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)**268 فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقداً والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان. قال صلى الله عليه وسلم : " **إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** "269 فإذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة. وكلُّ نَفَسٍ فهو خاتمة ما قبله إذ يمكن أن يكون الموت متصلاً به، فليراقب الأنفاس وإلا وقع في المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر.

الطبقة الرابعة : أن يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أنّ يتأسف على فعله، بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصرِّين، وهذه النفس : هي النفس الأمارة بالسوء، الفرارة من الخير؛ ويخاف على هذا سوء الخاتمة وأمره في مشيئة الله، فإن ختم له بالسوء شقى شقاوة لا آخر لها؛ وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين،

267/ سورة التوبة الآية (102).

268/سورة الشمس الآية (7-10).

269/متفق عليه دون قوله " سبعين سنة "ولمسلم " إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة " ... الحديث، ولأحمد " إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ".

ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفيٍّ لا تطلع عليه، كما لا يستحل أن يدخل الإنسان خراباً ليجد كنزا فيتفق أن يجده، وأن يجلس في البيت ليجعله الله عالماً بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم.

فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار، وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرّد الرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة، وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له، فالناس كلهم محرومون إلا العالمون والعالمون كلهم محرومون إلا العاملون والعاملون كلهم محرومون إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم.

وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعاً يزعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزاً يجده تحت الأرض في بيته الخرب يعدّ عند ذوى البصائر من الحمقى والمغرورين- وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله - فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصِّرٌ عن الطاعة مصرٌ على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة يعدّ عند أرباب القلوب من المعتوهين.

والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة إذ يقول : إن الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلى ومعصيتي ليست تضره، ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار في طلب الدينار وإذا قيل له إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر على فقرك، وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول : ما هذا الهوس ؟ السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب. وهكذا قدّره مسبب الأسباب وأجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله، ولا يعلم المغرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأنّ سنته لا تبديل لها فيهما جميعاً، وأنه قد أخبر إذ قال : **(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)**[270]

فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا ؟ وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم، وأنّ ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد في الآخرة وهذا يمنعه مع شدّة الاجتهاد في غالب الأمر في الدنيا ؟ وينسى قوله تعالى : **(وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)**271 فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل.

270/ سورة النجم الآية (39).

271/سورة الزاريات الآية (22).

وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلاً تحت قوله تعالى : (**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً**)[272] أي أبصرنا أنك صدقت إذ قلت: (**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**) فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرور إلى سوء المنقلب والمآب.

272/ سورة السجدة الآية (12).

31- في رحاب اسمه تعالى

المقسط

عرفت من معاني اسمه تعالى المقسط [273]: ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله تعالى : المقسط : هُوَ الَّذِي ينتصف للمظلوم من الظَّالِم وكمالُهُ فِي أَن يضيف إِلَى إرضاء الْمَظْلُوم إرضاء الظَّالِم وَذَلِكَ غَايَة الْعدْل والإنصاف وَلَا يقدر عَلَيْهِ إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وقيل : المقسط : هو العادل في حكمه المنزه عن الظلم والجَوْر لا يسئل عما يفعل .

الفرق بين القاسط والمقسط :

قال علماء اللغة : أقسط فلانٌ إذا عدل، وقَسَطَ فلانٌ إذا جار وظلم ، وعليه المقسط: هو العادل في حكمه قال تعالى: (**وأقيموا الوزن بالقسط**): أي بالعدل .

وقال تعالى : (**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) الحجرات (9).

قال السعدي رحمه الله: { **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** } أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنه، قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله، وعياله، في أدائه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: (**المقسطون عند الله، على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا**) .

273/ اسمه تعالى المقسط من الأسماء المختلف فيها ، وهو في حديث الترمذي وقدر ورد في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. وممن عده من الأسماء الحسنى القرطبي وابن العربي والغزالي والبيهقي وابن منده .

والقِسْطُ يأتي أيضاً بمعنى النصيب ، القِسْطُ.. أقساط، أجزاء، أنصبة.والقاسط: الظالم، قال تعالى:(**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً**) سورة الجن (15) .

والإقساطُ أن يُعطى قسط غيره فهو عادل.. أن تعطي حقَّ الناس إلى الناس فأنت عادل، أن تأخذ ما ليس لك بحق فأنت ظالم.

تعلمت من اسمه تعالى المقسط[274] : ما يأتي :

1/ **وجوب القسط بين الأولاد في العطاء :** وسرعان ما نعود إلى المُقسِط فقد ورد المعنى في بعض آيات القرآن الكريم ففي سورة المائدة قال تعالى:﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) سورة المائدة) (42)

جاء البشير بن النعمان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اشهد أنني نحلت ابني هذا حديقة. فقال: ألك ولدٌ غيره ؟ قال: نعم. قال: أنحلت كلاً منهم ما نحلته ؟ قال: لا. قال النبي عليه الصلاة والسلام للبشير: (**أشهِد غيري، فإنّي لا أشهد على جَوْر**) رواه مسلم .

قال النابلسي : يسألني أخ وهو في حيرة من أمره: لي ولدان.. أحدهما فاسق والآخر طائع، أريد أن أُعطي الطائع نصيباً أوفر من أخيه. أقول له وبلا تردد: لا تفعل.. إنَّك إن ظلمت الثاني زِدّته عقوقاً، اعدل بينهما والله سبحانه وتعالى يبارك للبار بما أعطيته.

2/ **التحذير من الظلم في الوصية قبل الموت :** لما ورد عن أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِبعينَ سَنَةً ثُمَّ يَحْضُرُه الْمَوْتُ فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ فَتَجِبُ لَهُم النَّارُ**) رواه أحمد .

قال النابلسي وفقه الله : من أعجب ماسمعت أن أُسرةً توفي الأب وترك أولاداً وبنتاً وحيدة متزوّجة، وهذه البنت الوحيدة نصيبها من الميراث ستَّة عشر مليوناً لم يُعطها إخوتها شيئاً، لأنَّها متزوِّجة، فوراً فطلَّقها زوجها فوراً، فأهلُها ظلموها، وزوجها ظلمها، أعطِ كلَّ ذي حقٍ حقَّه.. لا

274/ بتصرف كبير من موسوعة الأسماء الحسنى - للنابلسي .

علاقة لك بغنيٍ أو فقير، فموضوع الحق ليس له علاقة بالغنى أو الفقر.﴿**وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ .

لو ظلمتْ ابنتك صهرك وجارت عليه، فكن عادلاً وأنصف المظلوم، وإذا بغى ابنك على صديقه فرد الباغي: كن عادلاً، وخذ بيد المظلوم.

لكن أكثر الناس مع ابنه على حقٍ أو على باطل، ومع ابنته على حقٍ أو على باطل، ما الذي يميِّز المؤمن من الكافر ؟ العدل .

فإذا صهره بين الأسرى... أُلقي عليه القبض وأسر لأنَّه كان في عِداد المحاربين يريد أن يقتل المسلمين، فلما استعرض الأسرى قال عليه الصلاة والسلام: والله ما ذممناه صهراً، فهو صهر ممتاز.. لكنه الآن مشرك وجاء ليقاتل وقد وقع أسيراً، هذه الكلمة التي أنصفه بها فعلت فيه فِعل السحر وانتهت به إلى الإيمان.

3/ **وجوب القسط مع الكافر ولو كان ظالماً** : كثير من الناس يرى أن معاملتك للكافر الفاجر الفاسق الملحد لا غبار عليها مهما أسأت إليه، فلا عليك مثلاً أن تأخذ ماله وأن تضطهده وأن تظلمه، أن تغُشَّه، هذا هو الجهل بعينه، وهذا هو الخطأُ بعينه، وهذا هو الظلم بعينه، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** سورة المائدة (8) .

وجاء في السيرة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى بني النضير عبد الله بن رواحة ليأخذ ما اتفقوا عليه من ثمارهم وزروعهم، أرادوا أن يرشوه ليترفَّق بهم، فعلم ذلك فقال: لقد جئتكم من عند أحبِّ الخلق إليّ، ولأنتم أبغض خلق الله إلي من عددكم من القردة والخنازير، ومع ذلك لا يحملني حبي لمحمد عليه الصلاة والسلام ولا بغضي لكم إلا أن أعطيكم حقكم وأن آخذ حقي فقال اليهود: بهذا قامت السماوات والأرض، وبهذا تغلبوننا.

يخاطب الله المؤمنين ويحضهم على العدل: من هم أعداء المؤمنين التقليديين ؟ الكفَّار، الفجَّار، العصاة، الفاسقون، المارقون، هؤلاء الكفَّار، الفجَّار، العصاة، المارقون قال تعالى: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ**

شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا﴾ مع هؤلاء ﴿ **هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾** إن عدلتم معهم قرَّبتموهم إلى الله، وإن عدلتم معهم قرَّبتموهم إليكم، أما إن ظلمتموهم زدّتموهم بعداً، زدّتموهم كفراً.

4/ **وجوب القسط مع الفاسق من المسلمين** : أحياناً يكون لك قريب تقول عنه لا دين له، إنه لا يُصلَّي ومغموس في الملذَّات إلى قمَّة رأسه، لكنه يحترمك كثيراً، ويُكبر فيك إيمانك واستقامتك ولك مكانة عنده، فيأتي المؤمن الجاهل أحياناً يسيء إلى هذا الإنسان غير الملتزم بدعوى أنَّه غير ملتزم فاستمع إلى هذه الآية قال تعالى : **(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** سورة الممتحنة (8) .

هو لا يعارضك ولا يحاربك، ولا يطعن بك، ولا يذُمُّك بل يقدِّر فيك استقامتك وإيمانك وصلاتك وهو مقصِّر وغارق في الشهوات، هذا الإنسان ينبغي أن يرى منك كلَّ استقامة وكلَّ بِر وكلَّ إقساط كما في الآية السابقة.

وهاأنا ذا أؤكِّد أنَّ آلاف الحالات.. حالات التوبة أساسها عمل ذكي بسبب إحسان بادر به مؤمن، فعندما قال الله عزَّ وجلَّ: **(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** سورة الشورى (39-40) .

قال تعالى: **(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)** سورة الأنبياء (47).

5/ **من أعظم أنزاع القسط أن تنصف نفسك من الآخرين : قال الإمام الغزالي : " إنَّ أوفر الناس حظاً من هذا الاسم من ينتصف أولاً من نفسه ".** فقد يكون الإنسان بموقع لا أحد يستطيع محاسبته، فكماله أن ينتصف من نفسه، وأن يعترف بخطئه.

فلو أخطأت وأنت القوي جداً مع إنسان ضعيف جداً وظلمته فقل له: أنا أخطأت معك وسامحني. فهذا أرقى ما يتصف به أحد بالعدل، أن تنتصف لنفسك ممن هو أضعف منك، أن تنتصف من نفسك وليس لنفسك، أن تنتصر لمن هو أضعف منك.

أحياناً يكون الزوج في البيت هو كل شيء وعنده زوجة ضعيفة إذا أخطأ قال لها: أنا أخطأت وهذا خطئي.. فهذا أعلى درجات الإنصاف.

وقد يكون عندك صانع يعمل لديك في الدكان، وهو شاب وإخراجه من ممكن المحل بكلمة واحدة: اذهب ولا تعد.. وأخطأت معه والصانع خاف منك، فعليك أن تقول أنا أخطأت وهذا الخطأ خطئي ؟ هذه أعلى درجة من أنواع الكمال والإنصاف .

حكاية عجيبة في الاعتراف بالخطأ:

قال النابلسي وفقه الله : سمعت عن طبيب في مصر، وصف دواء لطفل صغير الجرعة منه تعطى لكبير، وبحسب علمه لو تناول هذه الجرعة لمات الطفل من فوره، فماذا يفعل؟ لا يوجد عنده عنوانه وهو في مستوصف عام فاتصل بوسائل الإعلام وقال أرجو أن تبلغوا المواطنين أن رجلاً وابنه دخلا إلى المستوصف الفلاني وقد أعطيتهما وصفة فليمتنعا عن أخذ الوصفة وإلا يموت الطفل، فهو إذا سكت لا أحد يعلم وقد يموت الطفل دون أن يكون مداناً لكنه أعلن على الملأ أمام خمسين مليون أنني أخطأت والشيء الذي لا يصدق أن الذي أخذ هذا الدواء وصله الخبر قبل أن يعطي لإبنه الدواء، فالذي حصل عكس ماتصور الطبيب، فإنه اكتسب سمعة وشهرة تفوق حد الخيال.

يهودي دخل على سيدنا عمر يشكو سيدنا علياً، فقال له: قم يا أبا الحسن فقف إلى جانب الرجل.. فأصبح على خصماً في قاعة القضاء وهو من المقربين لعمر.. فوقف، وتغيَّر لون سيدنا علي، فلما حكم له وانصرف اليهودي قال له: أوجدت عليَّ يا أبا الحسن ؟ فقال: نعم. فقال له: لِمَ ؟ فقال: لأنك قلت لي يا أبا الحسن ولم تقل لي يا علي، لقد ميَّزتني عليه..... ما هذه النزاهة ؟ لِمَ لم تقل لي قم يا على فقف إلى جانب الرجل قلت لي قم يا أبا الحسن ؟ بهذا قامت السماوات والأرض، نعم قامت بالعدل.

32/ في رحاب اسمه تعالى

اللَّطِيف

عرفت أن من معاني اسمه تعالى اللطيف : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : إِنَّمَا يسْتَحق هَذَا الِاسْم من يعلم دقائق الْمصَالح وغوامضها ، وَمَا دق مِنْهَا وَمَا لطف ، ثمَّ يسْلك فِي إيصالها إِلَى المستصلَح سَبِيل الرِّفْق دون العنف فَإِذا اجْتمع الرِّفْق فِي الْفِعْل ،واللطف فِي الْإِدْرَاك تمّ معنى اللطف ،وَلَا يُتَصَوَّر كَمَال ذَلِك فِي الْعلم وَالْفِعْل إِلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَأَما إحاطته بالدقائق والخفايا فَلَا يُمكن تَفْصِيل ذَلِك بل الْخَفي مَكْشُوف فِي علمه كالجلي من غير فرق وَأما رفقه فِي الْأَفْعَال ولطفه فِيهَا فَلَا يدْخل أَيْضا تَحت الْحصْر إِذْ لَا يعرف اللطف فِي الْفِعْل إِلَّا من عرف تفاصيل أَفعاله وَعرف دقائق الرِّفْق فِيهَا وبقدر اتساع الْمعرفَة فِيهَا تتسع الْمعرفَة لِمَعْنى اسْم اللَّطِيف وَشرح ذَلِك يَسْتَدْعِي تَطْوِيلًا ثمَّ لَا يتَصَوَّر أَن يَفِي بِعشر عشيره مجلدات كَثِيرَة.

وقال ابن القيم- رحمه الله- في نونيته:

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطف في أوصافه نوعانِ

إدراك أسرار الأمور بخُبره ... واللطف عند مواقع الإحسانِ

فيُريك عزته ويُبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشانِ

ولطف الله بالعبد من الرحمة بل هو رحمة خاصة ؛ فالرحمة التي تصل إلى العبد من حيث لا يشعر بها أو بأسبابها هي اللطف.

يقال: (لطف بعبده، ولطف له) أي تولاه ولاية خاصة بها تصلح أحواله الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عنه جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية.

تعلمت من اسم الله اللطيف : ما يأتي :

1/ **قال الغزالي** : فَمن لطفه خلقه الْجَنِين فِي بطن أمه فِي ظلمات ثَلَاث وَحفظه فِيهَا وتغذيته بِوَاسِطَة السُّرَّة إِلَى أَن ينْفَصل فيستقل بالتناول بالفم ثمَّ إلهامه إِيَّاه عِنْد الِانْفِصَال التقام الثدي وامتصاصه وَلَو فِي ظلام اللَّيْل من غير تَعْلِيم ومشاهدة .

ثمَّ تَأْخِير خلق السن عَن أول الْخلقَة إِلَى وَقت الْحَاجة للاستغناء فِي الاغتذاء بِاللَّبنِ عَن السن ثمَّ إنباته السن بعد ذَلِك عِنْد الْحَاجة إِلَى طحن الطَّعَام ثمَّ تَقْسِيم الْأَسْنَان إِلَى عريضة للطحن وَإِلَى أَنْيَاب للكسر وَإِلَى ثنايا حادة الْأَطْرَاف للْقطع .

ثمَّ اسْتِعْمَال اللِّسَان الَّذِي الْغَرَض الْأَظْهر مِنْهُ النُّطْق فِي رد الطَّعَام إِلَى المطحن كالمجرفة وَلَو ذكر لطفه فِي تيسير لقْمَة يَتَنَاوَلهَا العَبْد من غير كلفة يتجشمها وَقد تعاون على إصلاحها خلق لَا يُحْصى عَددهمْ من مصلح للأَرْض وزارعها وساقيها وحاصدها ومنقيها وطاحنها وعاجنها وخابزها إِلَى غير ذَلِك لَكَانَ لَا يَسْتَوْفِي شَرحه .

2/ **وقال الغزالي أيضاً**: وَمن لطفه بعباده أَنه أَعْطَاهُم فَوق الْكِفَايَة وكلفهم دون الطَّاقَة وَمن لطفه أَنه يسر لَهُم الْوُصُول إِلَى سَعَادَة الْأَبَد بسعي خَفِيف فِي مُدَّة قَصِيرَة وَهِي الْعُمر فَإِنَّهُ لَا نِسْبَة لَهَا بِالْإِضَافَة إِلَى الْأَبَد وَمن لطفه إِخْرَاج اللَّبن الصافي من بَين الفرث وَالدَّم وَإِخْرَاج الْجَوَاهِر النفيسة من الْأَحْجَار الصلبة وَإِخْرَاج الْعَسَل من النَّحْل والإبريسم من الدُّود والدر من الصدف وأعجب من ذَلِك خلقه من النُّطْفَة القذرة مستودعا لمعرفته وحاملا لأمانته ومشاهدا لملكوت سمواته وَهَذَا أَيْضا لَا يُمكن إحصاؤه .

3/ **وقال الغزالي أيضاً : حَظّ العَبْد من هَذَا الْوَصْف الرِّفْق بعباد الله عز وَجل والتلطف بهم فِي الدعْوَة إِلَى الله تَعَالَى وَالْهِدَايَة إِلَى سَعَادَة الْآخِرَة** من غير إزراء وعنف وَمن غير تعصب وخصام وَأحسن وُجُوه اللطف فِيهِ الجذب إِلَى قبُول الْحق بالشمائل والسيرة المرضية والأعمال الصَّالِحَة فَإِنَّهَا أوقع وألطف من الْأَلْفَاظ المزينة .

4/ إذا يسر الله لعبده وسهل له طرق الخير، وأعانه عليها فقد لطف به، وإذا قيض له أسبابا خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له. و في قصة يوسف عليه السلام

قدر الله له أمورا كثيرة خارجية عادت عاقبتها الحميدة على يوسف وأبيه عليهما السلام وكانت في مبدأها مكروهة ولكن كانت عواقبها أحمدَ العواقب، وفوائدها أجلّ الفوائد ولهذا قال عليه السلام: (**إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) يوسف (100)** أي أن هذه الأشياء التي حصلت لطفٌ من الله له فاعترف عليه السلام بهذه النعمة.

وقيل: (من لطف الله لعبده يعقوب أن قرن قدره بلطفه فالقدر فراق ابنه ولطفه المبشرات التي ستحصل ليوسف في المنام).

5/ وتأمل بعض الباحثين في اسمه تعالى اللطيف قائلا: ولطف الله بعبده وله باب واسع، يتفضل الله تعالى بما شاء منه على من يشاء من عباده ممن يعلمه محلا لذلك وأهلا:

• فمن لطفه بعباده المؤمنين أنه جل وعلا يتولاهم بلطفه فيخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة.

•ومن لطفه بهم أنه يقيهم طاعة أنفسهم الأمارة بالسوء فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى، ويصرف عنهم السوء والفحشاء مع توافر أسباب الفتنة وجواذب المعاصي والشهوات ؛ فيمنّ عليهم ببرهان لطفه ونور إيمانه فيدعونها مطمئنة لتركها نفوسهم، منشرحة بالبعد عنها صدورهم.

•ومن لطفه بعباده أنه يقدر لهم أرزاقهم بعلمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتِهم؛ فقد يريدون شيئا وغيره أصلح ؛ فيقدر لهم الأصلح وأن كرهوه لطفاً بهم، قال تعالى: «الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز».

• ومن لطفه جل وعلا بهم: أنه يقدر عليهم أنواعا من المصائب وضروبا من البلايا والمحن سوقاً لهم إلى كمالهم وكمال نعيمهم.

• ومن لطفه بعبده -سبحانه- أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح والعلم والإيمان،وبين أهل الخير ليكتسب من أدبهم وتأديبهم. وأن ينشأ كذلك بين أبوين صالحين، وأقارب أتقياء، وفي مجتمع صالح.

• ومن لطفه بعبده أن يجعل رزقه حلالاً في راحة وقناعة يحصل به المقصود ولايشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل به، بل يعينه على ذلك.

• ومن لطفه بعبده أن يقيض له إخوانا صالحين ورفقاء متقين يعينونه على الخير ويشدون من أزره في سلوكه سبيل الاستقامة والبعد عن سبل الهلاك والانحراف.

• ومن لطفه - جل وعلا - بعبده أن يبتليه ببعض المصائب فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر فيها، فيُنيله رفيع الدرجات وعالي الرتب.

• ومن لطفه سبحانه بعبده أن يكرمه بأن يوجد في قلبه حلاوة روح الرجاء وانتظار الفرج وكشف الضر؛ فيخف ألمه وتنشط نفسه.

قال ابن القيم رحمه الله: (فإن انتظاره - أي الفرج من الله - ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة ولاسيما عند قوة الرجاء أوالقطع بالفرج؛ فإنه يجد في حشو البلاء من رَوح الفرج ونسيمه وراحته ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج مُعجل، وبه وبغيره يُعرف معنى اسمه اللطيف).

كم هو نافع بالعبد أن يعرف معنى هذا الاسم العظيم ودلالته، ليحقق الإيمان به، ويقوم بما يقتضيه من عبودية لله فيملأ قلبه رجاءً **وطمعاً في نيل فضل الله، متحرياً في كل أحواله الفوز بالعواقب الحميدة، واثقاً بربه اللطيف ومولاه الكريم بالنعم السوابغ والعطايا.**

ومن يتحرّ الخير يُعطه، ومن يتوقّ الشر يوقه. والفضل بيد الله وحده يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

33-34/ في رحاب اسمه تعالى

الشاكر والشكور

عرفت أن من معاني هذين الاسمين الجميلين [275] : ما يأتي :

أما معنى الشاكر:

قال البغوي رحمه الله : الشكر من الله تعالى أن يعطي لعبده فوق ما يستحق . يشكر اليسير ويعطي الكثير.

قال الرازي رحمه الله : الشاكر في حقه تعالى :المجازي على الطاعة : وإنما سمى المجازاة على الطاعة شكرا لوجوه :

الأول : **أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مبالغة في الإحسان إليهم** ، كما قال تعالى : (**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**) [البقرة : 245] وهو تعالى لا يستقرض من عوض ، ولكنه تلطف في الاستدعاء ، كأنه قيل : من ذا الذي يعمل عمل المقرض بأن يقدم فيأخذ أضعاف ما قدم .

الثاني : **أن الشكر لما كان مقابلا للإنعام أو الجزاء عليه سمي كل ما كان جزاء شكرا على سبيل التشبيه .**

الثالث : كأنه سبحانه يقول : أنا وإن كنت غنيا عن طاعتك إلا أني أجعل لها من الموقع بحيث لو صح عليَّ أن أنتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل ، وبالجملة فالمقصود بيان أن طاعة العبد مقبولة عند الله تعالى ، وواقعة موقع القبول في أقصى الدرجات .

وقال صاحب الظلال : فإن الله شاكر : المعنى المقصود أن الله يرضى عن ذلك الخير ويثيب عليه. ولكن كلمة "شاكر" تلقي ظلالا ندية وراء هذا المعنى المجرد. تلقي ظلال الرضى الكامل، حتى لكأنه الشكر من الرب للعبد. ومن ثم توحي بالأدب الواجب من العبد مع الرب. فإذا كان الرب

275/ المقصد الأسنى – للغزالي وتفسير البغوي وتفسير الرازي وتفسير في ظلال القرآن : لقوله تعالى (**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم**) سورة البقرة (158) .

يشكر لعبده الخير، فماذا يصنع العبد ليوفي الرب حقه من الشكر والحمد؟؟ تلك ظلال التعبير القرآني التي تلمس الحس بكل ما فيها من الندى والرفق والجمال.

وأما معنى الشكور :

قال الغزالي رحمه الله : الشكُور : هُوَ الَّذِي يجازي بِيَسِير الطَّاعَات كثير الدَّرَجَات وَيُعْطِي بِالْعَمَلِ فِي أَيَّام مَعْدُودَة نعيما فِي الْآخِرَة غير مَحْدُود وَمن جازى الْحَسَنَة بأضعافها يُقَال إِنَّه شكر تِلْكَ الْحَسَنَة وَمن أثنى على المحسن أَيْضا يُقَال إِنَّه شكر فَإِن نظرت إِلَى معنى الزِّيَادَة فِي المجازاة لم يكن الشكُور الْمُطلق إِلَّا الله عز وَجل لِأَن زياداته فِي المجازاة غير محصورة وَلَا محدودة فَإِن نعيم الْجنَّة لَا آخر لَهُ وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُول (**كلوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أسلفتم فِي الْأَيَّام الخالية**) سُورَة الحاقة (24)

ثم يمضي رحمه الله قائلاً : وَإِن نظرت إِلَى معنى الثَّنَاء فثناء كل مثن على فعل غَيره والرب عز وَجل إِذا أثنى على أَعمال عباده فقد أثنى على فعل نَفسه لِأَن أَعْمَالهم من خلقه فَإِن كَانَ الَّذِي أعْطى فَأثْنى شكُورًا فَالَّذِي أعْطى وَأثْنى على الْمُعْطِي أَحَق بِأَن يكون شكُورًا وثناء الله تَعَالَى على عباده كَقَوْلِه تعالى (**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**) سُورَة الْأَحْزَاب (35) وَكَقَوْلِه تعالى (**نعم العَبْد إِنَّه أواب**) سُورَة ص(30) وَمَا يجْرِي مجْرَاه فَكل ذَلِك عَطِيَّة مِنْهُ .

قلت : وما أشار إليه الغزالي يمكن أن يستدل له أيضا بقول النبي صل الله عليه وسلم **(ما تصدَّقَ أحدٌ بصدَقَةٍ منْ طيّبٍ ، ولا يقبَلُ اللهُ إلَّا الطيبَ ، إلَّا أخذَها الرحمنُ بيمينِهِ ، وإِنْ كانتْ تَمْرَةً ، فتربُو في كفِّ الرَّحمنِ حتى تَكونَ أعظمَ مِنَ الجبلِ ، كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّهُ أوْ فَصيلَهُ)** صحيح الجامع.

ورد اسم الله تعالى الشاكر في القرآن في موضعين:

الأول : في قوله تعالى: {**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**} [البقرة:158].

الثاني : في قوله تعالى: {مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء:147].

وورد اسم الله تعالى الشكور في أربعة مواضع:

1-قوله تعالى : { **لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** } فاطر (30).

2-وقوله تعالى : { **إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** }]فاطر,(34) .

3-وقوله تعالى : { **وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** }]الشورى,(23) .

4- وقوله تعالى : { **إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ** } التغابن,(17) .

تعلمت من هذين الاسمين الجميلين [276]:

أولاً : كيف أشكر الله تعالى : قال الغزالي رحمه الله في المقصد الأسنى :

العَبْد يتَصَوَّر أَن يكون شاكرا فِي حق عبد آخر مرّة بالثناء عَلَيْهِ بإحسانه إِلَيْهِ وَأُخْرَى بمجازاته بِأَكْثَرَ مِمَّا صنعه إِلَيْهِ وَذَلِكَ من الْخِصَال الحميدة قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : (**لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ)** رواه أحمد وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد .

أما شكره لله عز وَجل فَلَا يكون إِلَّا بِنَوْع من الْمجَاز والتوسع فَإِنَّهُ إِن أثنى فثناؤه قَاصِر لِأَنَّهُ لَا يحصي ثَنَاء عَلَيْهِ وَإِن أطَاع فطاعته نعْمَة أُخْرَى من الله عَلَيْهِ بل عين شكره نعْمَة أُخْرَى وَرَاء النِّعْمَة المشكورة وَإِنَّمَا أحسن وُجُوه الشُّكْر لنعم الله عز وَجل أَن لَا يستعملها فِي مَعَاصيه بل فِي طَاعَته وَذَلِكَ أَيْضا بِتَوْفِيق الله وتيسيره فِي كَون العَبْد شاكرا لرَبه.وتصور ذَلِك كَلَام دَقِيق ذكرْنَاهُ فِي كتاب الشُّكْر من كتاب إحْيَاء عُلُوم الدّين فليطلب مِنْهُ فَإِن هَذَا الْكتاب لَا يحْتَملهُ.

276/ المقصد الأسنى – للغزالي ، ومقال بعنوان : شرح وأسرار الأسماء الحسنى - (39) اسم الله تعالى الشكور والشاكر - هاني حلمي عبد الحميد – موقع طريق الإسلام ، وشرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي – موقع الكلم الطيب

وبالرجوع إلى كتاب الإحياء وجدناه يقول : "واعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ينظم من علم وحال وعمل". قال: فالعلم هو الأصل، وهو يُورث الحال، والحال يُورث العمل، أما العلم فمعرفة النعمة من المنعم وأما الحال فهو الفرح الحاصل بإنعامه وأما العمل فالقيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه" .

قال أحد الباحثين : ودعونا نفصل هذا الكلام الماتع :

1/ **العلم: معرفة النعمة من المنعم :** معرفة أن هذه النعمة ليست من أحد سوى الله، ولا تلتفت للأسباب مطلقاً بل ترى نجاحك وتوفيقك في شتى أمورك محض فضل من ربك. والحقيقة أننا ننسب الحسنة لأنفسنا وننسب السيئة إلى الله عياذاً بالله، إذا وفقت في شيء تجد نفسك تقول: لولا أني فعلت كذا ما فلحت، ولأني قمت بكذا نجحت، أما لو لمناك على شر وقلنا لك: لمَ فعلت ذلك؟ تقول والله لم أكن أريد لكن الشيطان شاطر، لكن قدر الله، لكن.. لكن، فانتبه لهذا وانسب النعمة لصاحبها.

2/ **الحال: هو الفرح الحاصل بإنعامه** : وإن لم تجد هذا الفرح فاعلم أنك لم تعرف نعمة الله من الأساس. لذا دائماً أقول اكتبوا نعم الله ، تفكروا فيها، وانظروا لمن حرمها. انظر لمن فقد بصره حتى تفرح ببصرك، وانظر لمن حرم الأولاد وينفق الآلاف لكي يرزق بطفل واحد وأنت عندك ثلاثة وأربعة، انظر له لتفرح بنعمة ربك. إذا فقدت إحساسك بالنعمة فابحث عن من فقدها، فإذا استشعرتها وشعر قلبك بالفضل والفرح والانشراح بها فهنا يتولد عن هذا الحال العمل.

3/ **العمل** : تجدك تريد أن تبذل لله.. تصلي أو تتصدق أو تكشف كربة أو تعين أحداً.. تفعل أي شيء يرضي الله فتفعل "ما هو مقصود المنعم ومحبوبه"، لذلك الشكر بالقلب والجوارح واللسان، فلا يكون شاكر إلا إذا كان قلبه مخبت، ولسانه ذاكر، وكذلك جوارحه منقاده بالطاعة لله سبحانه وتعالى.

ثانياً : كيف يجازي الله تعالى الشاكرين على كل شكر يقومون به :

1 – **ذكرُ اللهِ للعبدِ إذا ذكره :** ففي قوله تعالى : (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**) [البقرة:152] لأن الله سبحانه وتعالى هو الشاكر ، إن ذكرته ذكرك ، لكن ذكر الله لك غير ذكرك له ، ذكر الله لك أكبر من ذكرك له ، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية .

ويشكر عبده بأن يثني عليه في الملأ الأعلى، ويذكره عند الملائكة، ويجعل ذكره بين العباد في الأرض حسناً ، ففي الحديث القدسي (**إذا أحَبَّ اللهُ عبدًا نادَى جِبريلُ : إنّي قدْ أحبَبْتُ فلانًا فأحِبَّهُ ، فيُنادِي في السماءِ ، ثمَّ تَنزِلُ لهُ المحبةُ في الأرضِ ، فذلكَ قولُهُ تعالَى : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ، وإذا أبغضَ اللهُ عبدًا نادَى جِبريلَ إنّي أبْغضْتُ فُلانًا ، فيُنادِي في السماءِ ، ثُمَّ تنزِلُ لهُ البغضاءُ في الأرضِ**) متفق عليه .

وسئل أحد السلف : كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله علي فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي.

وقال محمد بن المنكدر لأبي حازم : يا أبا حازم ! ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير، ما أعرفهم، وما صنعت إليهم خيراً قط، قال أبو حازم : لا تظن أن ذلك من قبلك ولكن انظر إلى الذي من قِبله جاءت النعمة هذه -أن وضع لك المحبة في قلوب الناس- فاشكره، ثم قرأ عليه قول الله عز وجل:(**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً**) [مريم:96].

وذكرُ العبدِ لربه سبب الأمن والطمأنينة : لكنه إن ذكرك منحك نعمة الأمن ، قال تعالى : (**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**) [الأنعام:81-82] .

لا يتمتع بنعمة الأمن الحقيقي إلا المؤمن، أما غير المؤمن ف : " **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ** " [آل عمران:151] .

يمتلئ قلب المشرك خوفاً وفرقاً ، بينما قلب المؤمن يمتلأ أمناً وطمأنينة ، وفي قلب المؤمن من الأمن ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم ، إنها نعمة يختص بها المؤمنون ، إن ذكرته ذكرك ، لكن ذكرك له أداء واجب العبودية ، بينما ذكره لك أكبر بكثير من ذكرك له .

وذكرُ العبدِ لربه سبب للرضى : إن ذكرك الله منحك نعمة الرضى .قد يملك الإنسان ملايين مملينة ، ومع ذلك هو ساخط ، بينما المؤمن راض عن الله عز وجل (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**)[المجادلة:22] .

وذكرُ العبدِ لربه سبب في منحه نعمة الحكمة : قال تعالى : (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة:269] .

و وذكرُ العبدِ لربه سبب منحه نعمة الطمأنينة : قال تعالى:(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) الرعد (28).

2 – **ذكرُ الله أكبر من كل شيء** :لذلك قال تعالى : (**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاء الْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**) [العنكبوت:45] .ذكر الله لك في الصلاة أكبر من ذكرك له ، لأن الله عز وجل من أسمائه الحسنى أنه الشاكر ، إن ذكرته ذكرك .

3 – **الله رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم : ولكل مؤمن من هذا الرفع نصيبٌ** كما قال تعالى : (**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**) [الشرح:4] .ما من إنسان على وجه الأرض رفع الله ذكره كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكل مؤمن من هذه الآية نصيب ، بقدر استقامته وإخلاصه يرفع الله للمؤمن ذكره ، ويُعلي قدره ، ويُلقي في قلوب الخلق محبته.

4 – **تقرّب المؤمن بذكره لربّه سبب لتقرّب الله منه** : لمجرد أن تقترب من الله خطوة تجد أن الله عز وجل اقترب منك ، لأنه الشاكر يقترب منك ، مع بعض التفصيل في الأحاديث الصحيح :(**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**) [متفق عليه] .

قد تلقي كلمة في مجتمع معين ، في مجموعة إخوة كرام ، في عقد قران ، في سهرة ، في لقاء ، تتحدث عن الله عز وجل وتغفل نفسك ، وتغفل بطولاتك ، وتتحدث عن ربك (**وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ)** [متفق عليه] .

لمجرد أن تتقرب لله بتوبة ، بإنابة ، بذكر ، بصدقة بتلاوة قرآن ، بفعل طيب مع مخلوق ما ، بصيام نفل ، بصلاة نافلة ، بغض بصر، بضبط لسان ، بخدمة إنسان ، بإطعام جائع بهداية ضال يتقرب الله منك . (**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)** [متفق عليه] .

فَلَيتَكَ تَحلو وَ الحَياةُ مَريرَةٌ وَلَيتَكَ تَرضى وَالأَنامُ غِضابُ

وَلَيتَ الَّذي بَيني وَبَينَكَ عامِرٌ وَبَيني وَبَينَ العالَمينَ خَرابُ

5 – **من شكر الله للعبد إلهام الأبناء برَّهم للآباء** : إن الله يشكر لك برك لأبيك بأن يلهم أولادك في المستقبل أن يكونوا بك بررة ، فالذي يبر أباه يهئ الله له أولاداً بررة يطيعونه ، يعظمونه ، يحترمونه ، وهم في خدمته كظله ، قال تعالى (**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)** سورة الرحمن (60) وهذا عطاء في الدنيا وأما في الآخرة :(**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)** [الرحمن:46] .

6 – **عفة الزوج سبب لعفة الزوجة :** وعفو تعف نساؤكم والذي يتعفف عن الحرام يكافئه الله بزوجة عفيفة ، كما أنه عف عن الحرام فهي تعف عن الحرام ، لأن الله عز وجل هو الشاكر .

7 – **من شكر في صلة الرحم زيادة في العمر وسعة في الرزق :** ومن اسم الله (الشاكر) أنه إذا وصلت رحمك زاد في عمرك ونفى عنك الفقر ، لأن الضمان الاجتماعي في الإسلام أساسه النسب والجوار ، والأحاديث التي توصي بالجار كثيرة جداً، والأحاديث التي توصي بصلة الرحم كثيرة جداً.

ما معنى صلة الرحم ؟ أقرباؤك مَن لهم غيرك ؟ الآخرون أنت لهم ، وغيرك لهم لا تعني صلة الرحم أن تطل عليهم في كل عيد دقائق معدودة ، ومعك بطاقة ، وتتمنى أن لا تراهم في البيت لكي توفر الوقت ، ليست هذه صلة الرحم .

صلة الرحم أن تتصل بهم ، وأن تزورهم ، وأن تجلس معهم ، وأن تتفقد أحوالهم ، وأن تمد لهم يد المساعدة ، وأن تأخذ بيده إلى الله عز وجل ، هذه صلة الرحم التي أرادها الله عز وجل ، تبدأ بالاتصال ، ولعله باتصال هاتفي ، ثم بزيارة ، ثم بتفقد أحوال ، ثم مساعدة مادية أو معنوية ، ثم بأن تأخذ بيده إلى الله عز وجل ، هذه صلة الرحم التي تزيد في العمر ، وتزيد في الرزق .

أحياناً إنسان له أخت متزوجة في طرف المدينة ، ما عنده وقت لزيارتها ، لكن لو أنه زارها ما الذي يحصل ؟ تنتعش أمام زوجها ، أمام أولادها ، لا تنام الليل مِن فرحها ، لذلك هناك أناس يزورون أقرباءهم الأقوياء أو الأغنياء أو اللامعين في الحياة ، أما أقربائهم المساكين فيهملونهم ، ويزورونهم من عام إلى عام .

لو طبقنا صلة الرحم لكنا في حال غير هذا الحال ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام **(الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ)** سواه الترمذي،سواء كان ذلك من مال زكاتك أو من مال الصدقات ، لك أجر الصدقة ، ولك أجر الصلة .

تنبيه : حول معنى زيادة العمر بصلة الرحم :للعلماء وقفة عند هذا المعنى :

الحقيقة العمر لا يتقدم ولا يتأخر ، لكن قيمة العمر بمضمونه ، كإنسان فتح محلا تجاريا من الساعة التاسعة صباحا حتى التاسعة ليلا ، وقت محدود ، الفرق بين محلين ، محل قيمة غلته ألف ، ومحل غلته مليون ، فزيادة العمر تعني مضمون العمر ، قد يعني المضمون كثيف جداً .

الإمام الشافعي كان عمره يزيد على الخمسين سنة بقليل ، لكنه ترك من المؤلفات النافعة الشئ الكثير ،وكذلك الإمام النووي عاش أقل من خمسين سنة ، وهناك أناس عاشوا تسعين سنة ، ولم يفعلوا شيئاً .

فلذلك زيادة العمر في رأي بعض العلماء أن العمر قيمته بأعماله الصالحة ، العمر الحقيقي عمر العمل الصالح ، وأتفه أعمار الإنسان عمره الزمني ، لكن أجلّ أعماره عمره في العمل الصالح ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)** [متفق عليه] .

قال النابلسي : والله حدثني أخ زاره قريبه في بيت تحت الأرض ضعيف الشمس ، رطب ، والزائر منعم ، قال له : هذا المكان لا يليق بأولاده من أجل صحتهم ، قال لي : زيارة واحدة نقلني إلى بيت في طابق ثالث باتجاه القبلة ، قال : والله أنعشني ، القصد من الزيارة أن تمد يد العون ، الزيارة دائما أن تمد يد العون ، من القوي إلى الضعيف ، ومن الغني إلى الفقير ، ومن العالم إلى الجاهل ، والأقوى منك ليس بحاجة إليك ، يجب أن تزوره طبعاً ، وهو ليس بحاجة إليك ، مَن هو في حاجة إليك ؟ الذي يكون أضعف منك ، فإذا تراحم الناس يرحمهم الله جميعاً ، أما إذا تدابروا ، وتناكر الناس ، ولم يعبأ أحد بأحد سخط الله علينا جميعاً .

8– **مِن شكرِ الله العبدَ عند توقيره الكبير** : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ**) [الترمذي] . لأن الله عز وجل هو (الشاكر) وإن قدّمت لإنسان عادي معروفاً يتفنن في شكرك ، ويبارك هذا العمل ، يقول لك : خجلتنا ، تفضلت علينا ، وخالق الأكوان صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى أيعقل أن تقدم معروفاً في الدنيا أم في الآخرة ولا يشكرك عليه .

9 – من شكر الله العبدَ عند إحسانه إلى المخلوقات : أيّ عمل صالح قدّم لمخلوق كائنا من كان وكائناً ما كان ، كائناً من كان للبشر العقلاء ، وكائناً ما كان لغير البشر ، لمخلوق ، لقطة ، لجرو صغير ، أيّ عمل صالح قدّم لأي مخلوق كائناً من كان ، أو كائناً ما كان فلابد من أن يجازي الله عليه مقدِّمَه ، مسلما كان أو كافرا ، في الدنيا أو في الآخرة ، ومستحيل أن تقدم شيئا صالحا دون أن تنال الجزاء ، فإن كنت مؤمناً بالله وباليوم الآخر كان الجزاء في الدنيا والآخرة ، وإن كان الإنسان بعيداً عن الله ، مؤمنا بالدنيا ، ولم يؤمن بالآخرة كان الجزاء في الدنيا .

10– **من شكر الله العبدَ عند إنفاقه من وقته في طاعة الله** : الذي ينفق يوسّع الله عليه في ماله .والذي يدعم الضعفاء والمساكين يقوي الله عز وجل مكانته في المجتمع .والذي يبذل من وقته لخدمة الخلق يبارك الله في وقته ، لذلك الله عز وجل أمرنا أن نؤدي زكاة أموالنا ، ومن منا ينتبه إلى أن الوقت له زكاة ، لمجرد أن تؤدي الصلوات في أوقاتها فقد اقتطعت من وقتك الثمين وقتاً لطاعة الله ، فالمكافأة على ذلك أن الله يبارك لك في وقتك ، فتفعل في الوقت القليل الشيء الكثير .

أحيانا إذا ضن الإنسان بوقته الثمين أن يعبد الله فيه ، أو أن يحضر مجلس علم يتلف الله له وقته ، وقد يشعر الإنسان بعدم التوفيق ، عنده قائمة أعمال ، انتقل من مكان إلى مكان ، أغلق المحل ، يسافر من مكان إلى مكان فلا يتحقق له شيء ، فأراد الله عز وجل له أن يضيع الوقت مع الشعور بالألم ، وهو قادر أن يبارك لك في وقتك ، لذلك الوقت له زكاة ، إن أنفقت بعض الوقت في أداء العبادات ، وطلب العلم ، وطاعة الله يبارك الله لك في وقتك ، وإن أديت شيئاً من وقتك في خدمة الخلق يبارك الله عز وجل لك في جهدك .

قال النابلسي : حدثني أخ أنه دخل محل إنسان ، في إحدى المحافظات الشمالية ، قال : أنا أريد أن تعلمني صنع هذه الحلوى ، قال : حباً وكرامة ، صنع أمامه طبخة ، وقال له : اكتب عندك التفاصيل ، وكلفه أن يصنع أمامه طبخة ثانية ، والإنسان من محل بعيد من أقصى القطر ، أقسم لي بالله منذ ثلاثين عاماً ما مِن عام إلا ويأتي إليه بهدايا ثمينة ، يقول له : أنت فضلك علي كبير .

11 – **من شكر الله العبدَ عند إنفاقه من وقته في خدمة خلقه :** لو قدمت معروفا لكلب ، دققوا في هذا الحديث ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا ، فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي ، فَمَلَأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، ثُمَّ رَقِيَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ : فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**)[متفق عليه] .

والله لعل الله يرحمنا بخدمة مخلوق ضعيف ، بخدمة هرة مريضة ، وهناك أشخاص يأخذون هذه الحيوانات المريضة إلى مستوصفات بيطرية يعالجونها ، هناك أناس مغرمون بإطعام الحيوانات .

وبناءا عليه: أيّ عمل صالح موجّه لأيّ مخلوق ، هناك أشخاص مغرمون بإطعام الطيور ، يشترون الحب ويضعونه على سطح البيت ، والطيور تأتي تباعاً وتأكل .

فلذلك يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ ، يا من قدست الوجود كله ، ورعيت قضية الإنسان ، يا من زكيت سيادة العقل ، و نهنهت غريزة القطيع ، يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع ، فعشت واحداً بين الجميع ، يا من كانت الرحمة مهجتك ، والعدل شريعتك ، والحب فطرتك ، والسمو حرفتك ، ومشكلات الناس عبادتك .

12 – من شكر الله العبدَ مضاعفة الأجر له على لعمل اليسير:

قال تعالى: (**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**) [الشورى: 23]،

والأمثلة كثيرة منها :

– (**مَنْ تصدَّقَ بعدْلِ تمرَةٍ مِنْ كسبٍ طيِّبٍ ، ولَا يقبَلُ اللهُ إلَّا الطيِّبَ ، فإِنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِهِ ، ثُمَّ يُرَبيها لصاحبِها ، كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّهُ حتى تكونَ مثلَ الجبَلِ**) رواه البخاري . الفلو هو المهر (الحصان الصغير) .

– **من حافظ على السنن الرواتب : جاء في الحديث : (ما من عبدٍ مسلمٍ يصلِّي للهِ تعالى في كلِّ يومٍ ثِنْتي عشرةَ ركعةً تطوُّعًا غيرَ فريضةٍ إلا بنى اللهُ تعالى له بيتًا في الجنَّةِ)** رواه مسلم (728) .

– **الصلاة على الميت : جاء في الحديث (من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان ..قالوا يا رسول الله : وما القيراطان ؟؟فقال: مثل الجبلين العظيمين** -أي من الحسنات - **قال سالم بن عبدالله بن عمر: وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُصلي عليها ثم ينصرف، فلما بلغه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد ضيَّعنا قراريط كثيرة**) متفق عليه

13/ **توفيقهم للخير** :يشكرهم بأن يوفقهم للخير، وأعلى مراتب توفيق الله لعَبْدِهِ أن يحبب إليه الإيمان والطاعة، ويُكَرِّهَ إليه الكفر والمعصية، وهي المرتبة التي نالها أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم -، وامتن الله بها عليهم في قوله تعالى:

{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} [الحجرات: 7].

قال ابنُ القيّم – رحمه الله -: (أجمع العارفون بالله أنَّ التوفيق هو أن لا يَكِلَكَ الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخْلِيَ بينك وبين نفسك)مدارج السالكين" (445/1).

14- من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه :

فإذا ترك العبد شيئاً لله أعطاه الله أفضل منه، وإذا بذل العبد شيئاً لله رده الله عليه أضعافاً مضاعفة :

– لما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا من الديار في مرضاة الله عوضهم الله ملك الدنيا، وفتح عليهم ملك فارس والروم.

– ولما تحمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر الله له ذلك ومكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء.

- ولما بذل الشهداء دماءهم وأموالهم في سبيل الله حتى مزق الأعداء أجسادهم شكر الله ذلك لهم، وجعل أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، وترد أنهارها، وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش.

- لما تجاوز عن المعسرين تجاوز الله عنه : عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (كان رجلٌ يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا جئت مُعْسِراً، فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، قال: فلقى الله فتجاوز عنه).متفق عليه

35-37/ في رحاب اسمائه تعالى

الولي والمولى الْوَالِي

عرفت أن من معاني هذا الأسماء الجميلة : ما يأتي :

أما معنى اسم الولي :

قال الخطابي رحمه الله تعالى : **الولي**: المتولي للأمر والقائم به، كولي اليتيم، وولي المرأة في عقد النكاح عليها، وأصله من الولي، وهو القرب»

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : هُوَ الْمُحب النَّاصِر وَمعنى وده ومحبته قد سبق وَمعنى نصرته ظَاهر فَإِنَّهُ يقمع أَعدَاء الدّين وينصر أولياءه قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (**(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) البقرة (257)** وَقَالَ تَعَالَى (**ذَلِك بِأَن الله مولى الَّذين آمنُوا وَأَن الْكَافرين لَا مولى لَهُم)** مُحَمَّد (11) أَي لَا نَاصِر لَهُم وَقَالَ عز وَجل (**كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)** سُورَة المجادلة(21) .

وأما معنى اسم المولى [277]:

قال الطبري رحمه الله تعاالى : في تفسير قوله تعالى:﴿أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة:386 : أنت ولينا بنصرك، دون من عاداك وكفر بك، لأنا مؤمنون بك ومطيعون فيما أمرتنا ونهيتنا، فأنت ولي من أطاعك وعدو من كفر بك فعصاك، فانصرنا لأنا حزبك، على القوم الكافرين الذين جحدوا وحدانيتك وعبدوا الآلهة والأنداد دونك، وأطاعوا في معصيتك الشيطان، والمولى في هذا الموضع المفعل، من ولي فلان أمر فلان فهو يليه ولاية وهو وليه ومولاه.

277/ قال ابن الأثيررحمه الله تعالى : وقد تكرر ذكر المولى في الحديث وهو اسم يقع على عدد من المعاني : فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه وأكثرها قد جاءت في الحديث فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه وكل من ولى أمرا أو قام به فهو مولاه ووليه وقد تختلف مصادر هذه الأسماء فالولاية بالفتح في النسب والنصرة والمعتق والولاية بالكسر في الإمارة والولاء المعتق والموالاة من والى القوم .

وأما معنى اسم الوالي[278] :

قال الغزالي رحمه الله تعالى: هُوَ الَّذِي دبر أُمُور الْخلق ووليها أَي تولاها وَكَانَ مَلِيًّا بولايتها وَكَأن الْولَايَة تشعر بِالتَّدْبِيرِ وَالْقُدْرَة وَالْفِعْل وَمَا لم يجْتَمع جَمِيع ذَلِك فِيهِ لم ينْطَلق اسْم الْوَالِي عَلَيْهِ وَلَا وَالِي للأمور إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ المتفرد بتدبيرها أَولا والمنفذ للتدبير بالتحقيق ثَانِيًا والقائم عَلَيْهَا بالإدامة والإبقاء ثَالِثا .

وقال السعدي رحمه الله تعالى: ﴿**وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**﴾ يتولى أمورهم فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه، فليحذروا من الإقامة على ما يكره الله خشية أن يحل بهم من العقاب ما لا يرد عن القوم المجرمين .

ورود الولي والمولى والوالي في القرآن الكريم :

ورد الولي في قوله تعالى : (**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**) البقرة (257) .

ورد المولي في قوله تعالى : (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**) محمد(11) .

وقال تعالى:(**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**) سورة الأنفال(40) .

ورد الوالي في قوله تعالى : ﴿**وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**﴾ الرعد (11) .

وعرفت أن ولاية الله تعالى لعباده على نوعين :

أ- ولاية عامة : تقتضي الخلق والرزق والإحاطة، ومنها قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (62) سورة الأنعام.

ب- وولاية خاصة: تقتضي الهداية والتوفيق ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾ (257) سورة البقرة، وتقتضي النصرة والتأييد كما في قوله تعالى ﴿ بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ

278/ اخُتلِف في أنه من أسماء الله الحسنى، وهو قريب من معنى اسمي الولي والمولى، وكان ممن ذكر الوالي في أسماء الله الحسنى الوليد بن مسلم، والصنعاني، والبيهقي والغزالي ،

خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ (150) سورة آل عمران، وتقتضي المحبة، قال تعالى ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (196) سورة الأعراف، وتؤدي كذلك الاطمئنان والسعادة في الدنيا والآخرة ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (62) سورة يونس

وعرفت أن الفرق بين الولي والمولى : الولي هو من تولى أمرك وقام بتدبير حالك وحال غيرك؛ وهذه من ولاية العموم، أما المولى فهو من تركن إليه وتعتمد عليه وتحتمي به عند الشدة والرخاء، وفي السراء والضراء؛ وهذه من ولاية الخصوص، لذا كثيرًا ما يأتي اسم الله المولى في ولاية الخصوص.

إذن معنى أن الله ولي المؤمن : أن هذا المؤمن تحت رعاية الله ، وحفظه ، وتأييده ، ونصره ، يتولاه بالرعاية ، يتولاه بالحفظ، يتولاه بالتأييد ، يتولاه بالمعالجة ، فلذلك من أقرب أسماء الله الحسنى إلى المؤمن اسم الولي .

تعلمت من أسمائه تعالى الولي والمولى والوالي : ما يأتي :

- أتولى شؤوني وشؤون أسرتي بنفسي متوكلا على الولي المولى دون خوف أو قلق أو هلع لأنه هو المتولي لأمور خلقه قاطبة، القائم على تدبير ملكه، يمسك السماء أن تقع على الأرض، قال تعالى: (**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**) سورة الرعد(33) يتابع كل إنسان، إن كان حاله جيداً أكرمه، وإن كان بعيداً عالجه، هو المتولي أمور خلقه، يمدهم بما يحتاجونه، ويربي نفوسهم.

- أن أكون علي يقين من أن رزقي سوف يأتيني - ولا بد من بذل الأسباب - لأن الله هو الولي القائم بشؤون عباده وتكفل بأرزاقهم، وضرب النابلسي لذلك مثلاً – للتقريب – فقال : بستان فيه شجر التفاح، الشجرة السابعة، الغصن الرابع، التفاحة الخامسة، هذه لفلان، قُسمت له، فلان مخير، إما أن يشتريها بماله الحلال، وإما أن يأكلها ضيافة، وإما أن تقدم له هدية، وإما أن يتسولها، وإما أن يسرقها، وهي له، طريقة وصول رزق الإنسان باختياره.

كما تعلمت من هذه الأسماء [279] : ما يأتي :

1/ أن نتخلق بأخلاق الولاية لكل مؤمن، فنتولى أولياء الله، وعلى قدر ولاية العبد لله تكون ولايتنا له، كما قال تعالى ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ (55) سورة المائدة، وتكون لهم المحبة والأخوة والنصرة للمؤمنين حيثما كانوا، ﴿ **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا** ﴾ (75) سورة النساء.

• وإنما يتولى المؤمن المؤمنين بالتزام توجيه الله في مثل هذه الآية الكريمة، ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ هذا هو همهم ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ هذا هو عملهم ﴿ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ هذا هو مناهجهم ﴿ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (71) سورة التوبة، وليتولى المؤمن إخوانه فليحرص على الإحسان إليهم ومعاملتهم بالجميل، ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (34) سورة فصلت.

وفي حديث عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال:(**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ الآية:** ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾، رواه أبو داود.

[279]/ ملخص من منهج فهم معاني الأسماء الحسنى والتعبد بها (5) الولي والمولى د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري – الألوكة الشرعية – وشرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي .

2/ ليحذر المؤمن مما ينافي تولي الله تعالى والمؤمنين، ومن ذلك:

• أن يتبع غير منهاج الله ويعتز بغير شرعه، قال تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ** ﴾ (120) سورة البقرة.

• أن يتولى أعداء الدين فيحبهم وينصرهم على المؤمنين، ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾ (28) سورة آل عمران.

• أن يصر على السيئات ولا يحدث للذنوب توبة، ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ (123) سورة النساء.

وقال الغزالي : الْوَلِيّ من الْعباد من يحب الله عز وَجل وَيُحب أولياءه وينصره وينصر أولياءه ويعادي أعداءه وَمن أعدائه النَّفس والشيطان فَمن خذلهما وَنصر أَمر الله تَعَالَى ووالى أَوْلِيَاء الله وعادى أعداءه فَهُوَ الْوَلِيّ من الْعباد .

3/ قال النابلسي : هذا ما يتمتّع به المؤمن الذي تولاّه الله:

- **الرضى:** يتمتع المؤمن بالرضى، فلذلك حينما يسوق الله الإنسانَ إلى بابه عن طريق مصيبة، أو شبح مصيبة، أو ضيق، أو عدو جاثم على صدره، أو شبح فقر، أو شبح مشكلة، فهذه في الفهم الإيماني نعمة باطنة: ﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ سورة لقمان(20) إذا كنت ضمن العناية المشددة فأنت في نعمة كبرى:

وأقول لكم هذه الكلمة : حينما يتابعك الله عز وجل، وحينما يخضعك لتربيته فأنت في خير عميم، وأنت في نعمة كبرى، إذا كنت ضمن العناية المشددة فأنت في نعمة كبرى، قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾ سورة محمد (11)

- لذلك إذا كنت ضمن العناية المشددة فالله يتولى أمرك، وإذا تولى الله أمرك فأنت في نعمة كبرى، في متابعة من ضمن الله عز وجل.لأنك إذا أخطأت جاء العقاب، أو أسرفت في الإنفاق جاء

التقتير، أو استعليت على إنسان جاء التأديب الذي من نوع هذه المعصية فصار تحجيما، كإنسان تطاول عليك، لأن الإنسان حينما يتطاول على غيره الله يؤدبه من جنس الذنب.

- وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يتعبد الله بذكر هذا الاسم والتعلق بمقتضاه، وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة حينما قال لهم أبو سفيان: لنا العُزى ولا عُزى لكم، فقال: **" قولوا الله مولانا ولا مولى لكم"**.

- وكان من هديه صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن، ثم قال: **(اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت)** متفق عليه.

38/ في رحاب اسمه تعالى

الْوَدُود

عرفت أن من معاني اسم الله الودود : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله تعالى : الودود : هُوَ الَّذِي يحب الْخَيْر لجَمِيع الْخلق فَيحسن إِلَيْهِم ويثني عَلَيْهِم، وَهُوَ قريب من معنى الرَّحِيم، لَكِن الرَّحْمَة إِضَافَة إِلَى مَرْحُوم والمرحوم هُوَ الْمُحْتَاج والمضطر وأفعال الرَّحِيم تستدعي مرحوما ضَعِيفا وأفعال الْوَدُود لَا تستدعي ذَلِك بل الإنعام على سَبِيل الِابْتِدَاء من نتائج الود .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : أما الودود : ففي قولان :

أحدهما : أنه بمعنى فاعل ، الذي يحب أنبياءه ورسله والمؤمنين .

الثاني : بمعنى مودود أي محبوب ، أن الله سبحانه وتعالى هو وحده يستحق أن تعبده ، ويستحق أن تحبه ، هو أهل لمحبتك ، وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه ، وبصره ، وجميع محبوباته .

وقال رحمه الله تعالى في النونية :

وهو الودود يحبهم ويحبه ... أحبابه والفضل للمنان

وهذا الذي جعل المحبة في قلو ... بهم وجازاهم بحب ثان

هو هو الإحسان حقا لا معا ... وضة ولا لتوقع الشكران

لكن يحب شكورهم وشكورهم ... لا لاحتياج منه للشكران

تعلمت من اسمه تعالى الودود [280] : ما يأتي :

1/ قال الغزالي رحمه الله :الْوَدُود من عباد الله من يُرِيد لخلق الله كل مَا يُريدهُ لنَفسِهِ وَأَعْلَى من ذَلِك من يؤثرهم على نَفسه كمن قَالَ مِنْهُم أُرِيد أَن أكون جِسْرًا على النَّار يعبر عَليّ الْخلق وَلَا يتأذون بهَا.

وَكَمَال ذَلِك أَن لَا يمنعهُ عَن الإيثار وَالْإِحْسَان الْغَضَب والحقد وَمَا ناله من الْأَذَى كَمَا قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَيْثُ كسرت رباعيته وأدمي وَجهه وَضرب (**اللَّهُمَّ اغْفِر لقومي فَإِنَّهُم لَا يعلمُونَ)** فَلم يمنعهُ سوء صنيعهم عَن إِرَادَته الْخَيْر لَهُم وكما أَمر صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عقبة رضي الله عنه بقوله (**يا عقبة بن عامر ! صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك)**
صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2 / 582)

2/ من أحبه الله ألقى محبته في قلوب الخلق جميعاً : الودود يحب عباده ، كيف يحبهم ؟ يرضى عنهم ، يستجيب دعاءهم ، كيف يحبهم ؟ يتقبل أعمالهم ، وكيف يحبهم ؟ يوددهم إلى خلقه ، إذا أحبك الله ألقى محبتك في قلوب الخلق ، فهو ودود ، إذا أحبك الله جعل الخلق يحبونك ، هذا من نعم الله الكبرى . كما سبق في حديث (إن الله إذا أحب عبدا)

يرضى عنك كما قال تعالى (**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)** [الفتح:18] يعني أنت حينما تكون مستقيماً على أمر الله من فضل الله عليك يلقي في روعك أنه يحبك ، هذا الشعور لا يعرفه إلا من ذاقه ، عملك طيب ، دخلك حلال ، بيتك منضبط ، أولادك ربيتهم تربية عالية ، بناتك محجبات ، البيت إسلامي ، الدخل إسلامي ، الإنفاق إسلامي ، النشاط إسلامي ، المحبة لله ورسوله ، عندئذٍ الله يحبك يلقي في روعك أني أحبك ، وإذا أحبك الله وصلت إلى كل شيء .

280/ المقصد الأسنى وموسوعة شرح الأسماء النابلسي – موقع الكلم الطيب – بتصرف .

3/ **الله سبحانه وتعالى هو وحده من يستحق أن تعبده وأن تحبه** : لذلك أيها الأخوة (**وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**) سورة البروج (14-15) يحبك ، ويتودد إليك ، فينبغي أن تحبه ، وأن تتودد إليه بالأعمال الصالحة لخدمة خلقه .

المؤمن من خصائصه أنه يحب الله ، ويحسن إلى خلقه ، وسيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام في القرآن ورد : (**وَأَوْصَانِي بِالصّلاةِ والزّكَاةِ مَا دُمْت حَيّاً**) [مريم:31] .

4/ **المودة بين الزوجين من آيات الله الدالة على عظمته :** أشد العلاقات بين شخصين علاقة الزوج بزوجته ، قال تعالى : (**وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) [الشورى:29] والسماوات والأرض مصطلح قرآني يعني الكون ، والكون ما سوى الله.

أيضاً قال تعالى : (**وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**) [الروم:21] هذه المودة التي بين الزوجين هي من آيات الله الدالة على عظمته .

أنا أعرف إنساناً قريب لي ، تأخر زواجه إلى أمد طويل ، وهو يقيم في بلد خليجي ، فكلما جاء إلى الشام في الصيف لم يوفق إلى زوجة تناسبه ، في العام الخامس وقبل أن يغادر بيوم وجد إنسانة تناسبه فعقد عقده عليها ، وفي اليوم التالي غادر إلى بلاد الخليج ليتابع عمله ، بكت بكاءً مراً في المطار ، عمر هذه العلاقة عشرين ساعة فقط ، هذا من خلق الله .

39/ في رحاب اسمه تعالى

الحليم

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الحليم : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله تعالى : الحليم : هُوَ الَّذِي يُشَاهد مَعْصِيّة العصاة وَيرى مُخَالفَة الْأَمر ، ثمَّ لَا يستفزه غضب وَلَا يَعْتَرِيه غيظ وَلَا يحملهُ على المسارعة إِلَى الانتقام - مَعَ غَايَة الاقتدار - عجلة وطيش كَمَا قَالَ تعالى(**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ)** سُورَة النَّحْل (61).

وقال بعضهم: حليم سُبحانه : لأنه يعفو عن كثير فهو يعفو عن كثير من سيئاتهم ويُمهلهم بعد المعصية ولا يُعاجلهم بالعقوبة والانتقام بل يقبل توبتهم بعد ذلك.

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، من ذلك:

قوله تعالى: {**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**} [البقرة:235].

وقول الله تعالى : {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} [البقرة:263].
وقول الله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا} [الأحزاب:51].

تعلمت من اسم الله الحليم : ما يأتي :

- عدم العجلة في معاقبة من يخطئ من أولادي أو من يعمل معي بل أمهلهم المرة تلو الأخرى حتى لا يبقى لهم عذر.

- كما تعلمت منه عدم الاستعجال في الحكم على الآخرين أو إساءة الظن بهم دون تثبت ، قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)** الحجرات (6) فدلت الآية - كما قال أهل العلم - على : وجوب التثبت من

الأخبار، وعدم الوثوق بخبر الفاسق الخارج عن طاعة الله. ووجوب التريُّث قبل الحكم على الأشخاص لمجرد سماع الأنباء؛ خشية الظلم والعدوان عليهم.

كما تعلمت من اسم الله الحليم [281] : ما يأتي :

أولاً : قال الرسول صلى الله عليه وسلم للأشجع بن القيس.. قال: «إنَّ فيكَ لَخَصْلَتينِ يحبُّهُما اللَّهُ الحِلمُ والأناة» رواه مسلم. **وقال الغزالي رحمه الله تعالى :** (الحلم من محَاسِن خِصَال الْعباد) .

فالحِلمُ شرفه أنه سبب لمحبة الله سبحانه وتعالى وكفى بها من منقبة لهذا الخُلقُ العظيم فهو صفة تُكسِبُ المرء محبة الله ورضوانه وهو دليلٌ على كمال العقل وسعة الصدر وامتلاك النفس.. فالذي يتخلَّق بهذا الخُلق سيكون في منزلةٍ عُليا في تهذيبه وتربيته لنفسه

لذلك إذا أردت أن ترى أحدًا أين وصل مع نفسه في حدود التربية انظر إلى حلمه.. أي ضبط النفس.. فالأصل في الإنسان أن يتشفَّى لنفسه وأن يُعاجل بالعقوبة أو يرد عنه أو يجد في نفسه شيئًا.. إنما الحليم لا يُبالي بمثل ذلك، فنفسه ليست أسيرة به ولا يهمه مثل هذه الجهالات ولا يلتفت إليها.. فهو لا يلتفت إلى سفاسف الأمور وهذا دليل على الوصول إلى منزلة عليا في الإيمان وفي تهذيبه لنفسه .

ثانياً : أن الله سبحانه وتعالى يؤيد الحليم وكذلك يُلقي قدْره في قلوب العباد لكن من البداية ينبغي فهم أمرًا مهمًا وهو أن الحِلمُ لا يُستخدم مطلقًا.. فقد نحتاج لأن نخرج عنه أحيانًا لردع السفيه.. فالأصل في التعامل عند تربية النفس أن تحلُم .

لكن هنا كبعض المواقف تحتاج الردع وتحتاج القوة في التعامل مع السفيه لا سيما إذا استشرى، فلو تُرك هكذا ستكون مفسدته أعظم وقد يُساء فهم الحليم في هذا الموقف.

ومن الأمور المتعلقة بالحلم أيضًا أنه لا يكون إلا مع القدرة على إنزال العقوبة وإلا سُمِّي ذلك خَوَر وضعف وذُل.. فالحليم من يقدر على الرد ولكنه يترك السفيه لجهله وذلك شرط على

281/ شرح وأسرار الأسماء الحسنى - (37) اسم الله الحليم – موقع طريق الإسلام - بتصرف .

الحليم.. أن يقدر على إنزال العقوبة. ومن فضل الحلم كذلك أن قليل من الخلق من يتصفُ به.. فالذي يتصف بهذا الخُلق صار بمنزلهم ميزة وصار في النادر القليل وقد يكتسبه الإنسان بالتعود وبالرغبة فيما عند الله بالثواب الجزيل فإذا تحلَّم العبد وتكلفه شيئًا فشيئًا يعتاده كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إنما العلم بالتعلم وإنما الحلمُ بالتحلُّم**) رواه الطبراني وغيره وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، وصحيح الجامع.

وذلك إذا كان دائمًا أبدًا ينظر إلى ما عند الله ولا يلتفتُ إلى الناس.. فسيكون ذلك دافعٌ له للتخلُّق بهذا الخُلُق العظيم.

فالحلمُ يعمل على تآلف القلوب وينشُر المحبة بين الناس ويُزيل البغض ويمنعُ الحسد ويُميل القلوب ويستحق صاحبها لدرجات العلا والجزاء الأوفر. ولذلك فهو خُلق عظيم نحتاج لأن نفقه عنه الكثير من الأمور حتى نستطيع أن نتخلَّق بهذا الخُلق فأولًا نعرفه في حق ربنا فنزداد محبةٌ له سُبحانه .

ثالثاً : كيفية التخلق بهذا الخُلُق؟ قالوا الأسباب الدافعة للحلم كثيرة خصِّها الماوردي في أدب الدُنيا والدين بعشرةِ أمور، فقال: "الحلمُ من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد.

والأسباب الباعثة عليه عشرة:

1- **الرحمة للجُهَّال**: فينظُر إليهم بعين الرحمة لعدم علمه وعدم فهمه في رحمه ويتجاوزعنه ويحلُم عليه.. وذلك من خيرٍ يُوافقُ رقه وقد قيل في مأثور الحكم من: "أوكد أسباب الحلم رحمة الجُهَّال".

2- **القدرة على الانتصار:** وذلك من سعة الصدر وحُسن الثقة فيبعثُه على حلمه معرفته التامة بأنه يستطيع أن ينتصر.. ولكن يتسع صدره بحُسن ثقته في ربه وما عنده من جزيل الثواب.. وأن الله سينتصرُ للمظلوم ولو بعد حين وأن الله سيكُف عنه ذلك ويدفع عنه وذلك شيء يعرفه المؤمن من نفسه وحاله مع ربه.

3- **أنه من الأصل مُهذَّبٌ مؤدب فيترفَّع عن السباب**: فيستشعر من نفسه ومن لسانه العفة على أن ينطق بمثل السباب الموجه إليه! ويكون كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم: «**لم يكن فاحشًا ولامُتَفَحِّشًا ولا صَخَّابًا في الأسواقِ، ولا يَجْزِي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يَعْفُو ويَصْفَحُ**» رواه الترمذي، فيترُكه ويترفَّع عن سبابه.. قالوا: وذلك من شرف النفس وعُلو الهمة ومن الجميل هاهنا أنهم قالوا الله سُبحانه وتعالى سمَّى يحيى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بسيدًا وذلك لحِلمه.. لأنه كان حليمًا فصار سيدًا .

4-**الاستهانة بالمُسيء**: وذلك فيه نظر لأنه قد يؤدي إلى نوع من الكِبر! لكن الضابط هنا العِزَّة فإن كان عزيزًا فإنه يحلُم على الجُهَّال.. فمثل ذلك -ذُكر سابقًا في اسم الله العزيز- عندما أتى سُفيانَ الثوري أحدُهم فقال له: إنك مُتكبر فقال: لا إنما عزيز! أي لا أحب أن يجلب لنفسه الاستصغار بأن يُنزله المستوى من يجهلُ عليه بالقول أو الفعل.. وذلك عزة نفس وليس كِبرًا .

فالكبر بطرُ الحق وغمط الناس أما عندما يعزُّ بنفسه على أمر ربه فهو كِبر! إنما الاستهانة بالمُسيء قريبة من معنى القدرة على الانتصار.. فاحذر من أن تكون العزة لديك بأن لا تخضع لأمر الله أو تستمع النصيحة من أحد أو أن تذلل له أو تذلل لمؤمنين.

5-**الاستحياء من جزاء الجواب**: والباعثُ عليه صيانة النفس وكمال المروءة ولذلك قيل: **ما أفحش حليم ولا أوحش كريم**. أي: لا يُعقل أن يقع الحليم في مثل هذا الفُحش في الكلام.. فيجب أن يصون لسانه ويترفع أن يرُد عنه وكذلك يستحي من جزاء الجواب وهو أن يزيد الفاحش فيكُف عن نفسه بسكوته هذا الأذى!

6-**الكرم والتفضُّل وحُب التآلف**: فقد حُكي عن الأحنف ابن قيس أنه قال: "ما عاداني أحدٌ قط إلا أخذت في أمري بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى مني عرفتُ له قدره، وإن كان دوني رفعت قدْري عنه، وإن كان نظيري تفضَّلتُ عليه". أي: لو أعلى مني أوقره امتثالًا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه: «ليس منّا من لم يوقر كبيرنا» وإن كان أدنى مني يمثل بقوله ليس منّا من لم يرحم صغيرنا وإن كان مثلي فأتميز عليه بالكرم وأتفضل عليه فأكون ذو الشأن.

7-**الحزم ومغالبة النفس عن التسفل** : فيقولون إن الحليم يستنكِفُ السباب وفي نفس الوقت يُريد أن يقطع أسباب مثُل ذلك فيبعثُه الحزم على التحلُّم. قال الشعبي: "ما أدركتُ أمي فأبرها ولكن لاأسبُ أحدًا فيسُبها.. فقالوا: **في إعراضك صونُ أعراضك**!".

وقال الشاعر:

وفي الحِلمُ ردعٌ للسفيه عن الأذى وفي الخُرق إغراءٌ فلا تكُ أخرقًا!

8- **الخوف من العقوبة على الجواب: بمعنى.. الخوف من العقوبة من الله سبحانه وتعالى** إذا وقع في السفه فقد قالوا: الحلمُ حجاب الآفات.

9- الوفاءُ وحسن العهد: إذا كان من وقع في حقك تعرف له مكرُمة عليك فترعى له هذه اليد السالفة وتكون له عليك حُرمة لازمة.. أي تفتكر له الخير وتتغاضى له عن خطأه في لحظة الغضب.

10- **بعض الناس يحلمون ويكون الباعثُ عليه المكر والدهاء** -وذلك مذموم وليس من مكارم الأخلاق- فقال بعضُ العقلاء: غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله.

قال إياس:

تُعاقبُ أيدينا ويحلُم رأينا ونشتُمُ بالأفعال لا بالتكلم

ومثلُ ذلك: أن تترك أحدهم يشتمك ويُسيء لك أمام الناس.. فتحلُم عليه حتى يُثني على صنيعك الناس وتظهر أنت المظلوم أمامهم! فيكون الباعثُ على ذلك الدهاء وليس طلبِ رضا الله. الفرقُ بين الحِلمُ وكظم الغيظ؟

40/ في رحاب اسمه تعالى

البَرُّ

عرفت أن من معاني اسمه تعالى البر: ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله تعالى : البَرُّ : هُوَ المحسن وَالْبَرُّ الْمُطلق هُوَ الَّذِي مِنْهُ كل مبرة وإحسان .

وقَالَ الحُلَيْمِيُّ رحمه الله تعالى:البَرُّ : ومَعْنَاهُ: الرَّفِيقُ بِعِبَادِهِ، يُرِيدُ بهم اليُسْرَ، ولا يُرِيدُ بهم العُسْرَ، ويَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِنْ سَيِّئَاتِهِم، ولا يُؤَاخِذُهم بجَمِيعِ جِنَايَاتِهِم، ويَجْزِيهِم بالحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِها، ولا يَجْزِيهِم بالسَّيِّئَةِ إِلَّا مِثْلَها، ويَكْتُبُ لَهُم الهَمَّ بالحَسَنَةِ، ولا يَكْتُبُ عليهمُ الهَمَّ بالسَّيِّئَةِ.

وقَالَ ابنُ القَيِّمِ في نونيته :

والبر في أوصافه سبحانه ... هو كثرة الخيرات والإحسان

صدرت عن البر الذي هو وصفه ... فالبر حينئذ له نوعان

وصف وفعل فهو بر محسن ... مولى الجميل ودائم الإحسان

وقال الإمامُ ابنُ القَيِّمِ في شَرْحِهِ لِلْطَائِفِ أَسْرَارِ التَوْبَةِ:

ومِنْها: أَنْ يَعْرِفَ العبد بِرَّه سُبْحَانَهُ في سَتْرِهِ عَلَيهِ حَالَ ارْتِكَابِ المَعْصِيَةِ، مَعَ كَمَالِ رُؤْيَتِهِ لَهُ، ولَوْ شَاءَ لَفَضَحَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فحذروه، وهذا مِنْ كَمَالِ بِرّهِ، ومِنْ أَسْمَائِهِ (البَرُّ)، وهذا البِرُّ مِنْ سَيِّدِهِ كَانَ بِهِ مَعَ كَمَالِ غِنَاهُ عَنْهُ، وكَمَالِ فَقْرِ العَبْدِ إِلَيهِ، فَيَشْتَغِلُ بِمُطَالَعَةِ هَذِهِ المِنَّةِ، ومُشَاهَدَةِ هَذَا البِرّ والإحْسَانِ والكَرَمِ، فَيَذْهَلُ عَنْ ذِكْرِ الخَطِيئَةِ، فَيَبْقَى مَعَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الاشْتِغَالِ بِجِنَايَتِهِ، وشُهُودِ ذُلِّ مَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ الاشْتِغَالَ باللهِ والغَفْلَةَ عَمَّا سِوَاهُ: هُوَ المَطْلَبُ الأَعْلَى، والمَقْصِدُ الأَسْنَى [282].

282/ مدارجُ السالكينَ (1/ 206).

تعلمت من اسمه تعالى البر : ما يأتي :

- أن أكون بارا بسيد المرسلين عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ لأنه إذا كان من معاني البر الطاعة والأدب فهو أولى الناس بأن يُطاع ويُتأدب معه.

- أن أكون بارا بوالدي وأهلي وعشيرتي والمسلمين ، لأن الله سبحانه أَثْنَى عَلَى ابْنَي الخَالَةِ عِيسَى ويَحْيَى عليهما الصَّلَاةُ والسَّلَامُ بِبِرّهما أَبَوَيْهما، فَقَالَ في وَصْفِ عِيسَى عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: ﴿**وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾ [مريم: 32]، وفي وَصْفِ يَحْيَى عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: ﴿**وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا**﴾ [مريم: 14] ، قال الغزالي رحمه الله : وَالْعَبْد إِنَّمَا يكون برا بِقدر مَا يتعاطاه من الْبر وَلَا سِيمَا بِوَالِديهِ وأستاذه وشيوخه .

كما تعلمت منه [283] : ما يأتي :

1- اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى بَارٌّ بأَوْلِيَائِهِ، صَادِقٌ فِيمَا وَعَدَهم بِهِ مِنَ الأَجْرِ والثَّوابِ؛ ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ** ﴾ [الأعراف: 44].﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ [الزمر: 74].

2- اللهُ جَلَّ شَأْنُه بَرٌّ يُحِبُّ البِرَّ ويَأْمُرُ بِهِ، ويُحِبُّ مَنْ يَتَخَلَّقُ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ الأَبْرَارِ.ومِنْ أَجْمَعِ الآياتِ التي ذَكَرَتْ أَعْمَالَ البِرِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: 177].

283/ معنى اسم الله البر - الشيخ وحيد عبدالسلام بالي – موقع شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف .

وجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كُلَّ الأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ الحَسَنَةِ مِنَ البِرِّ، فَعَنِ النَّواسِ بنِ سَمْعَانَ، قَالَ: سَأَلْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن البِرِّ والإثْمِ؟ فَقَالَ: (**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حَاكَ في صَدْرِكَ وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيهِ النَّاسُ**) رواه أحمد ومسلم .

3- **بين الله تعالى لن الطريق الموصلة إلى صفات الأبرار فقال تَعَالَى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾** [آل عمران: 92]. وقَدْ فُسِّرَ (البِرَّ) في هذه الآيةِ بالجَنَّةِ، وثَوَابِ اللهِ تَعَالَى.

قَالَ ابنُ جَرِيرٍ: "لَنْ تُدْرِكُوا أَيُّها المُؤْمِنُونَ (البِرَّ)، وهو البِرُّ مِنَ اللهِ الذي يَطْلُبُونَهُ مِنْهُ بِطَاعَتِهم إياه، وعِبَادَتِهم لَهُ، ويَرْجُونَهُ مِنْهُ، وذلك تَفَضُّلُهُ عَلَيهم بإدْخَالِهم جَنَّتَهُ، وصَرْفِ عَذَابِهِ عَنْهم، ولذلك قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: البِرُّ: الجَنَّةُ؛ لأنَّ بِرَّ الرَّبِّ بِعَبْدِهِ في الآخِرَةِ، وإكْرَامَهَ إياه بإدْخَالِهِ الجَنَّةَ".

ومِمَّا يَدْخُلُ في هذا المَعْنَى قَوْلُه صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا" متفق عليه .

4/ **ومِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الإحْسَانِ والبِرِّ:** أَنْ يُحْسِنَ إلى مَنْ أَسَاءَ، ويَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَ، ويَغْفِرَ لِمَنْ أَذْنَبَ، ويَتُوبَ عَلَى مَنْ تَابَ إليهِ، ويَقْبَلُ عُذْرَ مَنِ اعْتَذَرَ إليهِ، وقَدْ نَابَ الله تعالى عِبَادَهُ إلى هذِهِ الشِّيَمِ الفَاضِلَةِ والأفْعَالِ الحَمِيدَةِ وهو أَوْلَى بها منهم وأَحَقُّ، وَكَانَ لَهُ في تَقْدِيرِ أَسْبَابِها مِنَ الحِكَمِ والعَواقِبِ الحَمِيدَةِ مَا يُبْهِرُ العُقُولَ فَسُبْحَانَهُ وبِحَمْدِهِ.[284]

5/ **قال ابن القيم رحمه الله** : "لا تَظُنَّ أَنَّ قَوْلَه تَعَالَى: **﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾** [الانفطار: 13، 14] مُخْتَصٌّ بِيَوْمِ المَعَادِ، بَلْ هَؤُلَاءِ في نَعِيمٍ في دُورِهِمُ الثَّلَاثَةِ - يعني الدنيا والبرزخ والآخرة - وهَؤُلَاءِ في جَحِيمٍ في دُورِهِمُ الثَّلَاثَةِ.وأَيُّ لَذَّةٍ وأَيُّ نَعِيمٍ في الدُّنْيَا أَطْيَبُ مِنْ بِرِّ القَلْبِ، وسَلَامَةِ الصَّدْرِ، ومَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وتَعَالَى ومَحَبَّتِهِ، والعَمَلِ عَلَى مُوَافَقَتِهِ؟

284/ مفتاحُ دارِ السعادةِ - لابن القيم - (ص: 497).

41/ اسمه تعالى

الوهاب

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الوهاب : ما يأتي :

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله :

الْهِبَة هِيَ الْعَطِيَّة الخالية عَن الأعواض والأغراض فَإِذا كثرت العطايا بِهَذِهِ الصّفة سمي صَاحبهَا **وهابا وجوادا** وَلنْ يُتَصَوَّر الْجُود وَالْهِبَة حَقِيقَة إِلَّا من الله تَعَالَى ، فَإِنَّهُ الَّذِي يُعْطي كل مُحْتَاج مَا يحْتَاج إِلَيْهِ لَا لِعوَضٍ وَلَا لغَرَضٍ عَاجل وَلَا آجل .

وَمن وَهبَ - أحدا شيئا - وَله فِي هبته غَرَض يَنَالهُ عَاجلا وآجلا من ثَنَاء أَو مدح أَو مَوَدَّة أَو تخلص من مذمة أَو اكْتِسَاب شرف وَذكر ، فَهُوَ معامل معتاض وَلَيْسَ بوهاب وَلَا جواد .

وقال الحُليمي رحمه الله : الوهاب : وهو المُتفضل بالعطايا المُنعم بها لا عن استحقاق عليه .

وقال ابن القيم رحمه الله في (النونية):

وكذلك الوهاب من أسمائه	**فانظر مواهبه مدى الأزمان**
أهل السموات العلى والأرض عن	**تلك المواهب ليس ينفكان**

ورد اسمه تعالى الوهاب في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

قوله تعالى :**(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)** [آل عمران:8].

وقوله تعالى :(**أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ**) سورة ص(9) .

وقال تعالى حكاية عن سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: **(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**) سورة ص(35) .

تعلمت من اسمه تعالى الوهاب : ما يأتي :

1/ ما من شئ أهبه لأحد من العباد ، من علم أو مال أو ما شاكله إلا وهو من فيض الوهاب وأحسانه إليّ ، قال تعالى : (**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) النور (21) .

2/ **الواهبون من البشر لغيرهم على درجات** : بينها الغزالي بقوله : لَا يُتَصَوَّر من العَبْد الْجُود وَالْهِبَة فَإِنَّهُ مَا لم يكن الْفِعْل أولى بِهِ من التّرْك لم يُقدم عَلَيْهِ فَيكون إقدامه لغَرَض نَفسه وَلَكِن:

- الَّذِي يبْذل جَمِيع مَا يملكهُ حَتَّى الرّوح لوجه الله عز وَجل فَقَط لَا للوصول إِلَى نعيم الْجنَّة أَو الحذر من عَذَاب النَّار أَو لحظ عَاجل أَو آجل مِمَّا يعد من حظوظ البشرية فَهُوَ جدير بِأَن يُسمى وهابا وجوادا.

- ودونه الَّذِي يجود لينال نعيم الْجنَّة – وهو مطلب حسن حث عليه الشرع كما قال تعالى (**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**) آل عمران (92)، قال الطبري رحمه الله : قال كثير من أهل التأويل " البر " الجنة، لأن بر الربّ بعبده في الآخرة، إكرامه إياه بإدخاله الجنة .

- ودونه من يجود لينال حسن الأحدوثة – أي الشهرة بين الناس بالكرم - وكل من لم يطْلب عوضا يُتَنَاوَل سمي جوادا عِنْد من يظنّ أَن لَا عوض إِلَّا الْأَعْيَان .

فَإِن قلت فَالَّذِي يجود بِكُل مَا يملكهُ خَالِصا لوجه الله تَعَالَى من غير توقع حَظّ عَاجل أَو آجل كَيفَ لَا يكون جوادا وَلَا حَظّ لَهُ أصلا فِيهِ .

فَنَقُول حَظه هُوَ الله تَعَالَى ورضاؤه ولقاؤه والوصول إِلَيْهِ وَذَلِكَ هُوَ السَّعَادَة الَّتِي يكتسبها الْإِنْسَان بأفعاله الاختيارية وَهُوَ الْحَظ الَّذِي تستحقر سَائِر الحظوظ فِي مُقَابلَته .

كما تعلمت من اسمه تعالى الوهاب [285] : ما يأتي :

- أن الله الوهاب سبحانه: يهب الولد الصالح {**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**} [ص:30]. والزوجة هبة {**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**} [الفرقان:74] ويقول جل في عُلاه عن نبي الله زكريا: {**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**} [الأنبياء:90] هبة منه سبحانه وتعالى.
- والأهل هبة يقول الله في حق نبي الله أيوب: {**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا**...} [ص:43] كذلك الأخ الصالح هبة، فعندما يرزقك الله سبحانه وتعالى بأخ صالح يكون عونا لك على طاعة الله فذلك هبة منه سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى عن نبى الله موسي حين أرسل معه أخوه هارون: {**وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً**} [مريم:53]. والنبوة هبة، يقول الله عن نبي الله موسى: {...**فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**} [الشعراء:21] وقال وهب لي لأنه يشعر أنه لا يستحق النبوة، لذا لم يقل أعطاني لأن العطاء قد يكون عن استحقاق.
- **والأخلاق الطيبة هبة**: فعَنْ جَابِرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: (**إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**. اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ وَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَقِنِي سَيِّئَ الْأَعْمَالِ وَسَيِّئَ الْأَخْلَاقِ لَا يَقِي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ) صححه الالبانى في صحيح، ابن ماجة (947) .فالأخلاق الطيبة هبة من هبات الله سبحانه وتعالى ولذلك قال تعالى عن بعض أنبيائه: {**وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً**} [مريم:50] فهذا هو الوهَّاب سبحانه وتعالى.
- واعلم أن العطاء لا يكون هبة حتى يكون مقرونا بطاعة وخير وبركة في الدنيا والآخرة. لذلك كان الصالحون لا يسألون الله تعالى فيقولون مثلا اللهم زوجني، وإنما كانوا يقولون ارزقني بزوجة صالحة تكون عون لي على أمر ديني ودنياي {...**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ**

---

[285]/ شرح وأسرار الأسماء الحسنى - (20) اسم الله الوهَّاب – موقع طريق الإسلام وموقع الكلم الطيب وموسوعة شرح الأسماء الحسنى – للنابلسي – بتصرف .

أَعْيُنٍ...} [الفرقان:74] أي تقر أعيننا بهن في الدنيا والآخرة فيكونون عونًا لنا على أمور ديننا ودنيانا ،ولا يسألون الله مجرد الولد والذرية ولكن يسألون الله تعالى الولد الصالح العابد الذي يكون خيرا لهم لا فتنة عليهم. ويقتضي ذلك لا شك حمد الله تعالى على هباته. تأمل حمد خليل الرحمن إبراهيم حين وهبه الله تعالى إسماعيل وإسحاق قال: {**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء**} [إبراهيم:39] فيكون من الأشياء الأساسية شكر الله على هذه النعم.

- وتقتضي كذلك الزُهد، هل رأيت هبة من هبات الدنيا قد بقيت لصاحبها؟ فليعلم كل من وهبه الله تعالى شيئا من الدنيا أنه زائل وأنه لابد أن يذهب عنه، فلا ينشغل بالنعمة عن المنعم ولا يشتغل بالخلق عن خالقهم ولا بالرزق عن رازقه ولا ينشغل بالهبة عن واهبها فلا يُفتن بولده وزوجه وماله وبأي هبة يعطيها الله إياه. وكذلك يقتضي الرضا، أن يرضى بما يهبه الله سبحانه وتعالى له، لأن الله سبحانه وتعالى أعطاه برحمته من غير استحقاق فإن منعه الله فليعلم أن منعه عطاء، فقد يمنع ليعطي وقد يعطي ليمنع، فأحيانًا يمنع عنك كي يزيدك وأحيانًا يعطيك لأنك لو لم تأخذ الآن ستُفتح عليك أبواب أخرى فيتودد إليك بالنعم ليمنع عنك انصراف القلب واليأس والإحباط وهذه المعاني. فلا شك أن هذا الأمر يقتضي الرضا به سبحانه وتعالى وبقدره إذا أعطى وإذا منع.
- ويقتضي كذلك الصبر إذا ضاعت هذه النعم والهبات، فقد يكون المنع هو عين العطاء كما قلنا فإذا ابتلاك الله بالحرمان من النعمة بأن صرفها عنك أو أخذها بعد أن وهبك إياها فلابد أن هناك حكمة.. فاصبر لحكم الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى صاحب النعم ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وإنما دائما أبدا نقول إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى. وعلينا فقط الصبر والاحتساب فمن أعظم ما يُسلي العبد ويُصبره أن يرجع أمره كله إلى ربه سبحانه وتعالى .
- **توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء وفي الآخرة توزيع جزاء :** الله عز وجل يهب العطاء في الدنيا ، يهب مالاً ، يهب قوة ، يهب وسامة ، يهب ذكاءً ، يهب حكمةً ، الله عز وجل يهب العطاء في الدنيا ابتلاءً ، فالحظوظ وُزعت في الدنيا توزيع ابتلاء ، قال تعالى : (**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ**) [الملك:2] . وسوف تُوزع في الآخرة توزيع جزاء .

- قال تعالى : (**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا**) [الإسراء:21] . الآية تشير إلى أنَّ هناك فرق كبير في الدنيا بين قائد جيش وبين مجند ، بين جراح قلب وبين ممرض ، بين رئيس غرفة تجارة وبائع متجول ، بين أستاذ جامعي ومعلم في قرية ، هناك فرق كبير جداً ، بين غني وفقير ، بين قوي وضعيف ، بين صحيح ومريض .
- **قال النابلسي : علاقة اسم الوهاب بالحب : هذا الاسم له علاقة بالحب ، كيف** ؟ ورد في بعض الآثار القدسية : (**يا داود ذكر عبادي بإحساني ، فإن القلوب جبلت على حبِّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها**)[286] . فالوهاب يعني أن تحبه ، لأنه وهبك نعمتي الإيجاد ، والإمداد فأنت موجود ، وأمدك بالطعام ، أمدك بزوجة ، أمدك بأولاد ، أمدك بمأوى ، أمدك بألوان الطعام ، بألوان الشراب ، بالمتع ، بالورود ، بالأسماك ، بالأطيار وترى بلاد الله الواسعة ، أمدك بالهواء ، أمدك بالماء .

[286]/ رواه البيهقي وذكره المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (371/3) .

42-43/ شرح اسميه تعالى

الرزاق والرازق

عرفت من معاني هذين الاسمين الكريمين : ما يأتي :

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : هُوَ الَّذِي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إِلَيْهِم وَخلق لَهُم أَسبَاب التَّمَتُّع بهَا .

وقال الخطابى رحمه الله : هو المتكفل بالرزق القائم على كل نفس بما يقيمُها من قوتها فليس يختص بذلك مؤمنًا دون كافر ولا ولياً دون عدو.

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

وكذلك الرزاق من أسمائه	**والرزق من أفعاله نوعان**
رزق على يد عبده ورسوله	**نوعان أيضاً ذان معروفان**
رزق القلوب العلم والإيمان والـ	**رزق المعد لهذه الأبدان**
هذا هو الرزق الحلال وربنا	**رزاقه والفضل للمنان**
والثاني سوق القوت للأعضاء في	**تلك المجاري سوقه بوزان**
هذا يكون من الحلال كما يكون	**من الحرام كلاهما رزقان**
والرب رزاقه بهذا الاعتبـ	**ـار وليس بالإطلاق دون بيان**

ورد هذان الاسمان في القرآن في عدد من المواضع : منها :

قول الله تعالى : {**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**} [الذاريات:58].

قول الله تعالى : {**وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**} [المائدة:114] .

وقوله تعالى : {**وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**} [الجمعة:11] .

الفرق بين الاسمين بين اسم الله تعالى الرزاق وبين اسم الله الرازق :

الرازق سبحانه هو الذي يرزق الخلائق أجمعين وهو الذي قدر أرزاقهم قبل خلق العالمين وهو الذي تكفل باستكمالها ولو بعد حين فلن تموت نفسا إلا باستكمال رزقها يقول النبي صلى الله عليه وسلم (**أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ**) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

إذن فالرازقُ فيه معنى الرزق المطلق، فهو يفيد ثبوت صفة الرزق لله عز وجل أما الرزاق فتفيد التكثير، أنه يرزق رزقا بعد رزق.

أنواع الرزق : قال ابن القيم رحمه الله : ورزق الله لعباده نوعان: عام وخاص.

1/ **فالرزق العام: هو ما يوصله لجميع المخلوقات مما تحتاجه في معاشها وقيامها**، فسهل لها الأرزاق، ودبرها في أجسامها، وساق إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام للبر والفاجر والمسلم والكافر، بل للآدميين والجن والحيوانات كلها .

وعام أيضاً من وجه آخر في حق المكلفين، فإنه قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام ويسمى رزقاً ونعمة بهذا الاعتبار، ويقال (**رزق الله**) سواء ارتزق من حلال أم من حرام وهو مطلق رزق.

2/ الرزق الخاص : وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي على يد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أيضاً قسمان:

أ- **رزق القلوب بالعلم والإيمان وحقائق ذلك**، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألهة لله متعبدة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

ب- **ورزق البدن بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه**، فإن الرزق الذي خص به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنى "اللهم ارزقني" أي ما يصلح به قلبي من العلم والهدى

والمعرفة ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيّ الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه.

قلت : وهذا معنى هام جدا في اسم الله الرزاق، فمتى تحدثنا عن "الرزاق" سبحانه تجد الناس انصرفت قلوبهم وعقولهم إلى رزق الأبدان فقط من المال وغيره.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (**إن الله قسم بينكُم أخلاقكُم كما قسم بينكُم أرزاقكُم وإن الله عز وجل يعُطى الدنيا من يُحب ومن لايُحب ولا يُعطى الإيمان إلا من أحب**) رواه الإمام أحمد وصححه الألباني.

تعلمت من هذين الاسمين الرازق والرزاق : ما يأتي :

1/ أن رزقي على الله تعالى وليس لأحد من الخلق يد في زيادته أو نقصانه ففي الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعِي ، أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها ، وتستوعِبَ رزقَها ، فاتَّقوا اللهَ ، وأجمِلُوا في الطَّلَبِ ، ولا يَحمِلَنَّ أحدَكم استبطاءُ الرِّزقِ أن يطلُبَه بمَعصيةِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ تعالى لا يُنالُ ما عندَه إلَّا بطاعَتِهِ**) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (2085).

2/ أن ما أقوم به من جلب قوت لعيالي إنما هو تنفيذ لأمر الله ، قال تعالى (**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) الجمعة (10) .

قال ابن كثير رحمه الله : لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع ، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله . كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد ، فقال : اللهم إني أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك ، وأنت خير الرازقين . رواه ابن أبي حاتم .

3/ **قال الغزالي رحمه الله : غَايَة حَظّ العَبْد من هَذَا الْوَصْف - الرزاق - أَمْرَانِ :**

أَحدهمَا : أَن يعرف حَقِيقَة هَذَا الْوَصْف وَأَنه لَا يسْتَحقّهُ إِلَّا الله عز وَجل : فَلَا ينْتَظر الرزق إِلَّا مِنْهُ وَلَا يتوكل فِيهِ إِلَّا عَلَيْهِ كَمَا رُوِيَ عَن حَاتِم الْأَصَم رَحمَه الله أَنه قَالَ لَهُ رجل :من أَيْن تَأْكُل؟

فَقَالَ : من خزانته - سبحانه - ، فَقَالَ الرجل : أيُلقى عَلَيْك الرزق من السَّمَاء ؟ فَقَالَ : لَو لم تكن الأَرْض لَهُ لَكَانَ يلقيه من السَّمَاء فَقَالَ الرجل إِنَّكُم تَؤلُونَ الْكَلَام ، فَقَالَ : لِأَنَّهُ لم ينزل من السَّمَاء إِلَّا الْكَلَام فَقَالَ الرجل إِنِّي لَا أقوى على مجادلتك فَقَالَ لِأَن الْبَاطِل لَا يقوى مَعَ الْحق .

الثَّانِي : أَن يرزقه علما هاديا وَلِسَانًا مرشدا معلما ويدا منفقة متصدقة : وَيكون سَببا لوصول الأرزاق الشَّرِيفَة إِلَى الْقُلُوب بأقواله وأعماله ووصول الأرزاق إِلَى الْأَبدَان بأفعاله وأعماله وَإِذا أحب الله عبدا أَكثر حوائج الْخلق إِلَيْهِ وَمهما كَانَ وَاسِطَة بَين الله وَبَين الْعباد فِي وُصُول الأرزاق إِلَيْهِم فقد نَالَ حظا من هَذِه الصّفة قَالَ رَسُول لله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : (**نَّ الْخَازِنَ الْمُسْلِمَ الْأَمِينَ الَّذِي يُنْفِذُ -وَرُبَّمَا قَالَ يُعْطِي- مَا أُمِرَ بِهِ، فَيُعْطِيهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا، طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ) متفق عليه** ، وأيدي الْعباد خَزَائِن الله تَعَالَى .

4/ من معاني الرزاق :حقيقة الرزق قلنا ماينتفع به، وهو العطاء المتجدد الذي يأخذه صاحبه في كل تقديرٍ يومي أو سنوي أو عمري فينال ما قسم الله له في التقدير الأزلي والميثاقي.

يعنى هذا الرزق عطاء يتجدد من الله سبحانه وتعالى للعبد على حسب أقدار، منها تقدير يومي، أي يكتب له رزق اليوم، وهناك تقدير سنوي، وهناك تقدير عُمُرِي وهو أرزاقه التي كُتبت لهُ على مدى عُمُرِهِ.

والرزاق سبحانه وتعالى هو الذي يتولى تنفيذ المقدر في عطاء الرزق المقسوم والذى يخرجُه في السموات والأرض. فإخراجه في السموات يعنى أنه مقضيٌّ مكتوب، وإخراجه في الأرض يعنى أنه سينفذ لا محالة.

فالرزق أولا مكتوب في اللوح المحفوظ ثم بعد ذلك ينزل في السموات لتعرفه الملائكة وتنزل به إلى صاحب الرزق في الأرض فينفذ على صاحبه.

ولذلك قال الله تعالى في شأن الهدهد الموحد ومخاطبته سليمان **{أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}** [النمل: 25] الخبء: أي الشيء الخفي المخبوء. فهنا أدرك الهدهد أن الرزق مكتوبٌ في السماء قبل أن يكون واقعًا مقدرًا في الأرض. وقد قال الله تعالى: {**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**}[الذاريات:22] وقال عن تنفيذ

ماقسمه لكل مخلوق {**وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**}[العنكبوت:6] وقال {**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا**}[هود: 6]

5/ **توكل السلف في رزقهم على الرزاق** : علمنا أن الرزاق سبحانه هو الذي يتولى تنفيذ العطاء الذي قدرهُ لأرزاق الخلائق لحظةً بلحظة، فهو المفيضُ بالأرزاقِ رزقًا بعد رزق ومبالغةً في هذا الإرزاق وهذا الإنفاق، ولذلك ليس من أحدٍ يُسمى بهذا الاسم إلا الله جل في علاه ولا ينبغي أن يوصف به بشر فلا يقال عن أحد أنه رزاق أبدًا لأن هذه صفه استأثر الله سبحانه وتعالى بها لنفسه. ويروى عن امرأة أنه لما هددها زوجها بمنع النفقة قالت: **"إنما أنت أكال"** أي تأتي لنا بالأكل أما الرزاق فهو الله سبحانه وتعالى.

ولعلنا نذكر الآن بعض مفاتيح الرزق كأسباب يأخذ بها العبد لزيادة رزقه، منها:

1/ الاستغفار والتوبة : ودليله ما حكاه الله عن نوح عليه السلام {**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**} [نوح : 12].

2/ التبكير في طلب الرزق: عن صخر بن وداعة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**اللهم بارك لأمتي في بكورها)**. قال: (وكان إذا بعث سرية أو جيشا ، بعثهم أول النهار . وكان صخر رجلا تاجرا ، وكان إذا بعث تجارة بعثها أول النهار ، فأثرى وكثر ماله) . رواه أبو داود والترمذي، ووقت البكور هو وقت ما بعد الفجر.

3/ التقوى : قال الله تعالى : {**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**}[الطلاق : 2]وقال الله تعالى: {**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** }[الأعراف : 96] .

4/ اجتناب المعاصي : قال الله تعالى : {**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**}[الروم : 41] .

قال السعدي رحمه الله :(**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**)أي: استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها.

هذه المذكورة (**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا**)أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجا من جزاء أعمالهم في الدنيا (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم. فسبحان من أنعم ببلائه وتفضل بعقوبته وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة.

5/ **التوكل على الله تعالى** : {**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**}[الطلاق : 3]

6/ **التفرغ للعبادة** : والدليل عليه قول الله تعالى في الحديث القدسى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إنَّ اللهَ تعالى يقولُ : يا ابنَ آدمَ تفرَّغْ لعبادتي أملأْ صدرَكَ غِنًى، وأسُدُّ فقرَكَ، وإن لا تفعَلْ ملأتُ يدَيكَ شغلًا، ولم أسُدَّ فقرَكَ**) رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد في مسنده وغيرهم ، وحسنه الترمذي وصححه الألباني .

7/ **المتابعة بين الحج والعمرة فإنها سبب للرزق:** لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**) رواه أحمد والترمذي وصححه، والنسائي وابن خزيمة في صحيحه فالحديث صحيح.

8/ **كثرة الإنفاق في سبيل الله** : قال الله تعالى : {**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**}[سبأ : 39] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**قال الله : أَنْفِق يا ابن آدم أُنْفِق عليك**) رواه البخاري ومسلم .

وأحب الأعمال إلى الله كما جاء في الحديث (**سرور تدخله على مؤمن ، تكشف عنه كرباً ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً**) رواه البيهقي وحسنه الألباني .

9/ **الإنفاق على من تفرغ لطلب العلم الشرعي**: النفقة على طلبة العلم سبب للرزق، ففي الحديث عن أنس بن مالك قال كان أخوان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكان أحدهما

يأتي النبي صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :**(لعلك ترزق به)** رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح.

ونفصل القول هنا : ليس المعنى أن يتفرغ الجميع لطلب العلم ، لا وإنما **كل ميسر لما خلق له**..فطالب العلم لا نأمره بالعمل وخوض ميدان الحياة وما فيه من أوحال لأن طبيعته التي جبل عليها لا تناسب ذلك، فغالبا ما تجد من هذه صفته يحب الجلوس في البيت والعزلة والقراءة ولا يحب الاختلاط بالناس، فيكون في خروجه إلى العمل والحياة تبديد لقدراته التي لا يناسبها هذا المجال.وقد تجد آخر لا يناسبه جو الطلب، بل يحب الخلطة والخروج وخوض غمار الحياة والحركة والتجريب ولا يصبر على الجلوس في المنزل أو تصفح كتاب، فهذا خلق ليكون في مجال آخر كالدعوة، فيدفعه حبه للحركة والخلطة وكراهيته للسكون والعزلة إلى التحرك بين الناس وملاطفتهم وبسط الحديث معهم ومجادلتهم..فيكون ناجحا في دعوته على عكس الأول.

إذا فالمقصود أن كلاً ميسر لما خلق له، وأن الأحكام عامة على الجميع ولكلٍ فرصته في التخصص فيما يناسب مؤهلاته وقدراته التي جبل عليها لذا قال النبي للرجل لعلك ترزق به ، فلم يقلل من عمل أحدهما ولم يلم أحدهما لمعرفته بطبائع النفوس.

10_ **صلة الرحم سببٌ لسعة الرزق** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من سره أن يبسط له في رزقه وينسَأ له في أثره فليصل رحمه)** رواه البخاري.

11_ **إكرام الضعفاء والإحسان إليهم** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم**) رواه البخاري.

12_ **الهجرة في سبيل الله** : يترك مكان الضيق إلى غيره ما فيه سعة في الرزق ولكن بضوابط الهجرة، وليس كما يحدث الآن بأن يهاجر أحدهم بالسنوات تاركا زوجته وأولاده بحجة تأمين المستقبل. مما يفتح أبواب الابتلاءات والفتن والفواحش على الزوجات.قال الله تعالى: {**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**} [النساء: 100]

قال السعدي رحمه الله تعالى : المراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاظة لأعداء الله من قول وفعل، وكذلك ما يحصل له - أي للمهاجر - سعة في رزقه، وقد وقع كما أخبر الله تعالى. واعتبر ذلك بالصحابة رضي الله عنهم فإنهم لما هاجروا في سبيل الله وتركوا ديارهم وأولادهم وأموالهم لله، كمل بذلك إيمانهم وحصل لهم من الإيمان التام والجهاد العظيم والنصر لدين الله، ما كانوا به أئمة لمن بعدهم، وكذلك حصل لهم مما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم، ما كانوا به أغنى الناس، وهكذا كل من فعل فعلهم، حصل له ما حصل لهم إلى يوم القيامة.

44 - في رحاب اسمه تعالى

المقيت

عرفت أن من معاني اسم الله الميقيت : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : المقيت : مَعْنَاهُ خَالق الأقوات وموصلُها إِلَى الْأَبدَان - وَهِي الْأَطْعِمَة - وَإِلَى الْقُلُوب - وَهِي الْمعرفَة - فَيكون بِمَعْنى الرَّزَّاق إِلَّا أَنه أخص مِنْهُ ، إِذْ الرزق يتَنَاوَل الْقُوت وَغير الْقُوت والقوت مَا يُكْتَفى بِهِ فِي قوام الْبدن .

وَإِمَّا أَن يكون مَعْنَاهُ المستولي على الشَّيْء الْقَادِر عَلَيْهِ والاستيلاء يتم بِالْقُدْرَةِ وَالْعلم وَعَلِيهِ يدل قَوْله عز وَجل **(وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا)** سُورَة النِّسَاء (85) أَي مطلعا قَادِرًا فَيكون مَعْنَاهُ رَاجعا إِلَى الْقُدْرَة وَالْعلم .

ولعله بهذا يتبين الفرق بين اسميه تعالى المقيت والرزاق ،قال القرطبيُّ رحمه الله : "والفَرْق بين القُوتِ والرِّزق، أَنَّ القُوتَ ما به قَوامُ البنْيةِ مما يُؤكلُ ويَقعُ به الاغتذاءُ.والرِّزقُ كلُّ ما يَدْخُل تحت مِلْكِ العبدِ: مما يُؤكلُ ومما لا يُؤكلُ، وهو مراتبُ أعلاها ما يُغذي".

ويذكر الرازي رحمه الله أن أحوال الأقوات مختلفة، فمنهم من جعل قوته المطعومات، ومنهم من جعل قوته الذكر والطاعات، ومنهم من جعل قوته المكاشفات والمشاهدات، فقال في الأولين: "**خلق لكم ما في الأرض جميعاً**"، وصفة الفريق الثاني يصورها قول بعضهم: "**القوت ذكر الحي الذي لا يموت**" وصفة القسم الثالث يصورها قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) متفق عليه .

ورد اسم الله المقيت فى موضع واحد في القرآن الكريم : وهو قوله تعالى: **{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا}** [النساء:85].

وقد حَصَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وجوهَ الانتفاعِ في الرِّزق في قوله: (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ) رواه مسلم .

تعلمت من اسم الله المقيت [287] : ما يأتي :

أولاً: من أدب العبد مع اسم المقيت ألا يطلب إلا الحلال الطيب، ليرتفع عند الله ذكره ويعظم أجره . فالحلال الطيب من أعظم القربات عند الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن إلا الله فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» رواه مسلم(1599).

قال العلماء : في هذا الحديث إشارة إلى أن طيب المطعم من أعظم أسباب تقوية القلب وزيادة رصيد الإيمان، **وأن من أعظم مهلكات القلب ومفسدات أحوال الإنسان أكل الحرام**، لذا وجب على الإنسان التحري للحلال دوما.

وروي أن سفيان الثوري كان يتحرى الحلال من الرزق حتى عانى أولاده الفقر، فجاءه رجل بصرة مال ورجاه أن يقبلها منه، فقبلها سفيان وبعد قليل ردها إليه خشية الشبهة، فقال له أحد أولاده: "يا أبت أليس لك أولاد بحاجة لهذا المال؟: فقال سفيان: "أتريد أن تأكل وتتنعم ويُسأل أبوك يوم القيامة؟!"، فهكذا شأن سلفنا الصالح كانوا يتورعون في مسألة أكل الحلال.

قال الدكتور النابلسي : الأطعمة على ثلاثة أنواع :

1- طعام حرام لذاته : كلحم الخنزير ولحم الميتة وما شابههما.

287/ شرح وأسرار الأسماء الحسنى - (31) اسم الله المقيت – موقع طريق الإسلام ، وأسماء الله الحسنى – للنابلسي – موقع الكلم الطيب – بتصرف .

2- هناك حرام لغيره : كلحم الضأن إن لم تدفع ثمنه حرام لغيره ، أيضاً حرام ، إذا شخص دخل إلى مطعم وغافل صاحب المطعم وما دفع وأكل طعاماً حلالاً مذبوحاً على الطريقة الإسلامية .

3- إذا كان المسلم كسبه فيه غش ، فيه تدليس ، فيه كذب ، فيه احتيال ، فيه إيهام ، فيه احتكار ، دخله فيه شبهة ، صار الطعام الذي يأكله ليس طيباً .(يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة) [الطبراني] .

زرت والد صديقي قال لي : يا عم أنا عمري 98 سنة أجريت البارحة تحليلات كاملة ، قال لي : كله طبيعي ، قال لي : ما أكلت قرشاً حراماً بحياتي ، من عاش تقياً عاش قوياً .

ثانياً : **أن تشاهد المنعم من خلال النعمة :** كان أحد السلف إذا أمسك بتفاحة قال: "سبحان الله"! وكانوا يتعجبون من دقة خلق الرمان. فتفكر في طعامك وشرابك، قال الله تعالى: {**كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ . فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**} [عبس:23-32]. وفي هذه الآية فائدة جميلة، يقول العلماء أن النفي في قوله تعالى: {**كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ . فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**} نفي الأمر في الحال مع توقع حدوثه في المستقبل، مثل قوله تعالى: {**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**} [الحجرات:14]، نفى الإيمان عنهم وأثبت لهم الإسلام مع توقع حدوث الإيمان مستقبلا، كذلك {كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ}، فهذا الإنسان الكفور الجحود ما امتثل لأمري لكن متوقع حدوثه شريطة أن ينظر إلى طعامه، أن ينظر إلى النعم، فلو نظر سيمتثل.

ثالثاً : ألا تطلب حوائجك إلا من الله لأن خزائن الأرزاق بيده. فعلى الإنسان أن يسأل ربه حاجته كلها لأنه سبحانه هو الذي يقيت هذا البدن وهذه النفس. تأمل قوله تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [الروم:40]،

المقام مقام امتنان، لهذا اختير معنى رزاق، فلم يقل: الله الذي خلقكم ودبر أموركم وعلمكم وأعطاكم من فضله ونعمه"، بل ذكر الرزق لأنه يشمل هذا كله. ثم تأمل قوله تعالى: {ثُمَّ رَزَقَكُمْ}،

ولم يقل: "يرزقكم"؛ لتعلم أن الرزق مقسوم، وأن قسمتك منه قد كتبت وحددت فستأتيك ستأتيك، فهو الذي يطلبك وما عليك إلا الأخذ بأسباب وصوله إليك.

رابعاً : أن يسعى العبد لقوت قلبه وروحه : فكما يغذي بدنه عليه تغذية قلبه، فإنه يجوع ويعطش كما يجوع البدن ويعطش، وأعظم الأقوات للقلب والروح الذكر.. فهو أعظم الأقوات التي توصل إلى معرفة الغايات وهي معرفة الله جل وعلا. فإذا فقد القلب هذا القوت أنهكته الأمراض النفسية من كآبة وضيق واختناق وهم وغيره. فليكن لك قوت قلبي من الذكر والطاعة لا تقطعهما أبدًا، وإلا ضعف قلبك ووهن كما يضعف البدن حين يفقد قوته اليومي.

واعلم أن الحجب عن الله عز وجل أكبر عقاب إلهي يصيب الإنسان : قال بعض العلماء : " المقيت " من شهد النجوى فأجاب ، وعلم البلوى وكشف واستجاب .وقالوا : قوت القلوب معرفة علام الغيوب ، الآن أكبر عقاب إلهي أن تُحجب عن الله **(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)** [المطففين:15] .

45-- في رحاب اسمه تعالى

الفتاح

عرفت أن من معاني هذا الاسم [288] : ما يأتي :

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : الفتاح : هُوَ الَّذِي ينفتح بعنايته كل منغلق وبهدايته ينْكَشف كل مُشكل فَتَارَة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أَيدي أعدائه وَيَقُول {**إِنَّا فتحنا لَك فتحا مُبينًا**} سُورَة الْفَتْح(1).

وَتارَة يرفع الْحجاب عَن قُلُوب أوليائه وَيفتح لَهُم الْأَبْوَاب إِلَى ملكوت سمائه وجمال كبريائه وَيَقُول {**مَا يفتح الله للنَّاس من رَحْمَة فَلَا مُمْسك لَهَا**} سُورَة فاطر (2) .

وَمن بِيَدِهِ مفاتح الْغَيْب ومفاتيح الرزق فبالأحرى أَن يكون فتاحا.

وقال بعض الباحثين أن الفتاح يدخل تحته معنيان :

المعنى الأول: الفتاح : الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده أجمعين، ويفتح المُنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم، ودليله قول الله تعالى: {**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [فاطر:2]، يخبر تعالى أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فلو فتح الله تعالى المطر على الناس، فمن ذا الذي يحبسه عنهم؟ ولو حبس عن عباده القطر والنبات سنين طويلة، لما استطاعوا أن يفتحوا ما أغلقه الله سبحانه وتعالى: {**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} [يونس:17].

والمعنى الثاني: يرجع إلى معنى الحكَم الذي يَفتح بين عباده، ويحكُم بينهم بشرْعِه: بإثابة الطائعين، وعقوبة العاصِين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا**

288/ المقصد الأسنى و شرح وأسرار الأسماء الحسنى - (9) اسم الله الفتاح – طريق الإسلام. شرح اسم الله الفتاح - د. أمين بن عبدالله الشقاوي – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف .

بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: 26]، وقال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾** [الأعراف: 89].

قال ابن كثير: (أي: افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم، ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾؛ أي: خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبدًا)[2].

فالآية الأولى فتْحُه بين العباد يوم القيامة، وهذا في الدنيا بأن يَنصُر الحقَّ وأهله، ويذلّ الباطل وأهله، ويوقع بهم العقوبات.

يقول ابن القيم في القصيدة النونية :

وَكَذِلكَ الفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ والفَتْحُ في أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ

فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهْوَ شَرْعُ إِلَهِنَا والفَتْحُ بالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثانِ

والربُّ فَتَّاحٌ بذَيْنِ كِلَيْهِمَا عَدْلاً وإِحْسَاناً مِنَ الرَّحْمَنِ

ورد اسم الله الفتاح مرة واحدة في قوله تعالى:(قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) سورة سبأ:26

وورد مرة واحدة بصيغة الجمع: في قول الله عزَّ وجلَّ:{**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**} سورة الأعراف:89

تعلمت من اسمه تعالى الفتاح [289]: ما يأتي :

أولاً : هناك فتح خاص يفتح الله به على الأنبياء والمرسلين وعلى عباده الصالحين ، ومن ذلك :

- ما يفتح الله عز وجل على نبيّه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة مِن أنواع المحامد، روى البخاري ومسلم مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ثُم يفتح**

289/ المراجع السابقة – بتصرف .

الله عليَّ ويُلْهِمني مِن محامده وحسنِ الثناء عليه شيئًا لم يفتحهُ لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسَك، سَلْ تُعْطَه، اشفع تشفع) .

- **ومنها فتحه سبحانه لعباده باب التوبة** : روى مسلم في صحيحه مِن حديث أبي موسى رضي الله عنه؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنَّ الله عز وجل يَبسُط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويَبسُط يده بالنهار ليتوب مُسيءُ الليل، حتى تَطلُع الشمسُ مِن مغربها**).

روى الإمام أحمد في مسنده، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا كان ثلثُ الليل الباقي، يَهبطُ الله عز وجل إلى السماء الدنيا، ثُم تفتح أبواب السماء، ثم يبسُط يده فيقول: هل مِن سائلٍ يُعطَى سُؤله؟ فلا يزال كذلك حتى يَطلُع الفجر**).

- **ومنها ما يفتح الله على العبد المؤمن قبل موته بعمل صالح** : روى الإمام أحمد في مسنده، من حديث أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد اللهُ بعبده خيرًا عسله) قيل: وما عسله؟ قال: (يفتح اللهُ له عملًا صالحًا قبل موته، ثم يَقبضه عليه).

ثانياً : أن الفتح والنصر لا يكونان إلا مِن الله؛ فهو الذي يفتح على عباده، فينصُر مَن يشاء، ويخذل مَن يشاء، وقد نسَب اللهُ الفتح لنفسه؛ لِيُنبِّه عبادَه على طلب النصر والفتح منه لا مِن غيره، وأن يَعمَلوا بطاعته؛ لِيفتَح لهم، ويَنصُرهم على أعدائهم، قال تعالى لِنبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** ﴾ [الفتح: 1]، وقال تعالى: ﴿ **فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ** ﴾ [المائدة: 52]، وقال تعالى: ﴿ **وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ** ﴾ [الصف: 13].

روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: (**لأُعطينَّ هذه الراية رجُلًا يَفتح الله على يديه، يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**).

ثانيًا: ما يفتح الله سبحانه على عباده بأنواع النعم استدراجًا لهم إذا تركوا ما أُمروا، ووَقعوا فيما نُهُوا عنه، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴾ [الأنعام: 44].

روى الإمام أحمد في مسنده، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا رأيتَ الله يُعطي العبدَ مِن الدنيا على مَعاصيه ما يحبُّ، فإنما هو استدراج**)، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴾ [الأنعام: 44] .

ثالثًا: ما يفتحه اللهُ على مَن يشاء مِن عباده مِن الحكمة والعِلم والفِقه في الدِّين، بحسب التقوى والإخلاص والصِّدْق، قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: 282]، وقال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [الزمر: 22].

رابعًا: ينبغي للمؤمن أن يسأل ربَّه أنْ يفتح عليه أبواب رحمته، روى ابن ماجه في سُننه مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا دَخَل أحدُكم المسجد فليسلِّمْ على النبي صلى الله عليه وسلم، وليقُلِ: اللهم افتحْ لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلِّمْ على النبي صلى الله عليه وسلم، وليقُل: اللهم اعصمني مِن الشيطان الرجيم**).

46-47/ في رحاب اسماه تعالى

القابض الباسط

عرفت أن من معاني هذين الاسمين الجميلين [290]: ما يأتي :

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : القابض الباسط : هُوَ الَّذِي **يقبض** الْأَرْوَاح عَن الأشباح عِنْد الْمَمَات **ويبسط** الْأَرْوَاح فِي الأجساد عِنْد الْحَيَاة وَيقبض الصَّدقَات من الْأَغْنِيَاء .

ويبسط الرزق على الْأَغْنِيَاء حَتَّى لَا يُبقي فاقة **ويقبضه** عَن الْفُقَرَاء حَتَّى لَا يُبقي طَاقَة .

وَيقبض الْقُلُوب فيضيقها بِمَا يكْشف لَهَا من قلَّة مبالاته وتعاليه وجلاله **ويبسطها** بِمَا يتَقرَّب إِلَيْهَا من بره ولطفه وجماله .

وقال ابن القيم رحمه الله في النونية:

هو قابض هو باسط هو خافض هو رافع بالعدل والإحسان[291]

وقَالَ الحُلَيْمِيُّ رحمه الله : البَاسِطُ : وَمَعْنَاهُ: النَّاشِرُ فَضْلَهُ عَلَى عِبَادِهِ، يَرْزُقُ وَيُوَسِّعُ ويَجُودُ يَفْضُلُ ويُمَكِّنُ ويُخَوِّلُ، ويُعْطِي أَكْثَرَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِليهِ.

والقَابِضُ : يَطْوِي بِرَّهُ ومَعْرُوفَهُ عَمَّنْ يُرِيدُ، يُضَيِّقُ ويُقَتِّرُ أَوْ يَحْرِمُ فَيُفْقِرُ.

ولا يَنْبَغِي أَنْ يُدْعَى رَبُّنا جَلَّ جَلَالُهُ باسْمِ: القَابِضِ، حَتَى يُقَالَ مَعَهُ: البَاسِطُ .

290/ القابض الباسط من الأسماء المختلف فيها ، وهو في حديث الترمذي وممن عده من الأسماء الحسنى القرطبي والخطابي وابن العربي والغزالي والبيهقي وابن منده وابن عثيمين ، وقد وردا بصيغة الفعل في القرآن الكريم في آيات ، منها :قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} البقرة: من الآية245 وقوله سبحانه:{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} الرّعد: من الآية26

291/ قَالَ الهَرَّاسُ فِي شَرْحِهِ: "هَذِهِ الأَسْمَاءُ الكَرِيمَةُ مِنَ الأَسْمَاءِ المُتَقَابِلاتِ التي لا يَجُوزُ أَنْ يُفرَدَ أَحَدُهما عَنْ قَرِينِهِ، ولا أَنْ يُثْنَى عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِوَاحِدٍ مِنْهَا إلا مَقْرُونًا بِمُقَابِلِهِ، فَلا يَجُوزُ أَنْ يُفرَدَ القَابِضُ عَنِ البَاسِطِ، ولا الخَافِضُ عَنِ الرَّافِعِ... إلخ". قَالَ: "لِأَنَّ الكَمَالَ المُطْلَقَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِمَجْمُوعِ الوَصْفَيْنِ. وقد نقلنا كلام الحليمي في هذا المعنى أعلاه .

تعلمت من هذين الاسمين القابض والباسط [292] : ما يأتي :

1/ قال الغزالي رحمه الله : الْقَابِض الباسط من الْعباد من أُلهم بَدَائِع الحكم وأُوتي جَوَامِع الْكَلم، فَتَارَة يبسط قُلُوب الْعباد بِمَا يذكرهم من آلَاء الله عز وَجل ونعمائه ، وَتارَة يقبضهَا بِمَا ينذرهم بِهِ من جلال الله وكبريائه وفنون عَذَابه وبلائه وانتقامه من أعدائه كَمَا فعل رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَيْثُ قبض قُلُوب الصَّحَابَة عَن الْحِرْص على الْعِبَادَة حَيْثُ ذكر لَهُم أَن الله عز وَجل **(يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)** .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ ؟ قَالَ : **(أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلا ، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** ، فَكَبَّرْنَا . فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا . فَقَالَ : (مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إلا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ) متفق عليه .

قال الغزالي : فَانْكَسَرت قُلُوبهم حَتَّى فتروا عَن الْعِبَادَة فَلَمَّا أصبح ورآهم على مَا هم عَلَيْهِ من الْقَبْض والفتور روح قُلُوبهم وبسطهم فَذكر أَنهم فِي سَائِر الْأُمَم قبلهم كشامة سَوْدَاء فِي جلد ثَوْر أَبيض .

2/ قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : إنَّ أَعْظَمَ البَسْطِ: بَسْطُ الرَّحْمَةِ عَلَى القُلُوبِ حَتَّى تَسْتَضِيءَ، وتَخْرُجَ مِنْ وَضَرِ الذُّنُوبِ ، فيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنْ لا قَابِضَ ولا بَاسِطَ إلا اللهُ سُبْحَانَهُ، هُوَ الذِي يَقْبِضُ الجَمِيعَ ويَبْسُطُهُ. وهُوَ الذِي يَبْسُطُ القُلُوبَ والأَلْسنَةَ والأيْدِيَ وَسَائِرَ الأَسْبَابِ.

292/ ملخصا من المقصد الأسنى و معنى اسم الله القابض والباسط – للشيخ وحيد بالي – شبكة الألوكة الشرعية – وشرح الأسماء الحسنى – للنابلسي .

فَإِنْ كُنْتَ مَبْسُوطَ القَلْبِ بالمَعَارِفِ، والحَقِيقَةِ والعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، فَابْسُطْ بِسَاطَكَ، وابْسُطْ وَجْهَكَ، واجْلِس للنَّاسِ حَتَّى يَقتَبِسُوا مِنْ ذَلِكَ النِّبْرَاسِ.

وإِنْ كُنْتَ ذا بَسْطَةٍ فِي الجِسْمِ، فابْسُطْهُ فِي العِبَادَةِ التي تُفْضِي بِكَ إِلَى السَّعَادَةِ، وفِي الصَّولَةِ عَلَى الأَعْدَاءِ، بِمَا خُوِّلْتَ مِنَ المِنَّةِ والشِّدَةِ.

وإِنْ كُنْتَ ذا بَسْطٍ فِي المَالِ، فابْسُطْ يَدَكَ بالعَطَاءِ، وأَزِلْ مَا عَلَى مَالِكَ مِنَ الغِطَاءِ، ولا تُوكِ فَيُوكِي اللهُ عَلَيكَ، ولا تُحْصِ فَيُحْصِي اللهُ عَلَيكَ.

وإِنْ كُنْتَ لم تَنَلْ حَظًّا مِنْ هَذِهِ البَسَطَاتِ فابْسُطْ قَلْبَكَ لِأَحْكَامِ رَبِّكَ، ولِسَانَكَ لِذِكْرِهِ وشُكْرِهِ،وَيَدَكَ لِبَذْلِ الوَاجِبَاتِ عَلَيكَ، وَوَجْهَكَ لِلْخَلْقِ، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم (لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أَنْ تَلقَى أَخَاكَ بوجهٍ طليقٍ) رواه مسلم.

ولَقَدْ أَحْسَنَ القَائِلُ:

بُنَيَّ إِنَّ البِرَّ شَيْءٌ هَيِّنُ   وَجْهٌ طَلِيقٌ ولِسَانٌ لَيِّنُ

2/ إن الله سبحانه وتعالى يقبض القلوب ويبسطها والخوف والرجاء للمستقبل، فأنت دائماً تخاف من الله عز وجل أو ترجوه، و القبض والبسط للحاضر فأنت الآن في حالة قبض أم في حالة بسط ؟.. فإذا قلت لا أعرف فمعنى ذلك أنت خارج المدرسة، وخارج التعليم كله، فاسأل طالباً كم أخذت بالرياضيات، و كم أخذت باللغة العربية، فإذا قال لا أعرف فمعنى ذلك أنه خارج المدرسة كلياً، فالمؤمن الصادق بين حالتي القبض والبسط.

معنى القابض يمكن أن يغلق عليك عقلك، وأن يجعل قلبك متصحراً وأن يصيِّر نفسك سوداوية المزاج متشائمة، وهناك حالات كآبة تدفع أصحابها إلى الانتحار، لكن المؤمن بالله عز وجل في منجىً من ذلك .

3/ قال القشيري رحمه الله : القبض والبسط حالان يهذب الله بهما الذاكرين ويفتح بهما عليهم أبواب العلم والحكمة .

وقال النابلسي : إذا قبض الله عنك الأحوال الطيبة، شعرت بالوحشة و بالضيق، وبالحرمان، و شعرت أنك مردود، ثم شعرت أنك مرفوض، ضن الله عليك بالتجلي، فقد تلوت القرآن وما شعرت بشيء وقمت إلى الصلاة وما شعرت بشيء، ثم أردت أن تذكر الله عز وجل فما شعرت بشيء، فهذه الحالة اسمها: قبض.

إذن ستشعر أن الله عظيم وأن الله جلَّ جلاله كبير ومتعال، ومن أنت حتى يتجلّى الله عليك فالله عز وجل مربٍ، فإذا بسط الله للإنسان الأحوال والسرور والانشراح والأنس وإذا استمر هذا الحال الطيب فتراه بعد حين يقصر في عباداته ويتهاون في صلواته، ويتكاسل في أعماله الصالحة، أما حينما يأتي القبض، فيأتي مع القبض الضجر و الضيق، فتقول " يا رب لماذا أنا على هذا الحال "، فيأتي مع القبض الخوف ثم القلق.

إن الإنسان إذا أطاع الله عز وجل وشعر بأنه تفوق وفاز وأن الله يحبه وأن الله يقربه وأن الله تجلى على قلبه وأنه قد ينزلق في هذا الحال، حال البسط، فيستعلي على الناس فيعتز بنفسه، ويعجب، وعندئذ علاج هذا الانزلاق حالة مضادة هي القبض، فتراه ساكتاً، أو يتلعثم لسانه، فيشعر بضيق، إذ يقوم ليصلي فما يشعر بطمأنينة و يقرأ القرآن فما ترتاح نفسه، فهذه الحالة علاج رباني لمن أعجب بنفسه، وتاه على عباد الله، واستطال باستقامته، هذه حالة القبض.

إذن أيها الأخ الكريم : إنك بين حالتين، القبض والبسط، لأن الله هو القابض وهو الباسط فإذا كان القبض يناسبك قبضك إذ قبض الأحوال عنك، وضيَّق عليك الدنيا و أشعرك بالسأم والضجر، وبالوحشة والبعد إذ أبى أن يتجلى على قلبك، وإذا اقتربت مع القبض إلى اليأس تجلى على قلبك فأشعرك بالقرب والأنس والسرور والانشراح، فأنت أيها المؤمن بين حالتي القبض والبسط، فما العلاج ؟ العلاج أنك إذا استحققت من الله حالة البسط، فإياك أن تنزلق منها إلى الغرور أو إلى الاستعلاء أو الإعجاب أو أن تستطيل على عباد الله.ومن هنا قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو لم تكونوا تذنبون خشيت عليكم أكثر من ذلك : العجب) [293].

293/قال المنذري: رواه البزار بإسناد جيد. نقلاً عن كتاب : فيض القدير شرح الجامع الصغير - للعلامة محمَّد عبد الرؤوف المناوي. حديث رقم (7470)

48- في رحاب اسمه تعالى

الْهَادِي

عرفت أن من معاني اسم الله الهادي [294] : ما يأتي :

قال الغزالي رحمه الله : الهادي :

1/ **هُوَ الَّذِي هدى خَواص عباده أَولا إِلَى معرفَة ذَاته :** حَتَّى اسْتشْهدُوا بهَا على الْأَشْيَاء. وهي هِداية التوفيق، قال تعالى:﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ سورة الكهف (13) [295].

2/ **وَهدى عوام عباده إِلَى مخلوقاته :** حَتَّى اسْتشْهدُوا بهَا على وجود ذَاته.

3/ **وَهدى كل مَخْلُوق إِلَى مَا لَا بُد لَهُ مِنْهُ فِي قَضَاء حاجاته :** فهدى الطِّفْل إِلَى التقام الثدي عِنْد انْفِصَاله والفرخ إِلَى الْتِقَاط الْحبّ وَقت خُرُوجه والنحل إِلَى بِنَاء بَيته على شكل التسديس لكَونه أوفق الأشكال لبدنه وأحواها وأبعدها عَن أَن يتخللها فرج ضائعة. وَشرح ذَلِك يطول وَعنهُ عبر قَوْله تَعَالَى (**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**) سُورَة طه (50)وَقَالَ تَعَالَى (**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**) سُورَة الْأَعْلَى (3) .

وقال بعضهم : **وهناك هِداية بعد دخول الجنة،** قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾ سورة محمد (4-6) [296].

294/ المقصد الأسنى وشرح أسماء الله الحسنى - للنابلسي – بتصرف .

295/ لقد آمن أصحاب الكهف دون رسول أو نبي يبعث إليهم بل كان إيمانهم محض إلهام من الله تعالى لهم ، قال القرطبي (وقوله تعالى : إنهم فتية أي شباب وأحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة).

296/ الشاهد قوله تعالى : (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) قال القرطبي : أي إذا دخلوها يقال لهم تفرقوا إلى منازلكم ، فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم . قال معناه مجاهد وأكثر المفسرين .

وقال الخطابي رحمه الله : الهادي : هو الذي مَنَّ بهداه على من أراد من عباده فخصه بهدايته، وأكرمه بنور بتوحيده كقوله تعالى: (**وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)** [يونس: 25].

وهو الذي هدى سائر الخلق من الحيوان إلى مصالحها، وألهمها كيف تطلب الرزق، وكيف تتقي المضار والمهالك كقوله تعالى: (**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**) [طه: 50] .

وقال النابلسي : أحد الأشخاص كان في بستان، فرأى قنفذاً يأكل أفعى، أكل قطعة منها ثم تركها وذهب إلى نبات وأكل منه ورقة، ثم عاد، وأكل قطعة ثانية ثم ذهب إلى هذا النبات وأكل ورقة ثانية، فهذا البستاني أمسك النبات وقلعه، وأكل القنفذ قطعة ثالثة ثم ذهب للنبات فلم يجده فمات القنفذ من هداه إلى أن هذا النبات يتناسب مع هذا الطعام ؟ الله عزَّ وجل.

مثلاً: لو أحضرنا أمهر رُبان في العالم، أعلى رُبان على وجه الأرض في علمه ومهارته يحمل شهادات عُليا وعنده ألفا ساعة قيادة سُفن، وعنده دراسات وعنده اختصاص، وعنده خِبرات، لو وضعناه على سفينة بلا بوصلة على ساحل فرنسا، وقلنا له: اتجه بها إلى مصب نهر الأمازون، لا أبُالغ إذا قلت ربما جاء البرازيلَ في جزئها الجنوبي، فلا مجال ولا بدون البوصلة إمكانية، ولو انحرف درجة في بدء مساره لانحرف في النهاية مسافة خمسمئة كيلو متر، أما سمك السلمون يتجه من سواحل الأطلسي إلى مصبات الأنهار في أمريكا، وكل سمكة وُلِدَتْ بمنبع نهر تتجه إلى مصب النهر، وهذه السمكة المتجهة ليست هي التي قدمت عند بدء الرحلة بل أمها هي التي جاءت إلى هنا، ثم وضعت بيضها وربما ماتت في مكانها الجديد، أما السمك الجديد بعد أن يخرج من البيوض يتجه نحو الشرق إلى سواحل فرنسا إلى حيث بدأت رحلة الأمهات فإذا كبرت عادت إلى مصبات الأنهار، قال تعالى: ﴿**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ طه (49-50)

ورد اسم الله الهادي في عدد من الآيات :

قال تعالى: **(وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)** [الحج: 54].وقوله تعالى: **(وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا)** [الفرقان: 31].

تعلمت من اسم الله الهادي [297] : ما يأتي :

1/ قال الغزالي رحمه الله : والهداة من الْعباد الْأَنْبِيَاء وَالْعُلَمَاء الَّذين أرشدوا الْخلق إِلَى السَّعَادَة الأخروية وهدوهم إِلَى صِرَاط الله الْمُسْتَقيم بل الله الْهَادِي لَهُم على ألسنتهم وهم مسخرون تَحت قدرته وتدبيره .

2/ الهادي هداك بكلامه فالقرآن يُبيّن لكَ أصل الخليقة، حقيقة الحياة الدنيا، ما بعد الدنيا، كما بيّن لك أسماء الله عز وجل، وبيّن لك صفاته، وبيّن لك أنبياءه السابقين واللاحقين، بيّن لك حكمة الوجود، أَمَرَكَ بالصلاة في القرآن، أَمَرَكَ بالصوم وبالزكاة وبالحج، بيّن لك لماذا تصلي. ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ سورة العنكبوت (45) .

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ سورة البقرة (183) .

فالله سبحانه هو هادي، الله هداك بكلامه، فإذا أردت أن تقرأ القرآن ؛ فالقرآن باب إلى الله عزَّ وجل. والكون باب ؛ لكن(الكون)لغة عالمية، يعني يراه ويقرؤه ويفهمه المُسلم وغير المُسلم، العربي وغير العربي ، من أي مكان، الشمس ساطعة، النجوم زاهرة، الكواكب متألّقة، الماء عذب زلال، من جعله عذباً زلالاً بعد أن كان مِلحاً أجاجاً ؟ الكون يقرؤه كل إنسان، لكن القرآن يقرأه العربي.

3/ القرآن الكريم هدىً بياني بينما الكون ؛ هدىً استدلالي : لاحظ نفسك، أحياناً تشتري آلة من دون نشرة تعليمات تنظر إليها، تُدقق، تستنبط، تُحرك بعض مفاتيحها، تُشغلها، تُحرّك هذا المفتاح، انقطع التيار، تُحرّك هذا المفتاح علا الصوت أو انخفض ؛ إذاً هذا المفتاح للصوت، تُحرّك هذا المفتاح فيصبح الصوت صافياً، إذاً هذا للتصفية، تكتشف خصائصها بالتأمل والملاحظة، لكن إذا رأيت معها نشرة باللغة العربية تقرؤها ويتضح لك الأمر.

فالكون، يَدُل على وجود الله، يَدُل على عظمته، مثال توضيحي للهداية القرآنية والكونية : لو دخلتَ إلى جامعة، وتأملت في قاعاتها الفسيحة، تأملت في قاعات المحاضرات الكبيرة، تأملت في

297/ السابق – باختصار.

حدائقها الرائعة، تأملت في بيوت طلابها، تأملت في مخبرها، تأملت في مسرحها، تأملت في مكتبتها أخذك العجب العُجاب، لكن مهما تأملت في هذه الجامعة وفي أقواسها وقاعات محاضراتها، مهما تأملت في بيوت الطلاب وفي حدائقها وفي مكتبتها، لا يُمكن أن تصل إلى نظامها الداخلي، لا يُمكن أن تصل إلى طريقة النجاح والرسوب، لا يُمكن أن تصل إلى أسماء الأساتذة، تأمل في الجدران من هم مدرسو هذه الجامعة ؟ لابُدَّ من كتاب تقرؤه في بيان الكليات، أقسام الكليات، رؤساء الأقسام، عُمداء الكليات، أسماء الأساتذة اختصاصاتهم ميزاتهم، موقع كل كلية، نِظامُها الداخلي، طريقة النجاح طريقة الرسوب طريقة الانتقال، طريقة الدرجات المقبول، امتياز، شرف، جيد، جيد جداً، هذا شيء لابُدَّ من أن تقرأه في النظام الداخلي.

أنا أقول هذا الكلام وأريد منه أنك إذا فكرت في الكون عرفت عظمة الله عزَّ وجل. أما إذا أردت أن تعرف منهجه، فلابُدَّ من قراءة القرآن. والقرآن في أساسه موجز، فيه كُليّات الدين، جاء النبي عليه الصلاة والسلام فشرحه وبيّنه، فإذا فكرت في الكون عرفت أن لِهذا الكون خالِقاً عظيماً كبيراً عليماً قديراً حكيماً لطيفاً.. الخ.

لكنك إذا أردت أن تعبده، وإذا أردت أن تتقرب إليه، وإذا أردت أن يُحبك، فماذا تفعل؟ أنت الآن بحاجة إلى تعليمات من قِبَل الخالِق يقول لك صُمْ شهرَ رمضان، أدِ زكاة مالك، غُضَ بَصَرَك أحسِن إلى أخيك، أُعفُ عنه، أنت الآن بحاجة إلى تعليمات هذا الخالِق أنت بعقلك عن طريق الكون آمنت بالخالِق، لكنك إذاً أردت أن تعرف منهج الخالِق، أمره ونهيّه، أخبار الأمم السابقة، ماذا يُريد منك، لماذا خُلقت ؟ فلابُد من أن تقرأ كتابه.

إذاً الكون : يَدُلُكَ على وجود الله وعلى أسمائِه الحُسنى والقرآن يَدُلُكَ على منهجه، يعني إذا أردتَ أن تؤمن به ففكّر بالكون، وإذا أردت أن تعبده فاقرأ القرآن، بالكون تعرفه، وبالقرآن تعبده، لا يُغني أحدُهما عن الآخر.

5/ **الله تعالى يهديك بأفعاله: أفعال الله وحدها تُعلِّمُكَ :** مثلا :المعلم ساكت لم يتكلّم ولا بكلمة حينما رآك وكزت زميلك وأنت خارج إلى الباحة ضربك على رأسك، في الساعة الثانية ما وكزته فلم يضربك، في الساعة الثالثة، وكزته فضربك المعلم وهو ساكت، سكوته كافٍ، وفِعلُه يُعلّم، أليس

كذلك. طبعاً على هذه الفكرة ينطبق آلاف الوقائع، أفعال الله وحدها تُعلِمُك. خلْقُه يُعلِمُك وكلامه يُعلِمُك، ربنا عز وجل قال: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ سورة النمل(69).

شخص غشَّ الناس صودرت أملاكه فلماذا صودرت ؟ دليل على أذيّته، هذا الذي نصحهم لماذا نمَّى الله ماله ؟ هذا الذي أكرمهم لماذا أكرمه الناس ؟ هذا الذي أعطاهم لماذا أعطاه الله ؟

قال النابلسي :ذكر لي أخ كريم فقال: اتصلت بي أختي صباحاً، قالت لي أريد خمسة آلاف ليرة، قال معي المبلغ ولكني في ضيق شديد وعلي دفعات كبيرة، نشأ صراع في نفسه، ثم غلب نفسه وذهب إلى بيت أخته وأعطاها المبلغ وعاد إلى دكانه في سوق البزورية، فجاءه شخص، وقال أريد هذه السلعة وسَمّاها، قلت: ليست متوفرة لديّ، قال أين توجد ؟ قلت في المعمل الفلاني، فطلب مني أن أدله عليه، فذهبت معه ودللته عليه وعدت إلى محلي، مساءً أتاه صاحب المعمل وأعطاه مبلغاً من المال " طبعاً هذا إذا حسبه على الزبون فيه شبهة أما إذا أعطاه من ربحه لا شيء فيه " قال: أخذت ضعف ما قدمت لأختي صباحاً. ولا أعتقد أن أحداً ممن يقرأ هذا الكلام إلاّ ويلمس أن الله يوماً عامله بما يشبه معاملة ذلك الشخص.

عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بِلَالٍ وَعِنْدَهُ صُبْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ: **مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟** " قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادَّخَرْتُهُ لَكَ وَلِضِيفَانِكَ. فَقَالَ: (**أَمَا تَخْشَى أَنْ يَفُورَ لَهُ بُخَارٌ فِي جَهَنَّمَ؟ أَنْفِقْ بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا**). الحديث صححه الألباني وأورده في الصحيحة برقم 2661 وأطال في ذكر طرقه رحمه الله.

إذاً: هو الهادي بخلقه، والهادي بكلامه، والهادي بأفعاله هداك بخلقه وهداك بكلامه وهداك بأفعاله، لا أعتقد أنَّ واحداً من الإخوة االقرّاء إلا وعلَّمَهُ الله بالأفعال.. صليتَ الصُبح في جماعة، فشَعَرتَ طَوَالَ النهار أن كلامك سديد، وأن عقلك رشيد، وأن أحوالك عالية، وأن قلبَكَ عامر، وأن الناس قد هابوك، وأن الأمور مُيّسْرَةَ.

49-50 / اسماه تعالى

الظَّاهِر والْبَاطِن

عرفت أن من معاني اسمي الله الظاهر والباطن : ما يأتي[298] **:**

قال الغزالي رحمه الله تعالى : الظاهر والباطن : هَذَانِ الوصفان أَيْضا من المضافات فَإِن الظَّاهِر يكون ظَاهرا لشَيْء وَبَاطِنا لشَيْء وَلَا يكون من وَجه وَاحِد ظَاهرا وَبَاطِنا بل يكون ظَاهرا من وَجه بِالْإِضَافَة إِلَى إِدْرَاك وَبَاطِنا من وَجه آخر فَإِن الظُّهُور والبطون إِنَّمَا يكون بِالْإِضَافَة إِلَى الإدراكات **وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَاطِن** إِن طلب من إِدْرَاك الْحَوَاس وخزانة الخيال ،**ظَاهر** إِن طلب من خزانَة الْعقل بطرِيق الِاسْتِدْلَال [299].

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته [300]**:**

ونظير هذا القابض المقرون با　　　سم الباسط اللفظان مقترنان

298/ المقصد الأسنى – للغزالي وموسوعة شرح الأسماء الحسنى – للنابلسي .

299/ شرح الغزالي هذا الكلام بشرح طويل أثبته في الفائدة الأولى من خاتمة الكتاب .

300/ والأبيات بتمامها :

هذا ومن أسمائه ما ليس يفـ	**ـرد بل يقال إذا أتى بقران**
وهي التي تدعى بمزدوجاتها	**إفرادها خطر على الإنسان**
إذ ذاك موهم نوع نقص جل رب	**العرش عن عيب وعن نقصان**
كالمانع المعطي وكالضار الذي	**هو نافع وكماله الأمران**
ونظير هذا القابض المقرون با	**سم الباسط اللفظان مقترنان**
وكذا المعز مع المذل وخافض	**مع رافع لفظان مزدوجان**
وحديث إفراد اسم منتقم فمو	**قوف كما قد قال ذو العرفان**
ما جاء في القرآن غير مقيد	**بالمجرمين وجا بذو نوعان**

وقيل : **الظاهر** للعقول السليمة بآياته وبراهينه ودلائل توحيده، و**الباطن** المتعزز على القوم المحتجب عنهم حتى أنكروا وجودهم وجحدوه، ظاهر للعقول السليمة باطن متعزز عن القوم إن لم يدفعوا ثمن هذه الرؤيا.

وقيل : ظاهر : لكل شيء بالدلائل اليقينية، **الباطن** : عن مظاهر الجسمية، فسبحان من احتجب عن خلقه بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره.

ورد اسمي الله الظاهر والباطن في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) سورة الحديد(3) .

تعلمت من اسمي الله الظاهر والباطن : ما يأتي[301] :

1/ أن البَاطِنُ سُبْحَانَهُ هو المحْتَجِبُ عَنْ أَبْصَارِ الخَلْقِ، الذِي لا يُرَى فِي الدُّنْيَا، ولا يُدْرَكُ فِي الآخِرَةِ، وفَرْقٌ بَيْنَ الرُّؤْيَةِ والإِدْرَاكِ، فالله عز وجل لا يُرَى فِي الدُّنيَا، ويُرَى فِي الآخِرَةِ، أَمَّا الإِدْرَاكُ فإِنَّهُ لا يُدْرَكُ فِي الدُّنيَا ولا فِي الآخِرَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: 61، 62]، فَمُوسَى نَفَى الإِدْرَاكَ، ولَمْ يَنْفِ الرُّؤْيَةَ؛ لأَنَّ الإِدْرَاكَ هُوَ الإِحَاطَةُ بالمدْرَكِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، أَمَّا الرُّؤْيَةُ فَهِيَ أَخَصُّ مِنْ ذَلِكَ، فَكُلُّ إِدْرَاكٍ يَشْمَلُ الرُّؤْيَةَ، ولَيْسَ كُلُّ رُؤْيَةٍ تَشْمَلُ الإِدْرَاكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103][4].

2/ إن اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَعْظَمُ الغَيْبِ، مُحْتَجِبٌ عَنِ الخَلْقِ، لا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا، ولا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ فِي الآخِرَةِ ولا نُحِيطُ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلا بِمَا شَاءَ لَنَا أَنْ نَعْلَمَهُ عَنْهُ، مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ ظَاهِرٌ لِخَلْقِهِ بِأَفْعَالِهِ وآيَاتِهِ المَتْلُوَّةِ والعَيَانِيَّةِ - المرئية - فَمَنْ تَأَمَّلَ وتَفَكَّرَ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ومَا فِيها، عَلِمَ عِلْمَ اليَقِينِ أنَّ لَهُ خَالِقًا مُدَبِّرًا ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى**

301/ شرح اسم الباطن - الشيخ وحيد عبدالسلام بالي – شبكة الألوكة الشرعية، وموسوعة شرح الأسماء الحسنى للنابلسي – موقع الكلم الطيب - بتصرف كبير.

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: 190، 191].

ولَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

فيا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ

وفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وكَذَا الآيَاتُ المَتْلُوَّةُ وهي كِتَابُهُ؛ فإنَّها بِنَفْسِها تَدُلُّ عَلَى اللهِ تَعَالَى؛ لأنَّها لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ كَلَامِ البَشَرِ، لأنْوَاعِ الإعْجَازِ التي فِيها.

3/ **أن اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى هو العَلِيمُ بِبَوَاطِنِ الأمُورِ وظَوَاهِرِها**، يَسْتَوِي عِنْدَهُ هَذَا وهَذَا ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد: 10]، فَيَسْتَوِي عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مَنْ هُوَ مُخْتَفٍ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ فِي ظَلَامِ الليلِ، ومَنْ هُوَ سَائِرٌ فِي سَرْبِهِ (طرِيقِهِ) فِي بَيَاضِ النَّهَارِ وضِيَائِهِ.

4/ **التَّعَبُّدُ للهِ باسْمَيهِ الظَّاهِرِ والبَاطِنِ:**

- **المَقْصُودُ أَنَّ التَّعَبُّدَ باسْمِهِ (الظَّاهِرِ) يَجْمَعُ القَلْبَ عَلَى المَعْبُودِ**، ويَجْعَلُ لَهُ رَبًّا يَقْصِدُهُ وصَمَدًا يَصْمُدُ إليهِ فِي حَوائِجِهِ، ومَلْجَأً يَلْجَأُ إليهِ، فإذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ وَعَرَفَ رَبَّهُ باسْمِهِ (الظَّاهِرِ) اسْتَقَامَتْ لَهُ عُبُودِيَّتُهُ، وصَارَ لَهُ مَعْقِلٌ ومَوْئِلٌ يَلْجَأُ إليهِ ويَهْرُبُ إليهِ ويَفِرُّ كُلَّ وَقْتٍ إليهِ.
- **وأَمَّا تَعَبُّدُهُ باسْمِهِ (البَاطِنِ) فَأَمْرٌ يَضِيقُ نِطَاقُ التَّعْبِيرِ عَنْ حَقِيقَتِهِ**، ويَكَلُّ اللِّسَانُ عَنْ وَصْفِهِ، وتَصْطَلِمُ[15] الإشَارَةُ إليهِ، وتَجْفُو العِبَارَةُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَةً بَرِيئَةً مِنْ شَوَائِبِ التَّعْطِيلِ، مُخْلَّصَةً مِنْ فَرْثِ التَّشْبِيهِ، مُنَزَّهَةً عَنْ رِجْسِ الحُلُولِ والاتِّحَادِ، وعِبَارَةً مُؤَدِّيَةً للمَعْنَى كَاشِفَةً عَنْهُ، وذَوْقًا صَحِيحًا سَلِيمًا مِنْ أَذْوَاقِ أَهْلِ الانْحِرَافِ، فَمَنْ رُزِقَ هَذَا فَهِمَ مَعْنَى اسْمِهِ (البَاطِنِ) وَوَضَحَ لَهُ التَّعَبُّدُ بِهِ.

وبَابُ **هَذِهِ المَعْرِفَةِ والتَّعَبُّدِ إحَاطَةُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالعَالَمِ وعَظَمَتِهِ**، وأَنَّ العَوَالِمَ كُلَّها في قَبْضَتِهِ، وأَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ والأَرْضِينَ السَّبْعَ في يَدِهِ كَخَرْدَلَةٍ في يَدِ العَبْدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ [الإسراء: 60]، وقَالَ: ﴿**وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ** ﴾ [البروج: 20]، ولِهَذَا يَقْرِنُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ هَذَينِ الاسْمَينِ الدَّالَّينِ عَلَى هَذَينِ المَعْنَيينِ: اسْمِ العُلُوِّ الدَّالِّ عَلَى أَنَّهُ (الظَّاهِرُ) وأَنَّهُ لَا شَيْءَ فَوْقَهُ، واسْمِ العَظَمَةِ الدَّالِّ عَلَى الإحَاطَةِ، وأَنَّهُ لَا شَيْءَ دُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: 255]، [الشورى: 4]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: 23]، وقَالَ: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 115]، وهُوَ تَبَارَكَ وتَعَالَى كَمَا أَنَّهُ العَالِي عَلَى خَلْقِهِ بِذَاتِهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، فَهُوَ (البَاطِنُ) بِذَاتِهِ فَلَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، بَلْ ظَهَرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَكَانَ فَوْقَهُ، وَبَطَنَ فَكَانَ أَقْرَبَ إلى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ نَفْسِهِ، فَهَذَا أَقْرَبُ لإحَاطَةِ العَامَّةِ.

6/ **قصص يحكيها النابلسي :** وهي تلفت الانتباه بقوة إلى تصريف اسمه الباطن للكون :

- في طائرة باكستانية انطلقت من الرياض إلى الباكستان ، فوق الخليج نافذة تعطلت بها فخرقها الهواء ، طائرة مضغوطة بالهواء 8 أضعاف ، حتى يكون الضغط الجوي على ارتفاع أربعين خمسين ألف قدم كالضغط الجوي على الأرض ، تحقن الطائرة بـ8 أضعاف حجمها من الهواء ، ففي ضغط عال جداً فوق ، فلما خُرقت بعض نوافذها إنسانة على حضنها رضيعان خرجا من النافذة من شدة الضغط ، في أمل ؟ على ارتفاع خمسين ألف قدم رضيعان صغيران نزلا إلى جانب صياد ، فالماء امتص الصدمة ، والصياد انطلق إلى الماء وأخرج الطفلين ، وبعد اتصالات مديدة أُعلمت السفارة الباكستانية في الخليج أن هناك طفلين سليمين أخبروا أمهما .يعني الله عز وجل ظاهر ، أنت حينما تؤمن أن الله موجود ، وفعال ، وبيده كل شيء ، لا تيأس .
- أعرف رجلاً مدرساً أصيب بمرض عضال في رئتيه ، والأطباء الذين عالجوه أصدقائي ، المرض الخبيث من الدرجة الخامسة ، وقال له الطبيب أمامي : في احتمال واحد أن تذهب إلى أمريكا لزرع رئة ، والعملية تكلف ما يساوي ثمن بيته الذي اشتراه لتوه ، بيت فخم جداً اشتراه ، والأمل بالـ% 30 ، والقصة من ثلاث وعشرين سنة ، وشفاه الله شفاءً

ذاتياً دون أن يذهب ، ودون أن يجري عملية ، والرجل لا يزال حياً يرزق ، الله عز وجل ظاهر ، في أحداث لا تفسر ، إلا أن الله بذاته العلية أحدث هذا الحدث .

- هناك طائرة احترقت فوق جبال الألب ، ومع احتراقها انشطرت مكان انشطارها راكب وقع ، وقع من ارتفاع 43 ألف قدم ، نزل فوق غابة من غابات جبال الألب وفوق الغابة في خمسة أمتار ثلج ، هذه الخمسة أمتار مع أغصان الأشجار ، كانت كماصات الصدمة ، فنزل واقفاً ، قصة مشهورة قرأتها.

وإذا **العناية لاحظتك جفونها** نم فالمخاوف كلهن أمان

7/ معرفة اسم **الله الباطن في تدبير الأمور :** هذا امتحان صعب جداً ، ونحن فيه الآن ، أنا ركزت على هذا :

- نحن في هذا الامتحان الآن ، بالنظر إلى ظواهر الأمور هناك أقوياء ودول عظمى، وهناك قرار يتخذ بالحصار الاقتصادي ، في قرار يتخذ باجتياح البلاد ، بإلقاء القنابل ، بضرب المدن ، نحن في هذا الامتحان الصعب ، فالله سبحانه وتعالى باطن في أحيان كثيرة لكن فعله هو النافذ، الدليل : (**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**) البروج (16) .

وقال تعالى : (**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)[يوسف:21] .

وقال تعالى : **(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)** [البقرة:216] .

قال السعدي رحمه الله في تفسيرها : وهذه الآيات عامة مطردة في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك. وأما أحوال الدنيا, فليس الأمر مطردا, ولكن الغالب على العبد المؤمن, أنه إذا أحب أمرا من الأمور,،فقيض الله [له] من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له, فالأوفق له في ذلك, أن يشكر الله, ويجعل الخير في الواقع, لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه, وأقدر على مصلحة عبده منه, وأعلم بمصلحته منه كما قال [تعالى:] { وَ**اللَّهُ يَعْلَمُ**

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره, سواء سرتكم أو ساءتكم. ولما كان الأمر بالقتال, لو لم يقيد, لشمل الأشهر الحرم وغيرها,

8/ العاقل من قيّم الآخرين تقييماً حقيقياً لا تقييماً ظاهرياً :

لذلك جاء في قصة قارون : (**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ أمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ**) [القصص:79-80] .

عود نفسك تقيّم تقييماً حقيقياً لا تقييماً ظاهرياً ، قال تعالى : **(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)** [التوبة:55] .

قيّم تقييماً حقيقياً ، احترم إنساناً دخله شرعي وحجمه متواضع جداً ولا تحترم إنساناً دخله غير شرعي وظالم .

51-52/ في رحاب اسميه تعالى

النصير والناصر

عرفت أن من معاني اسميه تعالى النصير والناصر : ما يأتي :

قال الأصفهاني رحمه الله : النصير والناصر : ينصر المؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم، ويلقي الرعب في قلوب عدوهم.

وقال ابن كثير رحمه الله : **نِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ، يَعْنِي نِعْمَ الْوَلِيُّ وَنِعْمَ النَّاصِرُ مِنَ الْأَعْدَاءِ .

وقال الحليمي رحمه الله : **الناصر** : هو الميسر للغلبة، سبحانه هو الذي ينصر رسله وأنبياءه وأولياءه على أعدائهم في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد في الآخرة **والنصير:** وهو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله .

وقال القرطبي رحمه الله : النصير والناصر بمعنى ، وله معان منها: العون، يقال: نصره الله على عدوه ينصره نصرا فهو ناصر ونصير للمبالغة، والاسم النصرة.

ورد النصير في أربعة مواضع من القرآن : هي :

قوله تعالى : (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) الأنفال(40).

وقوله تعالى : ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ سورة الفرقان(31) .

وقوله تعالى : ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾ سورة النساء:45

وقوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ سورة الحج:78

وورد الناصر بصيغة الجمع في قوله تعالى:(**بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**) سورة آل عمران:150

كما تعلمت من اسميه تعالى النصير والناصر : أن النصر على أنواع [302] :

1/ **النصر الاستحقاقي** : إنما سمي استحقاقي على حسب الوعد الإلهي بحصوله عند توافر شروطه ،**وهذا** ثمنه الإيمان والإعداد ، معنى ذلك أنه من عند الله ، ولكن له ثمن ، ما ثمن هذا النصر ؟ الإيمان والإعداد:

الإيمان : الإيمان الذي يحملك على طاعة الله : كما قال تعالى (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)[الروم:47] كلام خالق الأكوان ، وقال تعالى: (**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا**) وقال تعالى (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**)[النور:55.]

الإعداد: كما قال تعالى (**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**) [الأنفال:60] لكن رحمة الله أنه كلفنا أن نعد العدة المتاحة ، وليست المكافئة ، وفرق كبير بين أن نعد العدة المكافئة ، وهذا مستحيل الآن، وبين أن نعد العدة المتاحة.

الإيمان يحملك على الاستقامة:

حينما نتعامل مع الله وفق قواعده القرآنية ، ووفق نواميسه نقطف الثمرة ، أما إذا تعاملنا مع الله تعاملا ضبابياً مزاجياً ، ولم ندفع الثمن فلن ننتصر ، إذًا : النصر من عند الله ، وله ثمن ، ثمنه الإيمان والإعداد ، لكن أي إيمان ؟ الكلّ يدعي أنه مؤمن ، الإيمان الذي يترجم إلى استقامة ، الإيمان الذي يحملك على طاعة الله ، لذلك لماذا لم ينتصر المسلمين في أُحُد ؟ لأنهم عصوا ، ولو أنهم انتصروا لسقطت طاعة رسول الله.

ولماذا لم ينتصر المسلمون في حنين ؟ في أُحُد وقعوا في معصية ، وفي حنين وقعوا في شرك خفي ، فقالوا : لن نهزم مِن قلة ، إذًا : إما لسبب سلوكي في أُحد ، أو لسبب اعتقادي في حنين ، قال

302/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للنابلسي – باختصار شديد .

تعالى : **(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ)** التوبة:(25) .

أيها الإخوة الكرام ، درس بدر وحنين ، تقول : الله يتولاك ، تقول : أنا ، يتخلى عنك ، وهذا الدرس نحتاجه كل يوم ، وفي كل ساعة ، وفي بيوتنا ، وفي أعمالنا ، وفي حرفنا ، وفي مواجهتنا لمن نخافهم ، قل : الله ، فإن الله يتولاك **.(قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**) الشعراء(61-62) .

2/ **النصر التفضُّلي: إنما سمي تفضلي لأن يحصل دون تسبب من البشر إنما سمي ودليله** الآية الكريمة :(غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) [الروم:2-4. [

فالنصر التفضلي حكمة الله اقتضت أن ينتصر الروم أهل كتاب ، وأهل الكتاب مشركون ، ومع ذلك انتصروا ، هذا النصر ليس استحقاقياً ، ولكنه نصر تفضلي ، فنحن في عبادتنا نقول : يا رب ، إن لم نكن نستحق النصر الاستحقاقي فانصرنا نصراً تفضلياً ، والنصر التفضلي يعني أن المنتصر ليس كما ينبغي ، لكن حكمة الله اقتضت أن ينتصر ، لذلك أثبت الله للصحابة الكرام وهم نخبة البشر فرحهم بهذا النصر **3/ النصر المبدئي :**

3/ **النصر المبدئي** : **(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ**) سورة البروج (4-7) ،الآن كلام دقيق ، أصحاب الأخدود هل انتصروا ؟ بالمقياس التقليدي لم ينتصروا ، لكنهم انتصروا نصرا مبدئياً ، لأنهم ثبتوا على إيمانهم بالله.

لا للإحباط وسوءِ الظن بالله:

قال الله تعالى : **(الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)** [الفتح:6] عنده وهم خاطئ ؛ أن الله لا ينصره ، وقد يقع الإنسان في سلسة إحباطات يتوهم أن الله لن ينصره ، فيسيء الظن بالله .

وأقول لكم بكل صراحة : إن بعض المسلمين وقعوا في الإحباط واليأس ، ولذلك هناك امتحانان صعبان : الامتحان الأول : أن يقوّي اللهُ الكافر حتى يقول ضعاف الإيمان : أين الله ؟ وأحيانا يظهر الله آياته حتى يقول الكافر: لا إله إلا الله.

نحن الآن في الامتحان الأول ، وهو صعب جداً ، الطرف الآخر قوي ومتغطرس ، ويفعل ما يقول ، فبعض المؤمنين ضعفوا : **(وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** [آل عمران:139] إذن النصر التفضلي والنصر المبدئي والنصر الاستحقاقي وموضوع بدر وحنين ، تقول : الله ، يتولاك ، تقول : أنا ، يتخلى عنك .

53- في رحاب اسمه تعالى

الطيب

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الطيب : ما يأتي :[303]

الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيب: الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث[304].

كما عرفت أن الله طيب : في ذاته وأفعاله طيبة وصفاته أطيب شيء وأسماؤه أطيب الأسماء واسمه الطيب لا يصدر عنه إلا طيب ولا يصعد إلا طيب ولا يقرب منه إلا طيب فكلِمه طيب وإليه يصعد الكلم الطيب وفعله طيب والعمل الطيب يعرج إليه فالطيبات كلها له ومضافة إليه صادرة عنه ومنتهية إليه[305]،

تعلمت منه : ما يأتي :

لا بد من وقفة مع الحديث الذي ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:** ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا** ﴾[المؤمنون: 51]، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ [البقرة: 172]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعثَ أغبرَ يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وغُذِيَ بالحرام، فأنى يستجاب له؟!)؛ رواه مسلمٌ.

303/ الطيب هو من أسماء الله الحسنى المختلف عليها ، فذكره ابن منده ، وابن العربي ، و ابن عثيمين ، والنابلسي في تعدادهم لأسماء الله الحسنى .

304/ قاله القاضي عياض كما في شرح صحيح مسلم للنووي (100/7).

305/ الصلاة وحكم تاركها – لابن القيم - ص:214-215

في هذا الحديث فوائد كثيرة ، منها [306]:

الأولى : من أثر اتصاف الله تعالى بالطيب أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طاهرا من المفسدات كلها ولا من الأموال إلا ماكان طيبا حلالا فإن الطيب يوصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات كقوله تعالى (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**). وقال تعالى (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**). وقد وصف الله سبحانه المؤمنين بالطيب فقال تعالى (**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ**).

فالمؤمن كله طيب قلبه ولسانه وجسده بما سكن في قلبه من الإيمان وظهر على لسانه من الذكر وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه وهذه الطيبات كلها يقبلها الله تعالى .

الثانية : في الحديث دلالة على أن طلب الرزق والانتفاع بالطيبات من سنن المرسلين والصالحين لقوله تعالى (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا). وأن التقرب إلى الله بالعزوف عن الطيبات وترك التكسب من الرهبانية التي ما أنزل الله بها من سلطان من الأديان السابقة وقد ورثها عنهم في هذه الأمة المتصوفة الذين تركوا التكسب والمباحات وتواكلوا فخالفوا الشرع وخرجوا عن جادة السنة وقد ذم مسلكهم أئمة السنة ، وهذا من الغلو وليس من الزهد المشروع. وفي الصحيحين (أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال أحدهم : أما أنا فأصوم لا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم لا أنام , وقال الآخر : أما أنا فلا أتزوج النساء ، وقال الآخر : أما أنا فلا آكل اللحم فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال : (**ما بال رجال يقول أحدهم كذا , وكذا لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني**).

الثالثة : في الحديث دلالة على أن العمل لايقبل ولا يزكوا إلا بأكل الحلال وإن أكل الحرام يفسد العمل ويمنع قبوله وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الدعاء مثالا على سائر الأعمال والعبادات. وفي مسند احمد عن ابن عمر قال (من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في

[306]/ شرح حديث (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) - لخالد بن سعود البليهد – موقع صيد الفوائد – بتصرف .

ثمنه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه). ثم رفعه إلى رسول الله. وأخرج الطبراني بإسناد وفيه ضعف من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه منادي من السماء لالبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور).

وقال ابن عباس "**لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام**". والمراد بنفي القبول في الأحاديث هو عدم حصول الأجر والثواب في الآخرة أما سقوط الفرض وبراءة الذمة فيحصل للعبد إذا أتى بالعبادة. ويطالب بها العبد ، فهناك فرق بين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وعليه يحمل صلاة الآبق والمرأة التي أسخطت زوجها ومن أتى كاهنا ومن شرب الخمر أربعين يوما .

ولهذا كان السلف يشتد خوفهم من هذه الآية (**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**). فيخافون أن لايكونوا من المتقين الذين يتقبل منهم. قال وهيب بن الورد " لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شي حتى تنظر ما يدخل بطنك حلال أو حرام " .

كما تعلمت من اسمه الطيب[307] : ما يأتي :

- **لابد للمؤمن أن يكون طيِّبًا :** بإمكانك أن تقف في الصلاة، وأن تركع، وأن تسجد، إن لم تكن طيباً فلن لا يلقي الله تعالى في قلبك النور، ولا يمنحك القرب، بينما الأقوياء ببساطة بالغة يمكن أن تتقرب إليهم برفع صورة لهم فرضاً، أو بكتاب، أو بثناء، أو بكلمة تلقيها في حضرته، تتقرب إليهم بهذه الطريقة، ولا يشترط بعدها أن تكون كاملاً، لكن الإله العظيم لا يقبلك إلا إذا كنت طيباً، لا يقبلك إلا إذا كنت ورعاً، لا يقبلك إلا إذا كنت طاهر السريرة، لا يقبلك إلا إذا كنت مستقيماً.

307/ موسوعة أسماء الله الحسنى – للنابلسي – باختصار وتصرف كبيرين.

- **لا بد أن يكون المؤمن طيبا لكي يجتني ثمرات العبادات :** في إمكانك أن تفعل كل شيء مادي، بإمكانك أن تذهب إلي الحج، وأن تصوم رمضان، وأن تصلي، إن لم تكن مستقيماً فلن تقطف ثمار هذه العبادات، لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً، فهذا الذي يأكل أموال الناس بالباطل، هذا الذي يعتدي علي أعراض الناس، هذا الذي يقول كلاماً لا يرضي الله عز وجل ليس طيباً، لذلك لن يستطيع أن يقطف من ثمار العبادات شيئاً.

- **لا بد أن أكون كما قال أحد العلماء :** تريد أن تنال رضوانه تعالى كن طيباً، تريد أن ينور الله قلبك كن طيباً، تريد أن تخشع في الصلاة كن طيباً تريد أن يقبل صيامك كن طيباً تريد أن يقبل حجك كن طيباً، هذه العبادات لا يمكن أن تقطف ثمارها إلا إذا كنت طيباً، لأن **(اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا)** الطريق إلى الله عز وجل واضح، ومتاح لكل مؤمن، قال تعالى: (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) الكهف (110) .

- **يجب أن يكون المؤمن صاحب الأعمال والأقوال الطيبة :**هناك كسب طيب بتجارة مشروعة، وهناك نادٍ ليلي دخلُ صاحبِه كبيرٌ، وهناك ملهى وتجارة مخدرات ورشوة، ومكاسب كثيرة جداً لا ترضي الله عز وجل، الله عز وجل يقول: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**) سورة البقرة (267) .

- **وأخيرا تعلمت من اسمه الطيب أن : المؤمن الطيِّب ليس عنده ازدواجية الشخصية :**أعظمُ ما في المؤمن أن سريرته كعلانيته، وأن خلوته كجلوته، وأن باطنه كظاهره، ما عنده ازدواجية أبداً، لأنه طيب ما عنده أسرار أبداً، ما يفعله في البيت يفعله أمام الناس، ما يفعله أمام الناس يفعله في البيت، ما عنده شيء للاستهلاك الخارجي، وممارسة خاصة .صدقوا أيها الإخوة الكرام، أن مرض انفصام الشخصية أحياناً يصيب معظم الناس بشكل مخيف، لا يسمى مريضا، لكن له موقفان، في بيته موقف ومع الناس موقف، مع الذين آمنوا له كلام.

54- في رحاب اسمه تعالى

السيد

عرفت أن من معاني اسمه تعالى السيد : ما يأتي :[308]

قال الخطابيُّ رحمه الله : قولُه في الحديث «السَّيِّدُ اللهُ» ويُريدُ: أنَّ السُّؤْدُدَ حقيقةً للهِ عز وجل، وَأَنَّ الخلْقَ كلَّهم عبيدٌ له» .

وقال الحليميُّ رحمه الله: «ومنها (السَّيدُ)؛ وهو اسمٌ لم يأتِ به الكِتابُ، ولكنَّه مأْثورٌ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فإنه رُوي عنه أَنَّهُ قال لوفدِ بني عامرٍ: «لَا تَقُولُوا السَّيِّدَ؛ فإِنَّ السَّيدَ اللهُ».

ومعناه: المُحتاجُ إليه بالإِطلاقِ ، فإِنَّ سَيِّدَ النَّاسِ إنما هو رأسُهم الذي إليه يَرجِعون، وبأَمْرِهِ يعملون، وعن رأيه يَصْدُرون، ومِنْ قولهِ يَسْتَهدون.

فإذا كانتِ الملائِكَةُ والإنسُ والجِنُّ خَلْقًا للباري جل ثَناؤهُ، ولم يكُنْ بهم غُنْيَةٌ عنه في بدءِ أمرِهِمْ وهو الوجودُ، إذْ لو لم يُوجِدْهُمْ لم يُوجَدوا، ولا في الإِبقاء بعد الإيجادِ، ولا في العَوَارضِ العارِضَةِ أثناءَ البقاءِ.كان حقًّا له جلَّ ثناؤه أَنْ يكونَ سَيِّدًا، وكان حقًّا عليهم أن يَدْعوه بهذا الاسمِ»

وقال ابن القيم رحمه الله : " السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى: المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق، والله سبحانه وتعالى أعلم"[309]

قال الهراس رحمه الله : " فهو السيد الذي قد كُمل في سؤدده، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كَمُلَ في جبروته، والشريف الذي قد كمُلَ في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكيم الذي قد كمل في

308/ اختلف العلماء إثبات اسمه تعالى السيد ، وممن أثبته ابن القيم والخطابي والحليمي والأصبهني ودليلهم هم قول النبي صلى الله عليه وسلم (السيد الله)رواه أحمد وأبو داود وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 3700، وإسناده صحيح.

309/ الفوائد (213/3)

حكمته، وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو اللَّه هذه صفته لا تنبغي إلا له، وليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان اللَّه الواحد القهار "[310]

وقال ابن القيم أيضًا في نونيته:

وهو الإله السيد الصمد الذي	**صمدت إليه الخلق بالإذعان**
الكامل الأوصاف من كل الوجو	**ه كماله ما فيه من نقصان**

تعلمت من اسمه تعالى السيد أمورا كثيرة ، منها [311]:

1/ أنه يمكن أن يوصف الإنسان بأنه سيد - مع الفارق بين الخالق والمخلوق - كما قال عليه الصلاة والسلام للأنصار (**قوموا لسيدكم**)[312] فالسيد من بني البشر الذي تأبى نفسه أن يفعل منكراً ، الفاضل الذي يتفضل بما عنده على الآخرين ، الكريم ، المعطاء ، الحليم ، الصبور ، الذي يتحمل أذى قومه ، المقدم [313].

310/ شرح نونية ابن القيم للهراس، 100/2، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 232/2.

311/ موسوعة الأسماء الحسنى – للنابلسي – باختصار وتصرف كبيرين .

312/ يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه والحديث رواه البخاري

313/ مما يدل على جوزُ السيد على المخلوقِ قوله تعالى عن نَبِيِّهِ يحيى ابنِ زكريا عليهما السلام: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران(39]) قال ابنُ الأَنباري: (إنْ قال قائِلٌ: كيف سمَّى اللهُ عز وجل يحيى سَيِّدًا وحصورًا)

وقال أبو منصورٍ الأزهريُّ: «كَرِهَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُمدَح في وَجهِهِ، وَأَحَبَّ التواضُعَ للهِ تعالى، وجَعلَ السِّيادَة للذي سادَ الخَلْقَ أجمعين، وليس هذا بمخالفٍ لقولِهِ لسعدِ بن معاذٍ حين قال لقومِهِ الأنصارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»؛ أرادَ أَنَّهُ أفضلُكم رَجُلًا وأكرمكم، وأمَّا صِفَةُ اللهِ جَلَّ ذِكرُه بالسَّيِّد فمعناهُ: أَنَّه مالكُ الخلْقِ، والخَلقُ كلُّهم عبيدُه.وكذلك قولُه: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»؛ أراد: أَنَّه أَوَّلُ شفيعٍ، وأوَّلُ مَنْ يُفتحُ له بابُ الجَنَّةِ، قال ذلك إخبارًا عمَّا أكرمَهُ اللهُ به مِنَ الفَضلِ والسُّؤْدَدِ، وتحدُّثًا بنعمةِ اللهِ عِنْدَهُ، وإعلامًا منه لِيكُونَ إيمانُهم به على حَسَبِه وموجبِهِ.ولهذا أتْبَعَه بقولِهِ: «ولا فَخْرَ» أي: إنَّ هذِه الفضيلَة التي نِلتُها كرامةٌ مِنَ اللهِ، لم أَنَلْها من قِبَلِ نَفْسِي، ولا بَلغْتُها بقوَّتي فليس لي أَنْ أَفْتخِرَ بها.

وقال الإمامُ المحقِّقُ ابنُ القيِّم رحمه الله:اختلفَ النَّاسُ في جوازِ إطلاقِ السَّيدِ على البَشَرِ، فمنعَهُ قومٌ، ونُقِلَ عَنْ مَالكٍ، واحتجُّوا بأنَّه صلى الله عليه وسلم لما قِيلَ له: يا سَيِّدَنا قال: «إنَّما السَّيدُ اللهُ». ومِمَّا يُؤَيِّدُ جوازَ إطلاقِه على المَخْلوقِ قولُه صلى الله عليه وسلم: «إِذَا نَصَحَ العبدُ سَيِّدَهُ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» متفق عليه ، وقَولُهُ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ

2/ أن موقع مكارم الأخلاق من الدين كالرأس من الجسد لأن ابن القيم رحمه الله تعالى يقول : الإيمان هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان. لكن الذي ينبغي أن يكون واضحاً هو أن النجاشي حينما سأل سيدنا جعفر عن الإسلام قال : " أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار. هذه الجاهلية . حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ"[314] بماذا وصف النبي عليه الصلاة والسلام ؟ بصفات أخلاقية ،وما لم يقتدِ المسلمون بأخلاق نبيهم لن يفلحوا .

3/ **أن تتقرب - أخي القارئ - إلى الله السيد** : الذي ملك كل الخلق بأن تكون سيداً في قومك ، يعني متميزاً في أخلاقك ، بوفائك ، بحلمك ، برحمتك ، بتواضعك من هنا تبين أن قيمة المسلم الأولى في خلقه ، وأن الخلق هو الذي يجذب الناس إلى الدين ، وأن سوء الخلق يبعد الناس عن الدين ، فحينما يتوهم الإنسان أنه إذا صلى ، أو إذا صام ، أو إذا حج ، أو إذا زكى صار مسلماً ؟ نقول له : لا ، لا تكون مسلماً حقيقة إلا إذا تحليت بعد أدائك للعبادات بمكارم الأخلاق ، فالإيمان هو الخلق ، ومن زاد عليك في الإيمان زاد عليك في الخلق .

رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي» متفق عليه ، وقول عمر رضي الله عنه: «أبو بكر سَيِّدُنا، وأعتقَ سيِّدَنَا، يعني بِلالًا» رواه البخاري . (نقلا عن مقال : معنى اسم الله السيد الشيخ وحيد عبدالسلام بالي – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف) .

314/ أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين .

55- في رحاب اسم تعالى

المحسن

عرفت أن من معاني اسمه تعالى المحسن: ما يأتي :

أن الله عزّ و جلّ مُحْسِنُ كَرِيم بَرُّ جواد لا ينقطع إحسانه شَمِلَ كَرَمُهُ كلَّ الخلق ، يبدأ بالنعمة قبل السؤال يرزق بدون حرمان، شَكُور يضاعف و يزيد بإحسانه الأجر بغير حساب[315].

كما عرفت أن المحسِن سبحانه هو الذي له كمال الحُسن في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما قال تعالى في كتابه: {اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [طه:8] .. فلا شيء أكمل ولا أجمل من الله، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعته، وهو الذي لا يُحَد كماله ولا يوصَف جلاله، ولا يحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه ، ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة [316].

كما عرفت أن هذا ثبت الاسم في السنة النبوية فعن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ : **(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ، فلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)** رواه مسلم في صحيحه.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله على وسلم قال : **" إذا حَكَمْتُمْ فاعْدِلُوا وإذا قَتَلْتُمْ فأَحْسِنُوا فإنَّ الله مُحْسِنٌ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ "** في الجامع الصغير بسند حسن.

315/ كتب عبد الرزاق بن عبدالمحسن العبَّاد رسالة بعنوان إثبات أن المُحسن اسم من أسماء الله الحسنى ، ونشرها في مجلة البحوث الإسلامية عدد 36 (من ص 363 - 376) ، وقد ذكر فيها الأحاديث الثلاثة المذكورة بعد ، والنقولات عن ابن تيمية وابن القيم ثم ختم الرسالة بقوله :«وقد سمِّي بـ عبد المحسن عدد من ذوي الفضل والعلم وغيرهم ، وقد جمعتُ ما وقفتُ عليه ممن سمِّي بذلك إلى نهاية القرن التاسع – دون تقصٍّ دقيق – واقتصرت على الذين وجد لهم تراجم " مجلة البحوث الإسلامية (36 / 368) – موقع ويكيبيديا .

316/ شرح واسرار الاسماء الحسنى - للشيخ هانى حلمى – باختصار.

وعن سمرة بن جندب قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**إنّ الله تعالى مُحْسِنٌ فأحْسِنُوا)** صححه الألباني في " صحيح الجامع .

كما عرفت أن الله تعالى قد أحسن في خلقه للخلق كما قال سبحانه : (**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**) السجدة (7) ولا يمكن الإحاطة بخلقه ولكن لا بأس من الإشارة إلى إحسانه تعالى في خَلق الإنسان [317]:

فمن إحسانه تعالى : أن جعل لك عينين ، ولولا العينان لما أدركت البعد الثالث ، أنت بعين واحدة ترى بعدين سطحيين ، لكنك بالعين الثانية ترى البعد الثالث ، ترى العمق.

ومن إحسانه تعالى : أن جعل لك أذنين ، وبأذن واحدة يصل الصوت إليك ، لكن بالأذنين تعرف جهة الصوت بل وتعرف صاحب الصوت إن كنت تعرفت عليه قبل.

ومن إحسانه تعالى : أن جعل العين في محجر لتكون في حرز حريز ، وجعل الدماغ في صندوق عظمي بالجمجمة ، وجعل النخاع الشوكي في العمود الفقري ، وجعل أخطر معمل معامل الكريات الحمراء في نقيِ العظام.

ومن إحسانه تعالى : أن جعل لكل شعرة وريدا ، وشريانا ، وعصبا ، وعضلة ، وغدة صبغية وغدة دهنية ، وليس في الشعر أعصاب حس ، من أجل أن تهذب شعرك من دون مستشفى ، ولولا أن الشعر خالٍ من أعصاب الحس لاضطر الإنسان إن أراد أن يهذب شعره إلى تخدير شامل في المستشفى.

فالحديث عن إحسانه تعالى في الجسم لا ينتهي ، المعدة، الأمعاء الدقيقة ، الكليتان ، جهاز التصفية ، العضلات الملساء والمخططة ، الإرادية واللاإرادية ، والأوعية ، الشرايين عميقة ، والأوردة سطحية ، لو عكست الآية ، وجُرح الإنسان لخرج دمه كله.

317/ موسوعة الأسماء الحسنى – للنابلسي – باختصار وتصرف كبيرين .

- حدثني طبيب جراح قطع معه في أثناء عمل جراحي شريان ، أقسم لي أن الدم وصل إلى سقف الغرفة من الضغط، فالأوعية خارجية ، أما الشرايين فعميقة.

تعلمت من اسمه تعالى المحسن : ما يأتي :

- **أن أكون محسنًا:** في عباداتي فلا أستعجل فيها بل أؤديها بكل خشوع وحضور قلب ، ويدخل في ذلك الصلاة والذكر وتلاوة القرآن **(وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)** لقمان (22) .

- **كما تعلمت منه** : كما أن الله محسن إلي ، منحني نعمة الإيجاد ، ومنحني نعمة الإمداد ، ومنحني نعمة الهدى والرشاد ، ينبغي أن أكون محسناً ، وكلمة محسن هي ألصق صفة بالإنسان المؤمن ، محسن في كلامه ، فلا بذاءة ، ولا تهجم ، ولا سخرية ، ولا فحش ، ولا طرق محرجة تُحمّر الوجه ، بل الكلام منضبط ، محسن في تصرفاتك ، محسن في زيارتك ، محسن في قيادة مركبتك ، محسن في تنظيم عملك.

- تنبيه يقول الدكتور محمد راتب النابلسي في هذا المقام كلاما رائعا :

كلمة (محسن) واسعة اتساعا يفوق حد الخيال ، الاحتفال فيه إحسان ، وأحيانا يكون الاحتفال في أربع ساعات، والله فيه إساءة ، والوقت ثمين جداً ، أما احتفال منظم في ساعة ونصف فيه إحسان ، وهناك تعزية ما فيها إحسان، في بعض البلاد التعزية تقريباً عشرين ساعة بغير كلام ، ولا قرآن ، كلام فقط ، حديث عادي.

قضية الإحسان تشمل الأفراح والأتراح ، وتربية الأولاد ، حتى في الثياب إحسان ، ثياب نظيفة ، ألوانها متناسقة، بسيطة ، ما فيها تعقيدات ، حتى في مكان عملك فيه نظام ، ونظافة ، وترتيب بالدكان ، هذا أيضاً إحسان.

هناك إحسان يكون في إدارة في الوقت ، أحياناً إلغاء الروتين إحسان ، تخفيف الأعباء على مواطن إحسان ، هذا يشمل الأنظمة التي تنظمها الدولة ، أحيانا تجمع حاجات المواطنين في بناء واحد ، هذا إحسان.

56/ في رحاب اسمه تعالى

الشافي

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الشافي : ما يأتي :

قال الحليمي رحمه الله : **الشافي** : هو الذي يشفي الصدور من الشُّبه والشكوك ،ومن الحسد والغلول ،والأبدان من الأمراض والآفات ، لا يقدر على ذلك غيره ولا يدعى بهذا الاسم سواه سبحانه وتعالى.

والشافي من أسماء الله سبحانه وتعالى[318]، دالٌّ على القدرة الإلهيّة في علاج ما تشتكيه النفوس والقلوب من الأمراض، وما تشتكيه الأبدان من الآفات، وبهذا المعنى جاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم **(اللَّهُ الطَّبِيبُ)** أخرجه أبو داود والنسائي. والمقصود أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يُبريء ويُعافي على وجه الحقيقة.

تعلمت من اسمه الشافي عدة أمور[319] :

أولاً : القوانين التي أودعها الله في الإنسان كلها تؤكد اسم الشافي :

لو أردت أن تتفكر في خلق السماوات و الأرض لرأيت اسم " الشافي " واضحاً جداً في كل قانون قننه الله عز وجل، و في كل نسيج صممه الله عز وجل، و في كل خصيصة لأي عضو من أعضاء الجسم أودع الله فيه هذه الخاصة.

يعني أحياناً يقول طبيب قلب جراح: إن في القلب شرياناً يبدو أنه لا فائدة منه لكن حينما تسد بعض الشرايين يؤخذ هذا الشريان وهو من أمتن الأوعية، ويوضع مكان الشريان التالف، وكأن

318/ هذا الاسم من الأسماء التي اختلف فيها العلماء فممن أثبته الحليمي و ابن منده ابن حزم وابن العربي والبيهقي ومن المعاصرين ابن عثيمين والنابلسي والعباد وغيرهم ودليلهم قوال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: 80]. وروى البخاري ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عاد مريضًا يقول: "أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا .

319// موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للدكتور محمد راتب النابلسي – باختصار وتصرف .

الله سبحانه و تعالى و ضع في جسم الإنسان بعض قطع الغيار، و هذا من تمام خلق الله عز وجل، تؤخذ بعض الشرايين من مكان وتوضع في مكان، و حتى في الهيكل العظمي هناك أجزاء يمكن أن تستخدم كقطع غيار، هذا الخلق الدقيق العظيم.**(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)** سورة التين (4) .

2/ **من رحمة الله بالإنسان أنه جعل لكل داء دواء:**

عن جابر رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : **(لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله)** رواه مسلم، هذا الحديث إذا قرأه إنسان مريض بماذا يشعر ؟ يمتلئ قلبه أملاً بالشفاء ولو سمع هذا الحديث طبيب ماذا يفعل ؟ يجب أن يجتهد و يبحث عن الدواء.

- **الطبيب له مهمتان** : المهمة الأولى: أن يصيب في تشخيص الداء، والثاني : أن يصيب في وصف الدواء، فإذا جاء التشخيص صحيحاً، وجاء الدواء مناسباً برئ، ولكن بإذن الله.

3/ حرص الإنسان على سلامة وجوده تقتضي أن يطبق تعليمات الصانع :

إن الله عزّوجل من خلال صحتنا يربينا، يقربنا إليه، الإنسان كما تعلمون حريصاً على وجوده، وعلى سلامة وجوده، وعلى استمرار وجوده، وعلى كمال وجوده، و قد بينت من قبل أن حرص الإنسان على وجوده يقتضي أن يحمي نفسه من الأخطار، وأن حرصه على سلامة وجوده يقتضي أن يطبق تعليمات الصانع، و أن حرص الإنسان على كمال وجوده يقتضي أن يقترب من الله عز وجل حتى يسعد بقربه، وأن حرص الإنسان على استمرار وجوده يعني أن يربي أولاده ليكونوا استمراراً له بعد موته، و الله عز وجل حينما برمج الإنسان وفطره على حبّ وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ استمرار وجوده، من أجل أن يكون الإنسان في أعلى درجة من السلامة والسعادة.

4/ **أن الله تعالى هو الشافي** [320] ولا شافي إلا هو، ولا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضًا بدنيًا أو نفسيًا، قال تعالى: **(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** الأنعام (17) .

- ولم ينزل داء إلا وأنزل له شفاء، وله أسباب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء)

5/ **من الأسباب التي جعلها الله شفاء:**

•**الدعاء:** قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة: 186].

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرار: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض" وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود

ومنها القرآن العظيم: قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾ [الإسراء: 82]، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [يونس: 57.]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزور المرضى، ويدعو لهم، ويرقيهم بكتاب الله كما كان يرقي نفسه بالقرآن، كما في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول للمريض: (بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفي سقيمنا، بإذن ربنا) رواه البخاري ومسلم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم (ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات) رواه البخاري ومسلم .

320/ مقال بعنوان شرح اسمه الشافي - د. أمين بن عبدالله الشقاوي – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف .

•**ومنها العسل:** قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 68، 69.[

•**ومنها الحبة السوداء :** عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)**، قال ابن شهاب: (والسام الموت) رواه البخاري ومسلم .

•**ومنها الحجامة :** عن ابن عباس - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **(الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهي أمتي عن الكي)** رواه البخاري .

•**ومنها ماء زمزم :** عن جابر- رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ماء زمزم لما شرب له)[321] ، قال ابن القيم : "وقد جربت أنا وغيري من الإستشفاء بماء زمزم أمورًا عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبًا من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعًا، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يومًا، وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مرارًا"[322].

وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: "اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاء من كل داء" مصنف عبد الرزاق - برقم (9112).

ومنها ما أنزله الله - عز وجل - في الأرض من ترابها، ومياهها، وأشجارها، وثمارها، وغير ذلك مما خص الله بعلمه من شاء من عباده.

321/ روا ابن ماجه في سننه وحسنه ابن القيم في زاد المعاد - (4/360-361).

322/ زاد المعاد (4/361).

5/ أن الشفاء قد يتأخر لحكمة إلهية، رفعًا لدرجات المريض، وتكفيرًا لسيئاته:

قال تعالى: (**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**) [الأنبياء: 83، 84.[

ذكر بعض المفسرين أنه لبث في مرضه ثمانية عشر عامًا ابتلاء من الله لنبيه، عن جابر - رضي الله عنه -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (**يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطي أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض)** حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (1960) .

قال النابلسي : وعلى المريض أن يحذر من اليأس، وإن استعصى مرضه، ففرج الله قريب، يذكر لي أحد الإخوة وقد أصيب بحادث سيارة أنه مكث في غيبوبة أربعة أشهر، ووالدته تقرأ عليه القرآن في سرير المستشفى، وتدعو له، ثم استيقظ من هذه الغيبوبة، وقد شفاه الله، وهو حي يرزق، فسبحان الله الشافي، ورجل آخر أصيب بمرض السرطان، وقرر الأطباء أن ليس له علاج، فاستمر على العسل والحبة السوداء مع خلطهما ببعض الأعشاب لعدة أشهر، فشفاه الله وعافاه، فسبحان الله العزيز الحكيم.

ويذكر أحد المسؤولين في الحرم المكي أن ناسًا من هؤلاء المرضى، الذين قرر الأطباء أن ليس لهم علاج ممن أصيبوا بأمراض مستعصية، أنهم اعتكفوا في المسجد الحرام يشربون من ماء زمزم، ويدعون ربهم، ويتضرعون إليه، فإنه لا ملجأ منه إلا إليه، فشفاهم الله الشافي، والقصص في هذا كثيرة، وما ذكرته غيض من فيض، وقليل من كثير.

57/ في رحاب اسمه تعالى

الجواد

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الجواد [323]: ما يأتي :

يعني أنه تعالى الجواد المطلق الذي عم بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله، وكرمه، ونعمه المتنوعة، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو لسان الحال من بر، وفاجر، ومسلم، وكافر، فمن سأل الله أعطاه سؤاله، وأناله ما طلب، فإنه البر الرحيم: (**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**) سورة النحل:(53) ومن جوده الواسع ما أعده لأوليائه في دار النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" [324].

وقال بعض العلماء : الفرق بين الكرم والجود: أن الكريم الذي يعطي مع السؤال ، والجواد :هو الذي يعطي من غير سؤال .

ويقول ابن القيم رحمه الله:

وهو الجواد فجوده عم الوجود	**جميعه بالفضل و الإحسان**
وهو الجواد فلا يخيب سأله	**ولو أنه من أمة الكفران**

وتحدث ابن القيم رحمه الله عن آثار جود الله تبارك وتعالى فقال:

" فانظروا إلى جود الله تبارك وتعالى، فالله جواد يحب الإحسان ويحب العطاء ويحب أن يتفضل على عبده، فالفضل كله بيده، والخير كله منه، والجود كله له، وأحب ما إليه أن يجود على عباده

323/ الجواد من الأسماء الحسنى المختلف فيها وممن أثبته ابن العربي وابن منده والبيهقي وابن القيم ومن المعاصرين السعدي وابن عثيمين والنابلسي . وقد ثبت هذا الاسم في السنة الشريفة ، فقد سمّى النبي صلي الله عليه وسلم ربه علي سبيل الإطلاق (الجواد) عن ابن عباس رضي الله عنه : أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : (إن الله جل جلاله جواد يحب الجود ، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 1744 .

324/ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الانبياء والمرسلين من الكافية الشافية – للعلامة عبد الرحمن السعدي: ص (66-67)

ويوسع عليهم فضله، ويغمرهم بالإحسان وبالجود سبحانه وتعالى، ويتم عليهم النعمة، ويضاعف لديهم المنة، ويتعرف إليهم بأوصافه وأسمائه، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، فهو الجواد لذاته، وجود كل جواد خلقه الله أبدا، فليس الجود على الإطلاق إلا له، وجود كل جواد فمن جوده، ومحبته للجود والإعطاء والإحسان والبر والأنعام والأفضال فوق ما يخطر ببالك" .

تعلمت من اسمه تعالى الجواد : ما يأتي :

- أن أجود بما أستطيع الجود به من مال أو علم أعلمه الناس أو خبرة في أي مجال من مجالات الحياة ، وأن أجود كذلك بوقتي لمن طلب مني شيئا بمقدوري أن أساعده على قضائه .

- أن الجود دليل على الإيمان بأن الله تعالى يخلف على المنفقين بأحسن مما أنفقوا كما قال تعالى (**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**) سبأ (39) فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

كما تعلمت من اسمه تعالى الجواد : ما يأتي :

أولاً : أن يكون المسلم جوادا كريما لا بخيلا لئيما : يقول ابن عباس : "كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أجودُ الناسِ ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ ، حين يلقاه جبريلُ" رواه البخاري .

ويقول أنس رضي الله عنه **(كان النبيُّ صلى الله علي وسلم أحسنَ الناسِ، وأجودَ الناسِ، وأشجعَ الناسِ)** رواه البخاري .

وعن جابر رضي الله عنه قال : (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال : لا) متفق عليه .

ثانياً : ذكر ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين عشرة مراتب للجود، قال:

1/ **جود بالنفس**: أن تكون دوما نفسك رخيصة عليك تبذلها بذلا لله . قالوا: أقصى غاية الجود نفسك.

2/ **جود بالرئاسة** : كما صنع الحسن بن علي رضي الله عنه حين جاد بالرياسة وأعطاها للأمويين.

3/ **جود بالراحة** : أي يبذل راحته ورفاهيته وإجمام نفسه في مصلحة غيره، كأن يجود بنومه له فيقف له قائما، أو يمشي مع أخ له في حاجة وقت راحة له..وهكذا.

4/ **جود بالعلم**: وهذا لأهل العلم وطلبته. لأن العلم أشرف من المال. فإذا كان هذا يجود بالمال فعلى طالب العلم أن يجود بعلمه. والناس في هذا الجود على مراتب متفاوتة وقد اقتضت حكمة الله أن لا ينتفع بالعلم به بخيلا أبدا. فجد بعلمك وابذله لمن يسألك عنه واطرحه عليه.

5/ **جود بالجاه** : إن كنت من أهل الوجاهات فأبذل جاهك شافعا أو ماشيا مع رجل إلى ذي سلطان حتى تدفع عنه مضره أو تقضي له حاجة ملحة.

6/ **الجود بنفع البدن :** وهذا ينطبق عليه حديث النبي صلَّ الله عليه وسلم: (يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة . فكل تسبيحة صدقة . وكل تحميدة صدقة . وكل تهليلة صدقة . وكل تكبيرة صدقة . وأمر بالمعروف صدقة . ونهي عن المنكر صدقة . ويجزئ ، من ذلك ، ركعتان يركعهما من الضحى) رواه مسلم .

7/ **جود بالعرض :** وهذا كما يؤثر عن أبى ضمضم من الصحابة أنه كان يقول: "اللهم إنى لا مال لي أتصدق به على الناس وقد تصدقت عليهم بعرضي فمن شتمني أو قذفني فهو في حل". فكان يتصدق بعرضه. وهذا الجود يحمل على سلامة الصدر وراحة القلب والتخلص من المعاداة.

8/ **الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء** : وهذه مرتبه شريفة أنفع لصاحبها من الجود بالمال وأعز له.

9/ **الجود بالخص والبِشر والبسط:** أن تستقبل الناس بالتبسم والبشر حتى وإن كانوا لا يستحقونه منك.

10/ **الجود بترك ما في أيدي الناس** : فلا يلتفت إليه ولا يستشرف لهم. فهو يجود بترك الدنيا لأهل الدنيا ولا يتمنى ما عندهم.

58- في رحاب اسمه تعالى

المنان

عرفت أنَّ من معاني اسم الله المنَّان : ما يأتي [325] :

قال الحليمي رحمه الله : ومنها: (المنان) وهو عظيم المواهب، فإنه أعطى الحياة والعقل والنطق، وصور فأحسن الصور، وأنعم فأجزل، وأسنى النعم، وأكثر العطايا والمنح، قال تعالى : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا) [إبراهيم: 34] .

وقال الخطابي رحمه الله: وأما (المنان) فهو كثير العطاء .

كما عرفت أن المنان : إذا كان مأخوذاً من المن الذي هو العطاء يرجع إلى أوصاف فعله، وإذا أخذته من المنة التي هي تعداد النعمة وذكرها والافتخار بفعلها في معرض الامتنان فهو يرجع إلى صفة كلامه تعالى.

وتعلمت منه : أن العبد ليس له أن يمن على أحد بمعروف أساده إياه أو خدمة قدمها له ، لأن المنة لله وحده جل وعلا . لقوله تعالى: لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى [البقرة: 264].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) رواه مسلم .

325/ اسمه تعالى المنان من الأسماء المختلف وممن أثبته الحليمي والبيهقي والخطابي والقرطبي وابن منده وابن عثيمين وقد في القرآن بصيغة الفعل قال تعالى : (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى) طه 37 وقال تعالى : (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)) القصص(5) وورد بصيغة الاسم في الحديث فعند أبي داود وصححه الألباني عن أنس: أنَّه كان مع رسول جالسًا ورجل يصلِّي ثم دعا: (اللَّهمَّ إني أَسأَلُكَ بِأنَّ لَكَ الحمدَ، لا إلهَ إلا أنْتَ، المَنَّانُ، بَديعُ السَّمَواتِ والأرضِ، ذو الجَلالِ والإِكْرَامِ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحَابِهِ: أتَدرونَ بمَ دَعَا ؟ قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلم، قال: (والذي نفسي بيده، لَقَدْ دَعا الله باسمه الأعظم، الذي إذَا دُعِيَ به أَجَابَ، وإذَا سُئِلَ بِهِ أعْطَى) .

كما تعلمت منه : أنَّ الفرق بين منَّة الخالق عز وجل ومنَّة المخلوق من عدة أوجه : [326]

1/ المنَّة من المخلوقِ للمخلوق فيها تَماثُل وتكافؤ؛ إذ المخلوق يشبه غيره في خلقته وأقوالِه وأفعاله وقدرته، ومن هنا تكون المنَّة من المخلوق لغيره يصحبها الاستعلاء والفوقيَّة من المخلوق المنَّان، وهو ليس أهلاً لها؛ إذ إنه وإن تمنَّن فإنَّه ضعيف فقير محتاج لغيره في رزقه، أما منَّة الخالق فهو جلَّ جلاله: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) الشورى: (11) .

2/ منَّة المخلوق لغيرِه من الخَلْق يعتريها الانقطاع من عدَّة جهات، منها:

- الانقطاع عن طريق الفقر: فما عنده ينفد، ومنَّة الله غير منقطعة؛ فما عنده عزَّ وجل باقٍ لا ينفد، قال تعالى: ﴿ **مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: 96]، وقد ورد قوله جلَّ جلاله لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾ [القلم: 3]؛ أي: غير مقطوع.

- انقطاع منَّة المخلوق عن طريق الموت، فلا شكَّ أنَّ الإنسان مهما بلغ في التفضُّل والإنعام سيأتي اليوم الذي يموت فيه، ولقد سُمِّي الموت بـ(المنون)؛ لأنَّه يقطع العبدَ عن الحياة، قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾ [الطور: 30]، وعن ابن عباس في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ قال: "يتربَّصون به الموت"؛ ولذلك كانت المنَّة في حقِّه عيبًا ونقصًا، أمَّا الخالق فهو الحيُّ الذي لا يموت، له الحياة السرمدية الأبدية، فضمن العبد بذلك أنَّ مِنَّته سبحانه ممتدَّة؛ ولذلك كانت محبَّبة للنفوس عكس منَّة الخَلْق.

3/ المنَّة من المخلوق تنشأ غالبها من التعزُّز والكِبْر، فهو يحاول أن يُظهر فضلَه على من تمنَّن عليه، أمَّا منَّة الخالق، فهي منَّة تحبُّب للعباد وتذكيرهم نعمِه عليهم.

4/ المنَّة من المخلوق لا تكون إلاَّ بعد تعبٍ وكدح ؛ لذلك يجد في نفسه غضاضة حين يعطِي، أمَّا الخالق، فرِزق العباد عليه يسير؛ لذلك تمنُّنه لعباده تحبُّب منه إليهم.

326/ بتصرف من مقال بعنوان : التبيان في اسم الله المنان - لجواهر بنت صويلح المطرفي - شبكة الألوكة الشرعية .

5/ المنَّة من المخلوق لغيره فيها استكثار، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المدثر: 6]، أمَّا الخالق عزَّ وجل فهو كما في الصحيحين عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: **(ما من مسلمٍ يدعو اللهَ بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحمٍ، إلاَّ أعطاه بها إحدى خصالٍ ثلاثٍ: إمَّا أن يُعجِّل له دعوته، وإمَّا أن يدَّخر له من الخير مثلَها، وإمَّا أن يَصرِف عنه من الشرِّ مثلها)**، قالوا: يا رسول الله، إذًا نُكثِر؟! قال: (الله أَكْثر)، الشاهد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**الله أكثَر**) .

59- في رحاب اسمه تعالى

الحيي

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الحيي : ما يأتي [327]:

قال ابن القيم في نونيته :

وهو الحييُّ فليسَ يفضحُ عبده عندَ التجاهُرِ منهُ بالعصيانِ

لكنَّهُ يُلقِي عليه سِترهُ فَهو السِّتِيرُ وصاحب الغفرانِ

قال الهرَّاس رحمه الله في الشرح: (وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه؛ فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر)[328] اهـ.

وقال ابن القيم : (وأما حياء الرب تعالى من عبده ،فذاك نوعٌ آخر لا تدركه الأفهام ولا تكيفه العقول : فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال فإنه تبارك وتعالى حييٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً,ويستحي أن يعذّب ذا شيبة شابت في الإسلام) .

327/ اختلف العلماء في إثبات اسمه تعالى الحيي وممن ذكر أثبته :الحليمي ، والبيهقي ، والقرطبي ، وابن القيم ، والعثيمين ،وغيرهم .ودليلهم حديث يَعْلَى بن أمية أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ) روى أبو داود (4012) ، والنسائي (406) ، وأحمد (17970)وصححه النووي في "الخلاصة" (204/1) ، وقال الشوكاني : " رِجَالُ إِسْنَادِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ " انتهى من "نيل الأوطار" (1/ 315) وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" ، وحسنه محققو مسند أحمد .(نقلا عن الإسلام سؤال وجواب) .

[328]/ نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب .

الفرق بين الحياء و الخجل:

·**الحياء** : هو انقباض النفس وتفاعل الجوارح معها على عدم فعل المنكر أو إظهار ما لا يجب إظهاره وعدم السكوت عن المنكر من الحياء والتمسك بالحقوق.

·**الخجل :** معناه ارتباك يحصل للإنسان ناتج عن خوف وضعف شخصية كسؤال المعلم للطالب فيخجل الطالب لعدم قدرته على الإجابة ، وكذلك من لم يطالب بحقه بدعوى الخجل فهو ضعف والمسلم ذوا لحياء كالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته أقوياء فلا يخاف في الله لومه لائم وعلى الحق سائرون وللمنكر محاربون.

تعلمت اسمه تعالى الحيي : ما يأتي :

1/ الحياء على ثلاثة أنواع : قال أبو الحسن الماوردي [329] :

أحدها: حياؤه من الله تعالى: وعليه فيجب أن أستحيي من ربي تبارك تعالى فلا أرتكب ما يفضي إلى سخطه عليّ، فالله عز وجل مع كمال غِناه عن الخلق كلهم ، فعَن عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «استَحيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ» قَالَ: قُلنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَستَحْيِي وَالحَمدُ لِلَّهِ؛ قَالَ: «لَيسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاِستِحيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ: أَن تَحفَظَ الرَّأسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطنَ وَمَا حَوَى، وَلتَذكُرِ المَوتَ وَالبِلَى؛ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الدُّنيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ استَحيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ» رواه الترمذي .

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي؟ قَالَ: «أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ» .

والثاني : حياؤه من الناس : فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (**إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْت)** . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

329/ أدب الدنيا والدين – لأبي الحسن الماوردي – ص (248) وما بعدها - موقع المكتبة الشاملة - زيادات وتصرف .

في قوله: (**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**) قولان لأهل العلم في تفسيرها:

- أنه **أمر** بمعنى التهديد والوعيد وله نظائر في القرآن قال تعالى: (**اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير**). والمعنى إذا لم يكن عندك حياء فاعمل ما شئت والله مجازيك على فعلتك.

- أن الحديث **أمر على ظاهره أن** يفعل المؤمن ما يشاء من قول وتصرف إذا كان لا يستحي من فعله عادة لا من الله ولا من خلقه فيفعله ولا يضره كلام الناس إذا كان من أفعال الطعات وجميل الأخلاق.

والقول الأول أصح في تفسر الحديث لأن المقصود التنفير والتحذير من ترك الحياء وبيان أثر ذلك في أخلاق المؤمن[330].

والثالث: حياؤه من نفسه : فيكون بالعفة وصيانة الخلوات، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَيْدَةَ الْقُشَيْرِيّ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ ؟ قَالَ : احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، قَالَ : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِياً ، قَالَ : (اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنْ النَّاسِ).رواه الترمذي (2794) وأبو داود (4017) وابن ماجه (1920) ، وحسنه الألباني في " صحيح الترمذي " .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لِيَكُنْ اسْتِحْيَاؤُك مِنْ نَفْسِك أَكْثَرَ مِنْ اسْتِحْيَائِك مِنْ غَيْرِك. وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: مَنْ عَمِلَ فِي السِّرِّ عَمَلًا يَسْتَحِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ.

وَدَعَا قَوْمٌ رَجُلًا كَانَ يَأْلَفُ عِشْرَتَهُمْ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ، وَقَالَ: إنِّي دَخَلْت الْبَارِحَةَ فِي الْأَرْبَعِينَ وَأَنَا أَسْتَحِي مِنْ سِنِي. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

فَسِرِّي كَإِعْلَانِي وَتِلْكَ خَلِيقَتِي　وَظُلْمَةُ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِي

وَهَذَا النَّوْعُ مِنْ الْحَيَاءِ قَدْ يَكُونُ مِنْ فَضِيلَةِ النَّفْسِ وَحُسْنِ السَّرِيرَةِ.

---

[330]/ شرح حديث: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) - خالد بن سعود البليهد – موقع صيد الفوائد .

2/ أن أرفع حوائجي إليه تعالى لا إلى غيره لأنه يتحبب إلى عباده بالنعم ويستحيي ممن يمد يديه إليه سائلاً متذللاً أن يردهما خاليتين خائبتين ففي حديث سلمان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ ربكم حي كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أنَّ يردهما صفراً خائبتين**)[331] .

3/ أنَّ من كرمه تعالى يستحيي من هتك العاصي وفضيحته وإحلال العقوبة به : فيستره بما يقيض له من أسباب الستر ويعفو عنه ويغفر له فعن وعن يعلى بن أمية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**إن الله تعالى حيِّيٌ سِتِّيرٌ يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتِر**) رواه ابو داود.

4/ أن أتذكر نعمه - الدينية والدنيوية - عليَّ جل وعلا فأستحيي من التقصير في القيام بحق شكرها من أداء لواجب أو نفل قال الجُنَيد : (الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء ، وحقيقته : خُلُقٌ يبعث على ترك القبائح ،ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق) .

- **أن أحب خُلقَ الحياء وأن أحببه إلى غيري من الناس** إذ به تحفظ جميع مكارم الأخلاق فقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم أوسط شعب الإيمان فقال : (**الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شُعْبة، فأفضلُها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعْبة من الإيمان**) رواه مسلم .

331/ رواه أحمد وأبو داود وحسَّنه الحافظ في الفتح (11/ 143).

60- شرح اسمه تعالى

الستير

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الستير : ما يأتي[332] :

الستير: هو الذي يحب الستر ويبغض القبائح، ويأمر بستر العورات ، ويستر العيوب على عباده إن لم يكونوا بها مجاهرين، ويغفر الذنوب مهما عَظُمَت طالما أن عبده من الموحدين، وإذا ستر الله عبدًا في الدنيا ستره يوم القيامة .ففي الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ،فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**) رواه أبو داود (4012)وصححه الألباني في صحيح الجامع.

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

وهو الحيي فليس يفضح عبده   عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره   فهو الستير وصاحب الغفران

مما يدل على صفة الستير في حقه تعالى الآية الكريمة : (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه) [لقمان: 20]. قال الضحاك: النعم الظاهرة هي الإسلام والقرآن. أما الباطنة، فهي ما يستر من العيوب.

332// اختلف العلماء في إثبات اسمه تعالى الستير وممن ذكر أثبته :الحليمي ، والبيهقي ، والقرطبي ، وابن القيم ، والعثيمين ،وغيرهم .ودليلهم حديث يَعْلَى بن أمية أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**) روى أبو داود (4012) ، والنسائي (406) ، وأحمد (17970)وصححه النووي في "الخلاصة" (204/1) ، وقال الشوكاني : " رِجَالُ إِسْنَادِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ " انتهى - من نيل الأوطار (1/ 315) وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" ، وحسنه محققو المسند .(نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب) .

تعلمت من اسمه تعالى الستير عدة أمور[333] :

أولاً: أنواع الستر:

1/ ستر العورات: المؤمن يستر عورته ولا يكشفها لأحد، لا يحل له أن يراها. قال تعالى: {والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين} [المؤمنون: 5-6]. وهؤلاء وصفهم الله أنهم هم المفلحون: {قد أفلح المؤمنون} وهذه من صفاتهم أنهم يحفظون فروجهم، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عوراتنا ما نأتي منها وما نذر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك» فقال الرجل: إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها». قال السائل: إذا كان أحدنا خاليا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أحق أن يستحيا منه من الناس» (أبو داود والترمذي وابن ماجة). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة».

2/ ستر عورات الناس: لأن علمي بأن الله ستير يحملني على أن أستر على من اطلعت منه على وقوعه في معصية الله تعالى، فإن الجزاء من جنس العمل .. عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ (لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** رواه مسلم .

وعن علام بن مسكين قال: سأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد، رجل عَلِمَ من رجل شيئًا، أيفشي عليه؟، قال: يا سبحان الله! لا.

وقال العلماء : ومن الستر: تغطية المسلم لعيوب أخيه .. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** [صحيح البخاري] .. يقول ابن حجر "قَوله: "ومَن سَتَرَ مُسلِمًا"؛ أَي رَآهُ عَلَى قَبِيحٍ فَلَم يُظهِرهُ أَي لِلنّاسِ، ولَيسَ فِي هَذا ما يَقتَضِي تَرك الإِنكار عَلَيهِ فِيما بَينَهُ وبَينَهُ.

333/ مقال بعنوان : خلق الستر- عاطف شمس –موقع طريق الإسلام – بتصرف ،وشرح واسرار الاسماء الحسنى - للشيخ هانى حلمى – وسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للدكتور محمد راتب النابلسي - موقع الكلم الطيب (بتصرف).

وجاء رجل اسمه هزال بماعز الأسلمي ليقام عليه الحد في الزنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل: «**لو سترته بثوبك كان خيرا لك**» (المنذرى وصححه الألباني 7790).وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أقيلوا ذوى العثرات عثراتهم**» (رواه أبو داود والنسائي).

وعقبة بن عامر كان له كاتب وكان جيران هذا الكاتب يشربون الخمر، فقال يوما لعقبة إن لي جيرانا يشربون الخمر، وسأبلغ عنهم الشرطة ليأخذوهم، فقال له عقبة: لا تفعل وعظهم، فقال الكاتب: نهيتهم فلم ينتهوا والشرطة عقابهم، فقال عقبة: ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءدة**» (رواه أبو داود).

واعلم أنَّ النَّاس على ضربين:

أحدهما: من كان مستوراً لا يُعرف بشيءٍ مِنَ المعاصي، فإذا وقعت منه هفوةٌ، أو زلَّةٌ ، فإنَّه لا يجوزُ كشفها، ولا هتكُها، ولا التَّحدُّث بها، لأنَّ ذلك غيبةٌ محرَّمة .. وهذا هو الذي وردت فيه النُّصوصُ.

والثاني : من كان مشتهراً بالمعاصي، معلناً بها لا يُبالي بما ارتكبَ منها، ولا بما قيل له فهذا هو الفاجرُ المُعلِنُ، وليس له غيبة .. كما نصَّ على ذلك الحسنُ البصريُّ وغيره، ومثلُ هذا لا بأس بالبحث عن أمره؛ لِتُقامَ عليه الحدودُ[334] .

وفي ذلك قد قال الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**)[النور: 19] والمراد: إشاعةُ الفَاحِشَةِ على المؤمن المستتر فيما وقع منه.

3/ ستر الصدقات : قال تعالى: {الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون} [البقرة: 274].

334/ جامع العلوم والحكم (38:11,12)- بتصرف .

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدقة السر تطفئ غضب الرب» (قال الألباني صحيح بمجموع طرقه وشواهده).

ويجوز أن تعلن الصدقة في حالتين: الأولى: لو تريد أن تحفز بخيلا بجوارك، فتعطى علنا لعله يتعظ، وقد تكون أقل مالا منه. ثانيا: أن تعلم ولدك مثلا فتتصدق علنا أمامه ليتعود على الصدقة.

4/ ستر أسرار الزوجية: وهذا من أهم أنواع الستر فالمسلم يستر ما يدور بينه وبين أهله فلا يتحدث به أمرنا الإسلام بذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**» رواه مسلم وأبو داود.

ثانياً : على العبد ألا يجاهر بالذنب بل يجب عليه أن يستر على نفسه، فلو ستر نفسه، لكان في محل ستر الله تبارك وتعالى له ،فليس عندنا كرسي اعتراف ولا صناديق غفران، فمن اقترف ذنبًا وهتك سترًا من المحرمات فليبادر بالتوبة من قريب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه.

عَنْ مَيْمُوْنٍ قَالَ: "مَنْ أَسَاءَ سِرّاً، فَلْيَتُبْ سِرّاً، وَمَنْ أَسَاءَ عَلاَنِيَةً، فَلْيَتُبْ عَلاَنِيَةً ، فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُوْنَ وَلاَ يَغْفِرُوْنَ، وَاللهُ يَغْفِرُ وَلاَ يُعَيِّرُ".[335]

ومن خطورة الجهر بالمعصية ما قاله ابن بَطّال : " فِي الجَهر بِالمَعصِيَةِ استِخفاف بِحَقّ الله ورَسُوله وبِصالِحِي المُؤمِنِينَ، وفِيهِ ضَرب مِنَ العِناد لَهُم، وفِي السِّتر بِها السَّلامَة مِنَ الاستِخفاف، لأَنَّ المَعاصِي تُذِلّ أَهلها، وتوجب إِقامَة الحَدّ عَلَيهِ إِن كانَ فِيهِ حَدّ ومَن التَّعزِير إِن لَم يُوجِب حَدًّا، وإِذا تَمَحَّضَ حَقّ الله فَهُو أَكرَم الأَكرَمِينَ ورَحمَته سَبَقَت غَضَبه، فَلِذَلِكَ إِذا سَتَرَهُ فِي الدُّنيا لَم يَفضَحهُ فِي الآخِرَة ، والَّذِي يُجاهِر يَفُوتهُ جَمِيع ذَلِكَ[336]**".**

335/ سير أعلام النبلاء – للذهبي - (9:81) .

336/ فتح الباري (10:487) .

ثالثاً : أن أحسن الظن بالله تعالى في مغفرة ذنوبي في الآخرة ، ففي الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر) [صحيح الجامع (1905)]

وعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ **(إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ، الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)** متفق عليه.

وعن العلاء بن بذر قال: "لا يعذب الله قومًا يسترون الذنوب" .

وختاما تعلمت من الستير أن أسأله دوما في صباح كل يوم ومسائه وذلك لما في الحديث النبوي الشريف : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: (**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)** [337] .

337/ رواه أبو داوود وصححه الألباني (5074) .

61- في رحاب اسمه تعالى

الكافي

عرفت أن من معاني اسمه تعالى الكافي : ما يأتي [338]:

قال الخطابي رحمه الله : الكافي هو الذي يكفي عباده الهمَّ ويرفع عنهم المُلمَّ وهو الذي يكفي بمعونته عن غيره ويُستغنى به عمن سواه .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله : الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، والكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه.

وقال ابن القيم رحمه الله:

وَهُوَ الحَسِيبُ كِفَايةً وحمايةً   والحَسْبُ كَافِي العَبْدِ كُلَّ أَوَانِ

ورد اسم الله الكافي بصيغة الاسم في قوله تعالى : (**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**) الزمر36 .

وورد بصيغة الفعل في قوله تعالى: (**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) البقرة: (137)

وقوله تعالى: (**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**) الحجر(95)

تعلمت اسمه تعالى الكافي : ما يأتي :

أولاً: إذا علم العبد أن اللَّه هو الكافي عباده رزقاً ومعاشاً وحفظاً وكلاءة ونصراً وعزاً اكتفى بمعونته عمن سواه وإذا كان الأمر كذلك وجب ألا يكون الرجاء إلا فيه والرغبة إلا إليه: فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (**وَمَنِ استَكفَى كَفَاهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ**) [339]

338/ وقع الخلاف في إثبات اسم الله الكافي وممن أثبته الخطابي وابن العربي والبيهقي وابن حجر والقرطبي وابن عثيمين، والدليل عليه من السنة – إضافة إلى الآية المذكورة أعلاه - أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا. رواه مسلم. وروي أيضاً عن أنس في قصة الغلام والراهب وفيه: اللهم اكفينيهم بما شئت.

339/ رواه النسائي وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن النسائي (2/ 227) .

قال العلماء : فمن وقع في شدة وضيق فليطلب من اللَّه الكفاية فإن اللَّه يكفيه،فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا بذلك يوم لحقه سراقة بن مالك في رحلة الهجرة إلى المدينة المنورة . فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال :(ارْتَحَلْنَا ، وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَا ، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا . فَقَالَ : **(لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا)** .

حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَّا ، فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَدْرُ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا . وَبَكَيْتُ . قَالَ : لِمَ تَبْكِي ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَمَا وَاللهِ مَا عَلَى نَفْسِي أَبْكِي ، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَيْكَ ،قَالَ : فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : **(اللهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ)** .

فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ إِلَى بَطْنِهَا فِي أَرْضٍ صَلْدٍ ، وَوَثَبَ عَنْهَا ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُنْجِّيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ ، فَوَاللهِ لَأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي مِنَ الطَّلَبِ ، وَهَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ مِنْهَا سَهْمًا ، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ بِإِبِلِي وَغَنَمِي فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا . قَالَ : وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأُطْلِقَ ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ) [340].

وفي صحيح مسلم في قصة الغلام المؤمن فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم **(ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ ، فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ . فَأَبَى . فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ . فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ . فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا . وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ . فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ . فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ . فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا . وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ**

340/ رواه أحمد في " المسند " (181/1) وقال المحققون : إسناده صحيح على شرط مسلم . والحديث أصله في الصحيحين .

وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ ارْمِنِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي).

ثانياً: من كان عليه دين فليتضرع إلى اللَّه تعالى ليكفيه هم الدين فقد ورد عن علي رضي اللهُ عنه: (أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ ثبيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قَالَ: قُلْ: (**اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**)[341] .

ثالثاً: أنه يشرع للعبد أن يسأل اللَّه الكافي أن يكفيه شر الأعداء : قال تعالى: {**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم** } [البقرة (137)].

قال القرطبي رحمه الله : قوله **تعالى : فسيكفيكهم الله** أي فسيكفي الله رسوله عدوه . فكان هذا وعدا من الله تعالى لنبيه عليه السلام أنه سيكفيه من عانده ومن خالفه من المتولين بمن يهديه من المؤمنين ، فأنجز له الوعد ، وكان ذلك في قتل بني قينقاع وبني قريظة وإجلاء بني النضير .

فللمؤمن أن يقول: يا كافي اكفني شر فلان الذي ظلمه أو أذاه. فقد روى الإمام أحمد في مسنده - بإسناد حسن - من حديث أبي موسى أن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان إذا خاف من رجل أو من قوم قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**».

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس قال: «**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**» قالها إبراهيم عليه السَّلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حين قالوا: {**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل** } [آل عمران(173)].

رابعاً: إن اللَّه تعالى كفى المؤمنين شر أعدائهم في مواطن كثيرة فعلى سبيل المثال في غزوة بدر مع قلة عددهم ونقص عدتهم وضعفهم نصرهم اللَّه وكفاهم الأعداء، قال تعالى: {**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِين** } [آل عمران(124)].

341/ رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (3/ 464).

وكذلك في غزوة الخندق أو الأحزاب كفاهم اللّه شر الأحزاب التي تجمعت عليهم، قال تعالى: {**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**} [الأحزاب(25)].

قال السعدي رحمه الله : { **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا** } أي: ردهم خائبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه، مغتاظين قادرين]عليه[جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، وأعجبوا بتحزبهم، وفرحوا بِعَدَدِهمْ وعُدَدِهِمْ.

فأرسل اللّه عليهم، ريحًا عظيمة، وهي ريح الصبا، فزعزعت مراكزهم، وقوَّضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم اللّه بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر اللّه لعباده المؤمنين.

{ **وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ** } بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية، { **وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** } لا يغالبه أحد إلا غُلِبَ، ولا يستنصره أحد إلا غَلَبَ، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة، قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته.

وقال ابن كثير رحمه الله : وفي قوله : (وكفى الله المؤمنين القتال) : إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش ، وهكذا وقع بعدها ، لم يغزهم المشركون ، بل غزاهم المسلمون في بلادهم .

قال محمد بن إسحاق : لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **فيما بلغنا : (لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم)** بل جاء في صحيح البخاري سُلَيْمَانَ بن صُرَدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَوْمَ الأَحْزَابِ **(نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا).**

فلم تغز قريش المدينة بعد ذلك ، وكان هو صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يغزوهم بعد ذلك ، حتى فتح الله عليه مكة .

خامساً : الرضا بالله كفيلًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم: أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار. فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم. فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، فقال: صدقت، فدفعها إليه على أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه

للأجل الذي أجله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار وسألني شهيدًا، فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا الخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينارًا فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشدًا) [رواه البخاري]

الفصل السابع

ثمار وفوائد من معرفة الأسماء الحسنى من كلام الإمامين الغزالي وابن القيم رحمهما الله تعالى

المبحث الأول : ثمار وفوائد من معرفة الأسماء الحسنى من كلام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى .

المبحث الثاني : ثمار وفوائد من معرفة الأسماء الحسنى من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

المبحث الأول

ثمار وفوائد من معرفة الأسماء الحسنى من كلام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى

مما لا شك فيه أن ثمار معرفة أسماء الله الحسنى لعظمتها لا يحيط بها عقل أو تفكير ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله فأحببت أن أذكر في هذه الخاتمة كلاما غاية في الأهمية من شرح الغزالي رحمه للأسماء الحسنى .

الفائدة الأولى : كيف نفهم أن الله تعالى هو الظاهر للعقل مع عدم إدراكنا له :

فَإِن قلت أما كَونه بَاطِنا بِالْإِضَافَة إِلَى إِدْرَاك الْحَواس فَظَاهر وَأما كَونه ظَاهرا لِلْعَقْلِ فغامض إِذْ الظَّاهِر مَا لَا يُتمارى فِيهِ وَلَا يخْتَلف النَّاس فِي إِدْرَاكه وَهَذَا مِمَّا قد وَقع فِيهِ الريب الْكثير لِلْخلقِ فَكيف يكون ظَاهرا فَاعْلَم أنه إِنَّمَا خَفِي مَعَ ظُهُوره لشدَّة ظُهُوره فظهوره سَبَب بطونه ونوره هُوَ حجاب نوره وكل مَا جَاوز حَده انعكس على ضِدّه .

ولعلك تتعجب من هَذَا الْكَلَام وتستبعده وَلَا تفهمه إِلَّا بمثال :

فَأَقُول لَو نظرت إِلَى كلمة وَاحِدَة كتبهَا كَاتب لاستدللت بهَا على كَون الْكَاتِب عَالما قَادِرًا سميعا بَصيرًا واستفدت مِنْهُ الْيَقِين بِوُجُود هَذِه الصِّفَات بل لَو رَأَيْت كلمة مَكْتُوبَة لحصل لَك يَقِين قَاطع بِوُجُود كَاتب لَهَا عَالم قَادر سميع بَصِير حَيّ وَلم يدل عَلَيْهِ إِلَّا صُورَة كلمة وَاحِدَة

وكما تشهد هَذِه الْكَلِمَة شَهَادَة قَاطِعَة بِصِفَات الْكَاتِب فَمَا من ذرة فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض من فلك وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات وَصفَة وموصوف إِلَّا وَهِي شاهدة على نَفسهَا بِالْحَاجةِ إِلَى مُدبِّر دبَّرهَا وقدَّرها وخصَّصها بِخُصُوص صفاتها بل لَا ينظر الْإِنْسَان إِلَى عُضْو من أَعْضَاء نَفسه وجزء من أَجْزَائِهِ ظَاهرا وَبَاطنا بل إِلَى صفة من صِفَاته وَحَالَة من حالاته الَّتِي تجْرِي عَلَيْهِ قهرا بِغَيْر اخْتِيَاره إِلَّا ويراها ناطقة بِالشَّهَادَةِ لخالقها وقاهرها ومدبرها وَكَذَلِكَ كل مَا يُدْرِكهُ بِجَمِيعِ حواسه فِي ذَاته وخارجا من ذَاته .

وَلَو كَانَت الْأَشْيَاء مُخْتَلفَة فِي الشَّهَادَة يشْهد بَعْضهَا وَلَا يشْهد بَعْضهَا لَكَانَ الْيَقِين حَاصِلا للْجَمِيع وَلَكِن لما كثرت الشَّهَادَات حَتَّى اتّفقت خفيت وغمضت لشدَّة الظُّهُور ومثاله أَن أظهر الْأَشْيَاء مَا

يُدْرَك بالحواس وأظهرها مَا يدْرك بحاسة الْبَصَر وَأظْهر مَا يدْرك بحاسة الْبَصَر نور الشَّمْس الْمُشرق على الْأَجْسَام الَّذِي بِهِ يُظْهر كل شَيْء فَمَا بِهِ يظْهر كل شَيْء كَيفَ لَا يكون ظَاهرا.

وَقد أشكل ذَلِك على خلق كثير حَتَّى قَالُوا الْأَشْيَاء الملونة لَيْسَ فِيهَا إِلَّا ألوانها فَقَط من سَواد وَحُمرَة فَأَما أَن يكون فِيهَا مَعَ اللَّوْن ضوء وَنور مُقَارن للون فَلَا وَهَؤُلَاء إِنَّمَا انتبهوا على قيام النُّور بالمتلونات بالتفرقة الَّتِي يدركونها بَين الظل وَمَوْضِع النُّور وَبَين اللَّيْل وَالنَّهَار فَإِن الشَّمْس لما تُصوِّر غيبتها بِاللَّيْلِ واحتجابها بالأجسام الْمظْلمَة بِالنَّهَارِ انْقَطع أَثَرهَا عَن المتلونات أدرك الناس التَّفْرِقَة بَين المتأثر المستضيء بهَا وَبَين المظلم المحجوب عَنْهَا فَعُرِف وجود النُّور بِعَدَمِ النُّور إِذا أضيفت حَالَة الْعَدَم إِلَى حَالَة الْوُجُود فأُدركت التَّفْرِقَة مَعَ بَقَاء الألوان فِي الْحَالَتَيْنِ وَلَو أطبق نور الشَّمْس كل الْأَجْسَام الظَّاهِرَة لشخص وَلم تغب الشَّمْس حَتَّى يدْرك التَّفْرِقَة لتعذر عَلَيْهِ معرفَة كَون النُّور شَيْئا مَوْجُودا زَائِدا على الألوان مَعَ أَنه أظهر الْأَشْيَاء بل هُوَ الَّذِي بِهِ يظْهر جَمِيع الْأَشْيَاء .

وَلَو تُصوِّر لله تَعَالَى وتقدس عدم أَو غيبَة عَن بعض الْأُمُور لانهدت السَّمَوَات وَالْأَرْض وكل مَا انْقَطع نوره عَنهُ ولأدركت التَّفْرِقَة بَين الْحَالَتَيْنِ وَعلم وجوده قطعا وَلَكِن لما كَانَت الْأَشْيَاء كلهَا متفقة فِي الشَّهَادَة وَالْأَحْوَال كلهَا مطردَة على نسق وَاحِد كَانَ ذَلِك سَببا لخفائه فسبحان من احتجب عَن الْخلق بنوره وخفي عَلَيْهِم بِشدَّة ظُهُوره فَهُوَ الظَّاهِر الَّذِي لَا أظهر مِنْهُ وَهُوَ الْبَاطِن الَّذِي لَا أبطن مِنْهُ .

الفائدة الثانية : سباحة فكرية وروحية في فهم حكمة الله تعالى في بعض مخلوقاته :

إِذا كَانَ معنى الْحِكْمَة تَرْتِيب الْأَسْبَاب وتوجيهها إِلَى المسببات كَانَ المتصف بهَا على الْإِطْلَاق حكما مُطلقًا لِأَنَّهُ مسبب كل الْأَسْبَاب جُمْلَتهَا وتفصيلها

وَمن الحُكم ينشعب الْقَضَاء وَالْقدر فتدبيره أصل وضع الْأَسْبَاب ليتوجه إِلَى المسببات حكمه ونصبه الْأَسْبَاب الْكُلية الْأَصْلِيَّة الثَّابِتَة المستقرة الَّتِي لَا تَزُول وَلَا تحول كالأرض وَالسَّمَوَات السَّبع وَالْكَوَاكِب والأفلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة الَّتِي لَا تَتَغَيَّر وَلَا تنعدم إِلَى أَن يبلغ الْكتاب أَجله قَضَاؤُهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فقضاهن سبع سموات فِي يَوْمَيْنِ وَأوحى فِي كل سَمَاء أمرهَا 41 سُورَة فصلت الْآيَة 12 وتوجيه هَذِه الْأَسْبَاب بحركاتها المتناسبة المحدودة الْمقدرَة المحسوبة إِلَى المسببات

الْحَادِثَة مِنْهَا لَحْظَة بعد لَحْظَة قدره فَالْحكم هُوَ التَّدْبِير الأول الْكُلِّي وَالْأَمر الأزلي الَّذِي هُوَ كلمح الْبَصَر وَالْقَضَاء هُوَ الْوَضع الْكُلِّي للأسباب الْكُلية الدائمة وَالْقدر هُوَ تَوْجِيه الْأَسْبَاب الْكُلية بحركتها الْمقدرَة المحسوبة إِلَى مسبباتها المعدودة المحدودة بِقدر مَعْلُوم لَا يزِيد وَلَا ينقص وَلذَلِك لَا يخرج عَن قَضَائِهِ وَقدره شَيْء وَلَا تفهم ذَلِك إِلَّا بمثال ولعلك شاهدت صندوق السَّاعَات الَّتِي بهَا يتعرف أَوْقَات الصَّلَوَات وَإِن لم تشاهده فجملة ذَلِك أَنه لَا بُد فِيهِ من آلَة على شكل أسطوانة تحوي مِقْدَارًا من المَاء مَعْلُوما وَآلَة أُخْرَى مجوفة مَوْضُوعَة فِيهَا فَوق المَاء وخيط مشدود أحد طَرفَيْهِ فِي هَذِه الْآلَة المجوفة وطرفه الآخر فِي أَسْفَل ظرف صَغِير مَوْضُوع فَوق الأسطوانة المجوفة وَفِيه كرة وَتَحْته طاس بِحَيْثُ لَو سَقَطت الكرة وَقعت فِي الطاس وَسمع طنينها ثمَّ يثقب أَسْفَل الْآلَة الأسطوانية ثقب بِقدر مَعْلُوم ينزل المَاء مِنْهُ قَلِيلا قَلِيلا فَإِذا انخفض المَاء انخفضت الْآلَة المجوفة الْمَوْضُوعَة على وَجه المَاء فامتد الْخَيط المشدود بهَا فحرك الظّرْف الَّذِي فِيهِ الكره تحريكا يقربهُ من الانتكاس إِلَى أَن ينتكس فتتدحرج مِنْهُ الكرة وَتَقَع فِي الطاس وتطن وَعند انْقِضَاء كل سَاعَة تقع وَاحِدَة .

وَإِنَّمَا يتَقَدَّر الْفَصْل بَين الوقعتين بِتَقْدِير خُرُوج المَاء وانخفاضه وَذَلِكَ بِتَقْدِير سَعَة الثقب الَّذِي يخرج مِنْهُ المَاء وَيعرف ذَلِك بطرِيق الْحساب فَيكون نزول المَاء بِمِقْدَار مُقَدّر مَعْلُوم بِسَبَب تَقْدِير سَعَة الثقب بِقدر مَعْلُوم وَيكون انخفاض أَعلَى المَاء بذلك الْمِقْدَار وَبِه يتَقَدَّر انخفاض الْآلَة المجوفة وانجرار الْخَيط المشدود بهَا وتولد الْحَرَكَة فِي الظّرْف الَّذِي فِيهِ الكرة وكل ذَلِك يتَقَدَّر بتقدر سَببه لَا يزِيد وَلَا ينقص وَيُمكن أَن يَجْعَل وُقُوع الكرة فِي الطاس سَببا لحركة أُخْرَى وَتَكون الْحَرَكَة الْأُخْرَى سَببا لحركة ثَالِثَة وَهَكَذَا إِلَى دَرَجَات كَثِيرَة حَتَّى تتولد مِنْهُ حركات عَجِيبَة مقدرَة بمقادير محدودة وسببها الأول نزُول المَاء بِقدر مَعْلُوم .

فَإِذا تصورت هَذِه الصُّورَة فَاعْلَم أَن واضعها يحْتَاج إِلَى ثَلَاثَة أُمُور :

أولهَا : التَّدْبِير وَهُوَ الحُكم بِأَنَّهُ مَا الَّذِي يَنْبَغِي أَن يكون من الْآلَات والأسباب والحركات حَتَّى يُؤَدِّي إِلَى حُصُول مَا يَنْبَغِي أَن يحصل وَذَلِكَ هُوَ الحكم .

وَالثَّانِي : إيجَاد هَذِه الْآلَات الَّتِي هِيَ الْأُصُول وَهِي الْآلَة الأسطوانية لتحوي المَاء والآلة المجوفة لتوضع على وَجه المَاء وَالْخَيْط المشدود بِهِ والظرف الَّذِي فِيهِ الكرة والطاس الَّذِي يَقع فِيهِ الكرة وَذَلِكَ هُوَ الْقَضَاء .

وَالثَّالِث : نصب سَبَب يُوجب حَرَكَة مقدرَة محسوبة محدودة وَهُوَ ثقب أَسْفَل الْآلَة ثقبا مُقَدّر السعَة ليحدث بنزول المَاء مِنْهَا حَرَكَة فِي المَاء تُؤَدِّي إِلَى حَرَكَة وَجه المَاء بنزوله ثمَّ إِلَى حَرَكَة الْآلَة المجوفة الْمَوْضُوعَة على وَجه المَاء ثمَّ إِلَى حَرَكَة الْخَيط ثمَّ إِلَى حَرَكَة الظّرْف الَّذِي فِيهِ الكرة ثمَّ إِلَى حَرَكَة الكرة ثمَّ إِلَى الصدمة بالطاس إِذا وَقعت فِيهِ ثمَّ إِلَى الطنين الْحَاصِل مِنْهَا ثمَّ إِلَى تَنْبِيه الْحَاضِرين وإسماعهم ثمَّ إِلَى حركاتهم فِي الِاشْتِغَال بالصلوات والأعمال عِنْد معرفتهم انْقِضَاء السَّاعَة وكل ذَلِك يكون بِقدر مَعْلُوم وَمِقْدَار مُقَدّر بِسَبَب تقدر جَمِيعهَا بِقدر الْحَرَكَة الأولى وَهِي حَرَكَة المَاء .

فَإِذا فهمت أَن هَذِه الْآلَات أصُول لَا بُد مِنْهَا للحركة وَأَن الْحَرَكَة لَا بُد من تقديرها ليتقدر مَا يتَوَلَّد مِنْهَا فَكَذَلِك فَافْهَم حُصُول الْحَوَادِث الْمقدرَة الَّتِي لَا يتَقَدَّم مِنْهَا شَيْء وَلَا يتَأَخَّر إِذا جَاءَ أجلهَا أَي حضر سَببهَا وكل ذَلِك بِمِقْدَار مَعْلُوم وَأَن الله بَالغ أمره إِذْ جعل الله لكل شَيْء قدرا فالسموات والأفلاك وَالْكَوَاكِب وَالْأَرْض وَالْبَحْر والهواء وَهَذِه الْأَجْسَام الْعِظَام فِي الْعَالم كتلك الْآلَات وَالسَّبَب المحرك للأفلاك وَالْكَوَاكِب وَالشَّمْس وَالْقَمَر بِحِسَاب مَعْلُوم كتلك الثقبة الْمُوجبَة لنزول المَاء بِقدر مَعْلُوم وإفضاء حَرَكَة الشَّمْس وَالْقَمَر وَالْكَوَاكِب إِلَى حُصُول الْحَوَادِث فِي الأَرْض كإفضاء حَرَكَة المَاء إِلَى حُصُول تِلْكَ الحركات المفضية إِلَى سُقُوط الكرة الْمعرفَة لانقضاء السَّاعَة وَمِثَال تداعي حركات السَّمَاء إِلَى تغيرات الأَرْض هُوَ أَن الشَّمْس بحركتها إِذا بلغت إِلَى الْمشرق واستضاء الْعَالم وتيسر على النَّاس الإبصار فيتيسر عَلَيْهِم الانتشار فِي الأشغال وَإِذا بلغت الْمغرب تعذر عَلَيْهِم ذَلِك فَرَجَعُوا إِلَى المساكن وَإِذا قربت من وسط السَّمَاء وسمت رُؤُوس أهل الأقاليم حمي الْهَوَاء وَاشْتَدَّ القيظ وَحصل نضج الْفَوَاكِه وَإِذا بَعدت حصل الشتَاء وَاشْتَدَّ الْبرد وَإِذا توسطت حصل الِاعْتِدَال وَظهر الرّبيع وأنبتت الأَرْض وَظَهَرت الخضرة وَقس بِهَذِهِ الْأُمُور المشهورات الَّتِي تعرفها الغرائب الَّتِي لَا تعرفها .

وَاخْتِلَاف هَذِه الْفُصُول كلهَا مُقَدّر بِقدر مَعْلُوم لِأَنَّهَا منوطة بحركات الشَّمْس وَالْقَمَر (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) سُورَة الرَّحْمَن (5) **أَي حركتهما بِحِسَاب مَعْلُوم.**

فَهَذَا هُوَ التَّقْدِير وَوضع الْأَسْبَاب الْكُلية هُوَ الْقَضَاء وَالتَّدْبِير الأول الَّذِي هُوَ كلمح الْبَصَر هُوَ الحكم وَالله تَعَالَى حكم عدل بِاعْتِبَار هَذِه الْأُمُور وكما أَن حَرَكَة الْآلَة وَالْخَيْط والكرة لَيست خَارِجَة عَن مَشِيئَة وَاضع الْآلَة بل ذَلِك هُوَ الَّذِي أَرَادَهُ بِوَضْع الْآلَة فَكَذَلِك كل مَا يحدث فِي الْعَالم من الْحَوَادِث شَرها وَخَيرهَا نَفعهَا وضرها غير خَارج عَن مَشِيئَة الله عز وَجل بل ذَلِك مُرَاد الله تَعَالَى ولأجله دبر أَسبَابه وَهُوَ الْمَعْنى بقوله (وَلذَلِك خلقهمْ) سُورَة هود (119).

وتفهيم الْأُمُور الإلهية بالأمثلة الْعُرْفِيَّة عسير وَلَكِن الْمَقْصُود من الْأَمْثِلَة التَّنْبِيه فدع الْمِثَال وتنبه للغرض وَاحْذَرْ من التَّمْثِيل والتشبيه .

قد فهمت من الْمِثَال الْمَذْكُور مَا إِلَى العَبْد من الحكم وَالتَّدْبِير وَالْقَضَاء وَالتَّقْدِير وَذَلِكَ أَمر يسير وَإِنَّمَا الخطير مِنْهُ مَا إِلَيْهِ فِي تَدْبِير الرياضيات والمجاهدات وَتَقْدِير السياسات الَّتِي تُفْضِي إِلَى مصَالح الدّين وَالدُّنْيَا وَبِذَلِك اسْتخْلف الله عباده فِي الأَرْض واستعمرهم فِيهَا لينْظر كَيفَ يعْملُونَ

وَإِذا قوي فهمك على إِدْرَاك حكمته فَاعْلَم أَن الشَّمْس أَيْضا لم يخلقها الله تعالى فِي السَّمَاء الرَّابِعَة وَهِي وَاسِطَة السَّمَوَات السَّبع هزلا بل مَا خلقهَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا وَضعهَا إِلَّا موضعهَا الْمُسْتَحق لَهَا لحُصُول مقاصدها مِنْهَا إِلَّا أَنَّك رُبمَا تعجز عَن دَرك الْحِكْمَة فِيهِ لِأَنَّك قَلِيل التفكر فِي ملكوت السَّمَوَات وَالْأَرْض وعجائبها وَلَو نظرت فِيهَا لرأيت من عجائبها مَا تستحقر فِيهِ عجائب بدنك وَكَيف لَا وَخلْقُ السَّمَوَات وَالْأَرْض أكبر من خلق النَّاس وليتك وفيت بِمَعْرِفَة عجائب نَفسك وتفرغت للتأمل فِيهَا وَفِيمَا يكتنفها من الْأَجْسَام فَتكون مِمَّن قَالَ الله عز وَجل فيهم (سنريهم آيَاتنَا فِي الْآفَاق وَفِي أنفسهم) سُورَة فصلت (53) **وَمن أَيْن لَك أَن تكون مِمَّن قَالَ فيهم (وَكَذَلِكَ نري إِبْرَاهِيم ملكوت السَّمَوَات وَالْأَرْض)**سُورَة الْأَنْعَام (75) .

وأنى تفتح أَبْوَاب السَّمَاء لمن استغرقه هم الدُّنْيَا واستعبده الْحِرْص والهوى فَهَذَا هُوَ الرَّمْز إِلَى تفهيم مبدأ الطَّرِيق إِلَى معرفَة هَذَا الِاسْم الْوَاحِد وَشَرحه يفْتَقر إِلَى مجلدات وَكَذَا شرح معنى كل اسْم من الْأَسَامِي فَإِن الْأَسَامِي المشتقة من الْأَفْعَال لَا تفهم إِلَّا بعد فهم الْأَفْعَال وكل مَا فِي الْوُجُود

من أَفعَال الله تَعَالَى وَمن لم يحط علما بتفاصيلها وَلَا بجملتها فَلَا يكون مَعَه مِنْهَا إِلَّا مَحْض التَّفْسِير واللغة **وَلَا مطمع فِي الْعلم بتفصيلها فَإِنَّهُ لَا نِهَايَة لَهُ وَأما الْجُمْلَة فللعبد طَرِيق إِلَى مَعْرفَتهَا وبقدر اتساع مَعْرفَته فِيهَا يكون حَظه من معرفَة الْأَسْمَاء وَذَلِكَ يسْتَغْرق الْعُلُوم كلهَا وَإِنَّمَا غَايَة مثل هَذَا الْكتاب الْإِيمَاء إِلَى مفاتحها ومعاقد جملها فَقَط .**

الفائدة الثالثة : سياحة فكرية في معرفة حفظ الله تعالى للكائنات :

هُوَ الْحَافِظ جدا وَلنْ يُفهَم ذَلِك إِلَّا بعد فهم معنى الْحِفْظ وَهُوَ على وَجْهَيْن :

أَحدهمَا : إدامة وجود الموجودات وإبقاؤها ويضاده الإعدام :

وَالله تَعَالَى هُوَ الْحَافِظ لِلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْض وَالْمَلَائِكَة والموجودات الَّتِي **يطول أمد بَقَائِهَا** ، وَكذا الَّتِي لَا يطول أمد بَقَائِهَا مثل الْحَيَوَانَات والنبات وَغَيرهمَا .

وَالْوَجْه الثَّانِي : وَهُوَ أظهر الْمَعْنيين أَن الْحِفْظ صِيَانة المتعاديات والمتضادات بَعْضهَا عَن بعض:

وأعني بِهَذَا التعادي مَا بَين المَاء وَالنَّار فَإِنَّهُمَا يتعاديان بطباعهما فإمَّا أَن يُطْفِئ المَاء النَّار وَإِمَّا أَن تحيل النَّار المَاء إِن غليت المَاء بخارا ثمَّ هَوَاء والتضاد والتعادي ظَاهر بَين الْحَرَارَة والبرودة إِذْ تقهر إِحْدَاهمَا الْأُخْرَى وَكَذَلِكَ بَين الرُّطُوبَة واليبوسة وَسَائِر الْأَجْسَام الأرضية مركبة من هَذِه الْأُصُول المتعادية إِذْ لَا بُد للحيوان من حرارة غريزية لَو بطلت لبطلت حَيَاته وَلَا بُد لَهُ من رُطُوبَة تكون غذَاء لبدنه كَالدَّمِ وَمَا يجْرِي مجْرَاه ، وَلَا بُد من يبوسة بهَا تتماسك أعضاؤه خُصُوصا مَا صلب مِنْهَا كالعظام وَلَا بُد من برودة تكسر سُورَة الْحَرَارَة حَتَّى تعتدل وَلَا تحرق وَلَا تحلل الرطوبات الْبَاطِنَة بِسُرْعَة وَهَذِه متعاديات متنازعات .

وَقد جمع الله عز وَجل بَين هَذِه المتضادات المتنازعة فِي إهَاب الْإِنْسَان وبدن الْحَيَوَانَات والنبات وَسَائِر المركبات ، وَلَوْلَا حفظه تَعَالَى إِيَّاهَا لتنافرت وَتَبَاعَدَتْ وَبَطل امتزاجها واضمحل تركيبها وَبَطل الْمَعْنى الَّذِي صَارَت مستعدة لقبوله بالتركيب والمزاج .

وَحِفظُ الله تَعَالَى إِيَّاهَا بتعديل قواها مرّة وبإمداد المغلوب مِنْهَا ثَانِيًا :

أما التَّعْدِيل : فَهُوَ أَن يكون مبلغ قُوَّة الْبَارِد مثل مبلغ قُوَّة الْحَار فَإِذا اجْتمعَا لم يغلب أَحدهمَا الآخر بل يتدافعان إِذْ لَيْسَ أَحدهمَا بِأَن يغلب أولى من أَن يغلب فيتقاومان وَيبقى قوام الْمركب بتقاومهما وتعادلهما وَهُوَ الَّذِي يعبر عَنهُ باعتدال المزاج .

وَالثَّانِي إمداد المغلوب : مِنْهُمَا بِمَا يُعِيد قوته حَتَّى يُقَاوم الْغَالِب ومثاله أَن الْحَرَارَة تُفني الرُّطُوبَة وتجففها لَا محَالة فَإِذا غلبت ضعفت الْبُرُودَة والرطوبة وغلبت الْحَرَارَة واليبوسة وَيكون إمداد الضَّعِيف بالجسم الْبَارِد الرطب وَهُوَ المَاء وَمعنى الْعَطش هُوَ الْحَاجة إِلَى الْبَارِد الرطب .

فخلق الله تَعَالَى الْبَارِد الرطب مدَدا للبرودة والرطوبة إِذا غلبتا وَخلق الْأَطْعِمَة والأدوية وَسَائِر الْجَوَاهِر المتضادة حَتَّى إِذا غلب شَيْء عورض بضده فانقهر وَهَذَا هُوَ الْإِمْدَاد وَإِنَّمَا تمّ ذَلِك بِخلق الْأَطْعِمَة والأدوية وَخلق الْآلَات الْمصلحَة لَهَا وَخلق الْمعرفَة الهادية إِلَى اسْتِعْمَالهَا وكل ذَلِك لحفظ الله عز وَجل أبدان الْحَيَوَانَات والمركبات من المتضادات . وَهَذِه هِيَ الْأَسْبَاب الَّتِي تحفظ الْإِنْسَان من الْهَلَاك الدَّاخِل .

وَهُوَ متعرض للهلاك من أَسبَاب خَارِجَة كسباع ضارية وأعداء متنازعة فحفظه من ذَلِك بِمَا خلق لَهُ من الجواسيس المنذرة بِقرب الْعَدو وَهِي طلائعه كَالْعَيْنِ وَالْأُذن وَغَيرهمَا ثمَّ خلق لَهُ الْيَد الباطشة والأسلحة الدافعة كالدرع والترس، والقاضية كالسيف والسكين ثمَّ رُبمَا يعجز مَعَ ذَلِك عَن الدّفع فأمده بِآلَة الْهَرَب وَهِي الرجل للحيوان الْمَاشِي والجناح للطائر .

وَكَذَلِكَ شَمل حفظه جلت قدرته كل ذرة فِي ملكوت السَّمَوَات وَالْأَرْض حَتَّى الْحَشِيش الَّذِي ينْبت فِي الأَرْض يحفظ لبابه بالقشر الصلب وطراوته بالرطوبة وَمَا لَا يحفظ بِمُجَرَّد القشر يحفظه بالشوك النَّابِت مِنْهُ ليندفع بِهِ بعض الْحَيَوَانَات المتلفة لَهُ فالشوك سلَاح النَّبَات كالقرون والمخالب والأنياب للحيوانات ، بل كل قَطْرَة من مَاء فمعها ملك حَافظ يحفظها عَن الْهَوَاء المضاد لَهَا فَإِن المَاء إِذا جعل فِي إِنَاء وَترك مُدَّة اسْتَحَالَ هَوَاء وسلب الْهَوَاء المضاد لَهُ صفة المائية عَنهُ وَلَو غمست الإصبع فِي مَاء ورفعتها ونكستها تدلت مِنْهَا قَطْرَة مَاء تبقى منكسة لَا تنفصل مَعَ أَن من شَأْنهَا الْهَوِي إِلَى أَسْفَل وَلكنهَا لَو انفصلت وَهِي صَغِيرَة استولى الْهَوَاء عَلَيْهَا وأحالها وَلَا تزَال

تمكث متدلية حَتَّى يجْتَمع إِلَيْهَا بَقِيَّة البلل فتكبر القطرة فتستجري على خرق الْهَوَاء بِسُرْعَة وَلَا يستولي الْهَوَاء على إحالتها وَلَيْسَ ذَلِك حفظا مِنْهَا لنَفسهَا عَن معرفَة بضعفها وَقُوَّة ضدها وحاجة استمدادها من بَقِيَّة البلل وَإِنَّمَا ذَلِك حفظ من ملك مُوكل بهَا بِوَاسِطَة معنى مُتَمَكن من ذَاتهَا وَقد ورد فِي الْخَبَر أنه لَا تنزل قَطْرَة من الْمَطَر إِلَّا وَمَعَهَا ملك يحفظها [342] إِلَى أَن تصل إِلَى مستقرها من الأَرْض وَذَلِكَ حق والمشاهدة الْبَاطِنَة لأرباب البصائر قد دلّت عَلَيْهِ وأرشدت إِلَيْهِ فآمنوا بالْخبر لَا عَن تَقْلِيد بل عَن بَصِيرَة .

وَالْكَلَام أَيْضا فِي شرح حفظ الله تَعَالَى السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا طَوِيل كَمَا فِي سَائِر الْأَفْعَال وَبِه يعرف هَذَا الِاسْم لَا بِمَعْرِفَة الِاشْتِقَاق فِي اللُّغَة وتوهم معنى الْحِفْظ على الْإِجْمَال .

الفائدة الرابعة : الأسماء الحسنى ترفع همة للعبد للشوق إلى رؤية الله تعالى :

فَإِن قلت فَمَا معنى قَوْلهم إِن الْعَارِف بِاللَّه تَعَالَى هُوَ الَّذِي يعبد الله عز وَجل خَالِصا لله لَا لحظ وَرَاءه فَإِن كَانَ لَا يَخْلُو فعل العَبْد عَن حَظّ فَمَا الْفرق بَين من يعبد الله تَعَالَى لله خَالِصا وَبَين من يعبده لحظ من الحظوظ فَاعْلَم أَن الْحَظ عبارَة عِنْد الجماهير عَن الْأَغْرَاض أَو الأعواض الْمَشْهُورَة عِنْدهم وَمن تنزه عَنْهَا وَلم يبْق لَهُ مقصد إِلَّا الله تَعَالَى فَيُقَال إِنَّه قد برِئ من الحظوظ أَي عَمَّا يعدُّه النَّاس حظا وَهُوَ كَقَوْلِهِم إِن العَبْد يُرَاعِي سَيّده لَا لسَيّده وَلَكِن لحظ يَنَالهُ من سَيّده من نعْمَة أَو إكرام وَالسَّيِّد يُرَاعِي عَبده لَا لعَبْدِهِ وَلَكِن لحظ يَنَالهُ مِنْهُ بخدمته وَأما الْوَالِد فَإِنَّهُ يُرَاعِي وَلَده لذاته لَا لحظ يَنَالهُ مِنْهُ بل لَو لم يكن مِنْهُ حَظّ أصلا لَكَانَ معنيا بمراعاته .

وَمن طلب شَيْئا لغيره لَا لذاته فَكَأَنَّهُ لم يَطْلُبهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ غَايَة طلبه بل غَايَة طلب غَيره كمن يطْلب الذَّهَب فَإِنَّهُ لَا يَطْلُبهُ لذاته بل ليتوصل بِهِ إِلَى الْمطعم والملبس ، وأيضاً المطعم والملبس لَا يرادان لذاتهما بل للتوصل بهما إِلَى جلب اللَّذَّة وَدفع الْأَلَم واللذة ترَاد لذاتها لَا لغاية أُخْرَى وَرَاءَهَا

342/ هذا الأثر ورد عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه حيث قَالَ:(لَمْ تَنْزِلْ قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ إِلَّا بِكَيْلٍ عَلَى يَدَيْ مَلَكٍ) وأما أن كل قطرة من المطر ينزل معها ملك: فإننا لم نقف على حديث مرفوع بذلك، ولكن ذكرته بعض كتب التفسير بدون سند عن ابن عباس . رضي الله عنهما . من قوله، فالله أعلم بذلك.وقد قال الإمام البغوي في تفسيره: ويقال: لا تنزل من السماء قطرة إلا ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله عز وجل ويشاء. اهـ الشبكة الإسلامية – ركن الفتوى – فتوى رقم (226642) .

وَكَذَا دفع الْأَلَم فَيكون الذَّهَب وَاسِطَة إِلَى الطَّعَام وَالطَّعَام وَاسِطَة إِلَى اللَّذَّة واللذة هِيَ الْغَايَة وَلَيْسَت وَاسِطَة إِلَى غَيرهَا وَكَذَلِكَ الْوَلَد لَيْسَ وَاسِطَة فِي حق الْوَالِد بل مَطْلُوبه سَلامَة الْوَلَد لذات الْوَلَد ، لِأَن عين الْوَلَد حَظه فَكَذَلِك من يعبد الله عز وَجل للجنة فقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاسِطَة طلبه وَلم يَجعله غَايَة مطلبه وعلامة الْوَاسِطَة أَنه لَو حصلت الْفَائِدَة دونهَا لم تطلب كَمَا لَو حصلت الْمَقَاصِد دون الذَّهَب لم يكن الذَّهَب محبوبا وَلَا مَطْلُوبا فالمحبوب بِالْحَقِيقَةِ الْغَايَة الْمَطْلُوبَة دون الذَّهَب وَلَو حصلت الْجنَّة لمن يعبد الله لأَجلهَا دون عبَادَة الله عز وَجل لما عبد الله فمحبوبه ومطلوبه الْجنَّة إِذا لَا غير وَأما من لم يكن لَهُ مَحْبُوب سوى الله عز وَجل وَلَا مَطْلُوب سواهُ بل حَظه الابتهاج بلقاء الله تَعَالَى والقرب مِنْهُ والمرافقة مَعَ الْمَلأ الْأَعْلَى المقربين من حَضرته فَيُقَال إِنَّه يعبد الله تَعَالَى لله لَا على معنى أَنه غير طَالب للحظ بل على معنى أَن الله عز وَجل هُوَ حَظه وَلَيْسَ يَبْغِي وَرَاءه حظا .

وَمن لم يُؤمن بلذة الْبَهْجَة بلقاء الله عز وَجل ومعرفته والمشاهدة لَهُ والقرب مِنْهُ لم يشتق إِلَيْهِ وَمن لم يشتق إِلَيْهِ لم يتَصَوَّر أَن يكون ذَلِك من حَظه فَلم يتَصَوَّر أَن يكون ذَلِك مقْصده أصلا فَلذَلِك لَا يكون فِي عبَادَة الله تَعَالَى إِلَّا كالأجير السوء لَا يعْمل إِلَّا بِأُجْرَة طمع فِيهَا وَأكْثر الْخلق لم يَذُوقُوا هَذِه اللَّذَّة وَلم يعرفوها وَلَا يفهمون لَذَّة النّظر إِلَى وَجه الله عز وَجل وَإِنَّمَا إِيمَانهم بذلك من حَيْثُ النُّطْق بِاللِّسَانِ فَأَما بواطنهم فَإِنَّهَا مائلة إِلَى التَّلَذُّذ بلقاء الْحور الْعين ومصدقة بِهِ فَقَط فَافْهَم من هَذَا أَن الْبَرَاءَة من الحظوظ محَال إِن كنت تجوز أَن يكون الله تَعَالَى أَي لقاءه والقرب مِنْهُ مِمَّا يُسمى حظا وَإِن كَانَ الْحَظ عبارَة عَمَّا يعرفهُ الجماهير وتميل إِلَيْهِ قُلُوبهم فَلَيْسَ هَذَا حظا وَإِن كَانَ عبارَة عَمَّا حُصُوله أوفى من عَدمه فِي حق العَبْد فَهُوَ حَظّ .

المبحث الثاني

ثمار وفوائد من معرفة الأسماء الحسنى من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

الفائدة الأولى : ابن القيم يوصي كل مسلم بالتفقه في معرفة الأسماء الحسنى :

قال رحمه تعالى : إن إحصاء أسماء الله الحسنى مطلب عظيم النفع، لا يلقَّاه إلا أصحاب النفوس الشريفة، والهمم العالية. فهو أولى ما تصرف إليه العناية، وأشرف ما صرفت فيه الأنفس لهذه الغاية، الذي عليها مدار السعادة، فلا تزال مترقياً في المعالي على قدر تحصيلك لها، والتعبد بمقتضاها، تكون لك الزلفى عند الله تعالى، في الدرجات العلا في جنات المأوى، فاحرص رعاك الله تعالى أن يكون همك همًّا واحداً، وهو إحصاء أسماءه الحسنى، فاجتهد في التفقه فيها، في ليلك ونهارك، في منشطك ومكرهك، في سفرك وحضرك، فإنه سوف يفتح لك باباً عظيماً في المعرفة، والمحبة، والشوق، واللذة، والأنس بالله جل وعلا ما لا يصفه الواصفون، ولا حسب الحاسبون. فإن دخلت فيه، وفتح لك الباب، فلا أكون مبالغاً إن قلت لك: رأيت ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في الدنيا والآخرة.

ولذا فإن الحافظ **ابن القيم** -رحمه الله- اعتبر العلم بأسماء الله الحسنى أنه أصل العلم بكل معلوم، ووجْه ذلك أن كل المعلومات لا تخرج عن أمرين [343]:

إما أن تكون هذه الأشياء التي نعلمها هي من قبيل خلق الله -عز وجل : فيدخل في هذا جميع أنواع العلوم التجريبية، والعلوم المادية.

وإما أن يكون ذلك من قبيل العلم بأمره -جل جلاله : فيدخل في هذا العلم بالله -عز وجل- وأسمائه وصفاته، وأحكامه، كل ذلك داخل فيه، فهذه العلوم إما علم بما كوّنه الله -عز وجل- وخلقه، أو علم بما شرعه، فمصدر الخلق إنما هو عن أسمائه -تبارك وتعالى-، وهكذا أيضاً مصدر الحكم والشرع، يقول -رحمه الله-:

343/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 57) – نقلا عن مقال بعنوان : المقدمات في الأسماء الحسنى المجلس الثالث – موقع فضيلة الدكتور خالد عثمان السبت – بتصرف .

أسماؤه دلت على أوصافه مشتقةٌ منها اشتقاقَ معانِ

وصفاتُه دلت على أسمائه والفعلُ مرتبط به الأمرانِ

والحُكم نسبتها إلى متعلقاتٍ تقتضي آثارَها ببيانِ

الفائدة الثانية : أصول الأسماء الحسنى والصفات العلى ترجع إلى الأسماء الخمسة التي وردت في سورة الفاتحة :

يرى العلامة ابن القيم أن هذه الأسماء الخمسة **الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والملك** تتضمن في دلالتها على جميع على الحسنى والصفات العلى فقال في تفسير سورة الفاتحة [344]:

وأما دلالة الأسماء الخمسة عليها - أي على الأسماء والصفات - الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والملك - فمبني على أصلين:

الأصل الأول: أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات. فهي أسماء وهي أوصاف، وبذلك كانت حُسنى؛ إذْ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حُسنى، ولا كانت دالةً على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام، والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر إنك أنت المنتقم. واللهم أعطني فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

الأصل الثاني: الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدلّ على الذات والصفة التي اشتقّ منها بالمطابقة؛ فإنّه يدلّ عليه دلالتين أُخرَيَيْن بالتضمن واللزوم. فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأُخرى باللزوم.فإن اسم (السميع) يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة.وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمن. وهكذا .

344/ مدارج السالكين – لابن القيم - (8/1) – بتصرف .

إذا تقرر هذان الأصلان فاسم (الله) دالٌّ على جميع الأسماء الحُسنى والصفات العُلا بالدلالات الثلاث -المطابقة، والتضمن، واللزوم - .

فعُلِمَ أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، والأسماء الحُسنى تفصيل، وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله)، واسم (الله) دالٌّ على كونه مألوهاً معبوداً، تألَّهَهُ الخلائق محبةً، وتعظيماً، خضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد. وإلهيته وربوبيته، ورحمانيته، وملكه، مستلزم لجميع صفات كماله. إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعَّالٍ لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال: أخص باسم (الله).

وصفات الفعل، والقدرة، والتفرّد بالضرّ والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة أخص باسم (الربّ).

وصفات الإحسان، والجود، والبّر، والحنّان، والمنّة، والرأفة، واللّطف، أخص باسم (الرحمن).

وصفات العدل، والقبض والبسط، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال، والقهر والحكم، ونحوها أخص باسم (الملِك) وخصّه بيوم الدين وهو الجزاء بالعدل؛ لتفرده بالحكم فيه وحده؛ ولأنه اليوم الحق، وما قبله كساعة؛ ولأنه الغاية وأيام الدنيا مراحل إليه.

وفي ذكر هذه الأسماء بعد الحمد في قوله تعالى: (**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**)، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، وملِك محمود. فله بذلك جميع أقسام الكمال.

الفائدة الثالثة : من روائع تأملاته رحمه الله في العلاقة بين اسميه تعالى الرب والحكيم [345]:

قال رحمه الله : قول اسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات هل يخرج أحد من ربوبية الله –عز وجل-؟

الجواب: لا، فهو رب للجميع للمؤمن والكافر، وهو رب للجماد، والحيوان والنبات، لا يخرج أحد عن ربوبيته -تبارك وتعالى-، واجتمع الخلق بهذا الاعتبار تحت صفة الربوبية، وأما صفة الألوهية فقد افترقوا فيها إلى مؤمنين وكفار فلها الفرق، الربوبية لها الجمع، والإلهية لها الفرق، فصار الناس إلى طائفتين، إلى فريقين سعداء وأشقياء، انقسموا إلى مؤمنين وكفار، فالدين والشرع والأمر والنهي مظهره وقيامه من صفة الإلهية، والخلق والإيجاد والتدبير صفة من صفات الربوبية، والجزاء والثواب والعقاب والجنة، والنار من صفة الملك.

فالله -تبارك و تعالى- أمرهم بإلهيته، وأعانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم بربوبيته، وعاقبهم بملكه وعدله، وأما الرحمة فهي التعلق والسبب الواصل بين الله -عز وجل- وبين العباد لا ينفكون عن رحمته بحال من الأحوال، لو تخلى عنهم لهلكوا جميعًا، فالتأليه منهم له، والربوبية منه لهم، والرحمة هي السبب الواصل بين الخالق والمخلوق بها أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، ووفق من شاء إلى الهدى، وبها أسكنهم دار الكرامة الجنة، وبها رزقهم وعافاهم، وأعطاهم، وأنعم عليهم، وهكذا.

فهذه الآثار وهذه الأسباب التي خلقها الله -عز وجل- هي من لوازم كماله وملكه وقدرته وحكمته، فظهور تأثيرها وأحكامها في عالم الشهادة هو تحقيق لهذا الكمال ولابد، كيف نعرف أنه -تبارك وتعالى- القادر العزيز القوي المتين؟، يهلك أقواماً من العتاة، من المكذبين، من الضالين، من المحادين له ولرسله -عليهم الصلاة والسلام-، فيظهر من ذلك آثار هذه الأسماء، إذا أجدب الخلق تضرعوا إليه فأغاثهم وأعطاهم، فتظهر آثار جملة من الأسماء: الرازق، الرحمن، الرحيم، وهكذا.

345/ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (1/ 206) – نقلا عن مقال بعنوان : المقدمات في الأسماء الحسنى المجلس الثالث – موقع فضيلة الدكتور خالد عثمان السبت – بتصرف .

إذن ظهور آثار هذه الأسماء الحسنى هو من جملة كماله المقدس، ولا يمكن أن يثبت العبد لله –عز وجل- الكمالات إلا إذا أثبت هذه الآثار في الخلق والأمر، في قضاء الله -عز وجل- وقدره، في وعده ووعيده، ومنعه وإعطائه، وإكرامه وإهانته، وعدله وفضله، كل هذه الأشياء تعرفنا بالمعبود -جل جلاله-

ظهور آثار هذه الأسماء الحسنى هو من جملة كماله المقدس، ولا يمكن أن يثبت العبد لله –عز وجل- الكمالات إلا إذا أثبت هذه الآثار في الخلق والأمر، في قضاء الله -عز وجل- وقدره، في وعده ووعيده، ومنعه وإعطائه، وإكرامه وإهانته، وعدله وفضله، كل هذه الأشياء تعرفنا بالمعبود -جل جلاله-

وهي ناشئة وناتجة بل هي من مقتضيات أسمائه الحسنى، فيظهر نتيجة لذلك أنه العفو المنعم، وتظهر سعة حلمه، وتظهر أيضاً شدة بطشه، وهكذا اقتضى كماله أنه في كل يوم له شأن، فمن جملة شئونه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويشفي مريضاً، ويفك عانياً، وينصر مظلوماً، ويغيث ملهوفاً، ويجير مستجيراً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويجيب دعوة، ويقيل عثرة، ويعز ذليلاً، ويذل متكبراً، ويقصم جباراً، ويميت ويحيي، ويُضحك ويُبكي، يُضحك أقواماً، ويُبكي آخرين، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، فإذا عطل العبد الرب -تبارك وتعالى- عن أسمائه الحسنى وصفاته العليا فإنه بذلك يكون معطلاً لإلهيته، وربوبيته، ورحمته، وملكه، قد عطله عن كمالاته المقدسة، وبهذا تعرفون شؤم مذاهب المعطلة الذين نفوا الأسماء والصفات، أو الذين أثبتوا الأسماء، وقالوا: إنها لا تدل على أوصاف لله -تبارك وتعالى-، فهذا تعطيل للربوبية، والألوهية، والملك، والعزة والرحمة، كل هذه تتعطل وتنتفي؛ ولهذا أنكر الله -عز وجل- على أولئك الذين قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، قال: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ الأنعام:91، فإن حكمته ورحمته تقتضي أن يرسل للعباد رسلاً يبينون لهم ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام، ويعرفونهم بالمعبود -جل جلاله-، ويشرحون لهم الطريق التي توصلهم إلى ربهم وبارئهم وخالقهم -تبارك وتعالى-، فهذا كله من مقتضيات أسمائه.

وهكذا أيضاً اسمه الحكيم، كما أن اسمه الملك يقضتي مملكة، وتصرفاً، وتدبيراً، وإعطاءً، ومنعاً، وإحساناً وعدلاً وثواباً وعقاباً، وهكذا اسمه البر، المحسن، المعطي، المنان، كل هذه تقتضي آثارَها

وموجباتها، فتصور أولئك الذين فسدت عقائدهم فلا يؤمنون بأسماء الله -عز وجل- وصفاته، أو أولئك الذين يثبتون ويقولون: هي مجرد أعلام جامدة لا تدل على صفات الكمال، كيف يكون نظر هؤلاء واعتقادهم بربهم -جل جلاله-؟، كيف تقبل عليه قلوبهم؟، وكيف تتوق نفوسهم إلى ألطافه ورحمته وعطائه وبره وكرمه وجوده؟ إذا أصابت الواحد الفاقة، أو المرض، أو وقع في بلية فإن قلبه كيف يتحرك إلى مولاه؛ ليخلصه ويرفعه ويعافيه، وبهذا تعرفون أثر فساد الاعتقاد على سلوك الإنسان، وعمله وعبادته وتفكيره ونظره في الأمور كلها.

والمقصود أن الخلق مرتبط بقدرته -تبارك وتعالى- تمام الارتباط، وهذا يقتضي أن لا يخرج شيء موجود عن قدرته، كما أنه مرتبط بعلمه، فعلمه يقتضي أنه -تبارك وتعالى- قد أحاط بكل شيء علماً، وهو أيضاً مرتبط بحكمته، وذلك يقتضي أن يقع على أحسن الوجوه وأكملها، كل ما يقع في هذا الوجود فإنه وقع على وفق حكمة الله -عز وجل-، وليس ذلك يقع اتفاقاً، أو يقع مجرد لمشيئة قد رجّحت مِثلاً على مِثل بلا رجحان، كما يقول بعض القدرية الذين لم يقدروا الله حق قدره، وما عرفوه حق معرفته.

تأمل في هذا العالم وأجزائه كيف صار منتظماً هذا الانتظام، فإن ذلك يدل على كمال قدرة الخالق -سبحانه وتعالى-، وكمال علمه وكمال حكمته، وكمال لطفه، الحافظ ابن القيم رحمه الله- يمثل هذا العالم -هذه الدنيا- بالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه، فيه مصالحه وآلاته، فالسماء سقفه المرفوع، والأرض مهاد وفراش وبساط ومستقر لهؤلاء الساكنين، والشمس والقمر سراجان يضيئان، والنجوم مصابيح وزينة، والجواهر والمعادن مخزونة فيه كالذخائر، وضروب النبات مهيَّأ لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة لمصالحه فمنها الركوب، ومنها الحلوب، ومنها الغذاء، ومنها اللباس، والأمتعة والآلات، ومنها الحرس الذي يحرسه، كيف ركبه الله -عز وجل- وكونه، وأوجده بهذه الطريقة، وبهذا الانتظام، وتتحقق بذلك مصالح العباد، ويكون محلا صالحاً لإقامة العبودية لله -تبارك وتعالى- وعمارة الأرض، هذا كله لا شك مرتبط بقدرته وحكمته وعلمه ومشيئته وأسمائه وصفاته.

الفصل الثامن

قصيدة التضرع إلى الله تعالى بالأسماء الحسنى

لقد نظم كثير من العلماء قصائد في الأسماء الحسنى ما بين شارح لمعناها ومابين مناج بها ربه تعالى ، وكان لا بد لي من اختيار قصيدة من النوع الثاني وهو المناجاة ، وقد وقع اختياري على قصيدة العلامة محمد تقي الدين الهلالي المغربي -رحمه الله- حيث يقول في مقدمتها :

"اطلعت على قصيدتين في أسماء الله الحسنى إحداها للحافظ الضمياضي المصري رحمه الله التزم فيها أن يجعل كل بيت مشتملا على اسمين والثانية للعلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي لم يلتزم فيها عددا خاصا في كل بيت فيشتمل البيت الواحد على ثلاثة أسماء أو أربعة و ظهر لي أن أنظم قصيدة تشتمل على أسماء الله الحسنى و ألتزم اسما واحدا في كل بيت و الباقي دعاء فيسر الله ذلك و نظمتها في العاشر من ذي القعدة سنة 1397هـ ، و الله أسأل أن ينفعني بها و ينفع بها من شاء من عباده الصالحين "[346].

بدأت باسم الإله الواحد الأزلي	**ذا الفضل و الجود و الإحسان لم يزل**
ثم الصلاة على محمد و على	**آل النبي ذو الإكرام و النزل**
لله أسماؤه الحسنى فسائله	**بها بصدق يكون الخير فيه جلي**
نظمتها قاصدا وجه الإله بها	**مسهلا حفظها للسائلين و لي**
فقلت و الله أسأل الإعانة في	**ما قد قصدته و التوفيق في عملي**
إني من الله أرجو اليسر في عجل	**و أن ينجيني ربي من الوجل**
و أنت رحماننا دنيا و آخرة	**فارحم بفضلك ضعفي أعطني أملي**
و يا رحيما بكل المؤمنين أجب	**دعاء عبد ضعيف لج في الزلل**

[346]/ منقول من موقع الآجري (قصيدة أسماء الله الحسنى للشيخ محمد تقي الدين الهلالي) .

يا مـالكا عبدك المضطر مبتهـل ... يا مـالكا عبدك المضطر مبتهـل

قدوس طهر فـؤادي كي أكون على ... هـدى و ذكرك ربي دائما شغلـي

ويـا سلام سلامـات تصاحبني ... من كل سـوء و من عيب و من خطـل

يـا مؤمنا أعطني أمنا و عـافية ... طـول الحياة و يوم الـهول و الخجـل

ويـا مهيمن أمن جمعنـا أبـدا ... من المخـاوف في التفصيل و الجمل

ويـا عزيزا لك العز العظيم فـجد ... لنـا بعـز إلى الآبـاد متصــل

جبار إني كسيـر أنت تجبرني ... واكسـر عـداتي في الإبكار و الأصل

إلـهنا متكبر نعظمـــه ... فـمن تكبر فـاردده إلى الـسفـل

يا خالق الخلق هب لي خيرهم أبدا ... وكـف عـني أذى ذي الـمكر و الحيل

يـا بـارئا جد ببرء منك في عجل ... وألـبس الجسـم منه سـابغ الحلل

ويا مصور حبب لي دعـاك فما ... إن يعتـري طلبي شيء من الملل

غفـار فـاغفـر ذنـوبا أنت تعلمـها ... قـد أوقعتني في خسـر و في خـلل

قهار فـاقهـر عـدوا ظل يـحقرني ... حتى يرى في الـورى أدنى من الجعـل

وهـاب هب لي رزقا واسـعا غدقـا ... والـعلم والـفقه مقرونيـن بالعمـل

رزاق إني فـقير انت ترزقـني ... فـيسر الـرزق و ابعثـه على عجـل

فـتاح أسألك الـفتح المبيـن لكي ... تـردي عـداتي و إن كانوا على القـلل

عليـم جد لي بعلم منك يـحملني ... على التقى و احمني من عصبة الجدل

يـا قـابض اقبض عـدوا جاء يختلني ... واضربـه بـالضر و الإفـلاس و الخبـل

يا باسط الجود و النعماء تبسط لي رزقي و أنفقه في أحسن السبل

يا خافض اخفض عداة الذكر كلهم ورافضين حديث أفضل الرسل

يا رافع ارفع لنا ذكرا و منزلة بقفونا المصطفى في القول و العمل

أنت المعز فمن أعززته ارتفعت رايات نصر له في السهل و الجبل

أنت المذل فمن أذللته انهزمت ناده و هوى في شر مدخل

ويا سميع الدعا أدعوك مبتهلا وأنت ربي مجيب كل مبتهل

ويا بصير بحالي قد مضى بصري هب لي البصيرة كي أنجو من الخطل

إني إلى الحكم الأعلى أحاكم من بغى علي و لم يصغي إلى عذل

فربنا العدل من قد جاء يظلمني فخذه بالقصم و الإتلاف و العلل

ألطف بنا يا لطيف في الحياة و جد بحسن خاتمة عند انقضا الأجل

وهب لنا يا خبير خبرة و حجى به نسير بجد دون ما كسل

وهب لنا يا حليم الحلم حين نرى من بعض إخواننا شيئا من المزلل

أنت العظيم فعظم أجرنا كرما وجد علينا بفضل غير منتقل

أنت الغفور فهب لي منك مغفرة لكل ذنب و هب لي أعظم النحل

ويا شكور اجعلني شاكرا أبدا لما مننت به و أعطني سؤلي

وأعل قدري يا علي عندك ثم عند كل الورى من سافل و علي

ويا كبير اجعل الإكبار يصحبني وأصغر القرن و اجعله من السفل

و يا حفيظا على الأشياء أجمعها بارك جهودي و احفظني من الفشل

و يا مقيت فيسر قوتنـا أبـدا — من الـحلال و نجنـا من الـبخـل

أنت الحسيب فحسبي أن أنال رضا — ك كنت في حزن أم كنت في جـذل

ويا جليل فـأعـط حزبنـا أبـدا — عـز الجلالـة و احفظنـا من الوجـل

ويـا كريم الـعطايا نحن في ظمإ — فـأعطنـا الـورد في نهل و في علل

أنـت الرقيب فجد بالستر منك على — ما كـان مني من ذنب و من خـلل

ويـا مجيب الدعـا أجب دعـائي و احـ — ـفظني بفضلك من ذل و من خجـل

يـا واسـع الجود وسع رزقنـا أبـدا — وامنن علينـا بخل نـاصر و ولـي

ويـا حكيم فهب لي حكمة و هدى — وامنن بنصر مبيـن شـافيا غللي

ويـا ودود فـهب لي الـود أجمعـه — حتى أفـوز بـشـوق جد مكتمـل

ويـا مجيـد فـمجدنا بذكرك فـي — عسـر و يسـر بـلا عجـز و لا مـلل

يـا باعـث ابعث لنا النصر المبين على — محاربيـن لـدين الـحق في عجـل

أنت الـشهيد على قوم طغوا و بغوا — وحاربـوا دين خير الـخلق و الـرسل

يـا حق أعـداء دين الـحق قد غـدروا — وحـاربوا نـشره بالـمكر و الـحيل

ويـا وكيل عليـك الـيوم معتمـدي — فـكن نصـيري و احفظني من الخطل

ويـا قـوي فـقـو الـيوم زمرتنـا — علـى الـجهاد بـجد دون ما كسـل

ويـا متين فـمتن حزبنـا أبـدا — واجـعله كالـطود دوما شامخ القـلل

ويـا ولي تولنـا بـنصـرك واجـ — ـعل من يحـاربنـا يسيـر في الوحـل

ويـا حميد فـوفقنا لـحمدك فـي — عسـر و يسـر و في أمن و في وجـل

وأنت محص لمن عادى الهدى أبدا فـأوقعنهم بمـا كادوه من دخـل

يـا مبدئ أعطنا أمنا و عـافيـة إذا أقمنـا و في الأسفـار و النقـل

ويـا معيد أعد للدين صولتــه كمـا تقدم فـي أسلافنـا الأول

وأنت محيي الرفاة أحي أنفسنـا بسنة المصطفى في القول و العمـل

ويـا مميت اجعل التهليل يصحبنـا عند الممـات لكي ننجو من الخجل

يـا حي أحي فؤادي كي أكون على نهج السلامة في حلي و مرتحلي

يـا رب إنك قيـوم فـلا أحـــد يقـوم إلا بمـا توليـه من نحــل

يـا واجـد جد لنـا طرا بمعرفـة بها نحل الذي استعصى من العضـل

يـا ماجد هب لنـا مجدا يميزنـا عن الألـى قد غدو من زمرة الهمـل

يـا واحد هب لنا التوحيد أجمعــه و اجعله حليتنـا ننجـوا من العطـل

وأنت يـا ربنـا إلهنـــا أحد لا يرتضي الشرك إلا كل ذي خبـل

يـا فرد أنت بخلق الخلق منفرد فـمن يوحدك يبلغ غاية الأمــل

وأنت يـا صمدا من يقصدنك يفز بكل خير على الآمال مشتمـل

وأنت يا قـادر قدر لنا ظفـــرا على الذين بغوا من جملة الـدول

وأنت مقتدر بـالحلم متصف فـاغفر لنـا ذنبنـا يـا غـافر الـزلل

ويـا مقدم قـدم وفدنـا أبـــدا واجعل على فضلك المرجو متكلي

ويـا مؤخر أخر من يحـاربنـــا واجعله يا سيدي في زمرة السفـل

يـا أول اجعل مقامي أولا كرمـا وحبك اجعله لي أحلى من العسـل

يا آخر أخرن أعداءنا أبـــدا وجد علينا بنصر جد مكتمـل

يا ظاهر أظهرن حزب الرشاد على من جاء يخدعهم بالخبث و الدخل

يا باطن فاجعلن باطني أبدا خلوا من الغم و الأضغان و الدغل

و أنت والي الألى يستنصرون على أعدائهم بك في الإبكار و الأصل

يا ربنا المتعال فاحمنا أبدا من كل ذي إحن للرشد منتحـل

ومنك يا بر أرجو البر يغمرني حتى أجئ غدا في أفضل الثللي

تواب تب و تقبل و اكفنا أبــدا أذى ذوي الشر من حاف و منتعـل

وأنت منتقم رب انتقم لـي من كل العدا وارمهم بالذل و الهبـل

ويا عفو اعف عن ذنبي فإنك ذو فضل عظيم على المستعتب الوجـل

و يا رؤوفا بكل المؤمنين أقل عثار عبد ضعيف مسرف خجـل

يا مالك الملك هب لي بغيتي كرما وكف عني أذى ذي البغي و الخطل

يا ذا الجلال و الإكرام اغفرن زللي وكن معي أبدا في الحادث الجلل

يا مقسط هب لنا القسطاس يصحبنا إذا حكمنا بعدل دون ما خلل

يا جامع الناس فاجمع شملنا أبدا على الهدى باتباع أفضل الرسـل

وأغننا يا غني بالغنى كرما وامنن برزق يرى كالوابل الهطـل

وأنت مغني الورى و العبد في ظمإ فأسقه عللا من بعد ما نهـل

يا مانع امنع عبيدا يحتمي بك من ظلم العداة و أهلكهم على عجـل

يا ضار إني مضرور و مفتقر إلى رضاك فجد بالسؤل و الأمل

وأنت يا نافع انفعني بمعرفة بها تزينني من وصمة العطل

وأنت نور وقلبي مظلم وهل فامنن بنور و أمن مذهب و هلي

وأنت هاد فجد لي بالهدى أبدا حتى أسير بلا خبط و لا وحل

ويا بديع السما و الأرض خذ بيدي وسهل السير لي في أقوم السبل

وأنت وحدك باق لا تزول و من سواك يلقى الفنى في السهل والجبل

يا وارث الأرض و الآفاق جد كرما بحسن خاتمة عند انقضا أجلي

ويا رشيد بنهج الرشد تسلكني حتى أجيء غدا في أحسن الحلل

ويا صبور فهب لي الصبر أجمله على النوائب في حلي و مرتحلي

ويا مغيث الورى لا أستغيث سوا ك إن غوثك لي يغني عن الخول

ويا قريب بنيل القرب منك فجد إني ببابك ما لي عنه من حول

إني بأسمائك الحسنى دعوتك لا يخيب فيك الرجا يا واحدا أزلي

ثم الصلاة و تسليم يصاحبها على الذي جاءنا بأفضل الملل

محمد المصطفى والآل كلهم ما أترب العيس حاد سار بالإبل

الخاتمة

لك الحمد ربي ولك الشكر على ما يسرت لي وأعنتني وشرحت صدري للبحث في أسمائك الحسنى والتأمل في معانيها ، لك حمد عدد ما أحاط به علمك وخطه قلمك وانتهت إليه رحمتك من خلقك ، لك الحمد بعدد كل ذرة ألف ألف مرة ، ولك الشكر بأضعاف ذلك أضعافا مضاعفة بعدد مخلوقاتك كلها.

أيها القارئ الكريم أحببت أن أختم هذا الكتاب المبارك بأن أجيب على سؤال قد يخطر بالبال ، ألا وهو : ما الذي يجتنيه المؤمن - الصادق في سعيه المتطلع إلى رحمة ربه - من معرفته لهذا العلم الجليل ؟ **فأقول - ومن الله أرجو الفتح وحسن القبول - :**

- إن معرفة الرب جل وعز من خلال أسمائه الحسنى والعيش في رحابها يزيد في الإيمان وبخاصة مع الاشتغال بتدبر معانيها والسعي في تطبيقها .

- إن العيش في رحابها يقذف في قلبك يقين بأن العمر يفنى ولا يوصل إلى منتهاها .... كيف لا ؟ وهي التي تعرِّف المخلوق بالخالق العظيم وهي في مجملها وردت ضمن كتابه الكريم ، ولكن بحسب كل امرئ ما أوتي من فهم وإدراك وسعي بإخلاص .

- إن العيش في رحابها يخفف آلام كل متألم ويرفع حزن كل حزين ويؤمِّن خوف كل خائف ، ويبعث الطمأنينة لكل عابد ، فالله هو السلام المؤمن الرحمن الرحيم اللطيف .

- إن العيش في رحابها يعطيك فهما عميقا لحكمة الله تعالى في مخلوقاته ومعرفة جلية بسننه وقوانينه في كونه ، فلا ينزعج المؤمن مما يرى من تقلبات في العالم عموما وفي بلاد المسلمين على وجه الخصوص وفي العالم العربي بوجه أخص ، فالله هو الحكم الحكيم العدل .

- إن العيش في رحابها يجعلك تحيا في ظل العناية الإلهية والمنح الربانية فيشرح صدرك لقضائه وقدره كم ايقذف في قلبك طمأنينة عظيمة لكل ما تراه في هذه الحياة مما تحب أو تكره، لأنك تؤمن بأنه البر الرؤوف الحليم .

- **إن العيش في رحابها يعطيك ثقة في أعمالك الدينية والدنيوية**، كما يرفع همتك لمواجهة الصعاب وتحدي العقبات لأنك تلجأ للقوي الجبار القهار.

- **إن العيش في رحابها يعطيك ثقة في دين الإسلام وشريعته الخالدة الباقية إلى آخر الزمان** لأنها من لدن حكيم خبير وعلام بالغيوب ، وغني عن عبادة العباد بل هو المغني لهم العالم بخفاياهم ، ولذا كانت شريعته فوق كل قانون ودينه ظاهر على كل دين وغالب لكل ناموس .

أهم المراجع

1/ أثر معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأهميتهاعلي المسلم - رسالة دكتوراة في الفلسفة في الدراسات الإسلامية - جامعة الخرطوم -الدكتورة نجوى إبراهيم موسى سعيد.

2/ الدر المنظم في الاسم الأعظم وهو ضمن كتاب الحاوي للفتاوي – للحافظ لسيوطي .

3/ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الانبياء والمرسلين من الكافية الشافية – للعلامة عبد الرحمن السعدي .

4/ شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى – للكتور عمر سليمان الأشقر.

5/ شأن الدعاء - للعلامة أبي سليمان حمد بن محمد البستي المعروف الخطابي .

6/ صحيح البخاري .

7/ صحيح مسلم .

8/ صحيح الجامع الصغير وزيادته - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

9/ سنن الترمذي .

10/ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة) - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

11/ شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل – للعلامة ابن القيم.

12/ طريق الهجرتين وباب السعادتين – لابن القيم .

13/ فتح الباري شرح صحيح البخاري – للحافظ ابن حجر العسقلاني .

14/ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية – للسفاريني .

15/ مدارج السالكين من منازل إياك نعبد وإياك نستعين- للعلامة ابن القيم .

16/ المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى – لحجة الإسلام الغزالي .

17/ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة – للعلامة ابن القيم .

18/ المنهاج في شعب الإيمان – للعلامة الحسين بن الحسن الحليمي .

19/ نونية ابن القيم واسمها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية – للعلامة ابن القيم .

20/ موسوعة شرح أسماء الله الحسنى – للشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي .

- **مجموعة مقالات لمختلف الكتاب والباحثين من المواقع الإلكترونية الآتية :**

21/ موقع إمام المسجد .

22/ موقع الدرر السنية .

23/ موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية .

24/ موقع طريق الإسلام .

25/ موقع ملتقى الخطباء .

26/ موقع شبكة الألوكة الشرعية .

27/ موقع الكلم الطيب .

28/ موقع صيد الفوائد .

29/ موقع المكتبة الشاملة .

30/ موقع إسلام ويب .

31/ موقع الراشدون .

32/ موقع ويكيبيديا .

فهارس الموضوعات